نموذج ترخيص

أنا الطالب : سندس عادل العبيد أمنح الجامعة الأردنية و / أو من تفوضه ترخيصاً غير حصري دون مقابل بنشر و / أو استعمال و / أو استغلال و / أو ترجمة و / أو تصوير و / أو إعادة إنتاج بأي طريقة كانت سواء ورقية و / أو إلكترونية أو غير ذلك رسالة الماجستير / الدكتوراة المقدمة من قبلي وعنوانها.

السعادة في السنة النبوية – دراسة موضوعية

وذلك لغايات البحث العلمي و/ أو التبادل مع المؤسسات التعليمية والجامعات و/ أو لأي غاية أخرى تراها الجامعة الأردنية مناسبة، وأمنح الجامعة الحق بالترخيص للغير بجميع أو بعض ما رخصته لها.

اسم الطالب: سندس العبيد

التوقيع: سندس

التاريخ: ٢٦ / ١١ / ٢٠١٧م

السعادة في السّنّة النّبويّة - دراسة موضوعيّة -

إعداد

سندس عادل جاسم العبيد

المشرف

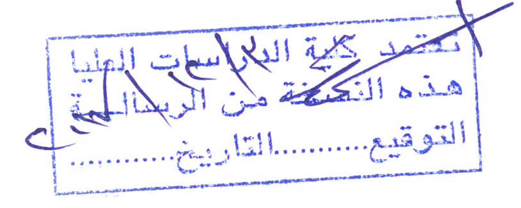
الأستاذ الدكتور أمين القضاة

قدّمت هذه الأطروحة استكمالًا لمتطلب الحصول على درجة الدكتوراه في الحديث

كليّة الدراسات العليا

الجامعة الأردنية

تشرين الثاني ٢٠١٧



قرار لجنة المناقشة

نوقشت هذه الرسالة / الأطروحة (السعادة في السنة النبوية – دراسة موضوعية) واجيزت بتاريخ ١٥/ ١١ /٢٠١٧

أعضاء لجنة المناقشة	التوقيع
الدكتورأمين محمد القضاة / مشرفاً أستاذ– الحديث – الجامعة الاردنية	....
الدكتور عبدالكريم أحمد الوريكات / عضواً أستاذ مشارك – الحديث - الجامعة الاردنية	....
الدكتور زياد سليم العبادي / عضواً أستاذ مشارك – الحديث - الجامعة الاردنية	....
الدكتور علي ابراهيم عجين /عضواً خارجياً أستاذ – الحديث – جامعة آل البيت	....

السعادة في السّنّة النّبويّة - دراسة موضوعيّة -

إعداد

سندس عادل جاسم العبيد

المشرف

الأستاذ الدكتور أمين القضاة

قدّمت هذه الأطروحة استكمالًا لمتطلب الحصول على درجة الدكتوراه في الحديث

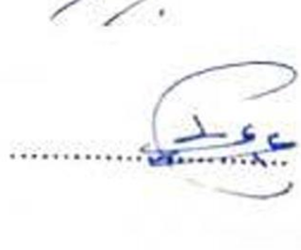
كليّة الدراسات العليا

الجامعة الأردنية

تشرين الثاني ٢٠١٧

قرار لجنة المناقشة

نوقشت هذه الرسالة / الأطروحة (السعادة في السنة النبوية - دراسة موضوعية) واجيزت بتاريخ / /٢٠١٧

أعضاء لجنة المناقشة	التوقيـــع
الدكتورأمين محمد القضاة / مشرفاً أستاذ- الحديث - الجامعة الاردنية	
الدكتور عبدالكريم أحمد الوريكات / عضواً أستاذ مشارك - الحديث - الجامعة الاردنية	....
الدكتور زياد سليم العبادي / عضواً أستاذ مشارك - الحديث - الجامعة الاردنية	
الدكتور علي ابراهيم عجين /عضواً خارجياً أستاذ - الحديث - جامعة ال البيت	

الإهداء

أهدي هذا العمل المتواضع ...

إلى والداي الكريمين. اللذان أحاطوني بدعوات صادقة. وكلمات مشجعة .

إلى زوجي الغالي .. رفيق الدرب.. وبلسم القلب.. الناصح المرشد ..

إلى أبنائي مهجة القلب وقرة العين.. لطالما تحملوا معي مسيرة الطلب والكتابة..

إلى أساتذتي الكرام .. إلى إخواني وأخواتي الأعزاء ..

إلى المسلمين عامة .. وطلاب العلم خاصة ..

أهديهم منهج النبي -صلّى الله عليه وسلّم - في السعادة .. سائلة الله عز وجل أن يرزقهم السعادة الحقة ..

شكر وتقدير

نِعم الله أحاطتني من كل جانب فالشكر أوّلًا وأخيرًا للذي نعمه لا تعدّ ولا تحصى، لله سبحانه وتعالى، أعانني الله وإياكم على شكره وحسن عبادته.

ثم أتقدّم بالشكر لأستاذي الفاضل الأستاذ الدكتور أمين القضاة لإشرافه على أطروحتي هذه، فجزاه الله كل خير، ثمّ الشكر للجنة المناقشة التي تكرّمت بقراءة الأطروحة ومن ثمّ مناقشتها، فللجميع الشكر والتقدير.

كما يشرفني أن أتقدّم بالشكر الجزيل، وببالغ التقدير لأساتذتي في كليّة الشريعة الذين درست على أيديهم وتعلّمت منهم الكثير، والشكر موصول لكلّ من مدّ يد المساعدة والعون، لكلّ من ساندني بدعوة أو قول.

فهرس المحتويات

السعادة في السّنّة النّبويّة

دراسة موضوعية

إعداد

سندس عادل جاسم العبيد

المشرف

الأستاذ الدكتور أمين القضاة

الملخّــــص

اعتنت هذه الدراسة بتتبع منهج النبي -صلّى الله عليه وسلّم -في السعادة، من خلال جمع الأحاديث النّبويّة التي تحتوي لفظ السعادة، أو لفظًا نظيرًا لها، أو السياق الدالّ عليها، مع استنباط مفهوم السعادة في السّنّة النّبويّة، وأسبابها ومظاهرها.

ومن أهمّ النتائج التي توصلت إليها: أنّ السعادة الحقيقية هي حصول الرضا المصاحب للإيمان بالله تعالى، وتطبيق منهج النبي صلى الله عليه وسلم في الحياة الدنيا، للفوز بالجنة في الآخرة، وأنّ مؤشرات السعادة كثيرة في السّنّة النّبويّة، في مقدّمتها: تحقيق الإيمان وتطبيق شرائع الدين وأركانه، والتزام القيم الإسلامية، وتحقيق النجاح في الحياة الاجتماعيّة، والعمل والإنتاجية ومراعاة الاهتمامات، وضبط النفس وتطويرها، وأنّ السعادة دنيويّة وأخرويّة، والسعادة الأخرويّة أكمل وأبقى، وأن السعادة في الدنيا نوعان: سعادة مادية لحظية، وسعادة روحية مستمرة وهي السعادة الحقيقية، ومن أهم مظاهر السعادة: الحياة الطيّبة، والبشارة بالخير، والرضا والسكينة، والاستقرار النفسي والأسري، والقبول في الأرض، وحسن الخاتمة، ونيل الشفاعة، ودخول الجنة ورضى الرب تبارك وتعالى، ورؤية الربّ عزّ وجلّ يوم القيامة.

بسم الله الرحمن الرحيم

مُقَدِّمَة

الحمد لله حمدًا يليق بجلاله، الحمد لله حمدًا طيّبًا مباركًا، الحمد لله كلمات طيبات مباركات تشرح الصدر.. وتفرح المرء.. والصّلاة والسلام على خير الأنام سيدنا محمد -صلّى الله عليه وسلّم-، هادي البشرية إلى طريق الهداية والسعادة، طريق الإيمان والسلامة..

أمّا بعد..

فإنّ السعادة مطلب إنسانيّ وضرورة روحيّة، يبحث عنها الكبير والصغير، المسلم والكافر، ولا يختلف اثنان على ضرورة وجودها وأهميتها، فهي الحياة بكل معانيها.

وفي عصرنا الحاضر تنوع العارضون لها، بمناهج عدة، ومنهم المناهج المزعومة كدعاة الطاقة، وكمن يستدعي الجمال من نفسه، حتى وصل بعضهم إلى تقديس النفس ورفعها إلى منازل عالية، وإعطائها إمكانات خرافية خياليّة، والباحثون عن السعادة كثر، والمتكلمون فيها أكثر، أينما تسير وفي أي مجال تقرأ تجد كلمة السعادة ترافقك، تطور العصر.. وتطورت الوسائل كلّها، زادت الرفاهية وظن بعضهم أنّها هي السعادة، وحينما فقدوها زاد إلحاحهم لها، وزاد البحث عنها، فلا يمرّ عليّ يوم حتى أرى أو أسمع أو أقرأ قولًا أو عبارة عن السعادة، وبحكم تخصصي وتجولي مع الأحاديث النّبويّة وجدت كنزًا كبيرًا يحتاج إلى إظهار، كنزًا بين أيدينا إلّا أنّنا نحتاج إلى التأمل والتمعّن فيه، وخلال بحثي في الموضوع وجدت كتبًا شرعيّة مباركة، فيها علم كبير وفوائد جمّة، إلّا أنّني أردت أن أسلط الضوء على سنة الحبيب -صلّى الله عليه وسلّم- في دراسة علمية، مع دراسة للأحاديث وترتيبها وتبويبها بما يسهل على كل قارئ الاستفادة منها والتعرّف إلى المنهج النبوي في السعادة الحقيقية، والله أسأل التوفيق والسداد.

ومع ضرورة السعادة وأهميتها بالنسبة للمرء إلّا أنه قد اختلف في تعريفها اختلافا كبيرا، فالفلاسفة فيما بينهم اختلفوا وتنوعوا في معانيها، وكذلك التربويون، ومثلهم الأدباء، وتنوع الشرعيون في تفسيرها، ومع ذلك فهم يتفقون في جوانب معينة، لكني خلال بحثي لم أجد دراسة حديثيّة تجمع

لنا المنهج النبوي في السعادة، ووجدت دراسة تجمع السعادة في القرآن الكريم[١] مما شجعني على إظهار منهج النبي -صلّى الله عليه وسلّم-في السعادة الحقيقية.

وعلى الرغم من شهرة موضوع [السعادة في السّنّة النّبويّة] إلا أن الدراسات فيه قليلة فلا توجد دراسة علميّة متخصّصة شملت هذا الموضوع بمختلف جوانبه وأبعاده.

ولأهميّة هذا الموضوع وقلّة الدراسات التخصصية فيه، وحاجة المسلمين لمعرفة المزيد عنه، **رأيت أن أقدّم أطروحتي لنيل درجة الدكتوراه بعنوان" السعادة في السّنّة النّبويّة -دراسة موضوعية".**

ولمّا كان البحث في بابه كثير الجوانب، متعدّد الجهات، فقد استخرت الله تعالى، ثم استشرت مشايخي الكرام، وعزمت على الإسهام في هذا الموضوع -رغم قصر باعي وقلّة بضاعتي في العلم -مستنيرة بدُرر ما خطّه العلماء قبلي، وأسأل الله التوفيق والسداد، والقبول والعون، إنّه وليّ ذلك والقادر عليه.

مشكلة الدراسة:

تتناول الدراسة موضوع السعادة الذي يعدّ مطلب كلّ فرد وغاية كلّ إنسان، ومفهومها في وقتنا الحاضر من المفاهيم المختلف فيها، وتحتاج إلى دراسة وتجلية، ولهذا رأيت التطرق لهذا الموضوع من خلال السّنّة النّبويّة التي تحل إشكالها، وتبيّن مفهومها ومعاييرها، وتكشف عن أنواعها.

سوف تجيب الدراسة عن الأسئلة الآتية:

١. ما مفهوم السعادة، وما حدودها؟
٢. ما الأحاديث الدالة على السعادة في السّنّة النّبويّة؟
٣. ما مؤشرات السعادة في السّنّة النّبويّة؟

---

[١] إبراهيم، رهيفة موسى قدورة، **سعادة الإنسان في القرآن الكريم – دراسة موضوعية**- دراسة ماجستير في التفسير وعلوم القرآن – الجامعة الإسلامية – غزة عمادة الدراسات العليا – كلية أصول الدين قسم التفسير وعلوم القرآن – ١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م.

٤. ما أنواع السعادة؟ وما مظاهرها في السّنّة النّبويّة؟

أهمية الدراسة:

تتمثل أهمية الدراسة في النقاط الآتية:

١. تبرز أحاديث السعادة وتبيّن معانيها ومدلولاتها.
٢. تسلّط الضوء على أسباب السعادة ومظاهرها.
٣. حاجة الناس إلى تحقيق السعادة في الدّارين: الدنيا والآخرة.
٤. تعالج موضوعا معاصرا كثر الحديث عنه.
٥. تتناول مطلبًا ضروريًا لكل إنسان، وهو السعادة وتبيّن المنهج النبوي في تحقيقها.

أهداف الدراسة:

تتمثل أهداف الدراسة بالآتي:

١. بيان مفهوم السعادة.
٢. جمع الأحاديث الدالة على السعادة في السّنّة النّبويّة، وبيان مواطنها، مع ذكر ألفاظ السعادة في الأحاديث النّبويّة، والألفاظ النظيرة لها، والسياق الدال عليها.
٣. الكشف عن مؤشرات السعادة في السّنّة النّبويّة.
٤. ذكر أنواع السعادة ومظاهرها، من خلال الأحاديث المتعلقة بالموضوع التي جمعتها من السّنّة النّبويّة.

الدراسات السابقة:

بعد بذل الجهد في البحث والاستعانة بعدد من المختصّين، وبعد الاطلاع على ما تتيحه الوسائل الحديثة من البحث والتنقيب؛ لم أعثر خلال بحثي على دراسة أكاديميّة مختصّة تجمع أحاديث السعادة في السّنّة النّبويّة، وتبرز جوانبها، ولكنّي وجدت دراسات عامة عن السعادة في الإسلام دون حصر أحاديث السعادة فيها، أو سبك موضوع متكامل منها، ومن هذه الدراسات:

١- الأربعون النّبويّة في السعادة الزوجية – تأليف أبي معاذ هيثم بن محمود.

لم أقف على الكتاب ولكنّي راسلت المؤلف فأرسل لي نبذة عن كتابه، مفادها أنّ الكتاب متن حديثي يحتوي على أربعين حديثًا مع تعليقات يسيرة تسهم في رسم الطريق الصحيح لحياة زوجية سعيدة.

فالكتاب يخص الجانب الأسري، وهو متن حديثي اقتصر على جمع أربعين حديثًا في السعادة الزوجيّة، ودراستي-بإذن-الله ستشمل جوانب السعادة في الحياة كلّها، وستكون موضوعية تحليلية.

٢-طريق السعادة – تأليف أحمد فريد.

لم أستطع الحصول على نسخة من الكتاب، ولكن اطلعت على فهرسه، وقد تكلّم عن طريق السعادة بشكل عام، ولم يسلّط الضوء على السّنّة النّبويّة، ودراستي مختصة بدراسة جوانب السعادة من خلال السّنّة النّبويّة.

٣-مفهوم السعادة وسبل تحقيقها – بحث للطالب عبد الله علي العبدلي – جامعة الإمام محمد بن سعود.

هو بحث قصير قدم في مادة بالبكالوريوس ثم نشر، وقد عرض فيه الباحث مفهوم السعادة بشكل عام ومختصر، في ثلاثين صفحة مع الفهارس والمقدمات، وبإذن الله ستكون دراستي متخصصة في الجانب الحديثي.

٤-أسباب سعادة الناس وشقاؤهم في ضوء الكتاب والسّنّة – تأليف الشيخ محمد زكريا الكاندهلوي.

اطلعت على الكتاب فوجدته كتابًا جيّدًا، ووجدته عامًّا ليس فيه حصر للأدلة ولا حصر لكل المعاني المستنبطة، وقد جاء الكتاب في ستين صفحة مع المقدّمات، ولم يكن فيه توثيق، وهو أقرب للخطب والكلام الدعوي أكثر منه إلى البحث العلمي المعمق في الموضوع، والأحاديث التي ذكرها المؤلف في كتابه قليلة جدًّا، أمّا دراستي فستكون-بإذن الله-متخصّصة بالجانب الحديثي شاملة لأحاديث السعادة.

ولهذا فإنّ ما يميز هذه الدراسة عن الدراسات السابقة الآتي:

١- تعدّ الدراسة المقدّمة دراسة أكاديمية متخصصة.

٢- سوف تجمع الأحاديث النّبويّة الواردة في السعادة مع الحكم عليها بوجه مختصر، واستنباط المعاني الدالة على السعادة منها.

٣- تكوين موضوع متكامل من السّنّة النّبويّة يبيّن طريق السعادة في الجوانب كلّها، خاصة أنّها مطلب كل إنسان، والكلّ يبحث عنها بمختلف الطرق، مع بيان أنّ أصل السعادة يتمثل بتعاليم الدين الإسلامي وعقائده وتوجيهاته وإرشاداته.

المنهجيّة العلميّة:

سأتبع في هذه الدراسة المناهج الآتية:

١- المنهج الاستقرائي: سأقوم بحصر أحاديث السعادة في الكتب الستة، من خلال جمع الأحاديث التي ورد فيها لفظ السعادة أو مشتقاته، والألفاظ النظيرة للفظ السعادة، والسياق الدال على السعادة في السّنّة النّبويّة.

٢- المنهج التحليلي: سأقوم بهذا المنهج بتحليل أحاديث السعادة وأقوال العلماء الواردة في شرحها، مع تكوين موضوع متناسق عن السعادة في السّنّة النّبويّة.

٣- المنهج النقدي: وبه سأقوم بدراسة الروايات والحكم عليها، والاعتماد على المقبول منها، وقد استشهد بالحديث الضعيف، إذا لم أجد غيره في الموضوع.

٤- المنهج المقارن: وفيه مقارنة السعادة في السّنّة النبوية مع المناهج المختلفة.

منهجي في التخريج والحكم على الأحاديث:

الحكم على الأحاديث:

ما كان في الصحيحين من الأحاديث أكتفي بتصحيحهما، وما كان من خارج الصحيحين إنْ وجدتُ حكمًا لعالم وضعته ثمّ عقبت برأيي كباحثة متخصّصة بعلوم الحديث، وإن لم أجد حكمًا اجتهدت وحكمت عليه بوجه مختصر.

التخريج:

- ما كان في الصحيحين أو أحدهما اعتمدت عليه.
- وما كان من خارجهما فما كان من السنن الأربعة اكتفيت به، وإلّا من الكتب التسعة، وإلّا توسّعت من باقي كتب الحديث.

خطة الدراسة:

قسمت الدراسة إلى: مقدمة وثلاثة فصول وخاتمة، وذلك على النحو الآتي:

المقدّمة: وتشتمل على: مشكلة الدراسة، وأهميتها، وأهدافها، والدراسات السابقة، والمنهجيّة العلميّة المتبعة في الدراسة، وخطّة الدراسة.

الفصل الأول: مفهوم السعادة وحدودها

المبحث الأول: مفهوم السعادة لغة، وعند الفلاسفة

المطلب الأول: مفهوم السعادة لغة

المطلب الثاني: مفهوم السعادة عند الفلاسفة

المبحث الثاني: مفهوم السعادة، وحدودها في علم النفس الحديث

المطلب الأول: لمحة تاريخية لمصطلح السعادة، ومفهومها في علم النفس

المطلب الثاني: نظريات السعادة في علم النفس

المطلب الثالث: مكونات السعادة في علم النفس

المطلب الرابع: معايير ومؤشرات indicators السعادة في علم النفس

المبحث الثالث: مفهوم السعادة، وحدودها في السّنّة النبوية

المطلب الأول: مفهوم السعادة في السّنّة النبوية

المطلب الثاني: مكونات السعادة في السّنّة النبوية

المطلب الثالث: مؤشرات السعادة في السّنّة النبوية

الفصل الثاني: مؤشرات السعادة في السّنّة النبوية

المبحث الأول: تحقيق الإيمان، وتطبيق شرائع الدين وأركانه (الحياة ذات المعنى)

المطلب الأول: تحقيق الإيمان

المطلب الثاني: تطبيق شرائع الدين وأركانه

المبحث الثاني: التزام القيم الإسلامية

المطلب الأول: التزام القيم الإيمانيّة: التقوى، والإخلاص، والرضا، وحسن الظن بالله، والزهد، والشكر، والتوكل.

المطلب الثاني: التزام القيم الأخلاقيّة: الصدق، والصبر، والحلم، والرفق.

المطلب الثالث: التزام القيم السلوكية: الإحسان، والأمانة، والتواضع والعفو، والذكر

المبحث الثالث: تحقيق النجاح في الحياة الاجتماعيّة

المطلب الأول: السعادة الزوجية

المطلب الثاني: تربية الأبناء

المطلب الثالث: بر الوالدين وصلة الرحم

المطلب الرابع: الأخوة في الله (الأصدقاء)

المطلب الخامس: ترابط المجتمع الإسلامي

المبحث الرابع: العمل والإنتاجية، ومراعاة الاهتمامات

المطلب الأول: العمل الصالح

المطلب الثاني: طلب العلم

المطلب الثالث: قراءة القرآن

المطلب الرابع: بركة العطاء والإنفاق

المطلب الخامس: حضور مجالس الذكر

الفصل الأول:

مفهوم السعادة وحدودها

المبحث الأول: مفهوم السعادة لغة، وعند الفلاسفة

المبحث الثاني: مفهوم السعادة، وحدودها في علم النفس الحديث

المبحث الثالث: مفهوم السعادة، وحدودها في السّنّة النبوية

المبحث الأول: مفهوم السعادة لغة، وعند الفلاسفة

في هذا المبحث بيان وعرض لمفهوم السعادة لغة، فإن أساس كل مفهوم الرجوع لمعناه اللغوي واستعمالاته.

ومن أوائل من تكلم عن السعادة ومفهومها علماء الفلسفة، لذلك ألحقتهم بالتعريف اللغوي، وفيما يلي بيان ذلك.

المطلب الأول: مفهوم السعادة لغة

في التعريف اللّغوي للكلمة يتم تحديد أصل استخدامها في اللغة أوّلًا، ثم استعمالات الكلمة في اللغة، ومن ثم معناها في السياق الحالي، وفيما يلي بيان لمعنى كلمة السعادة في اللغة:

أصل استخدام الكلمة في اللغة:

مصدر كلمة السعادة (سَعَدَ)، والسِّينُ وَالْعَيْنُ وَالدَّالُ أَصْلٌ يَدُلُّ عَلَى خَيْرٍ وَسُرُورٍ، خِلَافَ النَّحْسِ. فَالسَّعْدُ: الْيُمْنُ فِي الْأَمْرِ. وَالسَّعْدَانُ: نَبَاتٌ مِنْ أَفْضَلِ الْمَرْعَى. يَقُولُونَ فِي أَمْثَالِهِمْ: " مَرْعَى وَلَا كَالسَّعْدَانِ ". هَذَا هُوَ الْأَصْلُ، ثُمَّ قَالُوا لِسَاعِدِ الإنسان سَاعِدٌ، لِأَنَّهُ يَتَقَوَّى بِهِ عَلَى أُمُورِهِ. وَلِهَذَا يُقَالُ سَاعَدَهُ عَلَى أَمْرِهِ، إِذَا عَاوَنَهُ، كَأَنَّهُ ضَمَّ سَاعِدَهُ إلى سَاعِدِهِ. وَقَالَ بَعْضُهُمْ: الْمُسَاعَدَةُ الْمُعَاوَنَةُ فِي كُلِّ شَيْءٍ(١).

وعلى هذا فإنّ أصل استخدام كلمة (سعد) في اللغة يدور على معنيين:

- الأول: الدلالة على الخير والسرور.
- والثاني: الدلالة على المعاونة.

استعمال الكلمة في اللغة:

تأتي كلمة سعد في اللغة بأكثر من معنى، ومن أهم المعاني التي وقفت عليها في كتب اللغة:

١- اليُمْن:

السَّعْد هو اليُمْن، وَهُوَ نَقِيضُ النَّحْس، والسُّعودة: خِلَافُ النُّحُوسَةِ، وَالسَّعَادَةِ: خِلَافُ الشَّقَاوَةِ.(٢)

---

(١) ينظر: ابن فارس، أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا(ت٣٩٥هـ)، **معجم مقاييس اللغة**، دار الجيل - بيروت ، ط٢، ت : عبد السلام محمد هارون، (٣/ ٧٥) مادة سعد.

(٢) ابن منظور، محمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري(ت٧١١هـ)، **لسان العرب**، دار صادر - بيروت، ط 1،(٢١٣/٣) مادة سعد. وينظر: الحسيني، محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق، أبو الفيض، الزَّبيدي (ت: ١٢٠٥هـ)، **تاج العروس من جواهر القاموس**، تحقيق: مجموعة من المحققين، دار الهداية، (٨/ ١٩٢)، مادة سعد. و الرازي، زين الدين

٢- البركة:

من معاني السعد البركة، فقولنا سَعَدَ اليَوْمُ: أي كانَ مُبارِكًا([١]).

٣- المعاونة:

الإسْعاد: الْمَعُونَةُ، والمُساعَدة: المُعاونة، واستَسْعد الرجلُ بِرُؤْيَةِ فُلَانٍ أَي عَدَّهُ سَعْدًا، وسعْدَيك من قَوْلِهِ لَبَّيك وَسَعْدَيْكَ أَي إسعادًا لَكَ بَعْدَ إسعادٍ.([٢])

قال الأزهري: "رُوِي عَن النَّبِي -صلّى الله عَلَيْهِ وسلّم- أَنه كَانَ يَقُول فِي افْتِتَاح الصَّلَاة: ((**لبَّيك وسَعْديك، وَالْخَيْر فِي يَديك، والشرّ لَيْسَ إِلَيْك**))([٣]). قال -الأزهري-: عَن ابْن السّكيت فِي قَوْله: (لبَّيك وَسَعْديك)، "تَأْويله إلبابًا بعد إلباب أَي لُزُوما لطاعتك بعد لُزُوم، وإسعادًا لأمرك بعد إسعاد". وقال -الأزهري- وَأَخْبرنِي الْمُنْذِرِيّ عَن أَحْمد بن يحيى أَنه قَالَ: "سَعْدَيك أَي مساعدة لَك ثمَّ مساعدة وإسعادًا لأمرك بعد إسعاد" وأصل الإسعاد والمساعدة مُتَابعَة العَبْد أَمر ربّه"([٤]).

٤- الرضا و٥. الفرح و٦. الراحة:

سعِد الشَّخصُ أحسّ بالرِّضا والفرح والارتياح([٥]).

٧-السلامة:

سَعِدَ الرجل من باب سلِم فهو سَعيدٌ([٦]).

أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الحنفي الرازي (ت: ٦٦٦هـ)، **مختار الصحاح**، المحقق: يوسف الشيخ محمد، الناشر: المكتبة العصرية – الدار النموذجية، بيروت – صيدا، ط:٥، ١٤٢٠هـ / ١٩٩٩م (ص: ١٤٨). إبراهيم مصطفى / أحمد الزيات / حامد عبد القادر / محمد النجار، **المعجم الوسيط**، دار الدعوة، ت: مجمع اللغة العربية، (٤٣٠/١).

([١]) مختار، معجم اللغة العربية المعاصرة (٢/ ١٠٦٦).

([٢]) ابن منظور، لسان العرب (٢١٤/٣).

([٣]) جزء من حديث أخرجه: مسلم: مسلم بن الحجاج أبو الحسين القشيري النيسابوري (٢٦١هـ)، **المسند الصحيح المختصر من السنن بنقل العدل عن العدل عن رسول الله ﷺ**، دار إحياء التراث العربي - بيروت، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، كتاب البر والصلة والآداب - باب تحريم الظلم -ح٧٧١ من حديث علي بن أبي طالب رضي الله عنه(٢ / ١٨٥).

([٤]) الأزهري، أبو منصور محمد بن أحمد (٣٧٠هـ) **تهذيب اللغة**، دار إحياء التراث العربي – بيروت ٢٠٠١ م،ط١ ، تحقيق :محمد عوض مرعب، (٢/ ٤٣).

([٥]) مختار، أحمد مختار عبد الحميد عمر(ت١٤٢٤ هـ)، **معجم اللغة العربية المعاصرة**، عالم الكتب، القاهرة، ط١ ، (١٠٦٦/٢).

([٦]) الرازي، مختار الصحاح (ص:١٠٥).

٨-التوفيق:

إذا قيل: أسعد الله العبدَ وسَعَده فَمَعْنَاه: وفَّقه الله لما يرضيه عَنهُ فيَسْعد بذلك سَعَادَة[١].

٩-الطيب:

والسُّعْد بِالضَّمِّ: مِنَ الطِّيبِ.[٢]

١٠-ما جاء من غير طلب:

وسَعِدَ الماءُ: جَرَى سَيْحاً لا يحتاج إلى دالية[٣]، ومَا سَعِدَ مِنَ الْمَاءِ أَي مَا جَاءَ مِنَ الْمَاءِ سَيْحاً لَا يَحْتَاجُ إِلى دَالِيَةٍ يَجِيئُه الْمَاءُ سَيْحًا، لأَن مَعْنَى مَا سَعِدَ: مَا جَاءَ مِنْ غَيْرِ طَلَبٍ[٤].

١١-أسماء أعلام فيها دلالة على السعادة:

من أَسمَاء الرِّجَال سعد ومسعود وسَعِيد وأسعد وسُعَيد وسَعْدان، وَمن أَسمَاء النِّسَاء سُعَاد وسُعْدَى وسَعِيدة وسَعْدِيَّة وسُعَيْدة، والسُعْد: ضرب من التَّمْر، ونحو ذلك.[٥]

هذا ما وقفت عليه من استعمالات لفظ السعد في اللغة، وسأفيد من هذه العناصر في تحديد مفهوم السعادة في السياق الحالي -وهو السعادة في السّنّة النّبويّة -.

---

[١] الأزهري، تهذيب اللغة (٢/ ٤٣).

[٢] ينظر: ابن منظور، لسان العرب (٢١٦/٣). الأزهري، تهذيب اللغة (٤٥/٢).

[٣] مجموعة مؤلفين، المعجم الوسيط (٤٣٠/١).

[٤] ابن منظور، لسان العرب (٢١٥/٣).

[٥] الأزهري، تهذيب اللغة (٤٥/٢).

المطلب الثاني: مفهوم السعادة عند الفلاسفة

إنّ السعادة من المباحث المهمة في علم الفلسفة، فقلما تجد فيلسوفًا ولا مرجعًا فلسفيًّا إلا وقد تطرق لها وعرّفها وخاض في طرقها، لما لها من أهمية كبرى للفرد والمجتمع.

ولقد تعدّدت رؤى الفلاسفة في تحقيقها، لكنهم اتفقوا على ركائز معيّنة تؤدي إلى السعادة، وفي هذا المطلب نظرة عامة مختصرة عن السعادة عند الفلاسفة.

جاء في المعجم الفلسفي أنّ السعادة(١) في أساسها حالة تنشأ عن إشباع الرغبات الإنسانية كمًّا وكيفًا، وقد تسمو إلى مستوى الرضا الروحي ونعيم التأمّل، والسعادة ضد الشقاوة، وهي الرضا التام بما تناله النفس من الخير(٢).

وعناصر هذا التعريف:

- إشباع الرغبات كمًّا وكيفًا.
- السمو إلى الرضا الروحي ونعيم التأمل.
- الرضا التام بما تناله النفس

وجاء في المصطلحات الفلسفية أنها صيرورة نفس الإنسان من الكمال في الوجود إلى حيث لا تحتاج في قوامها مادة، وهي الخير، وهي غاية ما يتشوقها كل إنسان، وهي نيل النفس طلبها(٣).

وعناصر هذه المفاهيم: " الكمال، الخير، الغاية، نيل المطالب ".

وللفلاسفة في حقيقة السعادة آراء مختلفة، فمنهم من يقول: إن السعادة هي الاستمتاع بالأهواء، ومنهم من يقول: إنها في اتباع الفضيلة، ومنهم من يقول: إنها في الاستمتاع بالملذات الحسية،

---

(١) السعادة في اللغة الإنجليزية: HAPPINESS ، وفي اللغة الفرنسية: BONHEUR.

(٢) ينظر: صليبا، جميل، **المعجم الفلسفي بالألفاظ العربية والفرنسية والإنكليزية واللاتينية**، دار الكتاب اللبناني – بيروت- ١٩٨٢م، ص٩٧.

(٣) قسم الكلام بمجمع البحوث الفلسفية، **شرح المصطلحات الفلسفية**، مجمع البحوث الإسلامية – دار البصائر- ط١ (ص:١٥٩).

ومنهم من يقول: إنها في العمل والجهد، ومنهم من يوحّد الخير الأعلى والسعادة ويجعل اللذة شرطًا ضروريًّا للسعادة لا شرطا كافيًا[١].

وفيما يلي بيان لآراء أشهر الفلاسفة القدامى والفلاسفة المسلمين في مفهوم السعادة:

أولا: فلاسفة اليونان

- **سقراط (٣٩٩ ق.م – ٤٦٩ ق.م):**

اقتنع سقراط بأن العلم إنما هو العلم بالنفس لأجل تقويمها، واتخذ شعارا له كلمة قرأها في معبد دلف هي " اعرف نفسك بنفسك"، وآثر سقراط النظر في الإنسان وانحصرت الفلسفة عنده في دائرة الأخلاق باعتبارها أهم ما يهم الإنسان، وهو أول من حول النظر من الفلك والعناصر إلى النظر للنفس، فإذا عرف الإنسان نفسه، فسوف يكتشف فيها: الحق، والخير، والجمال، والسعادة، ويدفعها إلى السير في طريق الفضيلة فيسعد في الدنيا، وكان لاكتشافه الحد والماهية أكبر الأثر في مصير الفلسفة فقد ميز بصفة نهائية بين موضوع العقل وموضوع الحس، فهو موجد فلسفة المعاني[٢].

يلاحظ هنا أن سقراط حصر السعادة في معرفة النفس ولم يتطرق لجانب الاعتقاد، وللسعادة الحقيقية وإنّما رأى أنّ السعادة تنبع من النفس الإنسانية والسير إلى طريق الفضيلة، وهذه نظرية بعيدة عن التوجه الديني، وإنما الصحيح هو معرفة الإنسان لله سبحانه وتعالى والتقرب إليه، والتعبد لله بالطاعات حتى يتعلق قلب العبد بالله سبحانه وتعالى، فيعرف حقيقة الدنيا وأنها دار اختبار والآخرة دار قرار، وحينئذٍ يجاهد نفسه على ترك المعاصي والمحافظة على الطاعات حتى يعطيه الله رضًا يملأ قلبه وطمأنينة وسكينة توصله إلى مرتبة الإحسان إلى التعلق بالله عزّ وجلّ وعبادته كأنّنا نراه، فإن لم نكن نراه فإنه يرانا سبحانه.

---

(١) ينظر: صليبا، المعجم الفلسفي (ص٩٧).

(٢) كرم، يوسف، **تاريخ الفلسفة اليونانية**، مصر – القاهرة – مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، (ص:٦٨، ٧٠، ٧١). موسى، كمال، **السعادة وتنمية الصحة النفسية**، دار النشر للجامعات - مصر، ط١ – ٢٠٠٠، (ص: ٢٥).

- **أفلاطون (٣٤٧ق.م – ٤٢٧ق.م)**

ذهب أفلاطون إلى أنّ السعادة في سلامة النفس وليست في البدن، وهي في فضائل الحكمة والشجاعة والعفة والعدل، وقسمها إلى سعادة دنيا وسعادة عظمى، وتتحقق السعادة الدنيا للنفوس التي تعرف كيف تسيطر على انفعالاتها الجسمية فتعود مباشرة بعد الموت لتسكن في الكوكب الذي بدأت منه انطلاقها، وأما النفوس الأخرى فإنها تتحول إلى أجسام ولا تعود لحالتها، وهو يؤمن بأن في البدن ثلاثة أنواع من النفوس أو ثلاثة أجزاء للنفس في البدن الواحد، وهي النفس الشهوانية والنفس الغضبية والنفس العاقلة، وهذا الانقسام لديه ليس مجازيا بل حقيقيا، وإذا نجح الفرد في تحقيق التوازن بينهما يعيش في سلام مع نفسه، وجعل افلاطون من النفس عالما خياليا تخيل فيه النفس وهي تعيش في عالم خاص اختار له مسمى عالم المثل، وهو عالم شريف تعيش فيه النفس قبل أن تهبط للأرض وتلحق بالبدن، والسعادة العظمى تشعر فيها النفس عندما تفارق البدن عند الموت، وتبتعد عنه بنجاساته وشهواته وحاجاته وجهالاته، وتصفو وتخلص وتقبل النور الإلهي الذي يجعلها سعادة تامّة لا تحصل عليها إلا عندما تعود إلى عالم المثل، فتنعم بالعلم والمعرفة والفضيلة(١).

يلاحظ على تعريف أفلاطون للسعادة شموله للسعادة العظمى والدنيا، ولكن بمعنى يختلف عن نظرية الإسلام، وبتكلف ملحوظ.

- **أرسطو (٣٢٢ ق.م – ٣٨٤ ق.م):**

السعادة عند أرسطو هبة من الله، يحصل عليها الإنسان عندما يسير في طريق الفضيلة، ويعمل الخير، وتقوم على خمس ركائز أساسية هي:

- صحة البدن وسلامة الحواس.
- الحصول على المال والبنين والصحة والجاه.
- النجاح في العمل وتحقيق الطموحات.
- سلامة العقل ورجاحة الفكر وصحة الاعتقاد.

---

(١) ينظر: با أخضر، حياة بنت سعيد، **النفس عند الفلاسفة الإغريق عرض ونقد**، بحث منشور، مجلة جامعة أم القرى لعوم الشريعة والدراسات الإسلامية، العدد (٤٦) محرم ١٤٣٠هـ (١٢٥، ١٢٩،١٢٧). موسى، السعادة والصحة النفسية (ص:٢٦).

- السمعة الطيبة والاستحسان والتقدير من الناس.

ومن توفرت له هذه الركائز كلّها أو بعضها كان في أمن وطمأنينة وحصل على ملذاته الحسيّة وغير الحسية، التي تتولّد عنها مشاعر السعادة، ويرى أرسطو أن الإنسان مهيأ لاكتساب الفضائل بالتعليم والتدريب والتهذيب وغيرها من العمليات التي تساعد على تحصيل الفضائل وتدفع إلى عمل الخير، والسير في طريق الفضائل الذي يوصل إلى أعلى مراتب السعادة(١).

وملخص ذلك أن السعادة في عمل النفس الناطقة بحسب كمالها، فإن كانت هناك كمالات عدة فبحسب أحسن كمال(٢).

من وجهة نظري المتواضعة فإنّ أعم وأشمل تعريف عند الفلاسفة القدامى أو توضيح لرؤية السعادة كان تعريف أرسطو، ولا عجب في ذلك، حيث إنّه كان المعلم الأول في الفلسفة كما كان يقال عنه(٣)، ويعيبه كونه مطوّلًا وأنّه أخذ طابع الشرح، وليس الاختصار كما هو الحال في التعريفات.

ويلاحظ على مفهوم السعادة عند أرسطو التطرق لصحّة الاعتقاد، ولصحّة البدن، ولسلامة العقل والسمعة الطيبة، وهذه الأمور موجودة في السّنّة النّبويّة، فالسّنّة النّبويّة منهج متكامل للسعادة سيجد الإنسان فيها منهجًا واضحًا، وراحة وبركة، وأسعد هذه الأمة على الإطلاق في الدارين هو النبي -صلّى الله عليه وسلّم -لأنّه بالله أعرف ومنه أقرب، وخير منهج للسعادة هو منهجه صلى الله عليه وسلم.

ثانيًا: الفلاسفة المسلمون

- **أبو يوسف يعقوب بن إسحاق الكندي (١٨٥هـ/٧٩٦م - ٢٦٠هـ/٨٧٣م):**

كانت رؤيته هي الدعوة إلى الرضا في كلّ الأحوال من أجل السعادة والفرح والسرور، فمن أراد أن يكون سعيدًا فليكن قنوعًا راضيًا، يأخذ من مطالب البدن بالقدر الذي يحتاج إليه، وفي حدود

---

(١) ينظر: موسى، السعادة والصحة النفسية (ص:٢٦). مراد، سعيد، **نظرية السعادة عند فلاسفة الإسلام**، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية – مصر، ط١ - ٢٠٠١ (ص:٧٠).

(٢) كرم، تاريخ الفلسفة اليونانية (ص: ١٢١).

(٣) مراد، نظرية السعادة عند فلاسفة الإسلام (ص:٤٤).

ما يتوفر له، ولا يتألم لما فاته من متاع الدنيا، لأن أمور الدنيا أتفه من أن نحزن عليها أو نتألم لفقدها(١).

لم يقدم الكندي مفهومًا للسعادة أو تعريفًا كما فعل بالنسبة للفضيلة أو اللذة، إلّا أنّه قدّم تصوّرًا عامًّا لما يحقق السعادة، وذلك أن السعادة طهارة للنفس، وأن السعادة معراج بالنفس إلى عالم الحق وأنها معرفة، وأنها طرح للأحزان وتحصن من الآلام(٢).

ويلاحظ بروز جانب الرضا والقناعة في كلّ الأحوال في مفهوم السعادة عند الكندي، وهذا جانب مهم في سعادة المرء دعت إليه السّنّة النّبويّة.

- **أبو نصر محمد الفارابي** (٢٦٠ هـ/٨٧٤-٣٣٩ هـ/٩٥٠م):

الفارابي المعلم الثاني للفلسفة بعد أرسطو (المعلم الأول)، وذلك بحكم أهميته في مجال الفلسفة الإسلامية وتأثيره فيمن جاء بعده من الفلاسفة.

جعل الفارابي السعادة ذات طابع عقلي تأملي لا طابع حسي مادي، وأن تحقيقها متوقف على تحقيق الفضائل كلها، وإذا كان الناس متفاوتون في درجات فضائلهم فسعادة كلّ واحد فيهم بقدر درجة فضيلته، وقد قدم الفارابي تصوّرًا لنظرية السعادة غير مسبوق من فلاسفة الإسلام(٣).

ويمكن تلخيص منهج الفارابي في السعادة بهذه النقاط(٤):

- الأخلاق مبنية على الفضيلة، فالسعيد هو الإنسان الفاضل، والفضائل مفاتيح السعادة، وبالابتعاد عن الأعمال القبيحة والشهوات تتحقق السعادة.
- المعقولات تحدد ملامح الطريق إلى السعادة، فهي تدفعه بالتأكيد إلى التأمل والروية، وبذلك تتحقق السعادة عن طريق العقل والحكمة والتأمل.

---

(١) مراد، نظرية السعادة عند فلاسفة الإسلام (ص:٢٨).

(٢) المرجع السابق (ص:٢٤).

(٣) المرجع نفسه (ص:٤٤).

(٤) ينظر: المرجع نفسه (ص:٣٥ – ٤٤).

وهو هنا يدعو إلى التزام القيم، والاعتدال في العقل والحكمة والتأمل، وهذا في السّنّة النّبويّة يتمثل في صحة الاعتقاد، وتحقيق الإيمان والإسلام مع تطبيق القيم الإسلامية.
يقول الفارابي: "الأشياء التي إذا حصلت في الأمم وفي أهل المدن، حصلت لهم بها السعادة الدنيا في الحياة الأولى، والسعادة القصوى في الحياة الأخرى، أربعة أجناس: الفضائل النظريّة والفضائل الفكريّة، والفضائل الخلقيّة والصناعات العمليّة"(١).

وعبارته هذه تفيد إيمانه بحياة أخرى، لكن مفهومه لها لا يتفق مع الشرع، وقد أوضح هذا المفهوم في كتابه "آراء أهل المدينة الفاضلة" في كلامه عن مصير نفوس أهل المدن(٢).

- **أبو علي ابن مسكويه (٣٢٠هـ-٤٢١هـ):**

يرى أنّ سعادة الإنسان في تحصيل الملذات المادية والمعنوية معًا، والسعادة مهما كان مستواها أو نوعها فهي سعادة ناقصة، لا تخلو من الآلام والحسرات، أما سعادة الآخرة فهي أرقى السعادات وليس بعدها سعادة(٣).

برزت عند ابن مسكويه ثقافته العربية الإسلامية البارزة في تأكيده على ضرورة التمسك بالشريعة الحقة والوقوف على ما جاء به الوحي من فضائل وخيرات(٤).

يمكن تلخيص منهجه في السعادة بالنقاط الآتية(٥):

- السعادة في حصول الخيرات، فالسعيد من حرص على الخيرات، وفي ذلك يقول: "الغرض المقصود من وجود الإنسان إذا توجه الواحد منا إليه حتى يحصل هو الذي يجب أن يسمى به

---

(١) الفارابي، أبو نصر، **كتاب تحصيل السعادة**، دار ومكتبة الهلال – بيروت – ط١ – ١٩٩٥هـ، تقديم وشرح الدكتور علي بو ملحم، (ص:٢٥).

(٢) المرجع السابق، حاشية رقم ١.

(٣) موسى، السعادة والصحة النفسية (ص: ٣٠).

(٤) مراد، نظرية السعادة عند فلاسفة الإسلام (ص:٧٤).

(٥) ينظر: المرجع السابق (ص: ٦٣ -٧٤).

خيرًا أو سعيدًا. فأما من عاقه عنها عوائق أخر فهو الشرير الشقي، فإذًا الخيرات هي الأمور التي تحصل للإنسان بإرادته وسعيه في الأمور التي لها أوجد الإنسان ومن أجلها خلق."[١].

- الحكيم هو السعيد، وتحصيل السعادة على الإطلاق يكون بالحكمة، والحكمة على جزأين: نظري وعملي، بالنظري يمكن تحصيل الآراء الصحيحة، وبالعملي يمكن تحصيل الهيئة الفاضلة التي تصدر عنها الأفعال الجميلة.

- **أبو حامد الغزالي (٤٥٠هـ-٥٠٥هـ):**

يرى أنّ السعادة في تحصيل الملذّات الحسيّة المرتبطة بإشباع حاجات الجسم، التي أوجدها الله لتنمية الجسم وحمايته وحفظ النوع واستمرار النسل، وتحصيل الحاجات النفسيّة المعنويّة، وهي أرقى من الملذّات الحسيّة، ويحصل عليها الإنسان عن طريق إشباع حاجاته النفسيّة والاجتماعيّة والدينيّة، التي تبعث على الصلاح والتقوى والطاعة[٢].

قال الغزالي رحمه الله: " تمام السعادة مبني على ثلاثة أشياء: قوة الغضب، قوة الشهوة، قوة العلم، فيحتاج أن يكون أمرها متوسطًا؛ لئلا تزيد قوة الشهوة فتخرجه إلى الرخص فيهلك، أو تزيد قوة الغضب فتخرجه إلى الجموح فيهلك، فإذا توسطت القوتان بإشارة قوة العلم دل على طريق الهداية، وكذلك الغضب إذا زاد سهل عليه الضرب والقتل، وإذا نقص ذهبت الغيرة والحمية في الدين والدنيا، وإذا توسط كان الصبر والشجاعة والحكمة. وكذا الشهوة إذا زادت كان الفسق والفجور، وإن نقصت كان العجز والفتور، إن توسطت كان العفة والقناعة وأمثال ذلك"[٣].

ومجمل كلامه أن السعادة مبنية على التوسط في قوة الشهوة والغصب، وأن العلم هو الذي يقود هذه القوتان إلى طريق الهداية، ويلاحظ القارئ أن غالب العلماء ركزوا على الهداية عند كلامهم عن السعادة.

---

[١] ابن مسكويه، أبو علي أحمد بن محمد بن يعقوب (ت٤٢١هـ)، **تهذيب الأخلاق وتطهير الأعراق**، مكتبة الثقافة الدينية - ط١ (ص:١٩).

[٢] موسى، السعادة وتنمية الصحة النفسية (ص ٣١ – ٣٢).

[٣] الغزالي، أبو حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي (ت٥٠٥هـ)، **كيمياء السعادة**، دار المقطم للنشر والتوزيع (ص:١٣٠).

وفي نهاية هذا المطلب أسجل أهم عناصر السعادة عند الفلاسفة عموماً:

- السعادة في الدنيا تقوم على فهم الإنسان لنفسه. (سقراط)
- السعادة في دفع النفس إلى السير في طريق الفضائل والخيرات، والابتعاد عن الرذيلة.
- السعادة في تحصيل الملذات المعنوية والمادية معا. (إشباع الرغبات كمًّا وكيفًا).
- السعادة في الملذات المعنوية أرقى وأنقى من الملذات المادية.
- الرضا التام بما تناله النفس في كل الأحوال.
- سعادة كلّ واحد بقدر درجة فضيلته. (الفارابي)
- سعادة الدنيا ناقصة، وسعادة الآخرة كاملة. (ابن مسكويه)
- العلم يقود الإنسان إلى طريق الهداية.

المبحث الثاني: مفهوم السعادة (Happiness) وحدودها في علم النفس الحديث.

إنّ السعاد من الألفاظ والمفاهيم التي اشتهرت في زمننا كثيرًا، وفيها بحوث ودراسات بعلوم كثيرة، ومن أكثر العلوم ارتباطًا -بمصطلح السعادة – علم النفس الحديث، لذا خصصت هذا المبحث لمفهوم السعادة وحدودها عندهم ليكون إطارا تنطلق منه الدراسة، وسأكتب فيه ببعض التفصيل، نظرا لارتباطه القوي بالدراسة، وفيما يلي بيان مفهوم السعادة وحدودها ومكوناتها ومؤشراتها من خلال كلامهم وكتبهم:

المطلب الأول: لمحة تاريخية لمصطلح السعادة، ومفهومها في علم النفس

اهتم الفلاسفة عمومًا بعوامل سعادة الإنسان، وأكّدوا على ضرورة معرفة الإنسان لنفسه ودفعها إلى طريق الفضيلة، وهو طريق الصحة النفسية بلغة علم النفس الحديث، وهذا الاتجاه في علم النفس هو امتداد لما بدأ به الفلاسفة من محاولات لتحديد مفهوم السعادة، وعلم الصحة النفسية أحد فروع علم النفس التطبيقيّة التي تبحث في سعادة الناس في الدنيا، وفي وقايتهم من الشقاء والتعاسة، والعلاقة وثيقة بين السعادة والصحة النفسية، فما يسعد الإنسان ينمّي صحته النفسية وما يشقيه يضعف نفسه وينحرف بها(١).

وهذه العلاقة ترشدنا إلى تتبع موضوع الصحة النفسية في علم النفس الحديث للوقوف على مفهومها عندهم، وعند تتبعها وجدت أنّ بعض علماء النفس يعدّون السعادة مرادفة للصحة النفسية، وبعضهم الآخر يعدّها أهم مكوناتها، والنتيجة واحدة، فلا صحة نفسيّة بدون سعادة، ولا سعادة بدون صحة نفسية(٢).

وفي ثمانينات القرن العشرين حصل تحول في مسار علم النفس، فقد تضاعفت أعداد الأبحاث المنشورة عن السعادة والأمل والرضا عن الحياة، حيث تنبه علماء النفس إلى ضرورة الاهتمام بالموضوعات النفسية التي تسعى لفهم المشاعر والجوانب الإيجابية من سلوك الإنسان، وتعمل على بناء القوة والفضيلة بهدف السعي إلى تطور المجتمعات وعدم الاقتصار على تنمية الأفراد

---

(١) ينظر: موسى، السعادة وتنمية الصحة النفسية (ص: ٢٥، ٣٩).

(٢) ينظر: المرجع السابق (ص: ٣٩).

فقط، ونتيجة لهذا الاهتمام ظهر علم النفس الإيجابي Positive Psychology ، في التسعينات على يد عالم النفس الأمريكي سيلجمان Seligman[١]، مؤلف كتاب (**السعادة الحقيقية** - استخدام الحديث في علم النفس الإيجابي لتتبين ما لديك لحياة أكثر إنجازا).

(**Authentic Happiness**- Using the New Positive Paychology to Realize Your Potential for Lasting Fulfillment).

وتأسس علم النفس الإيجابي كفرع من فروع علم النفس سنة ١٩٩٨م، أثناء فترة ترأس سيلجمان للرابطة الأمريكية لعلم النفس، ودعم تشيكسنتيميهاي Csikszentmihalyi هذا الفرع الجديد بدراساته المتعمقة عن التدفق والإبداع الإيجابي والسعادة وغيرها من القضايا الرئيسية[٢].

وتتابعت بعد ذلك المؤلفات في علم النفس الإيجابي، وصار مساقا يدرس في الجامعات، وبهذا صار مفهوم السعادة علما مستقلا له حدوده وأبعاده، وهو أحد فروع الصحة النفسية.

وفيما يلي عرض لعدة تعريفات ومقولات في مفهوم السعادة عند علماء النفس:

عرفها **مارتن سيلجمان** Seligman مؤسس الاتجاه الإيجابي في علم النفس فقال: "السعادة وطيب الحال هما النواتج المرغوبة لعلم النفس الإيجابي"[٣].

وهنا سيلجمان استخدم كلمتي: السعادة وطيب الحال تبادليًّا كمصطلحات لوصف أهداف مشروع علم النفس الإيجابي، ويتضمنان المشاعر الإيجابيّة والأنشطة الإيجابيّة[٤].

وفي أثناء قراءتي لكتابه وجدته في ثنايا الكتاب يؤكد أنّها "الرضا عن الحياة في كل مجال من المجالات التي يعتبرها المرء ذات قيمة بالنسبة له، مثل: الحب، والمهنة، والمال، واللعب،

---

(١) ينظر: الرباعي: سعاد ياسين، **الشعور بالسعادة وعلاقته بالعوامل الخمسة الكبرى للشخصية**، رسالة ماجستير، جامعة دمشق- كلية التربية – علم النفس – ٢٠١٤- منشورة على الشبكة، (ص:٢).

(٢) أبو حلاوة، محمد السعيد، **علم النفس الإيجابي – ماهيته ومنطلقاته وآفاقه المستقبلية**، اصدار مؤسسة العلوم النفسية العربية، العدد ٣٤، (ص:١٨).

(٣) سيلجمان، مارتن، **السعادة الحقيقية**، دار العين للنشر- القاهرة ط١ - ٢٠٠٥م، (ص:٣٤١).

(٤) أبو أسعد، أحمد عبد اللطيف، **الصحة النفسية منظور جديد**، دار المسيرة – الاردن – ط١ ٢٠١٥ (ص١٨٦).

والأصدقاء، والصحة، والإنتاجية"(١)، ولا تعارض بين المفهومين، بل يكملان ويشرحان بعضهما، وتعريفه ذو أهمية لمكانته في علم النفس ولأنه هو من أسس هذا الاتجاه، وهو حقيقة تعريف جيّد، وأساس لمفهوم السعادة في علم النفس الحديث.

ويعد سيلجمان صاحب نظرية شاملة في السعادة، وقد استفدت من كتابه في استخراج جوانب الرضا من السّنّة النّبويّة التي تؤدّي إلى السعادة، وكذلك استفدت من نظريته في استخراج مكونات ومؤشرات السعادة.

وعرفها **مايكل أرجايل Michael Argyle**، وهو من أوائل من كتب في السعادة في كتابه سيكولوجية السعادة Psychology of Happiness قائلا: " يمكن فهم السعادة بوصفها انعكاسًا لدرجة الرضا عن الحياة أو بوصفها انعكاسًا لمعدّلات تكرار حدوث الانفعالات السارة، وشدّة هذه الانفعالات، وليست التعاسة عكس السعادة تمامًا"(٢)

ويلاحظ شمول تعريفه للرضا كعامل أساسي مثل وجهة نظر سيلجمان، وبين أرجايل أن للسعادة ثلاثة عناصر: الرضا عن الحياة ومجالاتها المختلفة، والاستمتاع والشعور بالبهجة، والعناء بما يتضمنه من قلق واكتئاب، وترتبط الصحة بهذه العوامل الثلاثة مكوّنة عامل رابع مشترك بين الجميع(٣)، وبيّن كذلك أن التعبير عن الشعور بالسعادة مقترنًا بالحاجة النفسيّة والجسديّة، وأنها تشمل بعدين:

-جانب انفعالي، أي: الشعور باعتدال المزاج والبهجة والاستمتاع واللذة.

---

(١) سيلجمان، السعادة الحقيقية (ص:١١٦).

(٢) أرجايل، مايكل، **سيكلوجية السعادة**، سلسلة عالم المعرفة – سلسلة كتب ثقافية شهرية يصدرها المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب – الكويت – يناير ١٩٧٨ – إشراف أحمد العدواني (ص:٢٤).

(٣)المرجع السابق (ص: ٢٤) .

-وجانب معرفي تأملي في التعبير عن الرضا عن الحياة والإشباع والطمأنينة وتحقيق الذات، ويؤكد أنّ عددًا من الدراسات توصّلت إلى وجود عامل واضح مشترك هو عامل "الرضا الشامل"، ويمكن تقسيم هذا العامل إلى الشعور بالرضا عن جوانب محددة في الحياة[١].

من خلال تعريف سيلجمان وأرجايل يمكن القول إنّ أساس السعادة في علم النفس الشعور بالرضا عن جوانب محدّدة في الحياة، وهو كذلك فالإنسان عند شعوره بالرضا تملأ السعادة قلبه، وقد روي عن النبي -صلّى الله عليه وسلّم-أنه قال: **((فَمَنْ رَضِيَ فَلَهُ الرِّضَا))**[٢]، أمّا عن الجوانب التي يكون فيها الرضا فمن خلال هذه الدراسة سأتتبع منهج النبي في السعادة وأوضحها للقارئ في مباحث مقسّمة بإذن الله.

---

[١] أرجايل، سيكلوجية السعادة (ص:١٠).

[٢]أخرجه الترمذي، محمد بن عيسى أبو عيسى (٢٧٩هـ)، **الجامع الكبير - سنن الترمذي**، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي – مصر، ط٣، تحقيق: أحمد شاكر وآخرون، مذيل بأحكام الألباني، كتاب الزهد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم - باب ما جاء في الصبر على البلاء - ح(٢٣٩٦)، (٦٠١/٤). وابن ماجه، محمد بن يزيد أبو عبدالله القزويني(٢٧٣هـ)، **سنن ابن ماجه**، دار إحياء الكتب العربية، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، كتاب الفتن باب الصبر على البلاء - ح(٤٠٣١)، (١٣٣٨/٢)، كلاهما من طريق ليث بن سعد عن يزيد بن أبي حبيب عن سعد بن سنان عن أنس بن مالك رضي الله عنه.

وقال الترمذي:"هذا حديث حسن غريب من هذا الوجه".

وقال الألباني: (وسنده حسن، رجاله كلهم ثقات رجال الشيخين غير ابن سنان هذا وهو صدوق، له أفراد كما في " التقريب ". و هذا الحديث يدل على أمر زائد على ما سبق و هو أن البلاء إنما يكون خيرا، و أن صاحبه يكون محبوبا عند الله تعالى، إذا صبر على بلاء الله تعالى ، و رضي بقضاء الله عز و جل . و يشهد لذلك الحديث الآتي : " عجبت لأمر المؤمن ، إن أمره كله خير ، إن أصابه ما يحب حمد الله و كان له خير و إن أصابه ما يكره فصبر كان له خير ، و ليس كل أحد أمره كله خير إلا المؤمن).

يزيد بن أبي حبيب ثقة فقيه مجمع على توثيقه، ورواه عن يزيد: الليث بن سعد عند الترمذي وابن ماجه، وابن لهيعة وعمرو بن الحارث في شرح مشكل الآثار(٣٩٣/٥)، وسعد بن سنان شيخ يزيد راوٍ مختلف فيه، اختلف في اسمه وفي حاله، ورجح البخاري كونه سنان بن سعد كما ذكر ذلك الترمذي في سننه (٣٠/٣)، وعليه تدور رواية هذا الحديث لذلك من العلماء من حسن الحديث باعتبار قبول حاله، ومنهم من ضعف الحديث باعتبار تضعيفه، ولخص حاله ابن حجر بقوله: صدوق له أفراد، ينظر: تقريب التهذيب (ص:٣٦٩)، تهذيب الكمال (٢٦٧/١٠)، الجرح والتعديل (٤/ ٢٥١) الكامل في ضعفاء الرجال (٤/ ٣٩٢) ميزان الاعتدال (٢/ ٢٣٥) موسوعة أقوال أبي الحسن الدارقطني في رجال الحديث وعلله (١/ ٢٧٨)، وبعد البحث تبين أن أكثر العلماء على تضعيفه، وللحديث شاهد صحيح في صحيح مسلم ح٢٩٩٩ (٢٢٧/٨)، بلفظ :"عَجَبًا لِأَمْرِ الْمُؤْمِنِ ، إِنَّ أَمْرَهُ كُلَّهُ خَيْرٌ ، وَلَيْسَ ذَاكَ لِأَحَدٍ إِلَّا لِلْمُؤْمِنِ ، إِنْ أَصَابَتْهُ سَرَّاءُ شَكَرَ فَكَانَ خَيْرًا لَهُ ، وَإِنْ أَصَابَتْهُ ضَرَّاءُ صَبَرَ فَكَانَ خَيْرًا لَهُ"، وبهذا يرجى أن يكون الحديث في دائرة القبول، خاصة أن سنان راوي مختلف فيه وليس فيه ما يوجب تركه، ومع اعتبار ترجيح الألباني لقبول حديثه والله أعلم.

ويجدر التنبيه هنا إلى أنّ علماء النفس لم يخصّصوا السعادة الأخرويّة بكثير ذكر، أمّا السعادة في السّنّة النّبويّة فإنها تشمل سعادة الدّارين، وغايتها السعادة الخالدة في الحياة الأبدية يوم القيامة.

ويرى جوزيف **Joseph** وآخرون: "أنّ السعادة لا تعني فقط غياب المشاعر الإكتئابية، ولكنها تعني أيضًا وجود حالات انفعالية ومعرفية تتسم بالإيجابية"(١)

وهذا التعريف وضّح أنّ السعادة تشمل حالات انفعالية ومعرفية إيجابية، ولم يبيّن معنى السعادة.

وعرفها كل من لو و شيه (**Lu&. Shih**) : "أنها حالة عقلية تتسم بالإيجابية يخبرها الإنسان ذاتيًّا وتحدث له من خلال وسائل مختلفة قد تكون مرتبطة بالبيئة أو مرتبطة بتفكيره حول نفسه، أو ما حدث معه بطريقة إيجابية"(٢).

ركز هذا التعريف على التفكير وعلاقة الإنسان بإسعاد نفسه، مع مراعاة الوسائل التي تساهم في ذلك، وفي علم النفس عمومًا يربط علماء النفس بين سعادة الإنسان وطريقة تفكيره، وبهذا اشتمل هذا التعريف على جانب مهم من مفهوم السعادة في علم النفس.

ففي علم النفس تنبع سعادة الإنسان من داخله ولا تأتيه من خارجه، والسعادة مستمدة من إدراك الإنسان للموقف وطريقة تفكيره فيه، وما يشعر به من مشاعر وانفعالات، فالمواقف التي يعيشها المرء ويتفاعل معها لا تجعله سعيدًا ولا شقيًّا بذاتها لكن بطريقة تفكيره ومشاعره نحوها، وبهذا تكون السعادة مرتبطة بتفكير الإنسان وإرادته، فكلّ إنسان يصنع السعادة لنفسه وفق طريقة تفكيره ونظرته للأمور، وتقبّله للمواقف بنظرة إيجابيّة وبصبر ورضا وتفاؤل وتحمل، ويؤكّد علماء النفس أنّ السعيد لا يكون سعيدًا دائمًا لأنّ الحياة لا تخلو من الآلام لكن السعيد قادر بنظرته الإيجابية وتفاعله وإرادته أن يعيش سعيدا في كل الأحوال(٣).

---

(١) أبو أسعد، الصحة النفسية منظور جديد (ص١٨٦).

(٢) المرجع السابق (ص١٨٦).

(٣) موسى، السعادة وتنمية الصحة النفسية (ص٤١).

وتجدر الإشارة هنا إلى أنّه لا تعارض بين الشريعة وعلم النفس في هذه النقطة، لكن يجب عدم الغلو فيها، وعدم تقديس النفس البشرية وإعطائها أكبر من حجمها وإمكانياتها، كما يزعم أدعياء الطاقة الكونية بتقديسها والمبالغة في حصول الأشياء وتحققها بمجرد ارتباطها بالتفكير والإرادة.

الشريعة تثبت للإنسان إرادته وتثبت أن التغير يبدأ من الإنسان، فالله تعالى يقول:

{ إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ} [سورة الرعد:١١]

لكن هذا كله ضمن إطار قدرة الله سبحانه وتعالى وعلمه المحيط بكل شيء، فالإنسان إذا أراد أن يكون سعيدًا فإنّه بإرادته يجاهد نفسه ويغير منهجه نحو الصواب نحو المنهج الصحيح للسعادة، في طاعة الله عزّ وجل واتباع سنة نبيه -صلّى الله عليه وسلّم-، وفعل العبادات واجتناب المحرّمات، والتقرّب إلى الله، فهو بإرادته سلك طريق الحق طريق السعادة الحقيقة، هذا معنى الإرادة في اختيار السعادة وليس كما ظنّها بعضهم في تحقّق كلّ ما أراده الإنسان إذا وثق بقدراته وعزم على الأمر، بل الثقة بالله والتوكل عليه سبحانه، وحسن الظن به عزّ وجلّ.

ويلخص السعادة **أحمد عبد اللطيف** ضمن كلامه عن التعريفات السابقة فيقول:" إنّها نوع من الانفعالات الإيجابية التي يحياها الفرد والتي تجعله ينظر إلى الجانب المشرق من الحياة بأمل وتفاؤل وتوازن"(١).

ويؤكد **كمال موسى** أنّ الرضا عن الحياة هو السعادة أو هو المكون الأساسي للسعادة، بخاصّة في مجالات محددة، فعلى الإنسان أن يكون راضيًا بحياته كما هي، ويسعى إلى تنميتها، وأن يرضى أو يرضي نفسه بها، من أجل صحته النفسية التي تقوم على الرضا بمظهره وصحته وأسرته وعمله وزواجه وجيرانه حتى يعيش في أمن وسلام مع نفسه ومع الناس(٢)، وذكر أن من عوامل الرضا:

- أن يعيش الإنسان في ظروف طيبة تشعره بالأمن والطمأنينة.
- يدرك الخبرات السارة التي تمتعه وتسره.

---

(١) أبو أسعد، الصحة النفسية منظور جديد (ص١٨٦).

(٢) ينظر: موسى، السعادة وتنمية الصحة النفسية (ص٤٩- ٥٠).

- يحقق أهدافه في الحياة ويتغلب على الصعوبات التي تواجهه.
- تكون طموحاته في مستوى قدراته حتى لا يتعرض للإحباط.
- أن ينجح ويتفوق في عمله ودراسته حتى يشعر بالكفاءة والجدارة وتقدير الذات.[١]

وكلامه في غاية الروعة، وقد سبقه إليه خير البشريّة بأبي هو وأمّي -صلّى الله عليه وسلّم- فيما روي عنه أنه قال : ((**فَمَنْ رَضِيَ فَلَهُ الرِّضَا**))[٢]، فالقناعة كنز والرضا رزق، ومن استطاع ترويض نفسه على الرضا والقبول لكل الأمور فإنّ الله سيملأ قلبه نورًا ورضى وسعادة وتفاؤلًا وسكينة، وروي عن النبي -صلّى الله عليه وسلّم- أنه قال: ((**مَنْ أَصْبَحَ مِنْكُمْ مُعَافًى فِي جَسَدِهِ ، آمِنًا فِي سِرْبِهِ ، عِنْدَهُ قُوتُ يَوْمِهِ ، فَكَأَنَّمَا حِيزَتْ لَهُ الدُّنْيَا**))[٣]، فالأمان والعافية والرزق الطيب عيشة طيبة وصفها -صلّى الله عليه وسلّم- بوصف بليغ شبه هذه الحياة الطيبة السعيدة بالحصول على الدنيا كلها، وأيّ شيء بعد الحصول على هذه الأمور التي هي أساس للسعادة والطمأنينة والسكينة.

وعد أبو هاشم السعادة النفسية psychological well – Being مجموعة من المؤشرات السلوكية تدل على ارتفاع مستويات رضا الفرد عن حياته بشكل عام، وأكد على وجود تباين في تعريفات السعادة بشكل عام، إلا أن معظم الباحثين اتفقوا على أنها مجموعة من المؤشرات

---

[١] ينظر: المرجع السابق (ص ٥٠).

[٢] سبق تخريجه ص٣٦.

[٣] أخرجه: الترمذي، الجامع الكبير، أبواب الزهد- ح (٢٣٤٦)، (١٥٢/٤) ، من طريق عَمْرُو بْنُ مَالِكٍ وَمَحْمُودُ بْنُ خِدَاشٍ الْبَغْدَادِيُّ. وأخرجه ابن ماجه، سنن ابن ماجه، كتاب الزهد- باب القناعة - ح(٤١٤١)،(١٣٨٧/٢) من طريق سُوَيْدُ بْنُ سَعِيدٍ ، وَمُجَاهِدُ بْنُ مُوسَى. كلاهما عن طريق مَرْوَانُ بْنُ مُعَاوِيَةَ عن عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ أَبِي شُمَيْلَةَ، عَنْ سَلَمَةَ بْنِ عُبَيْدِ اللهِ بْنِ مِحْصَنٍ الْأَنْصَارِيِّ ، عَنْ أَبِيهِ أبي سلمة عبد الله الأنصاري رضي الله عنه.
وقال الترمذي: "حديث حسن غريب لا نعرفه إلا من حديث مروان بن معاوية".
وقال الألباني بعد ما عرض الطرق وحكم عليها: "وبالجملة، فالحديث حسن إن شاء الله بمجموع حديثي الأنصاري وابن عمر، والله أعلم ". السلسلة الصحيحة (٥/ ٣١٧).
اختلف في صحبة أبي سلمة: والصحيح أن له صحبة، قال العلائي: "روى عن النبي صلى الله عليه وسلم حديث: من أصبح منكم آمنا في سربه، وجزم ابن حبان بأن له صحبة. وقال ابن عبد البر: منهم من يجعل هذا الحديث مرسلا وأكثرهم يصحح صحبته ويجعله مسندا" ينظر تحفة التحصيل في المراسيل: (١ / ٣٣٠).
ومروان بن معاوية ثقة حافظ. ينظر تقريب التهذيب (٥٢٦)، وعبد الرحمن بن أبي شميلة ذكره ابن حبان في الثقات (٧/ ٧٩)، وقال ابن حجر: مقبول، تقريب التهذيب(ص:٣٤٢)، وقال ابن معين: "عبد الرحمن ابن ابي شميلة الذي روى عنه حماد بن زيد مشهور" ينظر الجرح والتعديل (٥/ ٢٤٥). وسلمة بن عبيد الله حسن حديثه الترمذي، تقريب التهذيب(ص:٥٨٢)، الكاشف (٢ / ٥١٤)، والحديث له شواهد من حديث أبي الدرداء في صحيح ابن حبان ح(٦٧١)، وحديث عبد الله بن عمر بن الخطاب في المعجم الأوسط ح ١٨٢٨، وحديث عمر بن الخطاب المعجم الأوسط ح ٨٨٧٥، وهذه الشواهد فيها ضعف، فلعله حسن لغيره بمجموع هذه الطرق.

السلوكية التي تدل على توفر حالة من الرضا العام لدى الفرد وسعيه المستمر لتحقيق أهدافه الشخصية في إطار الاحتفاظ بالعلاقات الاجتماعية مع الآخرين، ولكي تتكامل الرؤية حول السعادة النفسية للفرد يجب التركيز على نوعية الأهداف في الحياة، ووضع ومكانة الفرد بين أقرانه، ومراحل النمو المختلفة له(١).

وفي الختام أسجل للقارئ أهم عناصر تعاريف السعادة بناءً على ما سبق:

- تكاد تتفق عبارات علماء النفس بأن الرضا من أهم مكونات السعادة.
- يؤكد علماء النفس أن الانفعالات والأنشطة والمشاعر الإيجابية، من أهم عناصر ومسببات السعادة.
- الصحة العامة، والعناء وما يتضمنه من قلق واكتئاب، يعدان من عناصر السعادة المؤثرة في وجودها.
- خلال قراءتي في كتب علم النفس، ومما نقل سابقا يتبين أن عنصر الإشباع ضروري لتحقيق السعادة، فهذا الإشباع يقوي الإنسان ويقوده إلى تحقيق ذاته، وإلى خ والسكينة، والإشباع يشمل الحاجات النفسية والمادية بالقدر والوقت المناسب، وضمن قيد ضبط النفس، فمتى تحققت الإرادة عند الإنسان في إدارة حياته وذاته، استطاع تحقيق الإشباع، ومن ثم تحققت له الثقة بالنفس، والسكينة والطمأنينة والرضا، التي هي مشاعر السعادة الحقيقية.
- يرى كثير من علماء النفس أن السعادة حالة عقلية ترتبط في تفكير الإنسان حول نفسه، وقدرته على النظر للجانب المشرق من الحياة، وتحمل المشاق بنفس راضية، ورضاه عن الحياة كما هي، وهو ما يطلق عليه في علم النفس " التفكير الإيجابي".
- من أهم الأمور التي تجعل الإنسان سعيدًا أن يكون لحياته معنى وهدف، فيعيش ويضحي ويتعب من أجل هدف في الحياة، وهذا الهدف يدفع عنه الملل الذي يعتبر العدو الأول للسعادة، وبهذا فلابد للإنسان أن يحرص على الهدف النبيل في حياته، وعلى القيم والفضائل والفعل الخيّر،

---

(١) أبو هاشم، محمد، **النموذج البنائي للعلاقات بين السعادة النفسية والعوامل الخمسة الكبرى للشخصية** وتقدير الذات والمساندة الاجتماعية لدى طلاب الجامعة، مجلة كلية التربية – جامعة بنها – المجلد ٢٠ – العدد ٨١ – يناير ٢٠١٠، (٢٨٠-٢٨١).

فهذه الأمور كلها تشعره بخيرية الذات، وتحقق له الإشباع النفسي، مما يعني تحقق الرضا والسعادة.

وبالمباحث التالية يتم بيان هذه الأمور بشيء من التفصيل.

أنواع السعادة:

يقول سيلجمان Seligman:"من المهم التمييز بين الشعور اللحظي بالسعادة، ومستوى الشعور الدائم بها"[(١)].

ويقول برتراند Bertrand : " أبسط طريق لوصف الفرق بين النوعين من السعادة، هو القول بأن نوعا منها متاح لأي إنسان، بينما النوع الآخر متاح للذين يمكنهم القراءة والكتابة فقط"[(٢)].

وخلال قراءتي في كتب علماء النفس وجدت السعادة عندهم تنقسم إلى نوعين: لحظي ودائم، وهمي وحقيقي، مادي ومعنوي، وفيما يلي بيان ذلك:

- **السعادة اللحظية الآنية[(٣)]:**

الشعور اللحظي بالسعادة يمكن أن يتأثر بسهوله ببعض الأشياء البسيطة التي من شأنها أن ترفع المعنويات، مثل: تلقي تحية، باقة من الزهور من شخص يهمك، أو شراء ملابس جديدة، أو مشاهدة فيلم فكاهي، أو حتى تناول قطعة من الشوكولاتة، وليس هناك أحد من الخبراء يمكن أن يساعد الإنسان في هذا الشأن إلا هو نفسه.

وتتميز هذه المتع بكونها فورية وتأتي عن طريق الحواس، وتستمر فترة وجيزة، وتحتاج الى القليل من التفسير أو لا تحتاج إليه وترتبط بالأعضاء الحسية مباشرة وبالانفعالات الإيجابية - فاللمس والشم والتذوق وحركة الجسم، والرؤية والسمع - ويمكن أن تثير المتعة المباشرة، مثل نظر إلى زهرة جميلة، ويوم ربيعي بدون غيوم، وجلوس أمام مدفأة، وعلى الرغم من البهجة

---

(١) سيلجمان، السعادة الحقيقية (ص: ٦٢).

(٢) راسل، برتراند، **انتصار السعادة**، ترجمة: محمد قدرى عمارة، القاهرة - المركز القومي للترجمة – ط٢٠٠٩، (ص:١٥٤).

(٣) ينظر، سيلجمان، السعادة الحقيقية (ص:٦٢، ٢٠ ،١٥١،١٤٥،١٤٣،١٤٢، ١٥٢).

التي تحدثها إلا أنه ليس من السهل بناء الحياة على أساس المتع الحسية حيث أنها لحظية وهي تزول سريعًا، وغالبًا ما تطلب جرعات أكبر لكي تولد نفس ومضة الابتهاج الأصلية.

والاعتقاد بأن الإنسان يستطيع الاعتماد على هذه الطرق المختصرة إلى السعادة بدلا من أن يكون مستحقًا لهذه المشاعر من خلال ممارسة مصادر القوة والفضائل الشخصية، يؤدي إلى وجود زرافات من الناس الذين يعانون من مجاعة روحية رغم غناهم الشديد.

وهذه الملذات ترتبط بإشباع الحاجات البيولوجية عند الإنسان، والإنسان لا يحتاج إلى خبير أو متخصص كي يقدم له النصيحة في كيفية تحصيلها، لكن الدراسات العلمية الخاصة بالمشاعر الإيجابية أسفرت عن تحديد ثلاثة مفاهيم من شأنها زيادة الشعور بالسعادة في هذا النوع من الملذات وهي: *عدم التعود، فيترك الإنسان فترة بينها أكثر من العادة، ويغذي حياته بالعديد من المثيرات التي تؤدي إلى المتعة قدر ما يستطيع لكن على أن يوزعها على مساحة زمنية، *والتذوق المتروي وهو الانتباه الواعي المتعمد للخبرة بالمتعة الحسية، ومن الأمور التي تزيد التذوق: "مشاركة الأخرين، وبناء الذاكرة، وتهنئة الذات، وشحذ الإدراك، والاستغراق في الشعور"، وآخر هذه المفاهيم *اليقظة والانتباه عن طريق التأمل للمتع الحسية.

- **السعادة الحقيقية العامة(١):**

التحدي هو أن يرفع الإنسان من مستوى شعوره الدائم بالسعادة، ويكون ذلك هو الهدف الذي ينبغي العمل من أجله، علمًا بأن الأشياء التي من شأنها أن تسبب الارتفاع المفاجئ في الشعور بالسعادة لا تحقق هذا الهدف.

وقد أطلق Seligman على الملذات التي تحقق هذا النوع من السعادة مسمى المسرات لما يحصل للإنسان من سرور ورضا عند ممارستها.

والمسرات أنشطة يحب الإنسان أن يمارسها، ولكن ليس من الضروري أن تصحبها مشاعر وأحاسيس خام على الإطلاق، فالمسرات تشغل الإنسان الى درجة كبيرة ويصبح منغمس ومستغرق فيها ويفقد في ذلك الوعي بالذات لشدة سعادته، ومن أمثلتها: الاستمتاع بمحادثة أو

---

(١) ينظر، سيلجمان، السعادة الحقيقية، (ص:١٥٤،١٥٢،١٤١)

تسلق صخور أو قراءة كتاب جيد، وهذه أمثلة للأنشطة التي يتوقف الزمن من أجلها وتتبارى مهارات الإنسان فيها مع التحدي، ويكون على مقربة واتصال من نقاط القوة لديه، لذلك فإن المسرات تستمر زمننا أطول من المتع الحسية وتتضمن الكثير من التفكير والتفسير.

وهي تفعيل لقيم الإنسان وفضائله ومناطق القوة الشخصية فيه، بينما المتع الحسية تدور حول الحواس والمشاعر، والمتعة الحسية تؤدي بنا إلى الإشباع البيولوجي بينما السرور والرضا في المسرات يؤدي بنا إلى النمو النفسي.

وبهذا فإن السعادة تنقسم في علم النفس إلى نوعين: لحظي ودائم، وهو تقسيم موافق للسعادة الدنيوية في السّنّة النبوية، حيث أن السعادة في السّنّة النبوية تنقسم من حيث الحقيقة: إلى سعادة روحانية حقيقية، وسعادة وهمية لحظية، وتزيد السّنّة النبوية على تقسيمات السعادة تقسيم آخر، وهو نوعها من حيث الكمال: فتنقسم إلى سعادة ناقصة، وسعادة كاملة، وسيتم تفصيل هذه التقسيمات في الفصل الثالث من الدراسة بإذن الله.

جوانب الشعور بالسعادة:

يقول سيلجمان:" وفي كل الانفعالات هناك مكون وجداني انفعالي يتعلق بالمشاعر، وآخر حسي، وثالث يتعلق بالتفكير، ورابع يتضمن الفعل"[١].

ويهتم علماء النفس ببيان الحالات الانفعاليّة، فالسعادة عندهم بمجملها تتكوّن من ثلاثة جوانب متداخلة ومتكاملة لا يمكن الفصل بينها:

- جانب معرفي: يظهر فيما يدركه السعيد من متعة ونجاح وتوفيق ومعاونة.
- جانب وجداني: يظهر فيما يشعر به السعيد من متعة وفرح وسرور.
- جانب نفس حركي: يظهر فيما يعبر به السعيد عن سعادته سواء بالكلام أو بالحركات وتعبيرات الوجه[٢].

وهذه الجوانب مهمة فهي مفسرة ومكونة للسعادة في آن واحد، وتضم السّنّة النبوية أنواعًا من الانفعالات الإيجابية التي تندرج تحت هذه الجوانب، كما سيأتي.

---

(١) سيلجمان، السعادة الحقيقية (ص:٤٦).

(٢) موسى، السعادة وتنمية الصحة النفسية، (ص٤٠).

المطلب الثاني: نظريات السعاد في علم النفس

ظهرت العديد من النظريات التي حاولت تقديم تفسير للشعور بالسعادة، بعضها اعتمد على وجهات النظر الفلسفية، وبعضها اعتمد على وجهات النظر البيولوجية، في حين اعتمدت أخرى على وجهات النظر الاجتماعية والنفسية، وفيما يلي عرض لأهم النظريات التي قدمت تفسيرات متنوعة حول السعادة(١):

- **"نظرية المتعة أو اللذة (Hedonism theories):**

تمتد جذور هذه النظرية إلى مذهب النفعية لبنتهام Bentham، وتقوم على افتراض أساسي مفاده أن السعادة هي عبارة عن غلبة السرور على الألم، وأن السرور هو الأمر الوحيد المفيد للإنسان.

- **نظرية الرغبة (Desire theories):**

يعتبر تحقيق الرغبة في هذه النظرية شرط ضروري للسعادة، وتقوم هذه النظرية على افتراض مفاده أن الناس يقضون الوقت ويبذلون الجهد من أجل تحقيق وإشباع رغباتهم.

- **نظرية القمة – القاع. والقاع -القمة (Top –Don theories):**

تقوم نظرية القمة – القاع على أن السعادة عبارة عن **سمة** من سمات الشخصية، حيث أنها تعتمد على ميل الشخص لتفسير وتقييم الخبرات التي يعيشها على أنها إيجابية.

وتقوم نظرية القاع – القمة أن السعادة هي مجرد **حالة** تتضمن مجموعة من اللحظات الصغيرة السارة والإيجابية، فعندما يحكم الفرد على حياته أنها سعيدة فهو يعبر عن نظرة متفائلة لتراكم الخبرات الإيجابية في حياته.

- **نظرية السعادة الحقيقية (Authentic happiness):**

وهي نظرية مؤسس الاتجاه الإيجابي مارتن سيلجمان Seligman، والذي اعتبرها بمثابة تحليل علمي للسعادة، وهي من أشهر النظريات وأكثرها استعمالًا واعتمادًا وقوة.

ووفق هذه النظرية تم تقسيم السعادة إلى ثلاثة مكونات:

-الحياة الممتعة أو السارة The pleasant life:

---

(١) النظريات مستفادة ومختصرة من رسالة الأستاذة الرباعي، وهي تمثل آراء علماء النفس الأوائل في السعادة، وبحثت عن هذه النظريات فلم أجدها بهذا الجمع والربط والاستنتاج إلا عند الباحثة الرباعي، ينظر: الرباعي، الشعور بالسعادة وعلاقته بالعوامل الخمسة الكبرى للشخصية (ص:٣٨-٤٦).

تتضمن هذه الحياة نجاح الفرد في السعي للانفعال الإيجابي حول الماضي والحاضر والمستقبل، والحفاظ عليه قدر المستطاع، وتعلم المهارات التي تزيد من شدة وتكرار الانفعالات الإيجابية.

-الحياة المليئة بالالتزامات والأنشطة (الحياة النشطة) The engaged life:

تتضمن هذه الحياة التزامات الفرد المتنوعة سواء أكانت في مجال العمل أو العلاقات الشخصية، وتعتمد على استخدام نقاط القوة والفضائل لديه، للحصول على إشباعات متنوعة في مجالات الحياة الرئيسية.

-الحياة ذات المعنى The meaningful life:

وتتضمن هذه الحياة استخدام الفرد للقوى والمواهب الخاصة به في خدمة شيء ما يؤمن به الفرد بأنه أكبر من ذاته، ومن أهم مجالات الحيات ذات المعنى (الدين، السياسة، الأسرة) حيث تنتج الأنشطة المرتبطة بها بإحساس ذاتي بالمعنى في الحياة، وأن الإنسان له هدف ولا يعيش حياته اعتباطا.

- **نظرية الحالة الانفعالية (Emotional – state theory):**

يؤمن هايبرون Haybron بأن السعادة ليست مجرد مزاج أو متع سطحية مؤقتة لكتها حالة تتضمن على الأقل مجموعة انفعالات الشخص وأمزجته بالإضافة إلى النزعات الوراثية التي يمتلكها.

- **نظرية المعيار الوجداني الديناميكي (Dynamic affective standard theory):**

أسس بريمنر Bremner نظريته على افتراض مفاده أن السعادة تتضمن حكم الفرد على مشاعره، ويتم هذا الحكم من خلال صورة عقلية مختلفة، وبهذا فإن هناك محددين للسعادة عنده: حكم الفرد حول الشعور، والمعيار الفردي للشخص.

- **نظرية المقارنة الاجتماعية (social – comparison theory):**

طرح فينهوفن Veenhoven هذه النظرية انطلاقا من أن الشعور بالسعادة ينتج من المقارنة الاجتماعية عبر مقارنة عقلية واعية تتطابق فيها تصورات الفرد عن الحياة كما هي، مع معاييره حول ما يجب أن تكون عليه الحياة".

في نظرية المتعة قصر مفهوم السعادة على السرور، **وفي نظرية الرغبة** قصر مفهوم السعادة على اشباع الملذات، وفي نظرية القمة – القاع اعتبار السعادة سمة من سمات الشخصية، وفي نظرية القاع – القمة اعتبار السعادة حالة تتضمن مجموعة من اللحظات الإيجابية، وفي **نظرية**

الحالة الانفعالية اعتبار السعادة حالة تتضمن مجموعة انفعالات، بالإضافة إلى التأثير الوراثي، وفي **نظرية المعيار الوجداني الديناميكي** تحديد السعادة بحكم الفرد ونظرته، وفي **نظرية المقارنة الاجتماعية** اعتبار السعادة ناتجة عن مقارنة عقلية تتطابق فيها تصورات الفرد عن الحياة كما، **وأفضل هذه النظريات وأكثرها شمولية وواقعية نظرية السعادة الحقيقية لسيلجمان، وقد رجحها أكثر علماء النفس على غيرها من النظريات، وهي تنطبق على معظم المفاهيم التي تقوم عليها السعادة،** وهي الأقرب لنظرية السعادة في السّنّة النبوية.

المطلب الثالث: مكونات السعادة في علم النفس

عند النظر في كتب علم النفس يتبين أن هناك مكونات للسعادة، يتفقون عليها تقريبا، قد تنقص عند بعضهم وقد تزيد، لكن هناك أمورا يتفق عليها الكل تقريبا، وهي التي جمعها مؤسس الاتجاه الإيجابي سيلجمان Seligman، وهي: **الرضا**، فقد أجمعت كل كتب علم النفس على وجوده كمكون للسعادة، والمكون الثاني **إشباع** الملذات الحسية بالقدر المناسب والكيفية المناسبة عن طريق ضبط النفس، مع تحصيل الملذات المعنوية (المسرات) بتفعيل جوانب القوة والفضائل، والمكون الثالث هو **التركيز** على جوانب القوة في شخصية الإنسان، والفضائل، مع **ممارسة** الأنشطة والأعمال والهوايات، والمكون الرابع **التفكير الإيجابي** الذي يزيد الانفعالات الإيجابية ويغير طريقة التفكير إلى الإيجابية والتفاؤل وهو يشمل ماضيه ومستقبله وحاضره، والمكون الخامس أن يكون للإنسان **هدف ومعنى** لحياته يسعى لأجله.

ومؤسس الاتجاه الإيجابي سيلجمان لم ينص عليها هكذا وإنما تستنبط من كتابه، ولهذا اختلف تقسيم الرباعي عن تقسيمي لها، لكنها بمضمونها واحدة.

١- الرضا:

يقول سيلجمان: **"العملة الجديدة التي أصبح عالم اليوم يسعى لها هي الرضا"**(١).

ويقول: "الاقتصاد الأمريكي يتحول الآن وبسرعة من اقتصاد المال إلى اقتصاد الإرضاء satisfaction economy "(٢).

ويقول: "الرضا المعنوي هو الطريق الى ما أراه مكونا للحياة الطيبة"(٣).

وعد أرجايل الرضا عن الحياة ومجالاته المختلفة أول عناصر السعادة(٤).

---

(١) سيلجمان، السعادة الحقيقية (ص:٢١٢).

(٢) المرجع السابق (ص:٢١١).

(٣) المرجع نفسه (ص: ٣٤٣).

(٤) أرجايل، سيكولوجية السعادة (ص:٢٤).

وأغلب دراسات علم النفس وبحوثه تشير وتؤكّد ارتباط السعادة بالرضا عن الحياة إن لم يكن الرضا هو السعادة بذاتها، وقد حدّد الباحثون أهم مجالات الحياة المؤثرة في السعادة، مجملها: العلاقات الاجتماعيّة، الصحة، شغل وقت الفراغ، الزواج، العمل،.. إلخ"(١).

فعندما تشعر بأنك راض عن نفسك وبأنك لا ينقصك أي شيء، سوف تبدأ في الاستمتاع بما لديك، وفي نفس الوقت سوف تشعر بأن لديك القدرة على تغيير الأشياء التي تحتاج إلى التغيير في حياتك وتقبل الأشياء التي لا يمكن تغييرها(٢).

والرضا يؤدي إلى التكييف الشخصي، فيكون الفرد راضيا عن نفسه غير كاره لها او نافر منها او ساخط عليها او غير واثق فيها، وهذا التكييف يمد الفرد بإشباع لدوافعه المختلفة بصورة ترضى الفرد والمجتمع بآن واحد(٣).

والرضا هو أحد علامات التوافق النفسي للفرد، ولظاهرة الرضا أهمية في معرفة مدى توافق الانسان في جوانب حياته المختلفة، وبه يكون الفرد أكثر إنتاجية وأكثر إيجابية في التفاعل، وأكثر استقرارا وسعادة، والرضا حالة شعورية بسيطة تصاحب بلوغ الفرد لغاية ما(٤).

٢- إشباع الملذات الحسية، وتحصيل المسرات:

إن إشباع الملذات الحسية وتحصيل المسرات من المكونات المتفق عليها بين الفلاسفة وعلماء النفس، لكن هذا الإشباع مقيد بضبط النفس، ويقدم تحصيل المسرات لما له من تأثير قوي للشعور بالسعادة الحقيقية.

يقول سيلجمان: "إن فلسفة السعادة وهو ما أدعوه بالمسرة وهي جزء لا يتجزأ من الفعل الصحيح القويم، لا يمكن استخلاصه من المتعة الجسدية، وليس حالة يمكن الحصول عليها كميائيًا بأي من الطرق المختصرة، فالحصول عليها مرتبط فقط بنشاط يتوافق مع الهدف النبيل"(٥).

---

(١) ينظر: سيلجمان، السعادة الحقيقية (ص:١١٦)، أرجايل، سيكولوجية السعادة (ص١٠). موسى، السعادة وتنمية الصحة النفسية (ص:٤٧).

(٢) بيفر، فيرا، **السعادة الداخلية**، مكتبة جرير- ط٣ – ٢٠٠٦، (ص: ٩).

(٣) ينظر: فهمي، مصطفى، **الصحة النفسية دراسات في سيكلوجية التكيف**، القاهرة، مكتبة الخانجي، ط٣١٩٩٥، (ص:٣٤).

(٤) سليمان، سناء، **السعادة والرضا**، القاهرة - عالم الكتب (ص:٢١).

(٥) سيلجمان، السعادة الحقيقية، (ص:١٥٢).

ومن الملامح المميزة لعلم النفس الإيجابي تمييزه بين اللذة البدنية وعملية الإشباع النفسي والسعادة النفسية الغامرة التي تتحقق للإنسان عندما يعيشها بحالة التدفق state of flow، أثناء التعامل مع مهام وأعمال تستغرق ذاته، في حالة عامة لدرجة نسيان الذات والآخر والسياق والوقت(١).
والسعادة تشمل الملذّات والحاجات النفسيّة والجسميّة بالقدر المناسب والوقت المناسب(٢)، ومتطلبات الجسد هي حاجات، أما متطلبات النفس فهي رغبات(٣).
وترتكز السعادة الحقيقية على المسرات، ولا يجب إهمال إشباع الملذات الحسية لكن بالقدر المناسب والكيفية المناسبة، وغالبا الإنسان لا يهملها بل يفرط فيها، لذلك أكد علماء النفس على عنصر أساسي من عناصر السعادة وهو ضبط النفس self control، "فيمكن لكل إنسان زيادة مشاعر السعادة وتقليل مشاعر الشقاء بإرادته في مجاهدته لنفسه لكي تكون متفائلة وراضية"(٤)، وتنبثق السعادة الحقيقية وتشتق من التفوق على نفسك وليس من تقدير نفسك في ضوء تقديرات الآخرين(٥).
والشخص الإيجابي يتسم بتعدد استراتيجيات المواجهة الإيجابية والضبط الشخصي للمشاعر والأفكار السلبية عند مواجهة مختلف التوترات وضغوطها(٦).
فلابد للإنسان أن يكافح من أجل مزيد من الإحساس بالسرور والرضا، وخفض شدة الطلب على المتعة الحسية التي تأتي بسهولة، أما الشعور بالسرور فإنه يأتي نتيجة لممارسة القوة في الشخصية فيصعب الفوز فيه بسهولة، لذلك يعد تحديد مواطن القوة وتنميتها في الشخصية أمرا حتميا، ومن المصدات القوية ضد حدوث الاكتئاب(٧).

---

(١) أبو حلاوة، علم النفس الإيجابي (ص٨١).
(٢) ينظر: موسى، السعادة وتنمية الصحة النفسية (ص٣٩).
(٣) اللواني، كمال، **اقتصاد السعادة**، دمشق، دار الشموس – ط١- ٢٠٠٠ (ص: ٢١).
(٤) موسى، السعادة وتنمية الصحة النفسية (ص٥٠).
(٥) سيلجمان، السعادة الحقيقية، (ص:٢٧).
(٦) أبو حلاوة، علم النفس الإيجابي (ص:٨٠)
(٧) ينظر: سيلجمان، السعادة الحقيقية (ص:١٥٧)

٣- جوانب القوة والفضائل في الشخصية، والعمل والأنشطة والاهتمامات

يقول سيلجمان: "الشعور الإيجابي الأصيل هو الذي نستمده من ممارسة مظاهر القوة والفضائل لا من اللجوء الى الطرق المختصرة"[١].

وجوانب القوة والفضائل هي خصال إيجابية تجلب الشعور الحسن والإشباع، والحياة الجيدة هي عبارة عن استخدام ما يميزك من جوانب القوة في كل يوم لتحقق السعادة الحقيقية والاشباع الشامل[٢].

وتحديد نقاط القوة في الإنسان يساعده في تحقيق ذاته وإيجاد المعنى في حياته، وإلى الزيادة الدائمة في الشعور بالسعادة، وقد توصل سيلجمان إلى أن الفضائل المتفق عليها في كل مكان وزمان على مر العصور هي ستة فضائل[٣]:

- **الحكمة والمعرفة:** وتتضمن حب الاستطلاع، وحب التعلم، والتفكير النقدي، والإبداع، والذكاء الوجداني، والنظرة الثاقبة.
- **الشجاعة:** وتتضمن الإقدام، والمثابرة، والاتساق مع الذات.
- **الحب والإنسانية:** تظهر في التعامل الإيجابي الاجتماعي، وتشمل العطف والكرم، ومنح الحب وتقبله.
- **العدل:** وتشمل المواطنة والمساواة والقيادة.
- **الاعتدال:** وتشمل ضبط النفس، وحسن التدبير، والتواضع.
- **الروحانية والتسامي**: وتشمل تقدير الجمال والامتنان والصفح والرحمة والتدين وروح الدعابة والمرح والحيوية والحماس والأمل والتفاؤل.

وجوانب القوة التي تميز الإنسان سمات أخلاقية قابلة للبناء، أما المواهب غير قابلة للبناء، وجوانب القوة يمكن بناؤها حتى لو كانت أصولها ضعيفة، بالتدريب الكافي والمثابرة والتدريس الجيد وصدق النية يمكن لهذه الفضائل أن تمد جذورها للنمو[٤].

---

(١) سيلجمان، السعادة الحقيقية (ص: ١٩).

(٢) ينظر: المرجع نفسه (٢١، ٢٥).

(٣) ينظر: سيلجمان، السعادة الحقيقية (ص: ٢٣ ، ١٦٨-١٧١ ،١٨٠ – ٢٠٦)

(٤) سيلجمان، السعادة الحقيقية (ص:١٧٣).

والتوظيف المناسب للمواهب يؤدي للسعادة، فيخلق الإنسان بممارسة مواهبه عالما جديدا متفق مع ذوقه يستغرق فيه بسعادة(١).

وتعتمد السعادة أيضا على الاهتمام الودي بالأشخاص والأشياء والأنشطة والهوايات(٢).
وتؤثر الاهتمامات التي تملأ وقت الفراغ على السعادة، وتوفر الاسترخاء من توتر انشغالات الإنسان الأكثر جدية، ومن المستحيل تماما التخمين مقدما بما سيثير اهتمام إنسان، ولكن معظم الناس بمقدورهم الاهتمام بشدة بشيء أو بآخر، وما إن يستثار اهتمامهم حتى تصبح حياتهم خالية من الضجر والملل(٣).

ويعد العمل المهني والإنتاجية ونشاط وقت الفراغ من عناصر السعادة المهمة التي تؤثر على الفرد بشكل مباشر، ويتحدد ذلك بالرجوع إلى معان نمت في سياقات ترويحية لوقت الفراغ، وسياقات إنتاجية لوقت العمل المهني، وللعمل مزايا خفية تظهر في كونه مصدرا للدخل، ومن توفيره نظاما للوقت، وفي اتساع العلاقات الاجتماعية فيه، وفيه التعاون مع جماعة، واستخدام المهارات، وربط الفرد بأهداف وغايات أوسع نطاقا، وإعطائه مكانة وإحساس بالهوية، وتوفير مستوى مرتفع من النشاط(٤).

٤- التفكير الإيجابي:

يقول سيلجمان: "عندما نكون في حالة مزاجية إيجابية **positive affect** يحبنا الناس أكثر وتزداد احتمالات توثق الصداقات والحب والتحالفات، وعلى عكس قيود الانفعال السلبي، تصبح وجاهتنا الذهنية أكثر توسعا، وتحملا وإبداعية، ونصبح أكثر انفتاحا على الأفكار والخبرات الجديدة"(٥).

يعزز سيلجمان نظرية بربرا في إدخال الانفعالات الإيجابية الى الحياة وبشدة، والشعور بالانفعالات الإيجابية مهم، ليس لأنه ممتع في حد ذاته، ولكن لأنه يسبب تعاملا أفضل مع العالم، ويحقق إنجازا أكبر، والمشاعر الإيجابية تمثل علامة مضيئة، تخبرك بأن هناك مجال للكسب

---

(١) ينظر: راسل، انتصار السعادة (ص:١٥٩، ١٦٥).
(٢) المرجع السابق (ص: ١٦٧).
(٣) ينظر: المرجع نفسه (ص:٢٣٩، ١٧٩).
(٤) ينظر: أرجايل، سيكولوجية السعادة (ص٨٢ -٨٦)
(٥) سيلجمان، السعادة الحقيقية (ص:٥٠).

المزدوج، فتنشط التوجه العقلي الإبداعي الإيجابي المتسع، وتضاعف المشاعر الإيجابية العوائد الاجتماعية والعقلية والجسمية(١).

واقترح سيلجمان أسلوبا في النظر إلى الانفعالات الذي يكون أكثر تناسبا مع الواقع المشاهد، وهو التكيّف adaptation، فعندما تقع الأحداث الإيجابية والأحداث السلبية فإن هناك تفجرات مؤقتة من المزاج تحدث في الاتجاه المناسب، وعادة ما يعود المزاج بعد فترة قصيرة ويستقر عند حدود الاستعداد set range عند الفرد، وهذا يخبرنا بأن الانفعالات إذا ما تركت لنفسها ستختفي، فالتعبير عن هذا الانفعال والثبات على ذلك من شأنه أن يضاعف هذا الانفعال(٢).

ولدى المتفائلون القدرة على تفسير فشلهم على أنه قابل للتجاوز وعلى أنه يقتصر على مشكلة محددة وأنه ناتج من ظروف مؤقتة أو عن الآخرين، ويمتاز السعداء في كفاءتهم في التعامل مع الأحداث والمواقف غير المناسبة، والعلاقة بين التفكير والانفعال واحدة من أقدم القضايا وأكثرها إثارة للجدل في علم النفس، وأثبتت الدراسات أن تدريس مهارات التفكير والسلوك التفاؤلي للأطفال في سن عشر سنوات يخفض معدلات الاكتئاب، والتفكير الإيجابي غالبا يتضمن محاولة أن تعتقد في مجموعه من العبارات المبهجة، حتى في غياب الأدلة والبراهين أو حتى في ضوء الحقائق العكسية، فإذا استطعت إدارة هذه الأفكار واقعيا فإن ذلك يضيف إليك قوة أكثر(٣).

والتفكير الإيجابي Positive thinking من أهم عناصر السعادة، وهو الانتفاع بقابلية العقل اللاوعي للاقتناع بشكل إيجابي، فإذا أردنا أن نغير أسلوبنا فيجب أن يكون ذلك من خلال عقلنا الباطن، وهذا يعني أنه يجب أن نختار أفكارا إيجابية جديدة، ونغذيه مرارا وتكرارا، لأن الأفكار المتكررة ترسخ في العقل اللاواعي(٤).

وإذا كانت السعادة تعتمد على نوع الأفكار التي تخالجنا فمن الضروري إذًا أن تطرد الأفكار التي تدعو للكآبة واليأس، فالسعادة تنمو بممارسة الأفكار السعيدة، وإحدى الأسس الرئيسية في التفكير

---

(١) المرجع السابق (٦٠-٦١).

(٢) المرجع نفسه (ص:٩٠).

(٣) ينظر: سيلجمان، السعادة الحقيقية (٣٧، ٤٠، ٥٩ ، ٩٠، ١٣٢).

(٤) بيفر، فيرا، **التفكير الإيجابي** – مكتبة جرير – ط٨، (ص:١٢)

الإيجابي هي المحبة الإنسانية والنية الحسنة نحو الآخرين، وكم تدهش لما يشيعه الشعور الطيب في قلوب الناس[١].

ويقول ماترن mattern: " إن الطريق السلطاني إلى السعادة هو أن تحفظ قلبك خاليا من الحقد وعقلك نظيفا من القلق، عش ببساطة، انتظر القليل واعط الكثير، املأ جنبات حياتك بالحب وانثر شعاع الشمس حولك، انس نفسك، وفكر بالآخرين، افعل مع الآخرين ما تحب أن يفعلوه بك، جرب هذه الوصفة لمدة أسبوع وستندهش لنتيجتها" إن هذه الفلسفة هي الطريق السوي للسعادة[٢].

وتشمل النظرة الإيجابية للحياة حياة الإنسان بكل أبعادها: الماضي والحاضر والمستقبل[٣]:

الرضا عن الماضي: الانفعالات الإيجابية حول الماضي تشمل الرضا satisfaction والقناعة contentmant والانجاز fulfillment والفخر pride والإخلاص والصفاء serenity، والصفح والنسيان.

التفاؤل بالمستقبل: الانفعالات الإيجابية حول المستقبل تتضمن التفاؤل optimism والأمل hope والإيمان faith والثقة trust .

السعادة في الحاضر: اما الانفعالات الإيجابية حول الحاضر فتتضمن البهجة joy والنشوة ecstasy والسكينة calm والحيوة zest والحماس الزائد أو الفوران ebullience واللذة pleasure والانفعال الأكثر أهمية وهو التدفق Flow وهي الانفعالات التي يعنيها معظم الناس عندما يتحدثون عادة عن السعادة، وان كانت السعادة في حقيقتها أكبر من ذلك، وهي تشمل الملذات الحسية والمسرات[٤].

---

(١) بيل، نورمان فنستت، **قوة التفكير الإيجابي**، ترجمة يوسف إسكندر، القاهرة - دار الثقافة – ط٧، (ص:٧٧، ٧٨، ٨٥)

(٢) المرجع السابق (ص:٨٠)

(٣) سيلجمان، السعادة الحقيقية (ص: ٨٧، ١٠٦).

(٤) ينظر: سيلجمان، السعادة الحقيقية (ص: ٨٧، ١٠٦).

٥- أن يكون للحياة معنى

"الحياة الجيدة تتجاوز الحياة الممتعة، والحياة ذات المعنى والمغزى تتجاوز الحياة الجيدة، والحياة ذات معنى تتكون من الارتباط بما هو أكبر وكلما كبرت الهوية التي تربط بها نفسك كلما زاد المعنى في حياتك"(١).

من العمليات النفسية التي تنمي الصحة النفسية وتدفع الإنسان إلى عمل الواجبات وترك الانحرافات معرفته بهدفه أو غايته من الحياة، فإذا كان للإنسان هدف نبيل سوف يدرك قيمة الحياة ومعناها، ويسعى إلى تزكية نفسه والمحافظة عليها، لأنها جديرة بأن تعيش الحياة، أما عندما لا يكون للإنسان هدف في الحياة، أو يكون له هدف تافه أو هدف غامض فإنه يشعر بالضياع وعدم القيمة، ولا يجد لحياته معنى أو أهمية، فيعيش في ملل وضيق وتوتر، ويشعر بالتفاهة والضآلة والفراغ النفسي والإحباط الوجودي، الذي يختل معه تفكيره، وتضطرب فيه مشاعره نحو نفسه والناس، ويعيش في يأس وجزع وسخط واكتئاب(٢).

ويعتقد الكثيرون من علماء النفس ومنهم كرتش أن السعادة مستحيلة دونما عقيدة ذات طابع ديني بشكل أو بآخر، وبأن الهدف الثابت ليس كافيا لجعل الحياة سعيدة ولكنه شرط لا غنى عنه للحياة السعيدة، والإيمان بقضية ما مصدر من مصادر السعادة، وتتحقق كل شروط السعادة في رجل العلم فيحصل على إشباع عميق لدرجة أنه يجد المتعة في الطعام، ولديه النشاط الذي يستغل به طاقاته بكاملها ويصل إلى نتائج مهمة للمجتمع ككل(٣).

والمتدينين أفضل من ناحية الصحة الجسمية ويعيشون أطول، وأصبح من الواضح ان كل نتائج الدراسات تؤكد باستمرار حقيقة أن الناس المتدينين يبدون أكثر سعادة وأكثر رضا عن حياتهم من غير المتدينين، وهناك عامل يؤكد الصلة بين الدين والسعادة وهو ان الدين يزرع الامل في المستقبل ويعطي للحياة معنى، والعلاقة بين الأمل في المستقبل والايمان الديني ربما كانت حجر الزاوية في تفسير لماذا كان الإيمان قادرا على مواجهة اليأس بفاعلية وعلى زيادة الشعور بالسعادة عند المؤمنين(٤).

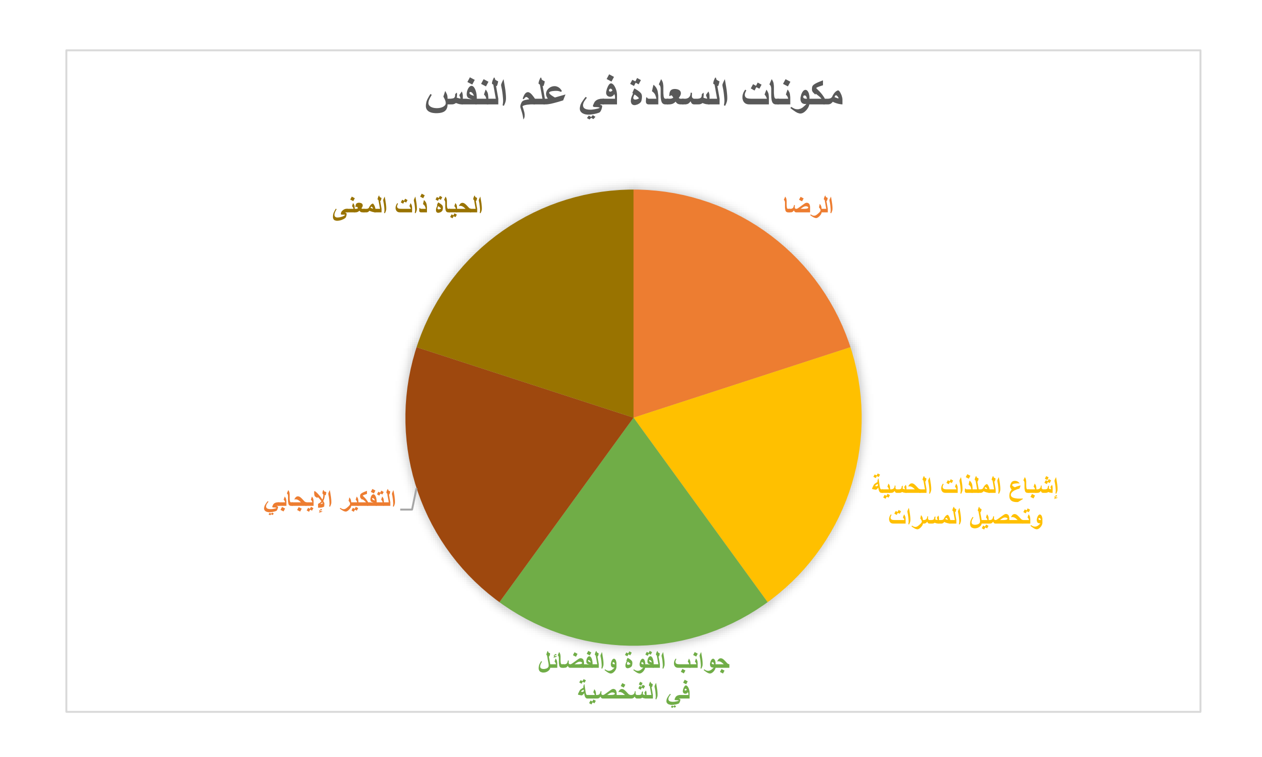
---

(١) سيلجمان، السعادة الحقيقية (ص: ٢٦).

(٢) موسى، السعادة وتنمية الصحة والنفسية (ص:١٣٢).

(٣) ينظر: راسل، انتصار السعادة (ص: ص١٥٦، ١٥٧ ، ١٦٣ - ١٦٤ ، ٢٦٣).

(٤) ينظر: سيلجمان، السعادة الحقيقية (ص: ٨٤ – ٨٥).


مكونات السعادة في علم النفس
الرضا
الحياة ذات المعنى
إشباع الملذات الحسية وتحصيل المسرات
التفكير الإيجابي
جوانب القوة والفضائل في الشخصية

المطلب الرابع: معايير ومؤشرات indicators السعادة في علم النفس

معظم الباحثين في علم النفس اتفقوا على أن للسعادة مجموعة من المؤشرات التي تدل على رضا الإنسان عن حياته، ومن هذه المؤشرات التي اطلعت عليها: العمل، والإنتاجية، والأهداف، والأنشطة والهوايات والاهتمامات، وشغل وقت الفراغ، والعلاقات الاجتماعية: (زواج، أبناء، أقارب، أصدقاء)، والدين والروحانية، وضبط النفس، والتحلي بالقيم والأخلاق التي تصقل جوانب القوة في شخصية الفرد، والفعل الخيّر، والتفكير الإيجابي، وإمكانية إعطاء الحب وتلقيه، والصحة العامة، وأن يكون لحياة الفرد معنى، وإشباع الملذات المادية بالوقت المناسب والقدر المناسب عن طريق ضبط النفس.

هذه غالب المؤشرات التي اطلعت عليها في كتب علماء النفس وفيما يلي بيانها:

مؤشرات السعادة عند رايف:

وتعد دراسات رايف (Ryff) عن السعادة النفسية من أكثر الدراسات التي رسخت لهذا المفهوم وطرق البحث فيه وكيفية قياسه وأهم المؤشرات للتعرف عليه، حيث وضعت Ryff نموذج العوامل الستة للسعادة النفسية وهي:

- الاستقلالية Autonomy : ويشير إلى استقلالية الفرد وقدرته على اتخاذ القرار، ومقاومة الضغوط الاجتماعية، وضبط وتنظيم السلوك الشخصي أثناء التفاعل مع الآخرين.
- التمكن البيئي Environmental mastery : قدرة الفرد على التمكن من تنظيم الظروف والتحكم في كثير من الأنشطة، والاستفادة بطريقة فعالة من الظروف المحيطة وتوفير البيئة المناسبة والمرونة الشخصية.
- التطور الشخصي Personal Growth: قدرة الفرد على تنمية وتطوير قدراته، وزيادة فعاليته وكفاءته الشخصية في الجوانب المختلفة، والشعور بالتفاؤل.
- العلاقات الإيجابية مع الآخرين Positive Relations with others: قدرة الفرد على تكوين وإقامة صداقات، وعلاقات اجتماعية إيجابية متبادلة مع الآخرين على أساس من الود والتعاطف والثقة المتبادلة، والتفهم، والتأثير، والصداقة، والأخذ والعطاء.
- الحياة الهادفة purpose in life: قدرة الفرد على تحديد أهدافه في الحياة بشكل موضوعي، وأن يكن له هدف ورؤية واضحة توجه أفعاله وتصرفاته وسلوكياته مع المثابرة والإصرار على تحقيق أهدافه.

- تقبل الذات self – acceptance: ويشير إلى القدرة على تحقيق الذات والاتجاهات الإيجابية نحو الذات والحياة الماضية، وتقبل المظاهر المختلفة للذات بما فيها من جوانب إيجابية وأخرى سلبية.

وتتحدد إجرائيا بمجموع الدرجات التي يحصل عليها الرد في مقياس السعادة النفسية(١).

ومقياس رايف من المقاييس النفسية المعتمدة في علم النفس وهو يحمل طابع العموم، وفي طياته التفاصيل، وفيه تركيز على نفسية الفرد وقدرته على صناعة الإيجابية بكل المجالات، والفرد بحاجة إلى قيم وقوى شخصية حتى يستطيع تحقيق هذه العوامل الستة.

مؤشرات السعادة عند Gonzalez:

وتمكن (Gonzalez) من تحديد (٢٩) مؤشر indicators للسعادة النفسية للأفراد، ثم تصنيفهم في ٨ عوامل رئيسية، وهي:

- الرضا والاستمتاع بالوقت.
- الرضا عن التعلم.
- تقدير الذات.
- المساندة الاجتماعية المدركة.
- الضبط المدرك.
- القيم المادية.
- القيم المعرفية والعقلية.
- القيم الاجتماعية والعلاقات البين شخصية(٢).

في مقياس Gonzalez بعض التفصيل وذكر لأمور دقيقة، وأعجبني تركيزه على القيم بصورة واضحة، وقد احتوى على الرضا، وضبط الذات، والمساندة الاجتماعية، والقيم بأنواعها، أما

---

(١) ينظر: أبو هاشم، محمد، النموذج البنائي للعلاقات بين السعادة النفسية والعوامل الخمسة الكبرى للشخصية (ص: ٢٧٠-٢٧٧). (ترجمة أبو هاشم للعوامل).

Ryff,c(1989). **Happiness is everything, or is it**? Exploration on the meaning of psychological well – being, Journal of Personality and soical psychology,vol 57,no6, (p:1072).

(٢) ينظر: الجمال، سمية أحمد، **السعادة النفسية وعلاقتها بالتحصيل الدراسي** والاتجاه نحو الدراسة الجامعية لدى طلاب جامعة تبوك، كلية التربية – جامعة الزقازيق – بحث منشور، (ص١٥).

مقياس رايف فهو مقياس من جانب آخر يتعلق بقدرة الفرد وأبعاده النفسية، لكن في النهاية يلتقون بتفاصيل المؤشرات.

مؤشرات السعادة عموما:

نص كل من Ryff و Gonzalez على مؤشرات السعادة، أما الباقي لم ينص عليها إنما تستنبط من كتبهم، نبهوا عليها في ثنايا الأسطر، وهي:

- **جوانب القوة والفضائل في الشخصية:**

تقدم الحديث عنها، والشخص الإيجابي يتميز بالقوى والموارد النوعية الإيجابية التي تعزز بما يملك من مشاعر السعادة والرضا عن الحياة(١)، وهذه القوة تحقق للفرد ذاته، وتقوده للإشباع والرضا.

وجوانب القوة والفضائل خصال إيجابية تجلب الشعور الحسن والاشباع(٢).

- **الشخصية:**

هناك من الناس من يميل الى أن يكون سعيدا دائما رغم التباينات في الحالة المزاجية الراجعة للأحداث والمواقف المختلفة تماما مثلما أن هناك مكتئبين، والسعادة جزء من جملة خصائص أوسع نطاقا تتضمن اختيار المواقف المدعمة والنظر الى الجانب المشرق من الأمور والمستوى المرتفع من تقدير الذات، وترتبط السعادة بقوة بعناصر أخرى للشخصية: الانبساط، والضبط الداخلي، وغياب الصراعات الداخلية، والعلاقات الاجتماعية الجيدة، والانغماس في عمل وانشطة وقت فراغ هادفة، والقدرة على تنظيم الوقت، وترتبط ارتباطا ضعيفا مع عدد الكفاءات الشخصية مثل الذكاء والجاذبية(٣).

- **التفكير الإيجابي:**

تقدم الحديث عن التفكير الإيجابي، والفرد الإيجابي شخص سعيد يتصف بالرؤية المشرقة، والمقدرة على إدارة الأزمات وبمشاعر متفائلة(٤).

---

(١) أبو حلاوة، علم النفس الإيجابي (ص ٨١).

(٢) سيلجمان، السعادة الحقيقية (ص:٢٠).

(٣) أرجايل، سيكولوجية السعادة (ص:١٥٩).

(٤) أبو حلاوة، علم النفس الإيجابي (ص: ٨٠)

- **إشباع الملذات المعنوية والملذات المادية:**

وهذا الإشباع أصل في السعادة تقدم الحديث عنه، وهو من أهم مكونات السعادة.

ولابد أن يكون عند الفرد قدرة على إرضاء حاجاته البيولوجية والنفسية إرضاء مناسبا وعلى تحقيق التوازن والانسجام بين دوافعه المختلفة(١).

- **ضبط النفس:**

وبضبط النفس يستطيع الإنسان تربية نفسه، والسير بها إلى طريق الفضيلة، وإشباعها بالملذات المعنوية -التي تحتاج إلى صبر ومجاهدة لما فيها من جهد وتعب-، وبالملذات المادية الحسية - التي تحتاج ضبط وصبر وإرادة في قيادة هذا الإشباع بالوقت والكم المناسب-.

فلابد أن يقيّم الإنسان حياته، ويختار وقت للمراجعة في لحظة لا يكون عرضه لمشاعر الكرع أو الزهو(٢)، ودور الإرادة هام في التعبير عن الفضائل.

- **الحب:**

الطبيعة الإنسانية مبنية بكيفية تجعلها أكثر استعدادا لمنح الحب(٣)، وتعتبر قدرة الفرد على منح الحب وتقبله من الأمور المؤثرة في السعادة، فالحب يكشف عن قدرة الإنسان على أن يقيم وعودا تسمو كثيرا على الأنانية، والحب يمنح القوة والحياة(٤).

- **الفعل الخيّر:**

أجرى سيلجمان دراسة مفادها أنه كلما كانت الأفعال الخيرة تلقائية ومعتمدة على مصادر القوة الشخصية كان اليوم كله أفضل، فممارسة الخير ليست مجرد متعة بل هي حالة من الإشباع المتكامل، وكنوع من الإشباع فهي تشحذ قواك لأن ترتفع لحجم مناسب، وأن تواجه تحديا، فالفعل الخير لا يصاحبه تيار منفصل من الانفعال الايجابي مثل الفرح، بل هو يتشكل من الاندماج الكامل وفقدان للوعي بالذات فالوقت يتوقف(٥).

---

(١) نجاتي، محمد عثمان، **الحديث النبوي وعلم النفس**، القاهرة - دار الشروق – ط٥ ، ٢٠٠٥، (ص:٢٧٤).

(٢) سيلجمان، السعادة الحقيقة (١١٥، ١٧٥).

(٣) راسل، انتصار السعادة (ص:١٩٢).

(٤) ينظر: سيلجمان، السعادة الحقيقية (ص:٢٣١-٢٣٤)

(٥) ينظر: المرجع السابق (ص:٢٠).

- **العمل والإنتاجية، والأنشطة والاهتمامات والهوايات:**

ربما كانت أهم سمة بشرية تؤثر في بناء القوة هي الإنتاجية في العمل، ومن الصعب تحديد ما إذا كان الرضا عن العمل يجعل الفرد أسعد أو أن الاستعداد للسعادة يجعل المرء أكثر رضا عن العمل، فمن المعروف أن السعداء أكثر رضا عن عملهم، وتوحي نتائج الدراسات أن زيادة السعادة تؤدي في الواقع الى مزيد من الإنتاجية(١).

والعمل يعد مرغوبا كوقاية من الملل وهو يحقق قدر كبير من الإشباع، وممارسة نشاط أو صنعة أو صغل موهبة، والاستغراق في هواية، وأن يكون للفرد اهتمامات واسعة، وردود أفعال ودية، وإمكانية على ملأ وقت الفراغ بذكاء، كل هذه مؤشرات تجعل الحياة أكثر سعادة وأكثر حيوية(٢). فالاهتمامات والأنشطة والهوايات والعمل والإنتاجية من أكثر الأمور التي تدفع الملل، وتشبع الفرد، لما لها من تأثير على سلوكه وتفعيل لنقاط قوته، وتقدير لذاته.

- **الحياة الاجتماعية:**

تكشف الكثير من الدراسات عن أثر التفاعل الاجتماعي وشبكة العلاقات الاجتماعية التي نعيش في ظلها على السعادة(٣)، ولاحظ سيلجمان في دراساته أن شديدي السعادة اختلفوا بصورة ملحوظة عن غير السعداء في شيء أساسي هو: حياة اجتماعية ثرية ومشبعة، حيث يقضي أكثر الناس سعادة اقل الأوقات وحدهم، ومعظم الوقت يتفاعلون اجتماعيا(٤).

ومن مجالات العلاقات الاجتماعية المؤثرة على السعادة:

الزواج، والحياة الأسرية، والوالدين، والأبناء، والأقارب، والأصدقاء، والزمالة في العمل، والجماعة المحلية، والانتماء إلى تنظيمات اجتماعية.

---

(١) سيلجمان، السعادة الحقيقية (ص: ٥٧).

(٢) ينظر: راسل، انتصار السعادة (ص:١٦٥،١٦٢، ١٦٩، ١٧٩، ٢٣٤ ، ٢٢٨، ٢٣٩).

(٣) أرجايل، سيكولوجية السعادة (ص:٢٥).

(٤) سيلجمان، السعادة الحقيقية (ص:٦٠).

فالوالدية تمنح السعادة، والأسرة مصدر السعادة، والزواج يرتبط بقوة بالسعادة، والزمالة والتعاون عنصران للسعادة، والاهتمام الودي بالأشخاص والأشياء والطفولة سبيل للسعادة، والنتيجة الحاسمة أن الحياة الاجتماعية الثرية تجعلك أكثر سعادة(١).

- **الصحة، والأمان**

ترتبط الصحة ارتباطا وثيقا بالسعادة وهي غالبا سبب للسعادة والشعور بالرضا، وتعتبر الصحة من المكونات الهامة للشعور بالهناء وهي بحق أحد عناصره الموضوعية وترتبط ارتباطا وثيقا بالسعادة، ويشيع النظر اليها انها واحدة من أسبابها سيكولوجية(٢).

والصحة الجيدة الحقيقية ترتبط على نحو حقيقي بالسعادة، والصحة المعتلة على نحو متوسط لا تسبب عدم السعادة ولكن المرض الشديد يفعل ذلك بالتأكيد(٣).

الحاجة إلى الأمن والأمان من الحاجات الأساسية للإنسان، التي تأتي في الأهمية بعد الحاجة إلى الطعام والماء، فهي تؤثر على جميع حاجات الإنسان: الجسمية والنفسية والاجتماعية والروحية وتتأثر بها، وبدون الأمن والأمان تضعف النفس وتضطرب ويشقى الإنسان بحياته(٤).

- **الحياة ذات المعنى:**

مثلما يحتاج طيب الحال إلى الارتكاز على جوانب القوة والفضائل، فإن هذه الأخير ينبغي أن ترتكز على ما هو أعم وأقوى، والحياة ذات المعنى تتجاوز الحياة الجيدة، وهي تتكون من الارتباط بما هو أكبر، وكلما كبرت الهوية التي ترتبط بها نفسك كلما زاد المعنى في حياتك(٥).

- **الدين والروحانية:**

المتدينين كانوا أفضل من ناحية الصحة الجسمية وكانوا يعيشون أطول، وأصبح من الواضح أن كل نتائج الدراسات تؤكد باستمرار حقيقة أن الناس المتدينين يبدون أكثر سعادة وأكثر رضا عن

(١) ينظر: راسل، انتصار السعادة، (ص: ١٦٤، ١٦٦، ١٩٦، ٢٠٣، ٢٠٨، ٢١٤). ينظر: سيلجمان، السعادة الحقيقية (ص: ٧٧، ٧٨). ينظر: أرجايل، سيكولوجية السعادة (ص٢٥).

(٢) أرجايل، سيكولوجية السعادة، (ص:٢٤٥، ٢١٩).

(٣) سيلجمان، السعادة الحقيقية (ص: ٨١-٨٢).

(٤) موسى، السعادة وتنمية الصحة النفسية (ص:٨٥).

(٥) سيلجمان، السعادة الحقيقية (ص:٢٦).

حياتهم من غير المتدينين، وهناك عامل يؤكد الصلة بين الدين والسعادة وهو أن الدين يزرع الأمل في المستقبل ويعطي للحياة معنى(١).

العلاقة بين الأمل في المستقبل والايمان الديني ربما كانت حجر الزاوية في تفسير لماذا كان الإيمان قادرا على مواجهة اليأس بفاعلية وعلى زيادة الشعور بالسعادة عند المؤمنين(٢).

- **التعليم والمناخ والعرق والنوع والعمر والمال**

تثبت الدراسات أن التعليم والمناخ والعرق والنوع والعمر والمال والشهرة كل هذه الظروف ليس بينها ما يرتبط بالسعادة على نحو قوي، فالمال لا يشتري السعادة، ولا يتبعه بالضرورة الشعور بالسعادة، والمزيد من الثروة لا تضيف رضا أكثر عن الحياة، وفكرة ارتباط السعادة بالشباب دون غيره من مراحل العمر سوف تختفي، وصور كبار السن الذين يشكون من كل شيء لم تعد صورة صادقة ولا تنطبق على الواقع والحقيقة، والشهرة والطبقة لا حقيقة لها إن لم ترتبط بتقوى الله(٣).

- **العناء النفسي وما يؤثر به سلبيا على النفس:**

يجمع العناء النفسي ما بين المشاعر السلبية والحالات المرتبطة بها، كالاكتئاب والقلق والهم، وبين بعض الأعراض الجسمية الخفيفة، مثل الصداع والأرق والشعور بالإعياء وفقدان التوافق، وتسهم العلاقات الاجتماعية وغيرها من مؤشرات السعادة في التخفيف من العناء بأشكاله المتعددة كسوء المزاج والاكتئاب والقلق والشعور بالوحدة والانتحار(٤).

قياس السعادة:

دأب علماء النفس من خلال هذه المؤشرات على قياس سعادة الأفراد، واعتبروا تحديد الشعور العام بالرضا هو الأكثر أهمية في قياس السعادة، وهناك طريقتين للتوصل إلى ذلك، الأولى نسأل الأفراد أنفسهم عن أهم المجالات في نظرهم، والثانية تتمثل في حساب درجة الارتباط بين كل

---

(١) سيلجمان، السعادة الحقيقية (ص: ٨٤).

(٢) المرجع السابق (ص:٨٥).

(٣) ينظر: سيلجمان، السعادة الحقيقية، (ص/٧٢-٨٢). سليمان، السعادة والرضا (ص:٩٨).

(٤) أرجايل، سيكولوجية السعادة (ص٢٠، ٣٨).

مجال وبين درجة الرضا الكلية، ويمكن قياس الشعور بالرضا عن العمل أو الزواج أو التدين باستخدام سؤال واحد، أو هناك مقاييس أكثر تفصيلا بكثير لكل المجالات[١].

واتفق العلماء أن يتم قياس السعادة عن طريق سؤال الأفراد، وذلك باعتبارها حكم عام من الشخص على ذاته[٢].

فمقياس السعادة المعتمد في علم النفس هو سؤال الأفراد أنفسهم، وقد ألحقت بالدراسة اثنين من مقاييس السعادة المعتمدة في علم النفس، الأول مقياس السعادة النفسية تعريب أبو هاشم[٣]، والثاني مقياس أكسفورد تعريب الرباعي[٤].

---

(١) أرجايل، سيكولوجية السعادة (ص:١٦).

(٢) الرباعي، الشعور بالسعادة (ص:٣٧).

(٣) أبو هاشم، النموذج البنائي للعلاقات بين السعادة النفسية والعوامل الكبرى للشخصية السعادة النفسي (ص ٣٤٣).

(٤) الرباعي، الشعور بالسعادة (ص ٢١٣).

المبحث الثالث: مفهوم السعادة وحدودها في السّنّة النبوية

إنّ السعاد من المفاهيم التي أكدت عليها السّنّة النبوية، وهناك أحاديث عدة تتطرق لسعادة العبد صراحة أو استنباطا، وبعد الدراسة لمفهوم السعادة من عدة جوانب يأتي هذا المبحث لبيان مراحل وعناصر مفهوم السعادة في السّنّة النبوية، مع تحديد مكوناتها ومؤشراتها استنباطا من الأحاديث النبوية التي هي محل الدراسة والعناية.

المطلب الأول: مفهوم السعادة في السّنّة النبوية

عند بحثي في سنته صلى الله عليه وسلم وجدت ثلاثة طرق للوصول إلى مفهوم السعادة وحدودها في السّنّة النبوية:

- عن طريق جمع الأحاديث التي تحتوي لفظ السعادة صراحة.
- أو مرادفات السعادة في السّنّة النبوية(١).
- أو السياق الدال على السعادة في السّنّة النبوية.

وبهذه الطرق يستطيع الباحث جمع مكونات ومؤشرات السعادة في السّنّة النبوية ومن ثم الخروج بتعريف جامع مانع، والله ولي التوفيق.

ألفاظ السعادة في السّنّة النبوية

وردت عدة أحاديث في السّنّة النبوية تحمل لفظ السعادة أو مشتقاته أو مرادفاته، منها ما هو ضعيف، وما هو مكرر بالمعنى، لذلك اقتصرت على الأحاديث المقبولة الجامعة في هذا الباب دون تكرار، وبيانها فيما يلي:

١- لفظ السعادة

إن السعادة في السّنّة النبوية لا تقتصر على لفظ أو ألفاظ، بل على هدي النبي صلى الله عليه وسلم، وهنا محاولة لتتبع هديه صلى الله عليه وسلم من كل الوجوه للوصول إلى السعادة الحقيقية،

---

(١) - وردت في السّنّة النّبويّة ألفاظ كثيرة مرادفة للفظ السعادة، وحاولت جاهدة جمع ما رأيت -حسب اجتهادي- يصلح لأن يكون لفظا مرادفا لمفهوم السعادة، واستعنت بالمعجم المفهرس للحديث النبوي في حصر هذه الألفاظ وعدد ورودها في السّنّة النبوية، ثم رتبتها ترتيبا هجائيا مع بيان معانيها، والتمثيل لها.

وقد جاء لفظ السعادة في السّنّة النبوية في عشرين حديثا تقريبا، وبعد حذف المكرر والضعيف والاقتصار على الأحاديث الدالة على السعادة أسجل هذه الفوائد:

- **أثر الإيمان في تحقيق السعادة**

قال أَبو هُرَيْرَة قِيلَ: يَا رَسُولَ اللهِ، مَنْ أَسْعَدُ النَّاسِ بِشَفَاعَتِكَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ؟ قَالَ رَسُولُ اللهِ -صلّى اللهُ عَلَيْهِ وسلّم-: ((لَقَدْ ظَنَنْتُ يَا أَبَا هُرَيْرَةَ أَنْ لَا يَسْأَلَنِي عَنْ هَذَا الْحَدِيثِ أَحَدٌ أَوَّلُ مِنْكَ؛ لِمَا رَأَيْتُ مِنْ حِرْصِكَ عَلَى الْحَدِيثِ، **أَسْعَدُ النَّاسِ بِشَفَاعَتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ، مَنْ قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ خَالِصًا مِنْ قَلْبِهِ أَوْ نَفْسِهِ**))(١).

قوله -صلّى الله عليه وسلّم- "أسعد" تحمل معنى أنَّ كلًّا من الكافر الذي لم ينطق بالشهادة، والمنافق الذي يظنّ بلسانه دون قلبه يكون سعيدًا، والجواب بأن أفعل هنا ليست على بابها بل بمعنى سعيد الناس كقوله تعالى: {أَصْحَابُ الْجَنَّةِ يَوْمَئِذٍ خَيْرٌ مُسْتَقَرًّا وَأَحْسَنُ مَقِيلًا} [الفرقان: ٢٤] ، ويحتمل أن يكون أفعل التفضيل على بابها، وأن كل أحد تحصل له سعادةٌ بشفاعته، لكن المؤمن المخلص أكثر سعادة بها، فإنه -صلّى الله تعالى عليه وسلّم- يشفع للخلق في إراحتهم من هول الموقف، وهذه سعادة عامة للخلق، ويشفع في بعض الكفار بتخفيف العذاب، كما صحّ في حق أبي طالب، ويشفع في بعض المؤمنين بالخروج من النار بعد أن دخلوها، وفي بعضهم بعدم دخلوها، بعد أن استوجبوا دخولها، وفي بعضهم بدخول الجنّة بغير حساب، وفي بعضهم برفع الدرجات فيها، فظهر الاشتراك في السعادة بالشفاعة، وأنّ أسعدهم بها المؤمن المخلص(٢).

فدل الحديث أن الذي ينال شفاعة الحبيب صلى الله عليه وسلم يوم القيامة هو المؤمن المخلص، الذي حقق الايمان قولا وعملا وعقيدة، واطمأنت بها نفسه وسكنت، وهو السعيد الذي حصل له الفوز ببركة هذا الإيمان.

ودل الحديث الشريف أن الإيمان من أقوى أسباب ومؤشرات السعادة، والتي فيها نجاة الفرد وصلاحه في الدارين، والإيمان يجعل لحياة الفرد معنى، وينقل الفرد من حياة الضياع والتخبط

---

(١) أخرجه: البخاري، محمد بن إسماعيل أبو عبد الله(ت٢٥٦هـ)، **الجامع الصحيح المختصر من أمور رسول الله -صلّى الله عليه وسلّم- وسننه وأيامه** ، ط٣، تحقيق: مصطفى ديب، دار ابن كثير، اليمامة ، بيروت، كتاب العلم - باب الحرص على الحديث - ح(٩٩)، (٤٩/١) من حديث أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه.

(٢) ينظر: ابن حجر، أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي، **فتح الباري شرح صحيح البخاري**، دار المعرفة - بيروت، ١٣٧٩هـ (١/ ١٩٤). الشنقيطي، كوثر المعاني الدراري في كشف خبايا صحيح البخاري (٣/ ٣٨١).

إلى حياة الإنجازات والأهداف والإيجابية، وبالإيمان يمتلأ قلب العبد مشاعر إيجابية، وبه يستطيع العبد ضبط انفعالاته وقيادة نفسه إلى الجوانب الإيجابية.

إن أمر الإيمان عجيب فما إن يمتلأ قلب العبد بحب الله سبحانه، ويعرف عظمة الخالق الذي بيده كل شيء، والذي له كل صفات الكمال والعظمة، حتى تسكن روح العبد وتركن إلى خالقها وتنقاد له سبحانه بتصديق جازم ونفس مطيعة مطمئنة، وحينها يعلم العبد حقيقة الدنيا وضآلتها، فيتوكل على الله حق التوكل، ويجتهد بالطاعات والأعمال الصالحة التي تشبع الحاجات المعنوية والتي تؤدي به إلى الرضا الروحي الشامل، فاللهم ارزقنا ايمانا صادقا مخلصا، وارزقنا سعادة لا نشقى بعدها أبدا.

- أثر الرضا بالقضاء والقدر في تحقيق السعادة

قال عَلِي رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: كَانَ النَّبِيُّ -صلّى اللهُ عَلَيْهِ وسلّم-فِي جِنَازَةٍ، فَأَخَذَ شَيْئًا فَجَعَلَ يَنْكُتُ بِهِ الْأَرْضَ، فَقَالَ: ((مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ، إِلَّا وَقَدْ كُتِبَ مَقْعَدُهُ مِنَ النَّارِ وَمَقْعَدُهُ مِنَ الْجَنَّةِ، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ، أَفَلَا نَتَّكِلُ عَلَى كِتَابِنَا، وَنَدَعُ الْعَمَلَ؟ قَالَ: اعْمَلُوا فَكُلٌّ مُيَسَّرٌ لِمَا خُلِقَ لَهُ ، **أَمَّا مَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ السَّعَادَةِ فَيُيَسَّرُ لِعَمَلِ أَهْلِ السَّعَادَةِ ، وَأَمَّا مَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الشَّقَاءِ فَيُيَسَّرُ لِعَمَلِ أَهْلِ الشَّقَاوَةِ،** ثُمَّ قَرَأَ: { فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى (٥) وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى (٦)} [الليل: ٥، ٦] الْآيَةَ))(١).

وهذا الحديث فيه من الفوائد الكثيرة والجوانب العديدة، وهو أصل في الرضا بالقضاء والقدر، والإيمان بالقضاء والقدر من أهم القضايا التي تؤدي إلى سعادة الإنسان والمجتمع بأكمله، فمتى آمن الإنسان أن ما أصابه لم يكن ليخطئه سكنت نفسه وسعدت ورضي بما قدر له، دون أن تكون الدنيا أكبر همه، ومن الأحاديث التي تؤكد هذه العقيدة: قول النبي -صلّى الله عليه وسلّم-: **((مَنْ مَاتَ عَلَى غَيْرِ هَذَا فَلَيْسَ مِنِّي))** (٢)أي: على غير الإيمان بالقضاء والقدر، وقوله -صلّى الله

---

(١) أخرجه البخاري، الجامع الصحيح، كتاب الجنائز، باب موعظة المحدث عند القبر، ح(٤٦٦٦) (١٨٩١/٤) (بهذا اللفظ). ومسلم، المسند الصحيح المختصر، كتاب القدر، باب كيفية خلق الآدمي فِي بطن أمه وكتابة رزقه وأجله وعمله وشقاوته وسعادته ح٢٦٤٧، (٤ / ٢٠٣٩). من حديث علي رضي الله عنه.

(٢)أخرجه بو داود، سليمان بن الأشعث السجستاني الأزدي(ت٢٧٥هـ)، **سنن أبي داود**، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، صيدا – بيروت، كتاب القدر – باب في القدر - ح(٤٧٠٠)، (٢٢٥/٤) من طريق يَحْيَى بْنُ حَسَّانَ ،عن الْوَلِيدُ بْنُ رَبَاحٍ ، عَنْ إِبْرَاهِيمَ بْنِ أَبِي عَبْلَةَ ، عَنْ أَبِي حَفْصَةَ عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه.
وأخرجه الترمذي، الجامع الكبير، أبواب تفسير القرآن -ح ٣٣١٩ – (٥/ ٤٢٤)، من طريق عطاء بن أبي رباح عن الوليد بن عبادة بن الصامت عن أبيه رضي الله عنه.
وقال الترمذي: "وفي الحديث قصة، هذا حديث حسن صحيح غريب، وفيه عن ابن عباس".

عليه وسلّم-: **((ثُمَّ يَبْعَثُ اللهُ مَلَكًا فَيُؤْمَرُ بِأَرْبَعِ كَلِمَاتٍ وَيُقَالُ لَهُ : اكْتُبْ عَمَلَهُ وَرِزْقَهُ وَأَجَلَهُ وَشَقِيٌّ أَوْ سَعِيدٌ))**(١)، أي: هو شقي أو سعيد، والمراد أنه يكتب لكل أحد إمّا السعادة وإمّا الشقاوة ولا يكتبهما لواحد معًا(٢)، وهذا يؤكد أنّ طريق السعادة الحقيقية واحد، وهو الهداية والاستقامة في دين الله سبحانه للفوز بسعادة الدارين.

فالنبي صلى الله عليه وسلم قصر الأمر بين حالتين إما سعيد أو شقي، لأن طريق الهداية والاستقامة هو دليل السعادة، وطريق العصيان والكفر هو دليل الشقاء، ولو قال قائل إن الكافر يسعد في الدنيا ويتمتع بأنواع الملذات، فكيف نحصر السعادة على الهداية وعلى المسلمين دون غيرهم؟، هنا نبين له أن السعادة الحقيقية أرقى من تحقيق الملذات المادية، أو النجاح في الحياة الاجتماعية فقط والتي ممكن أن تحصل لأي أحد، فالسعادة الحقيقية تحمل معانٍ سامية ترقى بالعبد بمستويات الرضى، ونعيم الروح، وبأنواع المشاعر الإيجابية، تمتد به ابتداء من الإيمان بالله تعالى وتحقيقه قولا وعملا، ظاهرًا وباطنا في الحياة الدنيا، ثم تنتهي فيه للوصول إلى دار السعداء دار القرار في جنة الخلد.

وفي تفسير قوله تعالى: {يَوْمَ يَأْتِ لَا تَكَلَّمُ نَفْسٌ إِلَّا بِإِذْنِهِ فَمِنْهُمْ شَقِيٌّ وَسَعِيدٌ } [هود: ١٠٥]، قال السعدي رحمه الله: فالأشقياء، هم الذين كفروا بالله، وكذبوا رسله، وعصوا أمره، والسعداء هم: المؤمنون المتقون. وقال في تفسير قوله تعالى: {وَأَمَّا الَّذِينَ سُعِدُوا فَفِي الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ عَطَاءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ (١٠٨)} [هود: ١٠٨]، {وَأَمَّا الَّذِينَ سُعِدُوا} أي: حصلت لهم السعادة، والفلاح، والفوز {فَفِي الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالأرْضُ إلا مَا شَاءَ رَبُّكَ} ثم أكد ذلك بقوله: {عَطَاءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ} أي: ما أعطاهم الله من النعيم

روى الحديث عن عبادة بن الصامت ابنه الوليد بن عباده، وأبي حفصة، ورواه عن الوليد: عطاء، وأيوب بن زياد في المسند (ح ٢٢٧٠٥)، ويزيد بن حبيب في المسند (ح٢٢٧٠٧)، وأسانيد هذه الطرق فيها ضعف يسير، عدا طريق معاوية بن صالح عن أيوب بن زياد طريق حسن تابع باقي الطرق، وهذا حديث حسن بمجموع طرقه، ينظر: تقريب التهذيب (ص: ١٥٢، ٣٦٧، ٥٣٨).

(١) أخرجه البخاري، الجامع الصحيح، كتاب التوحيد - باب قوله تعالى ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين- ح ٣٠٣٦ ،(٣/ ١١٧٤).

(٢) العظيم الأبادي، **عون المعبود شرح سنن أبي داود**، ومعه حاشية ابن القيم: تهذيب سنن أبي داود وإيضاح علله ومشكلاته(١٢/ ٣١٠).

المقيم، واللّذة العالية، فإنّه دائم مستمرّ، غير منقطع بوقت من الأوقات، نسأل الله الكريم من فضله"(١).

وفي كلامه رحمه الله تأكيد أن طريق السعادة الحقيقية واحد وهو الهداية وهو الذي يوصل للسعادة الأخروية في الجنة دار النعيم المقيم، ولم يرد لفظ السعادة في القرآن الكريم إلا في هذين الموضعين: الأول في تحديد أصل السعادة وهو الإيمان، وأصل الشقاء وهو الكفر والعصيان، والموضع الثاني في بيان عاقبة السعداء وهي الجنة خالدين فيها.

وقول الرسول -صلّى الله عليه وسلّم-: ((**أَمَّا مَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ السَّعَادَةِ فَيُيَسَّرُ لِعَمَلِ أَهْلِ السَّعَادَةِ، وَأَمَّا مَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الشَّقَاءِ فَيُيَسَّرُ لِعَمَلِ أَهْلِ الشَّقَاوَةِ**))(٢) يدل على إثبات القضاء والقدر، وعلم الله بأعمال العباد قبل وقوعها، وهو ما ترجم له البخاري في صحيحه(٣).
قال الحافظ ابن حجر: "وهذا الحديث أصل لأهل السنّة في أنّ السعادة والشقاء بتقدير الله القديم"(٤)، وقال أيضًا: "واستدلّ به على إمكان معرفة الشقي من السعيد في الدنيا كمن اشتهر له لسان صدق وعكسه لأنّ العمل أمارة على الجزاء على ظاهر هذا الخبر"(٥).
وجاء عَنْ عِمْرَانَ بْنِ حُصَيْنٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَجلٌ: يَا رَسُولَ اللهِ، أيعْرَفُ أهْلُ الْجَنَّةِ مِنْ أهْلِ النَّارِ؟ قَالَ: "نَعَمْ" قَالَ: فَلِمَ يَعْمَلُ الْعَامِلُونَ؟ قَالَ: ((**كُل يَعْمَلُ لِمَا خُلِقَ لَهُ، أوْ لِمَا يُيَسَّرُ لَهُ**))(٦)، أي فإن العمل يسوقه إلى ما كتب له في الأزل من سعادة أو شقاء، فإذا عمل الأعمال

---

(١) السعدي، عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي (ت: ١٣٧٦هـ)، **تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان**، المحقق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، مؤسسة الرسالة، ط١: ١٤٢٠هـ-٢٠٠٠ م، (ص:٣٩٠).

(٢) سبق تخريجه ص٦٧.

(٣)قاسم، حمزة محمد قاسم، **منار القاري شرح مختصر صحيح البخاري**، راجعه: الشيخ عبد القادر الأرناؤوط، عني بتصحيحه ونشره: بشير محمد عيون، مكتبة دار البيان- دمشق - الجمهورية العربية السورية، مكتبة المؤيد- الطائف - المملكة العربية السعودية ١٤١٠ هـ - ١٩٩٠ م، (٥/ ٣٠٩).

(٤) ابن حجر، فتح الباري (١١/ ٤٩٨).

(٥) المرجع السابق (١١/ ٤٩٨).

(٦) أخرجه البخاري، الجامع الصحيح، كتاب القدر - باب جف القلم على علم الله وأضله الله على علم - ح ٦٢٢٣ (٦/ ٢٤٣٤)، وح ٧١١٢ (٦/ ٢٧٤٥). ومسلم، المسند الصحيح، كتاب القدر - باب كيفية خلق الآدمي فِي بطن أمه وكتابة رزقه وأجله وعمله وشقاوته وسعادته – ح(٢٦٤٩)، (٤/ ٢٠٤١) بنحوه.

الصالحة فليُسَرَّ بذلك، ويرجو أن يكون من أهلها، لأنّ العمل الصالح علامة على أن العبد قد كتبت له السعادة كما يدل عليه الحديث(١).

والرضا بالقضاء والقدر من أهم مؤشرات السعادة، فالعبد حينما يؤمن بأن أمر الله كله خير، وأن الله رزقه الإرادة، لكن بعلمه الكامل يعلم سبحانه ما سيقع وما سيكون؛ فسوف تسكن نفسه وتطمئن، ويحقق الرضا المنشود الذي يعتبر المكون الرئيسي للسعادة.

وعَنِ ابْنِ الدَّيْلَمِيِّ، قَالَ: وَقَعَ فِي نَفْسِي شَيْءٌ مِنْ هَذَا الْقَدَرِ، خَشِيتُ أَنْ يُفْسِدَ عَلَيَّ دِينِي وَأَمْرِي، فَأَتَيْتُ أُبَيَّ بْنَ كَعْبٍ، فَقُلْتُ: أَبَا الْمُنْذِرِ، إِنَّهُ قَدْ وَقَعَ فِي نَفْسِي شَيْءٌ مِنْ هَذَا الْقَدَرِ، فَخَشِيتُ عَلَى دِينِي وَأَمْرِي، فَحَدِّثْنِي مِنْ ذَلِكَ بِشَيْءٍ، لَعَلَّ اللَّهَ أَنْ يَنْفَعَنِي بِهِ، فَقَالَ: «**لَوْ أَنَّ اللَّهَ عَذَّبَ أَهْلَ سَمَاوَاتِهِ وَأَهْلَ أَرْضِهِ، لَعَذَّبَهُمْ وَهُوَ غَيْرُ ظَالِمٍ لَهُمْ، وَلَوْ رَحِمَهُمْ لَكَانَتْ رَحْمَتُهُ خَيْرًا لَهُمْ مِنْ أَعْمَالِهِمْ، وَلَوْ كَانَ لَكَ مِثْلُ جَبَلِ أُحُدٍ ذَهَبًا، أَوْ مِثْلُ جَبَلِ أُحُدٍ تُنْفِقُهُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، مَا قُبِلَ مِنْكَ حَتَّى تُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ، فَتَعْلَمَ أَنَّ مَا أَصَابَكَ لَمْ يَكُنْ لِيُخْطِئَكَ، وَأَنَّ مَا أَخْطَأَكَ لَمْ يَكُنْ لِيُصِيبَكَ، وَأَنَّكَ إِنْ مُتَّ عَلَى غَيْرِ هَذَا دَخَلْتَ النَّارَ**»(٢).

وللإيمان بالقدر الأثر الكبير في تحقيق الرضا النفسي، فالعبد حينما يعلم أن رزقه لن يخطئه، وأن الذي فاته لن يحصل إلا بتقدير الله، حينها تسكن نفسه وتطمئن لأن أمرها بيد مالك الملك، وجبار السماوات والأرض ورحيمهما سبحانه وتعالى.

والله سبحانه يعلم بأفعال العباد قبل وجودها وبخلقها عند وجودها، لكن الإنسان حرٌّ في أفعاله، فاعل لأعماله، تصدر عنه تلك الأفعال، حقيقة بمحض حريّته واختياره، وتصرفات الإنسان الشخصية الواقعة في إطار التكليف والمسؤولية كلّها اختياريّة دون أن يتعارض ذلك مع القدر في شيء، لأنّ علم الله لا تأثير له في سلب حرية الإنسان واختياره، فإنّ لله مشيئته وللإنسان

---

(١) قاسم، منار القاري شرح مختصر صحيح البخاري (٥/ ٣٠٩).

(٢)أخرجه: أبي دواد، سنن أبي داود، كتاب السّنّة - باب في القدر – ح٤٦٨٥، (٤/٢٢٥). وابن ماجه، سنن ابن ماجه، المقدمة - باب في القدر – ح٧٧، (١/ ٢٩). كلاهما من طريق أبي سنان سعيد بن سنان، عَنْ وَهْبِ بْنِ خَالِدٍ الْحِمْصِيِّ، عَنِ ابْنِ الدَّيْلَمِيِّ. قال الألباني: "صحيح". وربما صححه لترجيحه بأن سعيد بن سنان ثقة فهو راو مختلف فيه.
والخلاصة بحال سنان كما لخصها ابن حجر "صدوق له أوهام"، انظر تقريب التهذيب (٢٢٧)، تهذيب الكمال (١٠/ ٤٩٢).
ورواه عن سنان: إسحاق بن سليمان وهو ثقة ينظر: تهذيب الكمال(٢ / ٤٢٩)، وسفيان الثوري الثقة ينظر تهذيب الكمال(١١ / ١٥٤)، والحديث جمع شروط الحديث الحسن.

مشيئته، ولا تعارض بين المشيئتين كما قال تعالى: {وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا} [الإنسان: ٣٠] (١).

وقد يحسب كثير من الناس أن معنى القضاء والقدر إجبار الله سبحانه العبد على ما قدره وقضاه، وليس الأمر كما يتوهمون، **وإنما معناه الإخبار عن تقدم علم الله سبحانه بما سيكون من اكتسابات العبد وخلقه لها خيرها وشرها**، وعلم الله سبحانه بما سيقع لا تأثير له في إرادة العبد، فإن العلم صفة انكشاف لا صفة تأثير(٢).

وقوله -صلّى الله عليه وسلّم-: ((**كل يعمل لما خلق له**)) يدل على أنه ينبغي للعبد الإكثار من الطاعات والاجتهاد في الأعمال الصالحة، فإنّ ذلك دليل السعادة، لأنّ عمل الإنسان علامة على ما يؤول إليه أمره غالبًا(٣).

وفي أثر الإيمان بالقدر على الرضا النفسي وبذل الأسباب والعمل يقول ابن القيم رحمه الله: "فاتفقت هذه الأحاديث ونظائرها على أن القدر السابق لا يمنع العمل ولا يوجب الاتكال عليه بل يوجب الجد والاجتهاد، ولهذا لما سمع بعض الصحابة ذلك قال ما كنت أشدّ اجتهادًا مني الآن، وهذا مما يدل على جلالة فقه الصحابة ودقة أفهامهم وصحة علومهم فإن النبي -صلّى الله عليه وسلّم- أخبرهم بالقدر السابق وجريانه على الخليقة بالأسباب، فإنّ العبد ينال ما قدر له بالسبب الذي أقدر عليه ومكّن منه وهيّأ له، فإذا أتى بالسبب أوصله إلى القدر الذي سبق له في أمّ الكتاب، وكلّما زاد اجتهادًا في تحصيل السبب كان حصول المقدور أدنى إليه، وهذا كما إذا قدر له أن يكون من أعلم أهل زمانه فإنّه لا ينال ذلك إلّا بالاجتهاد والحرص على التعلّم وأسبابه، وإذا قدر له أن يرزق الولد لم ينل ذلك إلّا بالنكاح أو التسرّي والوطء، وإذا قدر له أن يستغل من أرضه من المغل كذا وكذا لم ينله إلّا بالبذر وفعل أسباب الزرع، وإذا قدر الشبع والريّ فذلك موقوف على الأسباب المحصلة لذلك من الأكل والشرب واللّبس، وهذا شأن أمور المعاش والمعاد، فمن

---

(١) قاسم، منار القاري شرح مختصر صحيح البخاري (٥/ ٣١١).

(٢) ينظر: الخطابي، أبو سليمان حمد بن محمد بن إبراهيم بن الخطاب (ت ٣٨٨هـ)، **معالم السنن**، المطبعة العلمية - حلب ط١، ١٣٥١ هـ - ١٩٣٢ م، (٤/ ٣٢٢). قاسم، منار القاري شرح مختصر صحيح البخاري (٥/ ٣١١).

(٣) قاسم، منار القاري شرح مختصر صحيح البخاري (٥/ ٣١١).

عطل العمل اتكالًا على القدر السابق فهو بمنزلة من عطل الأكل والشرب والحركة في المعاش وسائر أسبابه اتكالا على ما قدر له"[١].

والرضا بالقضاء والقدر أصل في الحصول على السعادة، فقد اتفق علماء النفس وعلماء الفلسفة واللغة على أن الرضا يعد أهم مكونات السعادة إن لم يكن هو السعادة بذاتها، وفي الحديث الحث على العمل والنشاط مع ارتباط ذلك بعقيدة عظيمة تزكي نفس الإنسان وتقوده للطمأنينة والراحة والتوكل، والإنسان إذا تعلق قلبه بمن هو أقوى منه سكنت نفسه واطمأنت لعلمه أنه يركن إلى قوي جبار سبحانه، واشتغل بالأعمال الصالحة الخيرية التي هي سبيله للنشاط والحيوية والشعور بالإيجابية.

ويستفاد من هذه الأحاديث عدة مؤشرات للحصول على السعادة، وهي: الرضا، والعمل والنشاط، والتفاؤل، والتوكل، وضبط النفس، وحسن الظن بالله تعالى.

---

[١] ابن القيم، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (ت٧٥١هـ)، **شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل**، دار المعرفة، بيروت، لبنان - ط ١٣٩٨هـ/١٩٧٨م ،(ص: ٢٥).

- **أثر العمل الصالح والتفاؤل في طول العمر وتحقيق السعادة**

روي عن رَسُول اللَّهِ صلى الله عليه وسلم أنه قال: **((لَا تَمَنَّوْا الْمَوْتَ، فَإِنَّ هَوْلَ الْمَطْلَعِ شَدِيدٌ، وَإِنَّ مِنَ السَّعَادَةِ أَنْ يَطُولَ عُمْرُ الْعَبْدِ، وَيَرْزُقَهُ اللَّهُ الْإِنَابَةَ))**[١].

إن السعادة كل السعادة التامة الكاملة تكون بطول عمر الإنسان في طاعة الله، فإنه كلما طال ازداد من الطاعة فتكثر حسناته وترفع درجاته[٢]، والإنابة التوبة والرجوع إلى الله تعالى؛ لأنه يكثر من الطاعات ويتنوع في إدخار الحسنات[٣].

---

[١]أخرجه أبوعبد الله، أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني ت ٢٤١هـ، **مسند الإمام أحمد بن حنبل**، مسند جابر بن عبدالله، ح ١٤٦٠٤ ، مؤسسة قرطبة - القاهرة ، (٣/ ٣٣٢). من طريق كَثِيرُ بْنُ زَيْدٍ عن الْحَارِثُ بْنُ يَزِيدَ عن جَابِرَ بْنَ عَبْدِ اللهِ رضي الله عنه.
قال الهيثمي: "اسناده حسن". مجمع الزوائد ومنبع الفوائد: (١٠ / ٢٠٣)
مدار الحديث كثير بن زيد وهو راوي مختلف فيه خلاصة القول فيه صدوق يخطئ كما لخص القول فيه ابن حجر، انظر: تهذيب الكمال (٢٤/ ١١٣)، تهذيب التهذيب (٣٧٠/٨)، الجرح والتعديل (٧ / ١٥٠)، اختلف عنه في تعيين من روى عنه مرة قيل الحارث بن زيد ومرة الحارث بن أبي زيد ومرة سلمة بن أبي زيد.
وقال البخاري:"وسلمة لايصح ههنا" انظر البخاري، **التاريخ الكبير**، دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد - الدكن (٢/ ٢٨٥).
وقال الدارقطني: "الأول أصح" أي عن كثير بن زيد، عن الحارث ابن أبي يزيد، عن جابر. الدارقطني، علي بن عمر بن أحمد بن مهدي أبو الحسن(٣٨٥هـ)، **العلل الواردة في الأحاديث النبوية**، دار طيبة - الرياض، ط١، تحقيق: د. محفوظ الرحمن زين الله السلفي، (٣٥٧/١٣).
فالصحيح: ما رواه أبو عامر عبد الملك بن عمرو القيسي وهو ثقة ينظر تقريب التهذيب (ص: ٣٦٤).
لكن الحارث بن أبي يزيد مجهول الحال ذكر ابن حبان أنه يروي عَن جَابر بْن عَبْد الله، و روى عَنهُ مُحَمَّد بْن يحيى الْمدنِي وَكثير بْن زيد انظر ابن حبان، محمد بن حبان بن أحمد بن حبان بن معاذ بن مَعْبدَ، التميمي، أبو حاتم، الدارمي، البُستي (ت٣٥٤هـ)، الثقات، وزارة المعارف للحكومة العالية الهندية، دائرة المعارف العثمانية بحيدر آباد الدكن الهند، ط١-١٣٩٣هـ (٤/ ١٣٦).وذكره البخاري في التاريخ الكبير انظر البخاري، التاريخ الكبير (٢/ ٢٨٥). ولم أقف له على توثيق أو تضعيف، ولولا جهالته لكان الحديث حسنا، وللحديث شاهد أخرجه الترمذي من حديث عَبْدِ اللَّهِ بْنِ بُسْرٍ، أَنَّ أَعْرَابِيًّا، قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَنْ خَيْرُ النَّاسِ؟ قَالَ: " مَنْ طَالَ عُمُرُهُ وَحَسُنَ عَمَلُهُ " الترمذي، الجامع الكبير، أبواب الزهد – باب ما جاء في طول العمر للمؤمن – ح٢٣٢٩، (٤/ ١٤٣). وهو حديث حسن، وعند أحمد من حديث أبي بكرة أَنَّ رَجُلًا قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَيُّ النَّاسِ خَيْرٌ؟ قَالَ:" مَنْ طَالَ عُمْرُهُ وَحَسُنَ عَمَلُهُ "، قِيلَ: فَأَيُّ النَّاسِ شَرٌّ؟ قَالَ: " مَنْ طَالَ عُمْرُهُ وَسَاءَ عَمَلُهُ " أخرجه أبوعبدالله، مسند الإمام أحمد بن حنبل، حديث أبي بكرة نفيع بن الحارث بن كلدة، ح ١٧٧١٦ ، (٤/ ١٨٨). وهو حديث حسن أيضا، فيعتضد ما وافق هذه الأحاديث من متن حديث جابر رضي الله عنه ويرتقي للحسن لغيره، وللفظ "لَا تَمَنَّوُا الْمَوْتَ، فَإِنَّ هَوْلَ الْمَطْلَعِ شَدِيدٌ" شاهد في صحيح البخاري من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قول النبي صلى الله عليه وسلم «لاَ يَتَمَنَّى أَحَدُكُمُ المَوْتَ إِمَّا مُحْسِنًا فَلَعَلَّهُ يَزْدَادُ، وَإِمَّا مُسِيئًا فَلَعَلَّهُ يَسْتَعْتِبُ»أخرجه البخاري، الجامع الصحيح، كتاب التمني – باب ما يكره من التمني- ح (٦٨٠٨)، (٦/ ٢٦٤٤). وبهذا يرتقي متن الحديث للحسن لغيره والله أعلم.

[٢]المناوي،زين الدين محمد المدعو بعبد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي بن زين العابدين الحدادي ثم المناوي القاهري (ت ١٠٣١هـ)، **التيسير بشرح الجامع الصغير** ، مكتبة الإمام الشافعي – الرياض، ط٣، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م (٢٨٧/١)

[٣]الكحلاني، محمد بن إسماعيل بن صلاح بن محمد الحسني، الكحلاني ثم الصنعاني، أبو إبراهيم، عز الدين، المعروف كأسلافه بالأمير (١١٨٢هـ)، **التنوير شرح الجامع الصغير**، المحقق: د. محمَّد إسحاق محمَّد إبراهيم، مكتبة دار السلام، الرياض ط١- ١٤٣٢ هـ - ٢٠١١ م (٤/ ١٣٢).

ولا ريب أن طول عمر الإنسان من أسباب السعادة، خاصة حينما يرزقه الله الإنابة والطاعة، فتكثر حسناته وترتفع منزلته في الدارين، وفي الحديث دعوة للتفاؤل والأمل، وهذه الأمور من مؤشرات السعادة المهمة.

وقد أُثبتت دراسات علم النفس أن المتدينين أطول عمرا، وذلك لامتلاء حياتهم بالمشاعر الإيجابية والتفاؤل والأمل، وبالأنشطة الحيوية، وبشعورهم بالمعنى لحياتهم(١)، أما البعض اليوم فيبتعد عن تحقيق الإيمان وشرائع الدين وأركانه ويزعم بأنه مؤمن ولا يشعر بالسعادة والأمل، والبعض الآخر ييأس من الحياة ويتمنى الموت، وآخر يسعى للانتحار!!، لماذا نموت ببطء؟ لماذا نموت قبل الموت؟، لماذا اليأس والإحباط والتكاسل؟، إن الإيمان الحق يدفع للتفاؤل والأمل، يدفع العبد للإنجاز والعمل.

كثير من الأمراض النفسية كالقلق والاكتئاب والهم والانتحار يكون علاجها بالإيمان الصادق وفق منهج النبي صلى الله عليه وسلم، إن النبي صلى الله عليه وسلم ينهانا عن تمني الموت فكيف بمن يسعى له؟، بماذا ستلاقي ربك؟ هل ستنتهي الحياة إلى هذا الحد؟، إن المؤمن الحق يعلم أن هناك جنة أو نار، وأن الدار داريين دار دنيا ودار آخرة.

وفي هذا الحديث من الفقه أن النبي صلى الله عليه وسلم نهى ابتداء عن الموت واليأس وما يتبعه من اكتئاب أو ملل من الحياة الدنيا، ثم أشار الحبيب صلى الله عليه وسلم أن السعادة كل السعادة أن يطول عمر العبد بالطاعات، والإنابة أشمل من الطاعات حيث أنها تحمل معنى الطاعة وتحمل معنى الرجوع والتوبة بعد الخطأ، وهذا من رحمة الرب تبارك وتعالى بعباده، فالعبد ضعيف ولابد أن يلجأ إلى من هو أقوى منه ليكون لحياته معنى، وفي الإيمان والتقرب إلى الله تعالى بالأعمال الصالحة والدعاء والإنابة أفضل معنى للحياة الذي ينشده علماء النفس لسعادة الأفراد.

ومن ناحية نفسية متى كان العبد متفائلا إيجابيا استطاع التغلب على كل العناء النفسي الذي يؤثر سلبا على صحته الجسدية، وهذا الحديث يحمل في طياته التفاؤل والأمل، وبهذا فعلى المؤمن الحق أن يتفاءل ولا يلجأ لليأس والإحباط، بل يعمل ويجعل حياته مليئة بالأنشطة والاهتمامات القيمة التي تقوي روحه، وعليه أن يكون رجاعا إلى الله توابا وقافا على حدود الدين، إن الحياة

---

(١) ينظر: سيلجمان، السعادة الحقيقية (ص: ١٣-١٥)

أمل والإيمان فيه كل الأمل والتوسط والراحة والطمأنينة والسعادة، فلتحيا أيها العبد بالصالحات، ولتنتظر من الله سبحانه وتعالى أن يرزقك طول العمر والسعادة ما دمت سعيت ولم تتواكل.

- **أثر إشباع الرغبات الروحية، والملذات المادية في تحقيق السعادة**

قَالَ رَسُولُ اللهِ -صلّى اللهُ عَلَيْهِ وسلّم-: ((**أَرْبَعٌ مِنَ السَّعَادَةِ: الْمَرْأَةُ الصَّالِحَةُ ، وَالْمَسْكَنُ الْوَاسِعُ ، وَالْجَارُ الصَّالِحُ ، وَالْمَرْكَبُ الْهَنِيءُ ، وَأَرْبَعٌ مِنَ الشَّقَاوَةِ: الْجَارُ السُّوءُ ، وَالْمَرْأَةُ السُّوءُ ، وَالْمَسْكَنُ الضَّيِّقُ ، وَالْمَرْكَبُ السُّوءِ**))([١]).

وهذا الحديث من جوامع كلمه -صلّى الله عليه وسلّم- حيث أنه جمع بين الإشباع النفسي والمادي للفرد.

ومعنى هذا الحديث أي حصول هذه الأمور للعبد من أمارات سعادته، وفقدانها من شقاوته، فمن سعادة ابن آدم: الزوجة الصالحة وهي التي تسره إذا نظر وتحفظه إن غاب وتطيعه إن أمر، والمسكن الواسع بالنسبة إليه، ويختلف باختلاف الناس، والجار الصالح لما في ذلك من ألفة والأخوة، والمركب الهنيء السريع المريح وهو في الماضي الدابة المريحة أمّا الآن فتنوعت المركبات، وهذه الأشياء من سعادة الدنيا وقد تكون من سعادة الدين أيضًا فإنّ من رزق هذه

([١])أخرجه ابن حبان، محمد بن حبان بن أحمد بن حبان بن معاذ بن مَعْبدَ، التميمي، أبو حاتم، الدارمي، البُستي (ت٣٥٤هـ)، **صحيح ابن حبان** ، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، كتاب النكاح – باب ذكر الإخبار عن الأشياء التي هي من سعادة المرء في الدنيا، ح ٤٠٣٢، مؤسسة الرسالة – بيروت، ط٢ ١٤١٤، (٣٤٠/٩). من طريق الْفَضْلُ بْنُ مُوسَى، عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ سَعِيدِ بْنِ أَبِي هِنْدٍ ، عَنْ إِسْمَاعِيلَ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ ، عَنْ أَبِيهِ ، عَنْ جَدِّهِ.

مدار الحديث إسماعيل بن محمد وهو ثقة، ورجال إسناد ابن حبان كلهم ثقات، ينظر تقريب التهذيب (ص: ١٠٩، ٣٠٦، ٤٨٠،) ، وهذا الطريق أصح طريق في هذا الحديث.

وأخرج البزار، أبو بكر أحمد بن عمرو بن عبد الخالق بن خلاد (ت٢٩٢هـ)، **مسند البزار** - البحر الزخار، مكتبة العلوم والحكم - المدينة المنورة، ط١ ٢٠٠٩م، تحقيق: محفوظ الرحمن زين الله، وعادل بن سعد وصبري عبد الخالق الشافعي، مسند سعد بن أبي وقاص، (١٥/٤) الحديث من طريق خَالِدِ بْنِ عَبْدِ اللهِ الْوَاسِطِيِّ عن أَبِي إِسْحَاقَ الشَّيْبَانِيُّ عن أَبِي بَكْرِ بْنُ أَبِي مُوسَى وأعله بقوله: " وهذا الحديث إنما يعرف من حديث محمد بن أبي حميد، عن إسماعيل بن محمد بن سعد، عن أبيه، عن جده، وليس بهذا الإسناد ثبت، لم أر أحدا روى هذا الحديث أعتمد عليه، ولم يتابع محمد بن الحسن الكرماني عليه، ولا روى أبو بكر بن أبي موسى، عن محمد بن سعد، عن أبيه حديثا، وإنما تركناه لهذه العلة"،

وأخرج الحاكم، محمد بن عبد الله النيسابوري(٤٠٥هـ)، **المستدرك على الصحيحين**، دار الكتب العلمية - بيروت، ط١ ، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، كتاب النكاح، ح٢٦٨٤، (٢ / ١٧٥).الحديث مطولا من طريق البزار نفسه لكن بزيادة في الألفاظ ويستأنس به لولا التفرد، وبهذا لا يسلم إلا طريق الفضل بن موسى عن عبد الله عن إسماعيل وهو الصحيح الوارد ذكره في المتن.

الأمور طاب عيشه وكملت لذته، فقد تعينه على أمور دينه فتكون سعادة في الدين والدنيا، وقد لا فتكون سعادة دنيوية فقط[١].

والإنسان يدرك أن بهذه الأمور يرزق سعادة عظيمة، فالزوجة الصالحة مكسب وأي مكسب، تريح زوجها وتعينه وتحسن تربية أبنائه وتحسن عشرته وتصفح عن عثرته، والمسكن الواسع أفق ممتد للقلب، وراحة روحيّة وجسديّة، وفيه الفرح والسرور، والجار الصالح أخ معين وناصح قريب، والمركب الهنيء يسد حاجة المرء ويوصل له كل بعيد، وفي اجتماع هذه الأمور سعادة عظيمة يدرك العبد فيها حكمة الرسول -صلّى الله عليه وسلّم- من جمعهم معًا.

وسيرة النبي صلى الله عليه وسلم تعلمنا التوسط والاعتدال، وتعلمنا الاستعداد للآخرة مع عدم نسيان حظ الدنيا، وهذا الحديث فيه بيان توسط واعتدال الإسلام وأنه يشمل إشباع الحاجات الروحية والجسدية معا، وأن الإسلام دين السعادة والحياة والسرور.

وفي الحديث بيان أن السعادة في إشباع الجانب الروحي، كالمتعلق بالعلاقات الاجتماعية كالأسرة والجيرة والأصدقاء والتي تضفي لحياة الفرد المساندة والدعم والمتعة والسرور، وفي إشباع الملذات المادية، كالتي تكون في الزواج، أو المسكن الواسع أو المركب الهنيء، أي النعيم والرفاهية التي يعيشها الأفراد في حدود المعقول، والتي تجعل حياتهم طيبة وتعينهم على الطاعة أكثر، حيث سد الحاجات الحسية والتمتع بالنعيم والملذات المباحة بالقدر والكم المناسب ضمن قيد ضبط النفس، وهذه الأمور من مؤشرات السعادة في السّنّة النبوية.

- **أثر اجتناب الفتن والتحلي بالقيم، في تحقيق السعادة**

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم **((إِنَّ السَّعِيدَ لَمَنْ جُنِّبَ الْفِتَنَ، إِنَّ السَّعِيدَ لَمَنْ جُنِّبَ الْفِتَنَ، إِنَّ السَّعِيدَ لَمَنْ جُنِّبَ الْفِتَنَ ، وَلَمَنِ ابْتُلِيَ فَصَبَرَ فَوَاهًا))**[٢]. مَعْنى الفِتْنَةِ فِي كَلَام الْعَرَب الابْتَلاءُ

---

[١] ينظر بتصرف: الكحلاني، التنوير شرح الجامع الصغير (٦/ ٤٠٣)

[٢]أخرجه أبو داود، سنن أبي داود، كتاب الفتن والملاحم باب في النهي عن السعي في الفتنة ح(٤٢٦٣)، (١٠٢/٤). من طريق اللَّيْثُ بْنُ سَعْدٍ عن مُعَاوِيَةُ بْنُ صَالِحٍ عن عَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنَ جُبَيْرٍ حَدَّثَهُ عَنْ أَبِيهِ ، عَنِ الْمِقْدَادِ بْنِ الأَسْوَدِ رضي الله عنه. مدار الحديث على معاوية بن صالح وهو راوي مختلف فيه، قال علي بن المديني: سألت يحيى بن سعيد عنه فقال: "ما كنّا نأخذ عنه ذلك الزمان ولا حرفًا" ينظر الكامل في الضعفاء (٤٠٤/٦). وقال أبو إسحاق الفزاري: "ما كان بأهل أن يروى عنه" انظر ابن عساكر، أبو القاسم علي بن الحسن ابن هبة الله(ت٥٧١هـ)، تاريخ مدينة دمشق، (تحقيق: محب الدين أبي سعيد عمر بن غرامة العمري)، دار الفكر -بيروت -١٩٩٥م (٥٠/٥٩). وقال يعقوب بن شيبة: "وقد حمل الناس عن معاوية بن صالح ومنهم من يرى أنّه وسط ليس بالثبت ولا بالضعيف، ومنهم من يضعفه"، وقال الإمام أحمد: "خرج من حمص قديمًا وكان ثقة".تاريخ مدينة دمشق (٥٩/ ٥٠). وقال العجلي: ثقة. العجلي، أبو الحسن أحمد بن عبد الله بن صالح(ت٢٦١هـ)،

والامْتِحَانُ وَأَصلهَا مأخوذٌ من قَوْلك: فَتَنْتُ الفِضّةَ والذَّهَبَ إذا أذبتهما بالنَّار ليتميز الرَّدِيء من الجَيِّد(١)، والفتنة: ما يتبيّن به حال الإنسان من الخير والشرّ، يقال: فتنت الذهب بالنار، إذا أحرقته بها؛ لتعلم أنه خالص أو مشوب(٢).

يخبرنا عليه الصلاة والسلام أنّ الإنسان السعيد الذي جنب وبعد عن الفتن ووفّق للزوم بيته، وكرّر الجملة ثلاثًا للمبالغة والتأكيد، ويمكن أن يكون التكرار باعتبار أوّل الفتن وآخرها، ومن ابتلى وامتحن بالفتن فصبر على ظلم الناس له، وتحمّل أذاهم ولم يدفع عن نفسه ولم يحاربهم، فهو السعيد الذي حاز السعادة الحقة(٣).

وقوله -صلّى الله عليه وسلّم-: **"فواهًا"** معناه: التلهُّف، وقد يُوضَع موضعَ الإعجاب بالشيء والاستطابة له، وهو المراد هنا؛ أي: ما أحسنَ وأطيبَ صَبْرَ مَن صَبَرَ عليها! وقد يَرِدُ بمعنى: التوجُّع، وقيل: معناه: فطُوبَى له(٤).

والصبر - تأجيل الإشباع – من أهم مؤشرات السعادة في السّنّة النبوية التي يحتاجها المؤمن في كل أحواله، ففيه يضبط المؤمن نفسه، ويبتعد عن العناء النفسي، وسيأتي الحديث عنه في مباحث القيم.

والفتنة في الدين نوعان كما ذكر العلماء: فتنة الشبهات، وفتنة الشهوات.

- **فتنة الشبهات:** وأصلها من تقديم الرأي على الشرع، وهي تأتي من ضعف البصيرة، وقلّة العلم، ولا سيما إذا اقترن بذلك فساد القصد، وحصول الهوى، وفي هذا قال الله تعالى: {إِنْ هِيَ إِلَّا

معرفة الثقات من رجال أهل العلم والحديث ومن الضعفاء وذكر مذاهبهم وأخبارهم، ط١، (تحقيق: عبد العليم عبد العظيم البستوي)، مكتبة الدار -المدينة المنورة -السعودية -١٤٠٥هـ -١٩٨٥م (٢٨٤/٢). وقال أبو زرعة: "ثقة محدث" وقال أبو حاتم: "صالح الحديث حسن الحديث يكتب حديثه ولا يحتج به" الجرح والتعديل (٣٨٣/٨). وخلاصة حاله صدوق له أوهام ينظر المزي، تهذيب الكمال (٢٨/ ١٨٩). ابن حجر، تقريب التهذيب (ص: ٥٣٨). وباقي رجال الإسناد ثقات ينظر: ابن حجر، تقريب التهذيب (ص:٨٩، ١٥٣، ٤٦٤، ٣٣٨). (حسن)

(١) الأزهري، تهذيب اللغة (١٤/ ٢١١).

(٢) الجرجاني، علي بن محمد بن علي الزين الشريف الجرجاني (ت ٨١٦هـ)، **التعريفات**، المحقق: ضبطه وصححه جماعة من العلماء بإشراف الناشر، دار الكتب العلمية بيروت –لبنان، ط١، ١٤٠٣هـ -١٩٨٣م، (ص: ١٦٥)

(٣) ينظر: المناوي، التيسير بشرح الجامع الصغير (٢٨٧/١). القاري، علي بن سلطان محمد، أبو الحسن نور الدين الملا الهروي القاري(ت:١٠١٤هـ)، **مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح**، دار الفكر، بيروت – لبنان - ط١- ١٤٢٢هـ - ٢٠٠٢م (٨/ ٣٤٠١).

(٤)ابن الملك، محمَّدُ بنُ عزِّ الدِّينِ عبدِ اللطيف بنِ عبد العزيز بن أمين الدِّين بنِ فِرِشْتَا، الرُّوميُّ الكَرمانيّ، الحنفيُّ، المشهور بـ ابن المَلَك (ت ٨٥٤ هـ)، **شرح المصابيح شرح مصابيح السّنّة للإمام البغوي**، تحقيق ودراسة: لجنة مختصة من المحققين بإشراف: نور الدين طالب، إدارة الثقافة الإسلامية، ط١، ١٤٣٣ هـ - ٢٠١٢ م (٥/ ٥٠٩).

أَسْمَاءٌ سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَمَا تَهْوَى الْأَنْفُسُ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنْ رَبِّهِمُ الْهُدَى (٢٣)} [النجم: ٢٣]، وهذه الفتنة مآلها إلى الكفروالنفاق، وهي فتنة المنافقين، وفتنة أهل البدع، على حسب مراتب بدعهم، فجميعهم إنما ابتدعوا من فتنة الشبهات التي اشتبه عليهم فيها الحق بالباطل، والهدى بالضلال(١).

ولا يُنجي من هذه الفتنة إلا تجريد اتباع الرسول، وتحكيمه في أدق الدين وجلّه، ظاهره وباطنه، عقائده وأعماله، حقائقه وشرائعه، فيتلقى عنه حقائق الإيمان وشرائع الإسلام، وما يثبته الله من الصفات والأفعال، والأسماء، وما ينفيه عنه، كما يتلقى عنه وجوب الصلوات وأوقاتها وأعدادها، ومقادير نصب الزكاة ومستحقيها، ووجوب الوضوء والغسل من الجنابة، وصوم رمضان، فلا يجعله رسولًا في شيء دون شيء من أمور الدين، بل هو رسول في كل شيء تحتاج إليه الأمة في العلم والعمل، لا يُتلقى إلّا عنه، ولا يؤخذ إلا منه، فالهدى كله دائر على أقواله وأفعاله، وكلّ ما خرج عنها فهو ضلال، فإذا عقد قلبه على ذلك وأعرض عمّا سواه، ووزنه بما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم، فإن وافقه قبله، وإن خالفه ردّه، فهذا الذى ينجيه من فتنة الشبهات، وإن فاته ذلك أصابه من فتنتها بحسب ما فاته منه(٢).

- **فتنة الشهوات:** تأتي من تقديم الهوى على العقل، وقد جمع سبحانه بين ذكر الفتنتين في قوله: {كَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ كَانُوا أَشَدَّ مِنْكُمْ قُوَّةً وَأَكْثَرَ أَمْوَالًا وَأَوْلَادًا فَاسْتَمْتَعُوا بِخَلَاقِهِمْ فَاسْتَمْتَعْتُمْ بِخَلَاقِكُمْ كَمَا اسْتَمْتَعَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ بِخَلَاقِهِمْ وَخُضْتُمْ كَالَّذِي خَاضُوا أُولَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ} [التوبة: ٦٩] ، أي تمتعوا بنصيبهم من الدنيا وشهواتها، والخلاق هو النصيب المقدر، ثم قال وخضتم كالذي خاضوا فهذا الخوض بالباطل وهو الشبهات، فأشار سبحانه في هذه الآية إلى ما يحصل به فساد القلوب والأديان، من الاستمتاع بالخلاق، والخوض بالباطل، لأن فساد الدين إما أن يكون باعتقاد الباطل والتكلم به، أو بالعمل بخلاف العلم الصحيح(٣).

---

(١) ابن القيم، **إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان**، تحقيق: محمد حامد الفقي، الرياض: مكتبة المعارف، الرياض، المملكة العربية السعودية (٢/ ١٦٦).

(٢)ابن القيم، **إغاثة اللهفان** (٢/ ١٦٦)

(٣) المرجع السابق (٢/ ١٦٧).

وبكمال العقل والصبر تدفع فتنة الشهوة، وبكمال البصيرة واليقين تدفع فتنة الشبهة، وإذا سلم العبد من فتنة الشبهات والشهوات حصل له أعظم غايتين مطلوبتين، بهما سعادته وفلاحه وكماله، وهما: الهدى، والرحمة[١].

وهذه فتن في الدين، أما فتن الدنيا التي تصيب الإنسان من ابتلاءات ومصائب سيأتي الحديث عنها في مبحث العناء النفسي.

وإذا عرف الإنسان حال الدنيا وحقيقتها وأنها دار ابتلاء فانية، هانت عليه كل مصيبة وتعلق قلبه بالخالق، وامتلأت روحه رضا وقناعة، واستعد للدار الباقية مع عدم نسيان حظه من الدنيا، وفي الحديث بيان أن الدنيا لا تخلو من الفتن والابتلاءات والعناء، والسعادة كل السعادة في البعد عن هذه الفتن بأنواعها، والتغلب عليها بالصبر وضبط النفس وبالاتباع الحق للنبي صلى الله عليه وسلم، ولا يستطيع الإنسان الحصول على السعادة إلا باتباع الرسول صلى الله عليه وسلم خير البشرية الهادي إلى طريق السعادة والنجاة.

وخلاصة ذلك أن في هذا الحديث بيان فضيلة الصبر وضبط النفس، وفضيلة القيم الإسلامية التي يتعرف عليها العبد من منهج النبي صلى الله عليه وسلم، وهذه الأمور مؤشرات لسعادة العبد ونجاته في الدارين.

٢- الرضا

الرضا مصدر رَضِيّ، أي طيّب النفس، قانع بما لديه، وهو ضد السخط[٢]، ويكاد يتفق الفلاسفة وعلماء النفس أن السعادة هي الشعور بالرضى، وأن الرضى هو المكون الأساسي للسعادة.

ومن الأحاديث التي تحمل معنى الرضا، ما روي عَنِ النَّبِيِّ -صلّى اللهُ عَلَيْهِ وسلّم- أنه قَالَ: **((إِنَّ عِظَمَ الْجَزَاءِ مَعَ عِظَمِ الْبَلَاءِ، وَإِنَّ اللهَ إِذَا أَحَبَّ قَوْمًا ابْتَلَاهُمْ، فَمَنْ رَضِيَ فَلَهُ الرِّضَا وَمَنْ سَخِطَ فَلَهُ السُّخْطُ))**[٣]، وسيأتي شرح هذا الحديث.

---

[١] المجع نفسه (٢/ ١٦٨).

[٢] ينظر: ابن منظور، لسان العرب (١٤/ ٣٢٣). مختار، معجم اللغة العربية المعاصرة (٢/ ٩٠٤).

[٣] سبق تخريجه ص٣٦.

والشعور بالرضى يكون في مجالات الحياة كلها، فيرضى الإنسان بحياته كما هي، من أجل صحته النفسية وسعاته، وبهذا يكون أقرب لفظ للسعادة من الألفاظ النظيرة هو الرضى، لما تحمله السعادة من مشاعر الرضا الكبيرة، فإن كان الأمر خيرًا فخيرًا، وإن كان مالا تطيب به النفس فالرضا يمسح كل حزن ويرقى بالعبد لمنازل الصالحين المقربين، فاللهم اجعلنا من السعداء وارزقنا رضاك والجنة.

٣- السرور

السرور فرح وحبور، والسرور ارتياح ولذّة في القلب عند حصول نفع أو توقّعه أو اندفاع ضَرَرٍ[١]، والسرور من أكثر المشاعر الإيجابية المتعلقة بالسعادة، لما فيه من انفعالات وجدانية تحصل للسعيد.

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((**مَنْ سَرَّهُ أَنْ يُبْسَطَ لَهُ فِي رِزْقِهِ وَأَنْ يُنْسَأَ لَهُ فِي أَثَرِهِ، فَلْيَصِلْ رَحِمَهُ**))[٢].

ومعنى الحديث: أي من أفرحه أن يبسط ويبارك له في رزقه، وينسأ أي يأخر في أثره، وأثر الشيء هو ما يدل على وجوده ويتبعه والمراد به هاهنا الأجل، وسمي به لأنه يتبع العمر، فمن سره ذلك فليصل رحمه[٣].

---

[١] مختار، معجم اللغة العربية المعاصرة (٢/ ١٠٥٧). ينظر: الأزهري، تهذيب اللغة (١٢/ ٢٠٣)

[٢] أخرجه البخاري، الجامع الصحيح، كتاب الادب – باب من بسط له في الرزق بصلة الرحم – ح١٩٦١، (٧٢٨/٢). ومسلم، المسند الصحيح، كتاب البر والصلة - باب صلة الرحم وتحريم قطيعتها ح ٢٥٥٧، (٨/٨). من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

[٣] ينظر: الكرماني، محمد بن يوسف بن علي بن سعيد، شمس الدين الكرماني (ت ٧٨٦هـ)، **الكواكب الدراري في شرح صحيح** البخاري، دار إحياء التراث العربي، بيروت-لبنان، ط١- ١٣٥٦هـ - ١٩٣٧م (٢١/ ١٥٧).

والصلة: العطف والحنان والرحمة. وصلة الله لعباده رحمته لهم وعطفه بإحسانه، ونعمه عليهم، أو صلته له بأهل ملكوته، والرفيق الأعلى، وقربه منهم جل اسمه بعظيم منزلته عنده، وشرح صدره لمعرفته(١).

واختلفوا في الرحم، فقيل: كل ذي رحم محرم. وقيل: وارث. وقيل: هو القريب، سواء كان محرما أو غيره، ووصل الرحم تشريك ذوي القربى في الخيرات، وهو قد يكون بالمال وبالخدمة وبالزيارة ونحوها(٢).

"وإن قيل: أليس قد فرغ من الأجل والرزق؟(٣)

فالجواب من خمسة أوجه:

أحدها: أن يكون المراد بالزيادة توسعة الرزق وصحة البدن، فإن الغنى يسمى حياة، والفقر موتا. الثاني: أن يكتب أجل العبد مائة سنة ويجعل تزكيته تعمير ثمانين سنة، فإذا وصل رحمه زاده الله في تزكيته فعاش عشرين سنة أخرى.

الثالث: أن هذا التأخير في الأصل مما قد فرغ منه لكنه علق الأنعام به بصلة الرحم، فكأنه كتب أن فلانا يبقى خمسين سنة، فإن وصل رحمه بقي ستين سنة.

الرابع: أن تكون هذه الزيادة في المكتوب، والمكتوب غير المعلوم فما علمه الله تعالى من نهاية العمر لا يتغير، وما كتبه قد يمحى ويثبت.

الخامس: أن زيادة الأجل تكون بالبركة فيه وتوفيق صاحبه لفعل الخيرات وبلوغ الأغراض، فنال في قصر العمر ما يناله غيره في طويله".

---

(١) القاضي عياض، عياض بن موسى بن عياض بن عمرون اليحصبي السبتي، أبو الفضل (ت٥٤٤هـ)، **شَرْحُ صَحِيح مُسْلِمِ لِلقَاضِي عِيَاض المُسَمَّى إِكمَالُ المُعْلِمِ بفَوَائِدِ مُسْلِم**، المحقق: الدكتور يحْيَى إِسْمَاعِيل، دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع، مصر، ط١، ١٤١٩ هـ -١٩٩٨م (٨/ ٢٠).

(٢) العيني، أبو محمد محمود بن أحمد بن موسى بن أحمد بن حسين الغيتابى الحنفي بدر الدين العينى (ت ٨٥٥هـ)، **عمدة القاري شرح صحيح البخاري**، دار إحياء التراث العربي – بيروت (١١/ ١٨١).

(٣) المرجع السابق (١١/١٨١- ١٨٢)

وخلاصة ذلك كله أن الصلة والبر من أسباب السرور وسعة الرزق والبركة في العمر.

٤- الأمان

الأمان مصدر أَمِنَ/ أَمِنَ من، والأمان حالة هادئة ناتجة من عدم وجود خطر، ولفظ الأمان يحمل معنى الطمأنينة، والرعاية، والحفظ، والحماية[١]، وقول أمن من باب فَهِمَ وَسَلِمَ[٢]، والأمن هو عدم توقع مكروه في الزمن الآتي، وأصله طمأنينة النفس وزوال الخوف[٣]، وهو من عناصر السعادة المهمة والتي ركز عليها علماء النفس، وأحد جوانب الرضا التي يشعر بها الإنسان، وارتباط الأمن بالسعادة ارتباط وثيق لما له من تأثير على الشعور بالفرح والسرور.

ومن الأحاديث التي ورد فيها لفظ الأمان: ما روي عن النبي صلّى الله عليه وسلّم- أنه قال: ((**مَنْ أَصْبَحَ مِنْكُمْ آمِنًا فِي سِرْبِهِ مُعَافًى فِي جَسَدِهِ، عِنْدَهُ قُوتُ يَوْمِهِ فَكَأَنَّمَا حِيزَتْ لَهُ الدُّنْيَا**))[٤]

والأمان من النعم الكبيرة التي دلنا عليها النبي -صلّى الله عليه وسلّم-، وفيها سعادة الفرد والمجتمع، وهو من المؤشرات الهامة في تحديد السعادة، وسيأتي تفصيل هذا العنصر مع شرح للحديث في الفصل الثاني بإذن الله.

---

(١) مختار، معجم اللغة العربية المعاصرة (١/ ١٢٣).

(٢) الرازي، مختار الصحاح (ص: ٢٢).

(٣) المناوي، محمد عبد الرؤوف المناوي، **التوقيف على مهمات التعاريف**، دار الفكر المعاصر ، دار الفكر - بيروت ، دمشق، ط١ ، ١٤١٠ه، تحقيق : د. محمد رضوان الداية (ص: ٦٣).

(٤) سبق تخريجه ص٣٩.

٥- البشارة بالخير

البُشْرى خبر سارّ ومُفرِح لا يعْلَمه المُخْبَر به، وهي خير وسرور وحسن، قال تعالى: {قُلْ مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَى قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللَّهِ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدًى وَبُشْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ} [البقرة: ٩٧] (١).

تعتبر السعادة انعكاسًا لمعدلات تكرار الانفعالات السارة، والبشرى أحد الأمور التي تؤثر على انفعال الإنسان فيشعر بالسعادة، والبشرى لها أحوال كثيرة منها ما يكون في الدنيا، ومنها ما يكون في الآخرة وسيأتي تفصيل ذلك في الفصل الثالث.

ومن الأحاديث التي جاء فيها تبشير المؤمنين، قول الرسول صلى الله عليه وسلم ردا على سؤال أبي ذر: **((ذَلِكَ جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ، عَرَضَ لِي فِي جَانِبِ الْحَرَّةِ ، قَالَ: بَشِّرْ أُمَّتَكَ أَنَّهُ مَنْ مَاتَ لَا يُشْرِكُ بِاللهِ شَيْئًا دَخَلَ الْجَنَّةَ ، قُلْتُ: يَا جِبْرِيلُ ، وَإِنْ سَرَقَ وَإِنْ زَنَى ، قَالَ: نَعَمْ ، قَالَ: قُلْتُ: وَإِنْ سَرَقَ وَإِنْ زَنَى ، قَالَ: نَعَمْ ، وَإِنْ شَرِبَ الْخَمْرَ))**(٢).

البشارة اسم لخبر يغير بشرة الوجه مطلقا سارا أو محزنا لكن غلب استعماله في السرور، وصار اللفظ حقيقة له بحكم العرف حتى لا يفهم منه غيره واعتبر فيه الصدق فالمعنى العرفي للبشارة الخبر الصدق السارّ الذي ليس عند المخبر به علمه، وهذه بشارة عظيمة لأمة الاستجابة، فمن مات حال كونه لا يشرك بالله شيئا، مصدقا بكل ما جاء به النبي صلى الله عليه وسلم، وشهد أنه رسوله دخل الجنة، ولم يذكره اكتفاء بأحد الجزأين عن الآخر لما مّر، وإن ارتكب كل كبيرة فلا بدّ من دخوله إياها إمّا ابتداء إن عفي عنه أو بعد دخوله النار حسبما نطقت به الأخبار، و كرّر الاستفهام ثلاثا للاستثبات أو استعظاما لشأن الدخول مع ملابسة ذلك أو تعجبا ثم أكده بقوله:"وإن شرب الخمر"، واقتصر من الكبائر على ذينك لأنّ الحق إمّا لله أو للعبد فأشار بالزنا

---

(١) مختار، معجم اللغة العربية المعاصرة (١/ ٢٠٨). ينظر: الرازي، مختار الصحاح (ص: ٣٥)

(٢) أخرجه: البخاري، الجامع الصحيح، كتاب الرقاق – باب المكثرون هم المقلون – ح٦٠٧٨ ، (٥ / ٢٣٦٦) . ومسلم، المسند الصحيح، صحيح مسلم - كتاب الزكاة - باب الترغيب فِي الصدقة – ح٩٤، (٧٦/٣).

للأوّل وبالسرقة[١]، ورتب دخول الجنة على الموت بغير اشراك بالله وقد ثبت الوعيد بدخول النار لمن عمل بعض الكبائر وبعدم دخول الجنة لمن عملها فلذلك وقع الاستفهام[٢].

والبشريات التي بشرنا بها النبي صلى الله عليه وسلم كثيرة سيأتي تفصيلها في الفصل الثالث بإذن الله.

٦- حصول البركة

البَرَكَة نماء وخير ونعمة إلهيَّة، وهي زيادة، وسعادة، وقول عبارة: "على بركة الله وببركة الله" هي عبارة تقال تيمّنًا بالخير[٣]، وتحمل البركة معاني كثيرة تؤدي للسعادة، ويكفي أنها نعمة إلهيّة تصيب العبد بما فيها من الخير والزيادة، والإنسان إذا عمل الصالحات يشعر ببركة هذه الأعمال الفضيلة، والفضائل هي مفاتيح السعادة كما قرر ذلك العلماء، وتعتبر البركة من الجانب المعرفي الذي يدركه السعيد في حياته من خلال ما يحصل له من توفيق ومعاونة وزيادة.

ومن الأحاديث التي تحمل معنى البركة: حديث أَبي أُمَامَةَ الْبَاهِلِيُّ، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ - صلّى اللهُ عَلَيْهِ وسلّم-، يَقُولُ: ((اقْرَءُوا الْقُرْآنَ فَإِنَّهُ يَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ شَفِيعًا لِأَصْحَابِهِ، اقْرَءُوا الزَّهْرَاوَيْنِ الْبَقَرَةَ، وَسُورَةَ آلِ عِمْرَانَ، فَإِنَّهُمَا تَأْتِيَانِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَأَنَّهُمَا غَمَامَتَانِ، أَوْ كَأَنَّهُمَا غَيَايَتَانِ، أَوْ كَأَنَّهُمَا فِرْقَانِ مِنْ طَيْرٍ صَوَافَّ، تُحَاجَّانِ عَنْ أَصْحَابِهِمَا، اقْرَءُوا سُورَةَ الْبَقَرَةِ، **فَإِنَّ أَخْذَهَا بَرَكَةٌ**، وَتَرْكَهَا حَسْرَةٌ، وَلَا تَسْتَطِيعُهَا الْبَطَلَةُ)). قَالَ مُعَاوِيَةُ: بَلَغَنِي أَنَّ الْبَطَلَةَ: السَّحَرَةُ[٤]، هنا يقرر النبي صلى الله عليه وسلم أن قراءة القرآن الكريم تؤدي إلى البركة التي فيها الخير والسعادة، خاصة المواظبة على تلاوة سور البقرة وآل عمران والتدبر في معانيها والعمل بما

---

(١) ينظر: المناوي، التيسير بشرح الجامع الصغير (١/ ٣٧).

(٢) ابن حجر، فتح الباري (١١/ ٢٦٧).

(٣) مختار، معجم اللغة العربية المعاصرة (١/ ١٩٤). ينظر: ابن فارس، مقاييس اللغة (١/ ٢٣٠).

(٤) أخرجه مسلم، المسند الصحيح، كتاب صلاة المسافرين وقصرها - باب فضل قراءة القرآن وسورة البقرة ح(٨٠٤)، (١/٥٥٣) من حديث أبي أمامة الباهلي رضي الله عنه.

فيها فإنه بركة، أي زيادة ونماء ومنفعة عظيمة[١]، والعبد يشعر ببركة القرآن والأعمال الصالحة في حياته، وما يناله من هذه البركة من توفيق وخير وطمأنينة وزيادة.

وفي هذا الحديث إثبات أن قراءة القرآن من مؤشرات السعادة الضرورية، والتي تؤثر على شعور العبد وانفعالاته، ففي قراءة القرآن يجد العبد حلاوة ولذة وانشراح، وسيأتي تفصيل ذلك في الفصل الثاني بإذن الله.

---

(١) المباركفوري، أبو الحسن عبيد الله بن محمد عبد السلام بن خان محمد بن أمان الله بن حسام الدين الرحماني المباركفوري (ت ١٤١٤هـ)، **مرعاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح**، إدارة البحوث العلمية والدعوة والإفتاء - الجامعة السلفية - بنارس الهند، ط٣ - ١٤٠٤ هـ، ١٩٨٤ م (٧/ ١٨٩).

٧- البحبوحة ورغد العيش

البُحْبوحَة سعةُ العَيْش ولينُه، وهي نعمةٌ وافرة[١]، والبحبحة والتبحبح التمكن في الحلول والمقام[٢]، والبحبوحة من الملذات المادية التي تؤدي للسعادة، وورد لفظ بحبوحة مرة واحدة في السّنّة النبوية، في حديث يقررها في الآخرة جزاءً لمن التزم جماعة المسلمين وصفهم، أي من حافظ على مجتمعه، وسعى للصف الواحد، وأن يكون فردًا صالحًا على نهج النبي صلى الله عليه وسلم وصحابته الكرام، فذلك الذي له سعة العيش والنعم الوافرة في الجنة.

وجاءت هذه المعاني فيما رواه ابن عُمَرَ قَالَ: خَطَبَنَا عُمَرُ بِالجَابِيَةِ فَقَالَ: يَا أَيُّهَا النَّاسُ، إِنّي قُمْتُ فِيكُمْ كَمَقَامِ رَسُولِ اللهِ -صلّى اللَّهُ عَلَيْهِ وسلّم- فِينَا فَقَالَ: ((**أُوصِيكُمْ بِأَصْحَابِي، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ يَفْشُو الكَذِبُ حَتَّى يَحْلِفَ الرَّجُلُ وَلاَ يُسْتَحْلَفُ، وَيَشْهَدَ الشَّاهِدُ وَلاَ يُسْتَشْهَدُ، أَلاَ لاَ يَخْلُوَنَّ رَجُلٌ بِامْرَأَةٍ إِلاَّ كَانَ ثَالِثَهُمَا الشَّيْطَانُ، عَلَيْكُمْ بِالجَمَاعَةِ وَإِيَّاكُمْ وَالفُرْقَةَ فَإِنَّ الشَّيْطَانَ مَعَ الوَاحِدِ وَهُوَ مِنَ الاِثْنَيْنِ أَبْعَدُ، مَنْ أَرَادَ بُحْبُوحَةَ الجَنَّةِ فَلْيَلْزَمُ الجَمَاعَةَ، مَنْ سَرَّتْهُ حَسَنَتُهُ وَسَاءَتْهُ سَيِّئَتُهُ فَذَلِكَ الْمُؤْمِنُ**)) [٣]،والمراد بالجماعة كما ذكر العلماء: السواد الأعظم وما عليه الجمهور من الصحابة والتابعين والسلف[٤]، فمن أراد سعة العيش والنعيم في الجنة فعليه بجماعة المسلمين، بتحقيق مبدأ التعاون والإخاء، المبدأ الذي يصنع المجتمع المسلم السعيد.

---

(١) مختار، معجم اللغة العربية المعاصرة (١/ ١٦١).

(٢) الرازي، مختار الصحاح (ص: ٢٩)

(٣)أخرجه الترمذي، الجامع الكبير، كتاب الفتن عن رسول الله صلى الله عليه وسلم باب ما جاء في لزوم الجماعة ح(٢١٦٥)، (٣٥/٤). من طريق النضر بن إسماعيل عن محمد بن سوقة عن عبد الله بن دينار عن ابن عمر رضي الله عنه.
وقال الترمذي: "هذا حديث حسن صحيح غريب من هذا الوجه وقد رواه ابن المبارك، عن محمد بن سوقة، وقد روي هذا الحديث من غير وجه عن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم".
وقال الملا علي قاري: "إسناده صحيح ورجاله رجال الصحيح إلا إبراهيم بن الحسن الخثعمي فإنه لم يخرج له الشيخان وهو ثقة ثبت ذكره الجزري فالحديث بكماله إما صحيح أو حسن". تحفة الأحوذي (٦/ ٣٢١)
والنَّضْرُ ليس بقوي، انظر تقريب التهذيب(ص:٥٦١)، لكن تابعه ابن المبارك ثقة ثبت في صحيح ابن حبان ح٧٢٥٤، (١٦/٢٤١)، انظر تقريب التهذيب (ص:٣٢٠)، وباقي رجال الاسناد ثقات، والحديث جمع باقي شروط الصحة، وهو صحيح، ينظر: تهذيب الكمال(١٤ / ٤٧١)، (٣٣٣/٢٥)، (٣٧٢/٢٩).

(٤) ابن ملك، شرح المصابيح (٦/ ٣٩٩).

وفي هذا الحديث تأكيد على تأثير الجانب الاجتماعي في تحقيق سعادة العبد، فالانتماء للجماعة مصدر من مصادر السعادة التي تؤثر إيجابا على انفعالاته وشعوره، وهو مؤشر مهم جدا، وفيه بيان ارتباط السرور والسعادة بالطاعات والخيرات، وهي مؤشرات مهمة أيضا.

٨- البهجة

البَهْجَة الفرح والسرور والْحُسْنُ، وابتهج القلبُ: أي امتلأ بالبهجة والسرور[١]، والبهجة من حالات الانفعال التي تندرج تحت الجانب النفس حركي، الذي يعبر به السعيد عن سعادته سواء بالكلام أو الأفعال أو تعبيرات الوجه، وورد لفظ البهجة مرّة واحدة في السّنّة النّبويّة في حديث آخر أهل النار دخولا للجنة، في قوله صلى الله عليه وسلم: ((**فَإِذَا أَقْبَلَ بِهِ عَلَى الجَنَّةِ، رَأَى بَهْجَتَهَا**)) [٢] أي حسنها ونضارتها[٣]، والبهجة في هذا الحديث تعبير عما في الجنة من السعادة والفرح والحبور، وفي الحديث إشارة أن من كمال السعادة والسرور والابتهاج الفوز بالجنة دار السعداء.

٩- التوفيق

التوفيق مصدر وفَّقَ، وهو سدّ طريق الشّرّ وتسهيل طريق الخير[٤]، وقول: وفقت أمرك، أي صادفته موافقا وهو من التوفيق كما يقال رشدت أمرك، والوفق: من الموافقة بين الشيئين كالالتحام، ووفقه أي ألهمه، وفهمه[٥]، ويتعلق التوفيق بالجانب المعرفي من السعادة فيما يدركه السعيد من متعة ونجاح وتوفيق، ومن وفق للخير وسهلت أموره، فلا ريب أن ذلك يولد عنده مشاعر السعادة والفرح والاطمئنان، وقد أكد العلماء أن السعادة في حصول الخيرات.

---

[١] ينظر: الرازي، مختار الصحاح (ص: ٤١). مختار، معجم اللغة العربية المعاصرة (١/ ٢٥٤).

[٢] أخرجه البخاري، الجامع الصحيح، كتاب صفة الصلاة - باب فضل السجود ح(٧٧٣)، (١/٢٧٧) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، وهو حديث طويل وفيه "..فَإِذا أَقْبَلَ بِهِ عَلَى الجَنَّةِ، رَأَى بَهْجَتَهَا سَكَتَ مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَسْكُتَ..".

[٣] الكرماني، الكواكب الدراري في شرح صحيح البخاري (٥/ ١٦٤).

[٤] مختار، معجم اللغة العربية المعاصرة (٣/ ٢٤٧٤).

[٥] ابن منظور، لسان العرب (١٠/ ٣٨٢).

وقَالَ رَسُولُ اللهِ -صلّى اللَّهُ عَلَيْهِ وسلّم-: ((إِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِعَبْدٍ خَيْرًا اسْتَعْمَلَهُ فَقِيلَ: كَيْفَ يَسْتَعْمِلُهُ يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: **"يُوَفِّقُهُ لِعَمَلٍ صَالِحٍ قَبْلَ الْمَوْتِ))**(١)، وهذا حديث عظيم فيه أن تسهيل العمل الصالح للإنسان خير ومنفعة، وفيه تأكيد أن الأعمال الصالحة مؤشر قوي للشعور بالسعادة.

١٠- الحلاوة

الحلو: نقيض المر، والحلاوة ضد المرارة، والحلو كل ما في طعمه حلاوة، والبناء للمبالغة في الأمر، والحُلْوُ ما تستحْليه العين(٢).

وقال ابن فارس:"حَلَوَ، الْحَاءُ وَاللَّامُ وَمَا بَعْدَهَا مُعْتَلٌّ، ثَلَاثَةُ أُصُولٍ: فَالْأَوَّلُ طِيبُ الشَّيْءِ فِي مَيْلٍ مِنَ النَّفْسِ إِلَيْهِ، وَالثَّانِي تَحْسِينُ الشَّيْءِ، وَالثَّالِثُ - وَهُوَ مَهْمُوزٌ - تَنْحِيَةُ الشَّيْءِ"(٣).

والحلاوة من الملذات التي ترتبط ارتباط وثيق بالسعادة، ولها تأثير وجداني على العبد، وفي هذا جاء قول الرسول الله صلى الله عليه وسلم: **((ثَلَاثٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ وَجَدَ حَلَاوَةَ الْإِيمَانِ : أَنْ يَكُونَ**

---

(١)أخرجه، الترمذي، الجامع الكبير، كتاب القدر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم -باب ما جاء أن الله كتب كتابا لأهل الجنة وأهل النار -ح(٢١٤٢) ، (١٨/٤)، من طريق إسماعيل بن جعفر عن حميد الطويل بهذا اللفظ، عن أنس رضي الله عنه. والرواية في هذا الحديث تدور على المعنى منهم من رواه بهذا اللفظ، ومنهم من رواه بنحوه مطولا، ومنهم من رواه بمعناه. وقال الترمذي:"هذا حديث حسن صحيح". وقال الهيثمي: رجاله رجال الصحيح، مجمع الزوائد ومنبع الفوائد: (٧ / ٢١١). وقال الألباني: "صحيح".

وإسماعيل ثقة. تهذيب التهذيب(١/ ٢٨٧)، وحميد ثقة مدلس وعابه زائدة لدخوله في شيء من أمر الأمراء انظر تقريب التهذيب (ص:١٨١)، وقال ابن حجر:حميد الطويل صاحب أنس مشهور كثير التدليس عنه حتى قيل ان معظم حديثه عنه بواسطة ثابت وقتادة ووصفه بالتدليس النسائي وغيره وقد وقع تصريحه عن أنس بالسماع وبالتحديث في أحاديث كثيرة في البخاري وغيره"، ووضعه في المرتبة الثالثة وفيها من أكثر من التدليس فلم يحتج الائمة من أحاديثهم الا بما صرحوا فيه بالسماع ومنهم من رد حديثهم مطلقا ومنهم من قبلهم. انظر طبقات المدلسين = تعريف أهل التقديس بمراتب الموصوفين بالتدليس (ص: ٣٨)، وقال أبو داود قال حماد بن سلمة: عامة ما يروي حميد عن أنس لم يسمع منه إنما عامتها سمعه من ثابت. انظر شرح علل الترمذي (٢/ ٨٤٧)، وذكر العلائي أن حميد الطويل كان يدلس وقال مؤمل بن إسماعيل عامة ما يرويه حميد عن أنس سمعه من ثابت يعني البناني عنه وقال أبو عبيدة الحداد عن شعبة لم يسمع حميد من أنس إلا أربعة وعشرين حديثا والباقي سمعها من ثابت أو ثبته فيها ثابت، قال العلائي فعلى تقدير أن يكون مراسيل قد تبين الواسطة فيها وهو ثقة محتج به. انظر جامع التحصيل (ص: ١٦٨)، تهذيب التهذيب (٣/ ٤٠)، وبهذا فإن أحاديث حميد عن أنس قبلها العلماء لمعرفة الواسطة فيها وهو ثابت البناني.

(٢) ينظر: ابن منظور، لسان العرب (١٤/ ١٩١). الأزهري، تهذيب اللغة (٥/ ١٥١). الرازي، مختار الصحاح (ص: ٨٠).

(٣) ابن فارس، مقاييس اللغة (٢/ ٩٤)

اللهُ وَرَسُولُهُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِمَّا سِوَاهُمَا ، وَأَنْ يُحِبَّ الْمَرْءَ لَا يُحِبُّهُ إِلَّا لِلهِ ، وَأَنْ يَكْرَهَ أَنْ يَعُودَ فِي الْكُفْرِ كَمَا يَكْرَهُ أَنْ يُقْذَفَ فِي النَّارِ))(١).

هذا حديث عظيم وأصل من أصول الدين، ومعنى حلاوة الإيمان أي استلذاذ الطاعات وتحمل المشاق في الدين وإيثار ذلك على أعراض الدنيا، ومحبة العبد لله تحصل بفعل طاعته وترك مخالفته وكذلك الرسول، وإنما قال مما سواهما ولم يقل ممن ليعم من يعقل ومن لا يعقل(٢).

و في الحديث من السعادة القدر الأكبر، فمن أراد التلذذ بحلاوة الإيمان والشعور بالسعادة الحقيقية عليه بثلاثة خصال تضمن له السعادة بإذن الله، وهي في مقدمة مؤشرات السعادة:

أن يكون الله سبحانه وتعالى، ورسوله صلى الله عليه وسلم أحب شيء في نفسه.

أن يحب لله، وفي الله، فتكون حياته كلها لله.

وأن يستشعر نعمة الإيمان، فيكره العودة للكفر كما يكره الوقوع في النار.

وذلك أنه لا تتضح محبة الله ورسوله حقيقة، والحب للغير في الله وكراهة الرجوع إلى الكفر، إلا لمن قوى بالإيمان يقينه، واطمأنت به نفسه، وانشرح له صدره، وخالط دمه ولحمه، وهذا هو الذي وجد حلاوته، والحب في الله من ثمرات الحب لله(٣).

ومعنى حب العبد لله: استقامته في طاعته، والتزامه أوامره ونواهيه في كل شيء ولهذا قال بعضهم: المحبة مواطأة القلب على ما يرضى الرب، فيحب ما أحب ويكره ما كره، وأما المحبة للرسول فيصح منه الميل؛ إذ ميل الإنسان لما يوافقه إما لأنه يستلذه ويستحسنه كالمستلذات بالحواس الظاهرة أو يستلذه بحاسة عقله من المعاني الباطنة الجميلة والأخلاق الرفيعة، أو ميله لمن يحسن إليه وينعم عليه، ويدفع المضار والمكاره عنه، فقد جبلت النفوس على حب من أحسن

---

(١) أخرجه: البخاري، الجامع الصحيح، كتاب الإيمان - باب حلاوة الإيمان – ح١٦ ، (١٤/١) وح ٥٦٩٤، ٦٥٤٢. ومسلم، المسند الصحيح، كتاب الإيمان، باب بيان خصال من اتصف بهن وجد حلاوة الإيمان، ح٤٣، (٤٨/١). من حديث أنس رضي الله عنه.

(٢) ينظر: ابن حجر، فتح الباري لابن حجر (١/ ٦١).

(٣) القاضي عياض، إكمال المعلم بفوائد مسلم (١/ ٢٧٨).

إليها، و الإنسان إذا رضى أمرا واستحسنه سهل عليه أمره، ولم يشق عليه شيء منه، فكذلك المؤمن إذا دخل قلبه الإيمان، سهلت عليه طاعات ربه ولذت له، ولم يشق عليه معاناتها(١).

١١- الخير

الخير أصله من العطف والميل، ثم يحمل عليه، وهو خلاف الشر(٢)، والخير: حَسَنٌ لذاته أو لما يحقّقه من نفع وصلاح أو سعادة.(٣)

اتفق الفلاسفة أن الحصول على الخير سعادة، وأن اتباع طريق الفضيلة والخير سعادة كما تقدم، فالإنسان إذا حصل له النفع فلا ريب أنه يشعر بالسعادة لما يدركه من النفع الحاصل له، وكذلك إذا نفع غيره فهو أيضا يشعر بالسعادة لما يترتب عن ذلك النفع من شعور غيره بالسعادة مما ينعكس على شعوره وانفعاله، وقال الرسول -صلّى اللهُ عَلَيْهِ وسلّم-: ((حُوسِبَ رَجُلٌ مِمَّنْ كَانَ قَبْلَكُمْ، **فَلَمْ يُوجَدْ لَهُ مِنَ الْخَيْرِ شَيْءٌ إِلَّا أَنَّهُ كَانَ يُخَالِطُ النَّاسَ**، وَكَانَ مُوسِرًا، فَكَانَ يَأْمُرُ غِلْمَانَهُ أَنْ يَتَجَاوَزُوا عَنِ الْمُعْسِرِ. قَالَ: قَالَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: نَحْنُ أَحَقُّ بِذَلِكَ مِنْهُ ، تَجَاوَزُوا عَنْهُ)) (٤)، فهذا الانسان الذي امتدحه الرسول صلى الله عليه وسلم بما حصل له من التجاوز عنه يوم القيامة والحصول على السعادة الأخروية، لم يكن له خير وسبب لهذه السعادة إلا أنه كان يخالط الناس أي يصبر على أذاهم ويتعايش معهم، فهو هين سهل لين، وكان كذلك موسرا فيتجاوز عن المعسر، وجزاء لهذه الأعمال الخيرة تجاوز الله عنه وفاز في الآخرة، ومخالطة الناس بذكاء وجداني ومرونة من مؤشرات تحقيق النجاح في الحياة الاجتماعية، والفعل الخيّر مؤشر قوي للسعادة الحقيقية.

---

(١) ينظر: القاضي عياض، إكمال المعلم بفوائد مسلم (١/٢٧٠، ٢٧٨ ، ٢٧٩) .

(٢) ابن فارس، مقاييس اللغة (٢/ ٢٣٢)

(٣) مختار، معجم اللغة العربية المعاصرة (١/ ٧١٢).

(٤) أخرجه مسلم، المسند الصحيح، كتاب المساقاة - باب فضل إنظار المعسر ح(١٥٦١)، (٣/١١٩٥) من حديث أبي مسعود رضي الله عنه.

١٢- الراحة

الراحة: هي راحة البال بما تشمله من طمأنينة النَّفس، والخلوّ من الهم، ومن معاني الراحة أيضًا الهدوء النفسي، والانشراح، والتسلية، والخفة([١])، وكل هذه المشاعر التي تشملها الراحة، هي مشاعر إيجابية وانفعالات سارة، تؤدي للسعادة.

وقال رَسُول اللهِ -صلّى اللهُ عَلَيْهِ وسلّم-: ((**قُمْ يَا بِلَالُ، فَأَرِحْنَا بِالصَّلَاةِ**))([٢])، فجعل النبي صلى الله عليه وسلم الصلاة وما فيها من مناجاة وتعبد لله تعالى سبب للراحة، لما فيها من تلبية حاجات النفس بتقربها من خالقها وصلتها به سبحانه.

والصلاة صلة بين العبد وخالقه، الذي يعلم بكل أموره صغيرها وكبيرها، والذي يملك سبحانه الأمر كله، فالإنسان إذا استشعر أن هذه الصلاة التي يكررها في اليوم هي أساس ومصدر لسعادته، سيتعلق قلبه بها وستكون هي المستراح له من هم الدنيا ومشاغلها، لأن فيها يذكر ربه ويثني عليه بما هو أهله، ويتقرب ويتذلل إليه، ويخبر ربه تبارك وتعالى عما جرى له في يومه، ويسأله العافية في الدنيا والآخرة، ويتذلل له في سجوده وركوعه وخشوعه، وبهذه الحركات والسكنات والأذكار مشاعر إيجابية تضفي على قلب العبد الراحة والسكون، فالإنسان بطبعه يحب الأقوى منه ويلجأ إليه، وإذا تقرب إليه أحس بالفرح والسرور، والإنسان كذلك يحتاج أن يملأ قلبه بحبٍ يجعله مرتاحًا ومطمئنًا، ويحتاج أن يفضفض عن همومه، وأفضل من يسمع العبد ويعينه هو الله سبحانه وتعالى، لذلك كانت الصلاة قرة عين المحبين، وراحة للسعداء المقربين، والعبد إذا لم يعمر قلبه بمحبة الرب المحبوب الأعظم تاهت روحه، وصارت جائعة تبحث عن حاجتها المفقودة.

([١]) ينظر: ابن منظور، لسان العرب (٢/ ٤٦١)، مختار، معجم اللغة العربية المعاصرة (٢/ ٩٥٥).

([٢])أخرجه أبو داود، السنن، كتاب الأدب -باب في صلاة العتمة ح(٤٩٨٥)،(٢٩٦/٤) من طريق طريق إسرائيل بن يونس عن عُثْمَانَ بْنِ الْمُغِيرَةِ ، عَنْ سَالِمِ بْنِ أَبِي الْجَعْدِ ، عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ مُحَمَّدِ ابْنِ الْحَنَفِيَّةِ.
وكل رجال الإسناد ثقات والحديث صحيح جمع شروط الصحة. ينظر: تهذيب الكمال (٢ / ٥١٥)، (١٩ / ٤٩٧)، (١٠ / ١٣٠)، (١٦ / ٨٥)، وقال الألباني: "صحيح".

وروي بالأثر قول قَسَامَة بْنِ زُهَيْرٍ: ((**رَوِّحُوا الْقُلُوبَ تَعِي الذِّكْرَ**)) [(١)]،أي أريحوها بعض الأوقات من مكابدة العبادات بمباح لا عقاب فيه ولا ثواب، فإن هذه الاستراحة بالمباح تنشط العبد للعبادة[(٢)].فالإسلام دين الوسطية والاعتدال واليسر، نعم تحتاج النفس بعض الاستراحات بالمباحات حتى ترجع للطاعة بهمة عالية، ونفس تواقة، لكن بهذا الزمن والله المستعان صار البعض يظن أن هذه الاستراحات هي أصل سعادته، وفاضل وقته لأداء الفرائض، ومن كانت هذه حاله فلن يهنأ بالسكينة والطمأنينة والانشراح، ولن يذوق طعم السعادة الحقيقية.

١٣- الزيادة

الأصل في الزيادة الفضل، وهي نموّ وارتفاع وكثرة وعطاء وتحصيل[(٣)]، والزيادة تدخل بمفهوم السعادة بما يدركه السعيد من نفع ونمو وكثرة تحصل له.

ومن الأحاديث التي ورد فيها هذا اللفظ: حديث أَبي كَبْشَةَ الْأَنْمَارِيُّ، أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللهِ -صلّى اللهُ عَلَيْهِ وسلّم- يَقُولُ: ((**ثَلَاثَةٌ أُقْسِمُ عَلَيْهِنَّ وَأُحَدِّثُكُمْ حَدِيثًا فَاحْفَظُوهُ قَالَ: مَا نَقَصَ مَالُ عَبْدٍ مِنْ صَدَقَةٍ، وَلَا ظُلِمَ عَبْدٌ مَظْلَمَةً فَصَبَرَ عَلَيْهَا إِلَّا زَادَهُ اللهُ عِزًّا، وَلَا فَتَحَ عَبْدٌ بَابَ مَسْأَلَةٍ إِلَّا فَتَحَ اللهُ عَلَيْهِ بَابَ فَقْرٍ، أَوْ كَلِمَةً نَحْوَهَا**))[(٤)]، وفي هذا الحديث بيان أن الصبر على المظلمة، والإنفاق على الناس يزيد العبد زيادة معنوية برفع شأنه، وزيادة مادية التي تتمثل في البركة بماله.

---

(١) ابن حجر، **المطالب العالية بزوائد المسانيد الثمانية**، دار العاصمة، دار الغيث – السعودية، ط١- ١٤١٩هـ، كتاب العلم- باب ترويح القلوب لتعي - رقم ٣١٠٢ ،(٢٢/١٣).

(٢) الكحلاني، التنوير شرح الجامع الصغير (٦/ ٢٧٥).

(٣) ينظر: ابن فارس، مقاييس اللغة (٣/ ٤٠). مختار، معجم اللغة العربية المعاصرة (٢/ ١٠١٥).

(٤)أخرجه الترمذي، الجامع الكبير، كتاب الزهد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم باب ما جاء مثل الدنيا مثل أربعة نفر ح(٢٣٢٥)، (١٤٠/٤) من طريق يُونُسُ بْنُ خَبَّابٍ ، عَنْ سَعِيدٍ الطَّائِيِّ أَبِي الْبَخْتَرِيِّ عن أَبي كَبْشَةَ الْأَنْمَارِيُّ رضي الله عنه. وقال الترمذي: "هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ". وقال الألباني:"صحيح". وكل رجال الإسناد ثقات عدا يونس صدوق يخطىء ورمي بالرفض. تقريب التهذيب (ص: ٦١٣) تهذيب الكمال (١٤ / ١٩١)، (٣٢ / ٥٠٣)، (١١ / ٣٢)، والحديث له متابعات وشواهد، منهم: شاهد صحيح من حديث أبي هريرة في صحيح مسلم ح ٢٥٨٨ "مَا نَقَصَتْ صَدَقَةٌ مِنْ مَالٍ ، وَمَا زَادَ اللهُ عَبْدًا بِعَفْوٍ إِلَّا عِزًّا ، وَمَا تَوَاضَعَ أَحَدٌ لِلهِ إِلَّا رَفَعَهُ اللهُ"، وهو حديث صحيح.

١٤- السكينة

السكينة طمأنينة وهدوء واستقرار وراحة بال، ومن معاني السكينة المهابة والوقار(١)، {هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوا إِيمَانًا مَعَ إِيمَانِهِمْ وَلِلَّهِ جُنُودُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا} [سورة الفتح: ٤]

والسكينة من المشاعر الإيجابية التي تحصل للعبد، وهي نوع من الانفعالات الإيجابية التي يحياها العبد، والتي تجعله ينظر للحياة بنظرة مشرقة متفائلة، لسكون نفسه وتعلقها بخالقها، وعلمه أن أمره كله بيد الله، فيستقر الإيمان بقلبه، وتظهر السكينة والوقار على جوارحه.

وقَالَ رَسُولُ اللهِ -صلّى اللهُ عَلَيْهِ وسلّم-: **((مَنْ نَفَّسَ عَنْ مُؤْمِنٍ كُرْبَةً مِنْ كُرَبِ الدُّنْيَا نَفَّسَ اللهُ عَنْهُ كُرْبَةً مِنْ كُرَبِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ ، وَمَنْ يَسَّرَ عَلَى مُعْسِرٍ يَسَّرَ اللهُ عَلَيْهِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ، وَمَنْ سَتَرَ مُسْلِمًا سَتَرَهُ اللهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ، وَاللهُ فِي عَوْنِ الْعَبْدِ مَا كَانَ الْعَبْدُ فِي عَوْنِ أَخِيهِ ، وَمَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَلْتَمِسُ فِيهِ عِلْمًا سَهَّلَ اللهُ لَهُ بِهِ طَرِيقًا إلى الْجَنَّةِ ، وَمَا اجْتَمَعَ قَوْمٌ فِي بَيْتٍ مِنْ بُيُوتِ اللهِ يَتْلُونَ كِتَابَ اللهِ ، وَيَتَدَارَسُونَهُ بَيْنَهُمْ إِلَّا نَزَلَتْ عَلَيْهِمُ السَّكِينَةُ** ، وَغَشِيَتْهُمُ الرَّحْمَةُ ، وَحَفَّتْهُمُ الْمَلَائِكَةُ ، وَذَكَرَهُمُ اللهُ فِيمَنْ عِنْدَهُ ، وَمَنْ بَطَّأَ بِهِ عَمَلُهُ لَمْ يُسْرِعْ بِهِ نَسَبُهُ))(٢).

وفي هذا الحديث بيان أن السكينة والراحة والرحمة والغفران والقبول، يكون جزاء لمن اجتمع على ذكر الله تعالى، وهذا يؤكد للمسلم أن ذكر الله تعالى من أعظم أسباب السعادة في الداريين، ففي الدنيا تسكن روح العبد وتطمئن لذكره سبحانه، وفي الآخرة تفوز بالجنة بما نالته من الأجر والمثوبة من ذكر الله في الدنيا.

---

(١) ينظر: مختار، معجم اللغة العربية المعاصرة (٢/ ١٠٨٨). الرازي، مختار الصحاح (ص: ١٥١)

(٢) أخرجه مسلم، المسند الصحيح، كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار – باب فضل الاجتماع على قراءة القرآن، (ح ٢٦٩٩) (٤/ ٢٠٧٤) من حديث أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه.

١٥- السلامة

المصدر سَلِمَ والسِّينُ وَاللَّامُ وَالْمِيمُ مُعْظَمُ بَابِهِ مِنَ الصِّحَّةِ وَالْعَافِيَةِ، والسَّلامة والغنامة: أي البراءة والعافية والرزق[١].

معاني السلام كثيرة، وهو يحمل مشاعر إيجابية متنوعة، تحصل للفرد ولأسرته ومجتمعه بأكمله، وتظهر مشاعر السلام فيما يدركه السعيد من نفع له وتوفيق وعافية واستقرار وأمان، وكلها انفعالات إيجابية.

وقد قال النبي - صلّى اللهُ عَلَيْهِ وسلّم- -: **((أَفْشُوا السَّلَامَ تَسْلَمُوا))**[٢]، وهنا يؤكد صلى الله عليه وسلم على السلام بكل معانيه، ولا يقتصر على السلام التحية، بل السلام بمعنى الأمان والسلامة من كل مكروه، ونفع الناس والتعاون معهم، وتحقيق مبدأ الإخاء، والمجتمع الإسلامي، حتى تتحقق السعادة للأفراد والمجتمع كنتيجة لذلك السلام.

١٦- الطمأنينة

الطمأنينة سكون النفس، وعدم القلق[٣].

وقد ذكر علماء النفس أن من معاني السعادة الطمأنينة، وهي شعور إيجابي يحقق الصحة النفسية للفرد.

---

[١] ابن فارس، مقاييس اللغة (٣/ ٩٠). مختار، معجم اللغة العربية المعاصرة (٢/ ١١٠١).

[٢] أخرجه ابن حبان، صحيح ابن حبان، كتاب البر والإحسان – باب إفشاء السلام وإطعام الطعام –ح(٤٩١)، (٢/ ٢٤٤)، من طريق قنان عن عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْسَجَةَ عن البراء بن عازب رضي الله عنه. قال الألباني: "حسن".
عبد الرحمن بن عوسجة ثقة انظر تقريب التهذيب (٣٤٧)، وقَنَانِ بْنِ عَبْدِ اللهِ النَّهْمِيِّ مقبول، وقال عنه ابن معين: ثقة، وقال النسائي: ليس بالقوي، فحديثه حسن إن شاء الله، انظر تقريب التهذيب (ص:٤٥٦)، تهذيب الكمال(٢٣ / ٦٢٧)، وبهذا فهو حديث إسناده حسن.

[٣] الرازي، مختار الصحاح (ص: ١٩٣). مختار، معجم اللغة العربية المعاصرة (٢/ ١٤١٤).

وقال الرَسُول اللهِ -صلّى اللهُ عَلَيْهِ وسلّم-: ((**دَعْ مَا يَرِيبُكَ إلى مَا لَا يَرِيبُكَ ، فَإِنَّ الْخَيْرَ طُمَأْنِينَةٌ وَإِنَّ الشَّرَّ رِيبَةٌ**))[١]، وهنا يؤكد النبي صلى الله عليه وسلم أن طريق الخير، والأعمال الصالحة مما تطمئن إليه النفس فيعرف الإنسان من راحة نفسه وسكونها أنه خير وصلاح، بخلاف الشر فانه يؤثر سلبًا على النفس ويجعلها في تذبذب وشك، وفي ضيق واضطراب، فيعرف الإنسان أنه طريق الشقاء.

١٧- الطيب، طوبى

الطيب الحسن والزكاة، طاب العيش حسن وزكا، والطوبى مؤنث أطيب، وهي غبطة وسعادة، وخيرٌ دائم، طُوبَى لك: لك الحظّ والعَيْش الطَّيِّب، وطُوبَى لكم: كونوا سُعداءَ جدًّا[٢].

والطُوبَى فُعْلَى من الطِّيبِ، وهي العيشُ الطيّب والخير والحسن، وطُوبَى اسمُ شجرةٍ فِي الجنَّة[٣].

الطيب من المشاعر الإيجابية التي تدخل في السعادة، وتؤثر على انفعال الفرد الإيجابي.

ومن الأحاديث التي وردت بهذا المعنى: قول الرسول -صلّى الله عليه وسلّم-: ((**طُوبَى لِمَنْ هُدِيَ إلى الْإِسْلَامِ ، وَكَانَ عَيْشُهُ كَفَافًا وَقَنَّعَهُ اللهُ بِهِ**))[٤].

---

[١]أخرجه الحاكم، المستدرك على الصحيحين، كتاب البيوع – ح(٢١٦٩)، (٢/ ١٥) من طريق يزيد بن زريع وعفان بن مسلم عن شُعْبَةُ، عَنْ بريد بْنِ أَبِي مَرْيَمَ، عَنْ أَبِي الْجَوْزَاءِ عن الْحَسَنَ بْنَ عَلِيٍّ رضي الله عنه، بهذا اللفظ.
قال الحاكم: "هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه، وقد روي بلفظ آخر"، ووافقه الذهبي وقال: صحيح.
والحديث إسناده صحيح، وكل رجاله ثقات، انظر تقريب التهذيب (ص:١٢١،٢٦٦، ٢٠٧).
وأخرجه الترمذي من طريق عبد الله بن إدريس عن شعبه به، بلفظ مقارب " دَعْ مَا يَرِيبُكَ إلى مَا لَا يَرِيبُكَ، فَإِنَّ الصِّدْقَ طُمَأْنِينَةٌ ، وَإِنَّ الْكَذِبَ رِيبَةٌ" ، وقال: "هذا حديث صحيح"، انظر الترمذي، الجامع الكبير، كتاب صفة القيامة والرقائق والورع عن رسول الله صلى الله عليه وسلم - باب - ح(٢٥١٨)، (٢٤٩/٤) وقال الألباني: صحيح.

[٢] مختار، معجم اللغة العربية المعاصرة (١٤٢٨/٢- ١٤٢٩).

[٣] الأزهري، تهذيب اللغة (١٤/ ٢٩)

[٤]أخرجه: الترمذي، الجامع الكبير، أبواب الزهد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم - باب ما جاء في الكفاف والصبر عليه – ٢٣٤٩ ،(٤ / ١٧٠). وابن حبان، صحيح ابن حبان، كتاب الرقائق – باب الفقر والزهد والقناعة – ح(٧٠٥)، (٢/ ٤٨٠)، كلاهما من طريق حيوة بن شريح عن أبي هَانِئٍ حميد بن هانئ عن عَلِيٍّ الْجَنْبِيَّ عن فَضَالَةَ بْنَ عُبَيْدٍ رضي الله عنه، و اللفظ لابن حبان، ولفظ الترمذي مثله تقريبا، وحيوة ثقة، وأَبُو هَانِئٍ ثقة، وعلي الجنبي ثقة انظر تقريب التهذيب (١٨٥، ١٨٢، ٤٢٦)، وقال الترمذي: هذا حديث صحيح، وقال الحاكم:" حديث صحيح على شرط مسلم" ح٩٩،(٣٤/١)، و قال الألباني: صحيح.

طوبى لمن هدي للاستقامة في الدين، فإنه قد فاز بالحظ الذي يربح به في الدارين، وبالقناعة يفوز المرء بالأجر لعلمه بأن الله تعالى عالم بالأصلح له خبير بأحواله، ولأنه يريح قلبه ويتفرغ لعبادة مولاه، فإن من زاد ماله زادت أشغاله وذهبت عنه عافيته(١).

والكفاف: ما كف به المرء عن الناس وأغنى به نفسه، أي قدر كفايته لا يشغله ولا يطغيه، فقليل يكفيك خير من كثير يطغيك(٢).

والطوبى الخير والعيش الهنيء وهي إحدى مظاهر السعادة في السّنّة النبوية، ومن الطرق للوصول إليها الاستقامة في دين الله تعالى، والقناعة، والكفاف في الرزق.

وقال رَسُول اللهِ -صلّى اللهُ عَلَيْهِ وسلّم-: ((يَعْقِدُ الشَّيْطَانُ عَلَى قَافِيَةِ رَأْسِ أَحَدِكُمْ إِذَا هُوَ نَامَ ثَلَاثَ عُقَدٍ يَضْرِبُ كُلَّ عُقْدَةٍ مَكَانَهَا: عَلَيْكَ لَيْلٌ طَوِيلٌ فَارْقُدْ فَإِنِ اسْتَيْقَظَ فَذَكَرَ اللهَ انْحَلَّتْ عُقْدَةٌ فَإِنْ تَوَضَّأَ انْحَلَّتْ عُقْدَةٌ فَإِنْ -صلّى انْحَلَّتْ عُقَدُهُ كُلُّهَا فَأَصْبَحَ **نَشِيطًا طَيِّبَ النَّفْسِ وَإِلَّا أَصْبَحَ خَبِيثَ النَّفْسِ كَسْلَانَ))**(٣)، وقوله صلى الله عليه وسلم وأصبح نشيطًا أي لسروره بما وفقه الله من الطاعة، وطيب النفس لما بارك الله له في نفسه وتصرفه في كل أموره (٤)، ومفهومُ الحديثِ أنَّ إحدى العُقَد منه انحلَّتْ عن ذِكْرِ الله، والثانية عن القيام والوضوء، والثالثة عن الصلاة، فإذا خالفَه في جميع ذلك فأصبحَ نشيطًا؛ أي: ذا فَرَحٍ وطيبِ قَلْبٍ وحُسْنِ حالةٍ؛ لأنه خَلصَ من قيد الشيطان وحَصَّلَ رضا الرحمن، وإن أطاعه حتى تفوتَه صلاةُ الصبح أصبحَ خبيثَ النَّفْس؛ أي: محزونَ القلب كثيرَ الغَمِّ متحيرًا في أمره، لا يحصلُ مرادُه فيما يقصده من أموره؛ لأنه مقيَّدٌ بقيد الشيطان ومبعَدٌ من رضا الرحمن(٥).

---

(١) ينظر: الكحلاني، التنوير شرح الجامع الصغير (٧/ ١٦٠)

(٢) المرجع السابق (٧/ ١٥٠)

(٣)البخاري، الجامع الصحيح، أبواب التهجد - باب عقد الشيطان على قافية الرأس إذا لم يصل بالليل – ح(١٠٩١) (١/ ٣٨٣) ، وح(٣٠٩٦). ومسلم، المسند الصحيح، كتاب صلاة المسافرين وقصرها - باب ما روي فيمن نام الليل أجمع حتى أصبح ح(٧٧٦) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٤) الكرماني، الكواكب الدراري في شرح صحيح البخاري (٦/ ١٩٧).

(٥) المظهري، الحسين بن محمود بن الحسن، مظهر الدين الزَّيْدَانيُّ الكوفي الضَّريرُ الشّيرازيُّ الحَنَفيُّ المشهورُ بالمُظْهِري (ت ٧٢٧ هـ)، **المفاتيح في شرح المصابيح**، تحقيق ودراسة: لجنة مختصة من المحققين بإشراف: نور الدين طالب، دار النوادر، وهو من إصدارات إدارة الثقافة الإسلامية - وزارة الأوقاف الكويتية، ط١، ١٤٣٣ هـ - ٢٠١٢ م، (٢/ ٢٧١).

قال القسطلاني: "فأصبح لما وفق له من وظائف الطاعة التي تسرع به إلى مقام الزلفى وترقيه إلى السعادة العظمى"(١).

وصلاة الصبح أمرها عجيب، إذا ابتدأ العبد يومه بها أحس ببركتها، وبتسهيل أموره وبطيب نفسه وانشراح قلبه ونشاط بدنه، فالله سبحانه وعد ووعده الحق، قال تعالى: {مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ} [النحل: ٩٧]، والعبد كلما كثرت أعماله الصالحة كلما زادت سعادته وراحته.

وطيب النفس من مظاهر السعادة التي يحظى بها المؤمن الحق، ومن المؤشرات المستفادة من الحديث: المحافظة على الصلاة، والوضوء والذكر.

١٨- الفأل

الفأل قوْل أو فِعْل يُستبشر به، وضدّه شُؤْم، وهو ما يتفاءل به(٢).

والفأل والتفاؤل من التفكير الإيجابي الذي يدعو إليه علم النفس، فهو شعور يُعلم الفرد العيش بنظرة إيجابية، وأكثر ما يطلق عليه في المنهج النبوي حسن الظن.

وهو من أهم مكونات السعادة في علم النفس، ويعد التفكير الإيجابي في السّنّة النبوية من المؤشرات المهمة لتحقيق السعادة الحقيقة، وقال ابْن عَبَّاس رضي الله عنه يصف النبي صلى الله عليه وسلم: **((كَانَ رَسُولُ اللهِ - -صلّى اللهُ عَلَيْهِ وسلّم- - يَتَفَاءَلُ ، وَيُعْجِبُهُ الِاسْمُ**

---

(١) القسطلاني، أحمد بن محمد بن أبى بكر بن عبد الملك القسطلاني القتيبي المصري، أبو العباس، شهاب الدين (ت٩٢٣هـ)، **شرح القسطلاني - إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري**، المطبعة الكبرى الأميرية، مصر- ط٧ - ١٣٢٣ هـ، (٥/ ٢٩٢).

(٢) ينظر: مختار، معجم اللغة العربية المعاصرة (٣/ ١٦٦٠). ابن فارس، مقاييس اللغة (٤/ ٤٦٨)

الْحَسَنُ))(١)، وقال الرسول -صلّى اللهُ عَلَيْهِ وسلّم-: **((لَا عَدْوَى وَلَا طِيَرَةَ ، وَيُعْجِبُنِي الْفَأْلُ الصَّالِحُ الْكَلِمَةُ الْحَسَنَةُ))**(٢).

كان النبي صلى الله عليه وسلم إذا سمع كلمة حسنة حملها على معنى يوافق، ولا يتشاءم، وكان يحب الاسم الحسن لأن محبة الحسن من كل شيء هو ما في طباع ذوي الكمال، وقد كان يحول الاسم القبيح إلى الحسن، ليس من باب التشاؤم، ولكن لأن القبيح مكروه غير محبوب(٣)، وهذه الأمور من التفكير الإيجابي، وهو من أكبر أبواب السعادة، وأكثرها تأثيرا على انفعال الإنسان.

١٩- الفرح

والفرح يَدُلُّ عَلَى خِلَافِ الْحُزْنِ، ويأتي بمعنى الْإِثْقَالُ، وهو هنا بمعنى السرور والبهجة والسعادة(٤).

والفرح من حالات الانفعال الوجداني الذي يظهر فيما يشعر به السعيد من متعة وفرح وسرور، وهي حالات إيجابية تؤثر على انفعال الفرد وسعادته.

ومن الأحاديث التي حملت معنى الفرح قول أَنَسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: أَنَّ رَجُلًا سَأَلَ النَّبِيَّ -صلّى اللهُ عَلَيْهِ وسلّم- عَنِ السَّاعَةِ، فَقَالَ: مَتَى السَّاعَةُ؟ قَالَ: ((**وَمَاذَا أَعْدَدْتَ لَهَا؟ قَالَ: لَا شَيْءَ ، إِلَّا أَنِّي أُحِبُّ اللهَ وَرَسُولَهُ -صلّى اللهُ عَلَيْهِ وسلّم- ، فَقَالَ: أَنْتَ مَعَ مَنْ أَحْبَبْتَ . قَالَ أَنَسٌ: فَمَا فَرِحْنَا بِشَيْءٍ فَرَحَنَا بِقَوْلِ النَّبِيِّ -صلّى اللهُ عَلَيْهِ وسلّم-: أَنْتَ مَعَ مَنْ أَحْبَبْتَ"، قَالَ أَنَسٌ: فَأَنَا أُحِبُّ النَّبِيَّ -صلّى اللهُ عَلَيْهِ وسلّم- وَأَبَا بَكْرٍ وَعُمَرَ ، وَأَرْجُو أَنْ أَكُونَ مَعَهُمْ بِحُبِّي إِيَّاهُمْ ، وَإِنْ**

---

(١)أخرجه ابن حبان، صحيح ابن حبان، كتاب الحظر والإباحة – باب الأسماء والكنى- ح(٥٨٢٥)، (١٣٩/١٣)، من طريق عبد الملك بن سعيد بن جبير عن عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنه. وعبد الملك لا بأس به، لكن تابعه الليث بن سعد في مسند أحمد (٢٨١١) ، (٢ / ٧٠٦)، وهو ثقة، والحديث جمع شروط الصحة وهو حديث صحيح. انظر تقريب التهذيب (٣٦٣، ٤٦٤، ٣٩٧)، ومعناه ثابت في الصحيحين، من حديث أبي هريرة في صحيح البخاري ح٥٧٥٤ وصحيح مسلم ح٢٢٢٣، "لَا طِيَرَةَ، وَخَيْرُهَا الْفَأْلُ قَالُوا: وَمَا الْفَأْلُ؟ قَالَ: الْكَلِمَةُ الصَّالِحَةُ يَسْمَعُهَا أَحَدُكُمْ"، ومن حديث أنس رضي الله عنهم في صحيح البخاري ح٥٦٥٧ وفي صحيح مسلم ح، ٢٢٢٤.

(٢) أخرجه: البخاري، الجامع الصحيح، كتاب الطب- باب الفأل-ح(٥٤٢٤)، (٥/ ٢١٧١) ، وح(٥٤٤٠). ومسلم، المسند الصحيح، كتاب السلام - باب الطيرة والفأل وما يكون فيه من الشؤم –ح(٢٢٢٤). عن أنس رضي الله عنه.

(٣) ينظر: الكحلاني، التنوير شرح الجامع الصغير (٨/ ٥٣٥).

(٤) ينظر: ابن فارس، مقاييس اللغة (٤/ ٤٩٩). الرازي، مختار الصـــحاح (ص: ٢٣٦). مختار، معجم اللغة العربية المعاصرة (٣/ ١٦٨٥).

لَمْ أَعْمَلْ بِمِثْلِ أَعْمَالِهِمْ))[١]، فيفرح المؤمن أشد الفرح بمعية النبي صلى الله عليه وسلم في الجنة والنجاة من النار.

والدرجات متفاوتة، لذلك المراد المعية في الجنة، من أحب النبي صلى الله عليه وسلم بإخلاص، فيرجو أن يكون في دار الثواب لا العقاب[٢].

وقال النبي -صلّى اللهُ عَلَيْهِ وسلّم-: ((قَالَ اللهُ: كُلُّ عَمَلِ ابْنِ آدَمَ لَهُ إِلَّا الصِّيَامَ ، فَإِنَّهُ لِي وَأَنَا أَجْزِي بِهِ ، وَالصِّيَامُ جُنَّةٌ ، وَإِذَا كَانَ يَوْمُ صَوْمِ أَحَدِكُمْ فَلَا يَرْفُثْ وَلَا يَصْخَبْ ، فَإِنْ سَابَّهُ أَحَدٌ أَوْ قَاتَلَهُ فَلْيَقُلْ: إِنِّي امْرُؤٌ صَائِمٌ ، وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ ، لَخُلُوفُ فَمِ الصَّائِمِ أَطْيَبُ عِنْدَ اللهِ مِنْ رِيحِ الْمِسْكِ ، **لِلصَّائِمِ فَرْحَتَانِ يَفْرَحُهُمَا: إِذَا أَفْطَرَ فَرِحَ ، وَإِذَا لَقِيَ رَبَّهُ فَرِحَ بِصَوْمِهِ))**[٣].

والصيام من الأعمال الصالحة التي تربي نفس الإنسان، وتقودها للصلاح، والإنسان إذا وفق لهذه العبادة العظيمة فإن الله وعده بالفرح العظيم.

وتحصل للصائم فرحتان، الأولى: "فرحة عند فطره"، وذلك إما سروره بالأكل والشرب؛ فإن نفس الإنسان تفرح بهما بعد الجوع والعطش، وإما سروره بما وُفِّقَ له من إتمام الصوم الموعود عليه الثواب الجزيل، والثانية: "وفرحة عند لقاء ربه" يوم القيامة، وإعطائه جزاءَ صومه، يفرح فرحاً لا يبلغ أحد كنهه[٤].

والفرح بالشرع مقرون بتمام العبادات، كفرحة العيدين، وفرحة الصوم، والعبد يشعر بذلك كإنجاز حققه، وعلم النفس يؤكد هذا، فإنجاز الأهداف وتحقيق الطموح، والإنجاز بكل صوره فرحة وسعادة تملأ القلب، لذلك علماء النفس يؤكدون أن من مؤشرات السعادة الإنجاز وتحقيق الأهداف،

---

[١] أخرجه البخاري، الجامع الصحيح، كتاب فضائل الصحابة – باب مناقب عمر بن الخطاب – ح(٣٤٨٥)، (٣/ ١٣٤٩)، وح (٥٨١٥) ، وح(٥٨١٩) ،وح(٦٧٣٤). ومسلم، المسند الصحيح، كتاب البر والصلة والآداب - باب المرء مع من أحب - ح ٢٦٣٩، (٤٢/٨) عن أنس رضي الله عنه.

[٢] ينظر: العيني، عمدة القاري شرح صحيح البخاري (١٦/ ١٩٨)

[٣] أخرجه البخاري، الجامع الصحيح، كتاب الصوم - باب هل يقول إني صائم إذا شتم - ح(١٨٠٥)، (٢/ ٦٧٣) وح(١٧٩٥) وح ٥٥٨٣ وح ٧٠٥٤ وح ٧١٠٠ . ومسلم، المسند الصحيح، كتاب الصيام - باب فضل الصيام – ح(١١٥١) (١٥٧/٣).من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

[٤] ابن الملك، شرح المصابيح (٢/ ٥٠٦)

وهذا الأمر متحقق في السّنّة النبوية سلفا، فقد دعا إليه النبي صلى الله عليه وسلم في أقواله وأفعاله وتقريراته، فدعانا صلى الله عليه وسلم للعمل والخير والطاعة والإنجاز لنحظى بسعادة الدنيا والآخرة، ولتمتلأ حياتنا رضا وطمأنينة.

٢٠- قرة عين

القُرَّة مفرد، والمصدر قَرَّ، ومنه قُرَّة العَيْن: وهي ما يصادف المرء به سرورًا فلا تطمح العين إلى ما سواه، وقول هو قرَّة عين أمّه: أي سرورها وسكونها، وأَقَرَّ اللَّهُ عَيْنَهُ أَيْ أَعْطَاهُ حَتَّى تَقَرَّ فَلَا تَطْمَحَ إِلَى مَنْ هُوَ فَوْقَهُ، وَيُقَالُ: حَتَّى تَبْرُدَ وَلَاتَسْخَنَ فَلِلسُّرُورِ دَمْعَةٌ بَارِدَةٌ وَلِلْحُزْنِ دَمْعَةٌ حَارَّةٌ (١).

وقرة العين من الانفعالات الإيجابية التي تؤدي للسعادة.

ومن الأحاديث التي حملت هذا المعنى: قوله -صلّى الله عليه وسلّم-: ((**حُبِّبَ إِلَيَّ مِنَ الدُّنْيَا النِّسَاءُ وَالطِّيبُ ، وَجُعِلَ قُرَّةُ عَيْنِي فِي الصَّلَاةِ**)) (٢).

ومعنى قرة عينه أي بَرَدَتْ وانقطع بُكاؤها، واستحرارها بالدمع، فإن للسرور دَمعَةً باردةً، وللحُزْن دمعةً حارّةً، وقيل: هو من القَرَار، أي رأت ما كانت مُتَشَوِّفَةً إليه، فقَرَّت ونامت، وقيل: أعطاه حتى تَقَرَّ عينه، فلا تطمح إلى من فوقه، وقيل: أقرّ اللهُ عينَهُ: أنام الله عينَهُ، والمعنى صادف سُرُوراً يُذهبُ سهَرَه فينام، وتقر عينه بالصلاة أي تقرّ بتلذذه بطاعة مولاه سبحانه وتعالى، ودوام ذكره، وكمال محبّته، والأنس به، فالصلاة قرة للعين تسكن فيها النفس وتسعد، يشعر بذلك من حققها بأركانها وشروطها وبخضوعها، ويشعر بذلك القريب من الله تعالى، ومتى كان العبد

---

(١) ينظر: الرازي، مختار الصحاح (ص: ٢٥٠). مختار، معجم اللغة العربية المعاصرة (٣/ ١٧٩٦).

(٢)وأخرجه النسائي، أحمد بن شعيب أبو عبد الرحمن(ت٣٠٣هـ)، المجتبى من السنن - سنن النسائي، مكتب المطبوعات الإسلامية - حلب – ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م، ط٢ ، تحقيق: عبدالفتاح أبو غدة ، كتاب عشرة النساء – باب حب النساء – ح(٣٩٣٩) (٧/ ٦١) من طريق سلام أبو المنذر عن ثابت البناني بهذا اللفظ، عن أنس رضي الله عنه. وقال ابن حجر في هذا الحديث مرة: إسناده حسن، انظر التلخيص الحبير في تخريج أحاديث الرافعي الكبير: (٢٤٩/٣). وقال مرة أخرى: صح، انظر فتح الباري شرح صحيح البخاري: (١٨/٣)، وربما كان لابن حجر رأيان في الحديث من أجل جعفر بن سليمان لأنه راوٍ مختلف فيه، ومن تركه لأجل تشيعه لكن الأغلب على قبول حديثه، وقال الحاكم: "هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحٌ عَلَى شَرْطِ مُسْلِمٍ". وقال الألباني:صحيح.
رجال الإسناد ثقات عدا سلام أبو المنذر، وتابعه جعفر بن سليمان الضبي في المستدرك ح٢٦٩١، وهو راوي مختلف فيه والأغلب على قبول حديثه. انظر: تهذيب الكمال (٣٤٢/٤)، (٤٤٤/٢) (٥/ ٤٣)، وتقريب التهذيب(ص:٢٦١)، والكامل في ضعفاء الرجال (٢/ ٣٨٠).

قريبا من الله متعلق قلبه به سبحانه، كانت الصلاة قرة عين له، وبها يشعر بالسكينة والسرور والاطمئنان، وهذا الشعور رزق من الله تعالى يرزق به الصادقين المخلصين من عباده المؤمنين(١).

(١)الاثيوبي، محمد بن علي بن آدم بن موسى الإثيوبي الوَلَّوِي، **ذخيرة العقبى في شرح المجتبى**، دار المعراج الدولية للنشر [جـ ١ - ٥]- دار آل بروم للنشر والتوزيع [جـ ٦ - ٤٠] ط١ (١٥/ ٢٤٣)

٢١- اللّذة

اللذّة طِيب طعم الشَّيء، وهي المتعة والشعور بالارتياح العميق الذي يُناقض الألم والبشاعة، وهي تأتي بمعنى إدراك الملائم المُشْتَهَى كالنور عند البصر وطعم الحَلاوة عند حاسّة الذَّوق "ما أجمل لذَّة النُّور بعد الظَّلام[١].

واللذة والملذات من الأمور التي قررها الفلاسفة وعلماء النفس في مفهوم السعادة، وهي تنقسم إلى ملذات حسية وملذات معنوية، والملذات المعنوية أرقى من الملذات الحسية المادية.

ومن الأحاديث التي حملت هذا المعنى: قوله -صلّى الله عليه وسلّم-: ((كُلُّ عَمَلِ ابْنِ آدَمَ لَهُ، الْحَسَنَةُ بِعَشْرِ أَمْثَالِهَا إلى سَبْعِمِائَةِ ضِعْفٍ . قَالَ اللهُ: إِلَّا الصِّيَامَ ، فَهُوَ لِي ، وَأَنَا أَجْزِي بِهِ ، يَدَعُ الطَّعَامَ مِنْ أَجْلِي ، وَيَدَعُ الشَّرَابَ مِنْ أَجْلِي ، **وَيَدَعُ لَذَّتَهُ مِنْ أَجْلِي** ، وَيَدَعُ زَوْجَتَهُ مِنْ أَجْلِي ، وَلَخُلُوفُ فَمِ الصَّائِمِ أَطْيَبُ عِنْدَ اللهِ مِنْ رِيحِ الْمِسْكِ ، وَلِلصَّائِمِ فَرْحَتَانِ: فَرْحَةٌ حِينَ يُفْطِرُ ، وَفَرْحَةٌ عِنْدَ لِقَاءِ رَبِّهِ))[٢]والفرق بين السعادة واللّذة أنّ السعادة حالة خاصة بالإنسان، وأنّ رضى النفس بها تام، في حين أنّ اللّذة حالة مشتركة بين الإنسان والحيوان، وأنّ رضى النفس بها مؤقت، ومن شرط السعادة أن تكون ميول النفس كلها راضية مرضية، وأن يكون رضاها بما حصلت عليه من الخير تمامًا ودائمًا[٣].

واللذة الحسية من سعادة الدنيا المشروع للعبد التمتع بها ضمن إطار المباحات، واللذة المعنوية تكون في القلب من خلال معرفة ربه واستقرار الإيمان في قلبه فيتلذذ بعبادته، وفي اللذة المعنوية يتميز الإنسان عن باقي المخلوقات بخلاف الملذات المادية المؤقتة.

---

[١]ابن فارس، مقاييس اللغة (٥/ ٢٠٤). مختار، معجم اللغة العربية المعاصرة (٣/ ٢٠٠٥).

[٢]أخرجه ابن خزيمة، أبو بكر محمد بن إسحاق بن خزيمة بن المغيرة بن صالح بن بكر السلمي النيسابوري (ت٣١١هـ)، **صحيح ابن خزيمة**، المحقق: د. محمد مصطفى الأعظمي، المكتب الإسلامي – بيروت، كتاب الصيام - باب ذكر إعطاء الرب عز وجل الصائم أجره بغير حساب إذ الصيام من الصبر –ح(١٨٩٧)، قال الأعظمي: إسناده صحيح (٣/ ١٩٧). وهذا الحديث من حديث سهيل عن أبيه عن أبي هريرة، والعلماء حسنوا حديث سهيل، وفي الإسناد عَبْدُ الْعَزِيزِ بْنُ مُحَمَّدٍ الدَّرَاوَرْدِيُّ صدوق أيضًا تقريب التهذيب(ص:٣٨٥) تهذيب الكمال(٢٢٣/١٢)،(٥١٣/٨)، والحديث أصله في صحيح البخاري تم تخريجه في الدراسة ص٨٢، لكن لفظ ابن خزيمة مطول وفيه ألفاظ زائدة.

[٣] ينظر: صليبا، المعجم الفلسفي (ص٩٧).

٢٢- النعيم

المصدر نَعِمَ، والنُّونُ وَالْعَيْنُ وَالْمِيمُ فُرُوعُهُ كَثِيرَةٌ، وعَلَى كَثْرَتِهَا رَاجِعَةٌ إِلَى أَصْلٍ وَاحِدٍ يَدُلُّ عَلَى تَرَفُّهٍ وَطِيبِ عَيْشٍ وَصَلَاحٍ، والنعيم هو حسن الحال وراحة البال، وما يُتلذّذ به المرء من الصّحة والفراغ والأمن والمطعم والمشرب(١).

والنعيم من الأمور الإيجابية التي تحصل للفرد، وبها يشعر بالسعادة وتحصل له الانفعالات الوجدانية والمعرفية.

ومن الأحاديث التي حملت هذا المعنى:

((أن رسول الله -صلّى الله عليه وسلّم-، خرج على الصحابة وعليه أثر غسل، وهو طيب النفس، فظنوا أنه ألم بأهله، فقالوا: يا رسول الله، نراك طيب النفس؟ قال: **أَجَلْ وَالْحَمْدُ لِلهِ** ، ثم **ذِكْرِ الْغِنَى** ، فقال رسول الله -صلّى الله عليه وسلّم-: **((لَا بَأْسَ بِالْغِنَى لِمَنِ اتَّقَى وَالصِّحَّةُ لِمَنِ اتَّقَى خَيْرٌ مِنَ الْغِنَى وَطِيبُ النَّفْسِ مِنَ النَّعِيمِ))**(٢)

وطيب النفس من النعيم لأنه من روح اليقين على القلب وهو النور الوارد الذي قد أشرق، فأراح القلب والنفس من الظلمة والضيق(٣).

---

(١)ابن فارس، مقاييس اللغة (٥/ ٤٤٦). مختار، معجم اللغة العربية المعاصرة (٣/ ٢٢٤٣).

(٢)أخرجه البخاري، محمد بن إسماعيل (ت ٢٥٦هـ)، الأدب المفرد، المحقق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار البشائر الإسلامية – بيروت- ط٣- ١٤٠٩ – ١٩٨٩، باب طيب النفس –ح(٣٠١)، (ص: ١١٣) من طريق سليمان بن بلال. وابن ماجه، سنن ابن ماجه، كتاب التجارات – باب الحث على المكاسب –ح(٢١٤١) من طريق خالد بن مخلد. كلاهما عن عَبْدُ اللهِ بْنُ سُلَيْمَانَ ، عَنْ مُعَاذِ بْنِ عَبْدِ اللهِ بْنِ خُبَيْبٍ ، عَنْ أَبِيهِ ، عَنْ عَمِّهِ رضي الله عنه
قال محمد فؤاد عبد الباقي: "إسناده صحيح ورجاله ثقات" (٢/ ٧٢٤) وقال الألباني "صحيح".
عبد الله بن سليمان الأسلمي مدار الحديث صدوق. تهذيب التهذيب (٥/ ٢٤٦) تقريب التهذيب (ص:٣٠٦) ، وباقي رجال الإسناد ثقات، وهو حديث لم يرو بأسانيد كثيرة، فروي من طريق عبد الله بن سليمان ، رواه عنه خالد بن مخلد، وأبو عامر عبد الملك بن عمرو، وسليمان بن بلال. وربما صححه الحاكم ومحمد فؤاد والألباني من أجل الاختلاف في درجة عبد الله بن سليمان بن أبي سلمة، وقرأت أقوال العلماء في حاله: وثقوه لكن ذكروا أنه يخطئ، لذلك أخذت خلاصة قول ابن حجر فيه أنه صدوق يخطئ والله أعلم.

(٣)السندي، محمد بن عبد الهادي التتوي، أبو الحسن، نور الدين السندي (ت١١٣٨هـ)، **حاشية السندي على سنن ابن ماجه** = كفاية الحاجة في شرح سنن ابن ماجه، دار الجيل - بيروت، (٢/ ٢).

لا بأس بالغنى أي أن الغنى مظنة خطر إلا أنه لا خطر فيه ولا بأس لمن اتقى الله فيه، فيبذله في وجوهه ويشكر نعمة الله فيه، وصحة البدن لمن اتقى الله خير من الغنى، فإن صحة البدن قوة على الدين وهي أشد إعانة على التقوى من الغنى، وإذا انضم الغنى إلى الصحة وإلى التقوى، كان ذلك من تمام النعمة كلها في الدارين، وطيب النفس بانشراح الخاطر والقناعة بما أعطي، من النعيم العاجل للعبد، فإن القلب إذا استنار وزالت عنه ظلمة الشهوات والشبهات أدرك النعم حقيقة(١).

هذا ما وقفت عليه من الألفاظ النظيرة للسعادة، والتي تحمل أنواعًا من الانفعالات الإيجابية، سواء ما كان منها من النوع الوجداني، أو المعرفي، أو النفس حركي، وهذه الانفعالات لها تأثير على شعور الانسان وسعادته، ولها تأثير على تحقق الرضا للإنسان في مجالات حياته.

ومفعوم السعادة مفهوم شمولي، يجمع خيري الدنيا والآخرة، وهو مفهوم عميق يحمل في طياته معان راقية، وهو شعور دائم يحظى الإنسان به، لما فيه من مشاعر الرضى والقناعة، المشاعر التي تمسح كل حزن وترقى بالعبد لمنازل الصالحين المقربين، فاللهم اجعلنا من السعداء وارزقنا رضاك والجنة.

---

(١) الكحلاني، التنوير شرح الجامع الصغير (١١/ ٧٤)

السياق الدال على السعادة في السنّة النبوية

للسياق أهمية كبرى وهو يؤدي لفهم النص كوحدة متكاملة، وسِيَاق الْكَلَام: أي تتابعه وأسلوبه الَّذِي يجْرِي عَلَيْهِ(١)، وهنا نبذة عن الأحاديث النّبويّة التي جاءت في سياق دال على السعادة، فكثير من أحاديث السعادة لا تحمل لفظ السعادة، ولا لفظا مرادفا للسعادة، وإنما دل السياق أن مفهوم الحديث يرشد العبد للسعادة، كأسلوب الترغيب، والمدح، والأثر والنتيجة، والشرط والجزاء، وغيرها من الأساليب التي تدل على السعادة.

ومن أمثلة ذلك:

- **القناعة، والنظر إلى الأقل في أمور الدنيا:**

قال النبي صل الله عليه وسلّم-: ((**انْظُرُوا إِلَى مَنْ أَسْفَلَ مِنْكُمْ، وَلَا تَنْظُرُوا إِلَى مَنْ هُوَ فَوْقَكُمْ، فَهُوَ أَجْدَرُ أَنْ لَا تَزْدَرُوا نِعْمَةَ اللهِ**))(٢).

هذا الحديث لا يحتوي على لفظ السعادة أو مشتقاته أو لفظ مرادف، لكن سياق الكلام يدل على أن من سعادة المرء وراحته وسكينته ورضاه ألا ينظر في أمور الدنيا إلى من هو فوقه، بل ينظر إلى من هو أسفل منه فيمتلئ قلبه رضى وقناعة ويستشعر النعم التي يعيش فيها.

- **وضع القبول في الأرض للمؤمن:**

قال رسول الله -صلّى الله عليه وسلّم-: ((**إِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى إِذَا أَحَبَّ عَبْدًا نَادَى جِبْرِيلَ: إِنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَبَّ فُلاَنًا فَأَحِبَّهُ، فَيُحِبُّهُ جِبْرِيلُ، ثُمَّ يُنَادِي جِبْرِيلُ فِي السَّمَاءِ: إِنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَبَّ فُلاَنًا فَأَحِبُّوهُ، فَيُحِبُّهُ أَهْلُ السَّمَاءِ، وَيُوضَعُ لَهُ القَبُولُ فِي أَهْلِ الأَرْضِ**)) (٣)، في الحديث ترغيب

---

(١) مجموعة مؤلفين، المعجم الوسيط (١/ ٤٦٥)

(٢) أخرجه البخاري، الجامع الصحيح، كتاب الرقاق ، باب لينظر إلى من هو أسفل منه ولا ينظر إلى من هو فوقه ح ٦٤٩٠ (١٠٢/٨). ومسلم، المسند الصحيح- كتاب الزهد -ح ٢٩٦٣ (٢١٣/٨) بلفظ مقارب، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٣) أخرجه البخاري، الجامع الصحيح، كتاب التوحيد- باب كلام الرب مع جبريل ونداء الله الملائكة- ح(٧٠٤٧)، (٦/ ٢٧٢١) ، وح (٣٠٣٧). وأخرجه مسلم، المسند الصحيح، كتاب البر والصلة والآداب - باب إذا أحب الله عبدًا حببه إلى عباده ح ٢٦٣٧، (٤١/٨) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

للتقرب إلى الله بالطاعات ومحبته الصادقة التي توصل لمنزلة الإحسان، ومن ثم ينال العبد بهذه المنزلة محبة الله له ومن نال محبة الله أتته الدنيا ووضع له القبول وفاز بالسعادة والحبور.

- العبادة من أسباب حصول السعادة:

قال النَّبِي -صلّى الله عَلَيْهِ وسلّم-: ((**رَكْعَتَا الْفَجْرِ خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا**))(١)، في الحديث وصف لسنة الفجر بالخيرية وأنها خير من الدنيا وما فيها، وهذا مدح لها، والمرء يشعر بسعادة وطمأنينة عندما يصليها، وتفتح له أبواب الخير ما دام قريبًا من ربه.

- العمل الخيري من أسباب السعادة:

قال رَسُول الله -صلّى الله عَلَيْهِ وسلّم-: ((**مَنْ نَفَّسَ عَنْ مُؤْمِنٍ كُرْبَةً مِنْ كُرَبِ الدُّنْيَا، نَفَّسَ اللهُ عَنْهُ كُرْبَةً مِنْ كُرَبِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَمَنْ يَسَّرَ عَلَى مُعْسِرٍ، يَسَّرَ اللهُ عَلَيْهِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَمَنْ سَتَرَ مُسْلِمًا، سَتَرَهُ اللهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَاللهُ فِي عَوْنِ الْعَبْدِ مَا كَانَ الْعَبْدُ فِي عَوْنِ أَخِيهِ، وَمَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَلْتَمِسُ فِيهِ عِلْمًا، سَهَّلَ اللهُ لَهُ بِهِ طَرِيقًا إلى الْجَنَّةِ، وَمَا اجْتَمَعَ قَوْمٌ فِي بَيْتٍ مِنْ بُيُوتِ اللهِ، يَتْلُونَ كِتَابَ اللهِ، وَيَتَدَارَسُونَهُ بَيْنَهُمْ، إِلَّا نَزَلَتْ عَلَيْهِمِ السَّكِينَةُ، وَغَشِيَتْهُمُ الرَّحْمَةُ وَحَفَّتْهُمُ الْمَلَائِكَةُ، وَذَكَرَهُمُ اللهُ فِيمَنْ عِنْدَهُ، وَمَنْ بَطَّأَ بِهِ عَمَلُهُ، لَمْ يُسْرِعْ بِهِ نَسَبُهُ**))(٢)، وفي هذا الحديث ترتيب جزاء على فعل معيّن، وفي هذا الحديث أمور كثيرة تحقق السعادة للإنسان، كتفريج كرب الناس والإحسان إليهم وطلب العلم، والاجتماع على ذكر الله، كل هذه الأمور من سعادة المرء، وهي أمور تشرح الصدر وتنشر الطمأنينة والسكينة والراحة، ويكسب العبد فيها الثواب العظيم.

---

(١) أخرجه مسلم، المسند الصحيح، كتاب صلاة المسافرين وقصرها - باب استحباب ركعتي سنة الفجر، والحث عليهما وتخفيفهما، والمحافظة عليهما، وبيان ما يستحب أن يقرأ فيهما، (ح٧٢٥)، (٥٠١/١) من حديث عائشة رضي الله عنها.

(٢)سبق تخريجه ص٩٣.

- **ذكر الله تعالى والتقرب منه من أهم أسباب السعادة:**

قال النَّبِي -صلّى الله عَلَيْهِ وسلّم-: ((**يَقُولُ اللهُ تَعَالَى: أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي ، وَأَنَا مَعَهُ إِذَا ذَكَرَنِي ، فَإِنْ ذَكَرَنِي فِي نَفْسِهِ ذَكَرْتُهُ فِي نَفْسِي ، وَإِنْ ذَكَرَنِي فِي مَلَإٍ ذَكَرْتُهُ فِي مَلَإٍ خَيْرٍ مِنْهُمْ ، وَإِنْ تَقَرَّبَ إِلَيَّ بِشِبْرٍ تَقَرَّبْتُ إِلَيْهِ ذِرَاعًا ، وَإِنْ تَقَرَّبَ إِلَيَّ ذِرَاعًا تَقَرَّبْتُ إِلَيْهِ بَاعًا ، وَإِنْ أَتَانِي يَمْشِي أَتَيْتُهُ هَرْوَلَةً**))[١]، ومن كان قريبًا من الله تعالى حظي بخيري الدنيا والآخرة، وكسب سعادة الدّارين.

- **الزهد في الدنيا، والتعلق في الآخرة من أسباب السعادة المهمة:**

قال الرَسُولُ اللَّهِ -صلّى اللَّهُ عَلَيْهِ وسلّم-: ((**مَنْ كَانَتِ الدُّنْيَا هَمَّهُ فَرَّقَ اللهُ عَلَيْهِ أَمْرَهُ ، وَجَعَلَ فَقْرَهُ بَيْنَ عَيْنَيْهِ ، وَلَمْ يَأْتِهِ مِنَ الدُّنْيَا إِلَّا مَا كُتِبَ لَهُ ، وَمَنْ كَانَتِ الْآخِرَةُ نِيَّتَهُ جَمَعَ اللهُ لَهُ أَمْرَهُ ، وَجَعَلَ غِنَاهُ فِي قَلْبِهِ ، وَأَتَتْهُ الدُّنْيَا وَهِيَ رَاغِمَةٌ**)) [٢]، في الحديث دلالة على كرم الله سبحانه، وتكريمه لعباده المقربين، فمن كانت الآخرة همّه، جزاه الله خير جزاء، فيجعل الله غناه في قلبه ويجمع عليه شمله، ومع هذه المزايا فإنّ الدنيا تأتيه والأبواب تتسع له، وأيّ سعادة بعد تلك، لا سعادة توازي القرب من الله وإدراك حقيقة الدنيا والآخرة، والسعي للآخرة دار القرار.

---

[١] أخرجه البخاري، الجامع الصحيح، كتاب التوحيد - باب قول الله تعإلى ويحذركم الله نفسه - ح ٦٩٧٠، (٦/ ٢٦٩٤) عن أبي هريرة رضي الله عنه.

[٢] أخرجه ابن ماجه، سنن ابن ماجه، أبواب الزهد - باب الهم بالدنيا – ح ٤١٠٥ ، (٢/ ١٣٧٥). من طريق شُعْبَةُ، عَنْ عُمَرَ بْنِ سُلَيْمَانَ عن عَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنَ أَبَانَ بْنِ عُثْمَانَ بْنِ عَفَّانَ، عَنْ أَبِيهِ عن زَيْدُ بْنُ ثَابِتٍ رضي الله عنه.
قال البوصيري:"إسناده صحيح رجاله ثقات". حاشية السندي على بن ماجه: (٢ / ٥٢٤). وقال الألباني: "وهذا إسناد صحيح رجاله ثقات". السلسلة الصحيحة (٣/ ٢٤). الحديث إسناده صحيح ورجاله ثقات. تهذيب الكمال (١٢ / ٤٧٩)، (٢١ / ٣٨٠)، (١٦ / ٤٩٢)، (٢ / ١٦).

المعنى الاصطلاحي للسعادة في السّنّة النّبويّة

وبعد عرض الأحاديث الصحيحة التي تحمل لفظ السعادة، والألفاظ المرادفة للسعادة، والسياق الدال على السعادة، وبعد دراستي للسعادة في علم النفس، ودراستي وبحثي في السّنّة النبوية عن كل ما يتعلق بالسعادة، وجدت عناصر للسعادة كثيرة ومتنوعة، تشمل الإنسان وعلاقاته كلها – بربه، وبنفسه، وبالآخرين -، وتشمل الجانب الدنيوي والأخروي، والجانب النفسي والجسدي، وتشمل العقيدة والأعمال والقيم والسلوكيات، فالسعادة طريق حياة، وليست مجرد لفظة عادية.

وقد دلت أحاديث السعادة على: على ضرورة تحقيق الإيمان بالله تعالى، والرضا النفسي، واجتناب الفتن، والتحلي بالقيم، والتوازن بالحاجات المعنوية والجسدية، والتفاؤل والعمل الصالح.

ودلت مرادفات السعادة في السّنّة: على ضرورة تحقيق الأمان بأنواعه، وعلى التفكير الإيجابي، وعلى ضرورة وجود انفعالات إيجابية في حياة الفرد ليكون سعيد، وعلى السلامة في كل الأمور، والرضا، والبشرى، والفرح والسرور، والخير والتوفيق والبركة والنعيم وغيرها من الأمور الإيجابية التي تحصل للعبد وتحقق له السعادة.

ومن خلال هذه المعاني يمكن الوصول إلى معنى جامع لمفهوم السعادة في السّنّة النّبويّة، وفيما يلي محاولة تسجيل تعريف للسعادة، ففي الحقيقة خلال كتابتي للدراسة وجدت إشكاليّة كبرى عند الناس عمومًا في تحديد معنى السعادة، وفي المقابل وجدت إقبالًا كبيرًا منهم للبحث عنها، وقد وجدتها واضحة في منهج النبي -صلّى الله عليه وسلّم-، وعلماء الإسلام بيّنوا طريقها من خلال القرآن والسّنّة وتكلّموا عنها، لكن لم يحدّدوها بتعريف خاص، وهنا أحاول تسجيل تعريفًا لها مستفيدة من منهج النبي -صلّى الله عليه وسلّم-، ومن كلام العلماء في بيانها فيمكن القول أن **السعادة:**

هي حصول الرضا المصاحب للإيمان بالله تعالى، وتطبيق منهج النبي صلى الله عليه وسلم في الحياة الدنيا، للفوز بالجنة في الآخرة.

وقد لخصت مفهوم السعادة بهذا التعريف، لأن الشعور بالرضا أساس السعادة والراحة وكل المشاعر الإيجابية وقد أكد على ذلك علماء النفس، وهذا الرضا لا يحصل للعبد إلا إذا صاحب ذلك إيمان قوي واتباع لمنهج النبي صلى الله عليه وسلم في كل الأمور، وبالايمان واتباع منهج

النبي صلى الله عليه وسلم يجمع العبد الدين والخير كله في الدنيا والأخرة، وعلى العبد الاقتداء بالنبي صلى الله عليه وسلم في التوسط والآخذ بالحاجات الروحية والجسدية حتى يملأ حياته بالنشاط والحيوية، والمؤمن الحق يعلم أن الدار داريين وأن السعادة سعادتين، فلا تقف سعادته على حصول الرضا والطمأنينة في الدنيا، وإنما تمتد للآخرة بالفوز بالجنة ونعيمها الشامل لأنواع الملذات وأطيبها.

عناصر هذا التعريف:

- الرضا.
- قوة الإيمان.
- اتباع منهج النبي -صلّى الله عليه وسلّم – في كل جوانب الحياة في الدنيا.
- الفوز بالجنة ونعيمها في الآخرة.

شرح عناصر التعريف:

- **الرضا المؤدي للطمأنينة والسكينة:**

أساس السعادة الرضا، فالإنسان يشعر بذلك في نفسه حينما يكون راضيًا عن أموره كلّها ما يسرّه وما يسوؤه، فهو هنا حاز الرضا التام لقربه من خالقه ومعرفته أنّ الله لن يضيّعه لأنّه سبحانه أرحم بنا من أمهاتنا، فكل ما قدره الله علينا هو خير لنا، وهنا يحقق العبد قيمًا تعبديّة وإيمانيّة كالتوكّل والصبر والإخلاص وحسن الظن بالله تعالى، وعندما يصل العبد إلى هذه الدرجة من الرضا يسكن قلبه ويمتلئ طمأنينة وانشراحًا وحبورًا.

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: **((عَجَبًا لِأَمْرِ الْمُؤْمِنِ، إِنَّ أَمْرَهُ كُلَّهُ خَيْرٌ، وَلَيْسَ ذَاكَ لِأَحَدٍ إِلَّا لِلْمُؤْمِنِ، إِنْ أَصَابَتْهُ سَرَّاءُ شَكَرَ فَكَانَ خَيْرًا لَهُ، وَإِنْ أَصَابَتْهُ ضَرَّاءُ صَبَرَ فَكَانَ خَيْرًا لَهُ))**(١).

الإنسان الذي يوجه نفسه نحو غايتها التي خلقت من أجلها يحظى بالرضا والسكينة، كما جاء في قوله عزوجل{وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ (٥٦) } [الذاريات: ٥٦، ٥٧] فدافع العبودية

---

(١) أخرجه مسلم، المسند الصحيح، كتاب الزهد والرقائق - باب المؤمن أمره كله خير، ح(٢٩٩٩)، (٤/ ٢٢٩٥) من حديث صهيب بن سنان رضي الله عنه.

يؤثر على انفعال العبد وعلى سلوكه، وهذا ما تعجب منه صلى الله عليه وسلم في الحديث، والمؤمن الذي يتمتع بهذه الخصوصية، يعلم أن أمره كله خير في حالة السراء والضراء، وهو دائر في إدارة انفعاله بين الشكر لله تعالى، إقرارًا بفضله فيملك نفسه عند الفرح والسرور، ولا يغتر بنفسه ولا يفتخر بقدراته على الآخرين، وكذلك يصبر في حالة الضراء فيتكيف مع الحزن والاكتئاب لأن أمره إلى خير بالأجر والثواب من عند الله تعالى، وهذا ما يوصله لدرجة الرضا النفسي والسكينة والطمأنينة(١).

- **الإيمان بالله تعالى:**

وهذا الرضا لا يأتي من فراغ، بل من قوة الإيمان التي يحققها العبد، عقيدة وقولا وعملا، فيحقق العبد الإيمان بكل أركانه ويطبق شرائع الدين وأركانه، ويستقيم على هذا الطريق، ونتيجة لهذا الإيمان القوي يكون قريبا من الله تعالى.

وأيّ سعادة بعد سعادة العبد بقربه من الله عز وجل؟ فمن أحبّه الله نشر محبته في الأرض، ورزقه من حيث لا يحتسب، وقربه إليه سبحانه، وهذه منزلة عالية إذا وصل العبد إليها وصل قلبه إلى أعلى درجات الرضا والسعادة.

والعبد إذا تعلق قلبه بالخالق العظيم، والرب المالك، والإله الواحد الذي بيده كل شيء، فهو هنا يزداد عزة وقوة بخالقه، ألا ترى الموظف يفرح بقربه من المدير؟، والمحب يفرح بقرب حبيبه؟

ولله المثل الأعلى سبحانه عز وجل، فالله سبحانه مدبر الكون بيده كل شيء، وهو الأول والآخر، والخالق والرازق والحافظ والرحمن الرحيم، والقادر الجبار القهار، وهو الغني سبحانه، له كل صفات الكمال التي تستدعي حبه والتعلق به سبحانه وتعالى، وإذا استشعر العبد ذلك، وخضع لله سبحانه، وحقق الإيمان قولا وعملا، فإنه هنا يركن إلى مالك عظيم، وإله عليم، وهذا الشعور الذي يتكون في قلبه من التعلق بالله تعالى يعطيه قوة وانشراح وطمأنينة، ينتج عنها فرح وسرور بالمحبوب الأعظم الرب تبارك وتعالى.

---

(١) ينظر بتصرف يسير: عجين، علي، الذكاء العاطفي الذاتي وتطبيقاته، المنارة، المجلد ١٥، العدد٢، ٢٠٠٩، (ص:٥٩)

ولا يحصل للعبد هذا القرب إلا بالاستقامة على الدين، والطاعة، والرضى بكل أقدار الله، والسير على نهج النبي صلى الله عليه وسلم في الحياة، فمن أراد راحة القلب، وطمأنينة الروح، فعلية بمنهج النبي صلى الله عليه وسلم.

والاستقامة في الدين تشمل تحقيق الإيمان، وتطبيق أركان الإسلام وشرائع الدين، والالتزام بالقيم الإسلاميّة، ومعاهدة العبد لإيمانه بالتوبة والمحاسبة، فيستقيم للمرء بهذا دينه ودنياه، ويصل إلى السعادة الحقيقية في دخول الجنة يوم القيامة.

قال رسول الله -صلّى الله عليه وسلّم-: **((لَنْ يُوَافِيَ عَبْدٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَقُولُ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ يَبْتَغِي بِهِ وَجْهَ اللهِ، إِلَّا حَرَّمَ اللهُ عَلَيْهِ النَّارَ))** (١)

كلمة طيبة، هي أصل سعادة العبد ونجاته، وفي تحقيق شروطها كل الفرح والسرور، والرضا والطمأنينة، وفيها النجاة من النار والخلود في الجنات والنعيم المقيم، عندما يقولها العبد موقنا بها عاملا لمقتضاها يشعر بانشراح كبير، وراحة عظيمة، ويشعر بالإيجابية والتفاؤل، لما لهذه الكلمة من التأثير العظيم على نشاط العبد الذهني والوجداني، وعلى سلوكه وانفعالاته، إن شأن الإيمان عظيم، وهو أصل كل السعادات والهناء.

وجزم صلى الله عليه وسلم أن من حقق الإيمان وجد الحلاوة والسعادة: **((ثَلَاثٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ وَجَدَ حَلَاوَةَ الْإِيمَانِ: أَنْ يَكُونَ اللهُ وَرَسُولُهُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِمَّا سِوَاهُمَا، وَأَنْ يُحِبَّ الْمَرْءَ لَا يُحِبُّهُ إِلَّا لِلهِ ، وَأَنْ يَكْرَهَ أَنْ يَعُودَ فِي الْكُفْرِ كَمَا يَكْرَهُ أَنْ يُقْذَفَ فِي النَّارِ)).**

الحياة ذات معنى تتكون من الارتباط بما هو أكبر وكلما كبرت الهوية التي تربط بها نفسك كلما زاد المعنى في حياتك"(٢)، ويعتقد الكثيرون من علماء النفس أن السعادة مستحيلة دونما عقيدة ذات طابع ديني بشكل أو بآخر، وبأن الهدف الثابت ليس كافيا لجعل الحياة سعيدة ولكنه شرط لاغنى عنه للحياة السعيدة، والإيمان بقضية ما مصدر من مصادر السعادة، وتتحقق كل شروط

---

(١)أخرجه البخاري، الجامع الصحيح، كتاب الرقاق - باب العمل الذي يبتغي به وجه الله فيه - ح(٦٠٥٩)، (٥/٢٣٦٠)، من حديث عتبان بن مالك الانصاري رضي الله عنه.

(٢) سيلجمان، السعادة الحقيقية (ص: ٢٦).

السعادة في رجل العلم فيحصل على إشباع عميق لدرجة انه يجد المتعة في الطعام، ولديه النشاط الذي يستغل به طاقاته بكاملها ويصل الى نتائج مهمة للمجتمع ككل[١].

- **اتباع منهج النبي -صلّى الله عليه وسلّم- في كل جوانب الحياة في الدنيا:**

قال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: ((**إِنَّ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللهِ ، وَأَحْسَنَ الْهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**))[٢].

خير منهج منهجه وأحسن هدي هديه -صلّى الله عليه وسلّم-، فيه الحكمة والطمأنينة والهداية والتوسط، فمن أراد السعادة عليه باتباع منهج النبي -صلّى الله عليه وسلّم- في كل شيء، وقد حاولت جاهدة تتبع منهجه -صلّى الله عليه وسلّم- وتتبع جوانب السعادة في الحياة وأفردت لها فصلًا كاملًا، وقد جاء النبي -صلّى الله عليه وسلّم- برسالة عالمية، تشمل الفرد وأسرته ومجتمعه، والسعادة الحقيقيّة تكون بتتبع العبد منهج النبي -صلّى الله عليه وسلّم- في الجوانب والاعتبارات كلّها حتى يحظى بسعادة متكاملة.

- **الفوز بالجنة في الآخرة:**

قال رَسُول الله -صلّى الله عَلَيْهِ وسلّم-: ((**إِنَّ أَهْلَ الجَنَّةِ يَتَرَاءَوْنَ أَهْلَ الغُرَفِ مِنْ فَوْقِهِمْ، كَمَا يَتَرَاءَوْنَ الكَوْكَبَ الدُّرِّيَّ الغَابِرَ فِي الأُفُقِ، مِنَ المَشْرِقِ أَوِ المَغْرِبِ، لِتَفَاضُلِ مَا بَيْنَهُمْ» قَالُوا يَا رَسُولَ اللَّهِ تِلْكَ مَنَازِلُ الأَنْبِيَاءِ لاَ يَبْلُغُهَا غَيْرُهُمْ، قَالَ: «بَلَى وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، رِجَالٌ آمَنُوا بِاللَّهِ وَصَدَّقُوا المُرْسَلِينَ**)) [٣]

---

(١) ينظر: راسل، انتصار السعادة (ص: ص١٥٦ – ١٥٧ ، ١٦٣ ، ١٦٣ - ١٦٤ ، ٢٦٣).

(٢) أخرجه: البخاري، الجامع الصحيح، كتاب الأدب - باب في الهدي الصالح- ح ٥٧٤٧، (٥/ ٢٢٦٢).

(٣)أخرجه: البخاري، الجامع الصحيح، كتاب بدء الخلق- باب ما جاء في صفة الجنة وأنها مخلوقة-ح(٣٠٨٣)،(٣/ ١١٨٨) واللفظ له ، ومسلم، المسند الصحيح، كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها - باب ترائي أهل الجنة أهل الغرف، كما يرى الكوكب في السماء، (ح٢٨٣١)، (٢١٧٧/٤). من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.

الدنيا ممر والآخرة مستقر، الدنيا طريق الآخرة، وسعادة الدنيا موصلة للجنة دار السعادة، فمن أراد الخلود في دار السعداء مع النبيين والصديقين والشهداء والأبرار فعليه بمنهج السعادة الحق، ليصل إلى الدار الباقية وينعم فيها أيّما نعيم.

قال القسطلاني في قوله تعالى : { يَهْدِيهِمْ رَبُّهُمْ بِإِيمَانِهِمْ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ} [سورة يونس: ٩] "أي يهديهم في الآخرة بنور إيمانهم إلى طريق الجنة فجعل تجري من تحتهم الأنهار بيانًا له وتفسيرًا، لأنّ التمسّك بسبب السعادة كالوصول إليها"(١).

وقال الزمخشري في تفسير قوله تعالى: { فَمِنْهُمْ شَقِيٌّ وَسَعِيدٌ (١٠٥)} [هود: ١٠٥] "والشقي الذي وجبت له النار لإساءته، والسعيد الذي وجبت له الجنة لإحسانه".(٢)، وهذا تقرير واضح أن السعادة الحقيقية هي التي توصل العبد إلى الجنة دار السعداء، والتي فيها النعيم المقيم.

وسيأتي تفصيل هذه الأمور في مكونات السعادة في السنّة النبوية.

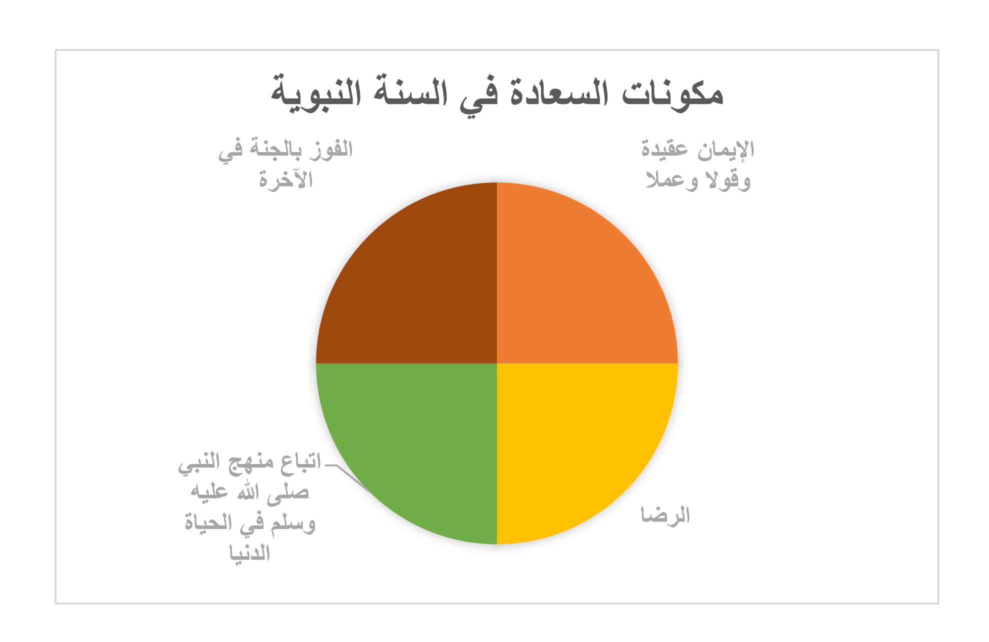
---

(١) القسطلاني، إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري (٩/ ٣١٢).

(٢) الزمخشري، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله (ت: ٥٣٨هـ)، **الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل**، دار الكتاب العربي – بيروت، ط٣: ١٤٠٧ هـ، (٢/ ٤٢٩).

المطلب الثاني: مكونات السعادة في السّنّة النبوية

من خلال ما تم عرضه من أحاديث ومعاني تشرح السعادة، وبعد تحديد مفهوم السعادة، يمكن تحديد مكونات السعادة في السّنّة النبوية بما يلي:



١- تحقيق الإيمان عقيدة وقولا وعملا

قال ابن رجب: " فمن استقام على هذا الصراط حصل له سعادة الدنيا والآخرة، واستقام سيره على الصراط يوم القيامة"[١]، وهنا ابن رجب رحمه الله يؤكّد أنّ السعادة تحصل **لمن استقام في دينه،** فيفوز بسعادة الدنيا والآخرة.

وقال في كتاب آخر:" وهذه المسائلُ - أعني: **مسائل الإسلامِ والإيمانِ** والكُفرِ والنِّفاقِ - مسائلُ عظيمةٌ جدًّا، فإنَّ الله علَّق بهذه الأسماءِ السَّعادةَ، والشقاوةَ، واستحقاقَ الجَنَّةِ والنَّار"[٢].

فسعادة العبد في الدارين معلقة بإيمانه بالله تعالى، فأيّ سعادة بعد معرفة الله تعالى والتصديق الجازم بأنّ الله هو الرّب المستحق للعبادة وله كل صفات الكمال والتعظيم، وإذا علم العبد ذلك تعلق قلبه بربه، وقوي إيمانه، وارتقت نفسه عن الدنيا، وصار همه رضى محبوبه الأعظم الله سبحانه وتعالى، ومتى وصل العبد لهذه المنزلة جاءته السعادة من كلّ جانب.
وقد وصف النبي -صلّى الله عليه وسلّم- الإيمان كأحلى ما يذوقه العبد من اللذات، وهذا فيه دلالة على عظم السعادة التي تحصل للعبد إذا حقق الإيمان، فما إن يحقق العبد الإيمان حتى يذوق هذه الحلاوة والسعادة، قال رسول الله -صلّى الله عليه وسلّم-: **((ذَاقَ طَعْمَ الْإِيمَانِ مَنْ رَضِيَ بِاللهِ رَبًّا، وَبِالْإِسْلَامِ دِينًا، وَبِمُحَمَّدٍ رَسُولًا))**[٣].
فليس في الدنيا نعيم يشبه نعيم الآخرة إلّا نعيم الإيمان بالله، وليس للقلوب سرور ولا لذة تامّة إلا في محبة الله ومعرفته، والتقرب إليه بما يحبه ويرضاه، ولا تمكن محبته المحبة الكاملة إلا بعد معرفته والإعراض عن كل محبوب سواه، وكل من أحب الله أنِسَ به، ومن أحب غير الله عُذب به، وحاجات القلوب في الدنيا إلى التوحيد والإيمان أعظم من حاجة الأبدان للطعام والشراب، بل لا نسبة بينهما، وكل نقص خارجي في العمل سببه نقص الإيمان داخل القلب، لذلك فالذي لا

---

[١] ابن رجب، زين الدين عبد الرحمن بن أحمد بن رجب بن الحسن، السَلامي، البغدادي، ثم الدمشقي، الحنبلي (ت: ٧٩٥هـ)، **فتح الباري في شرح صحيح البخاري**، مكتبة الغرباء الأثرية - المدينة النبوية، الحقوق: مكتب تحقيق دار الحرمين – القاهرة، ط١- ١٤١٧ هـ - ١٩٩٦ م، (١٠٣/٧).

[٢] ابن رجب، **جامع العلوم والحكم في شرح خمسين حديثاً من جوامع الكلم**، تحقيق: الدكتور محمد الأحمدي أبو النور، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع -ط٢- ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٤ م، (١١٧/١).

[٣] أخرجه مسلم، المسند الصحيح، كتاب الإيمان - باب ذاق طعم الإيمان من رضي بالله ربا ، ح(٣٤) (٦٢/١) من حديث العباس بن عبد المطلب رضي الله عنه.

يسلم نفسه لله داخل الصلاة، لا يستطيع أن يسلمها لله خارج الصلاة، وبالإيمان بالله وامتثال أوامره في كل حال يزداد نور القلب، وبالكفر والمعاصي يزيد ظلام القلب، فيحب المعاصي، ويكره الطاعات، والذوق يولد الشوق، فمن ذاق طعم الإيمان اشتاق إلى تكميل الإيمان والأعمال الصالحة، وتلذذ بعبادة الله، وظهرت شعب الإيمان في حياته، وتعلقت روحه بحياة الملأ الأعلى، فأحبه الله، وأحبه من في السماء، وجعل الله له القبول في الارض[١].

وأفضل الأعمال على الإطلاق الإيمان بالله عقيدة وقولًا وعملًا، لأنّه أساس كل خير ومصدر كل سعادة[٢]، لذلك كان من أهم مكونات السعادة وأولها تحقيق الإيمان بالله تعالى.

قال ابن القيم: "فالتوحيد: يفتح للعبد باب الخير والسرور واللّذة والفرح والابتهاج، والتوبة استفراغ للأخلاط والمواد الفاسدة التي هي سبب أسقامه، وحمية له من التخليط، فهي تغلق عنه باب الشرور، **فيفتح له باب السعادة والخير بالتوحيد، ويغلق باب الشرور بالتوبة والاستغفار**"[٣].

---

[١] التويجري، محمد بن إبراهيم بن عبد الله، **موسوعة فقه القلوب**، بيت الأفكار الدولية (١/ ٥).

[٢] قاسم، منار القاري شرح مختصر صحيح البخاري (٣/ ٣٨٩).

[٣]ابن القيم، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (ت ٧٥١هـ)، **زاد المعاد في هدي خير العباد**، مؤسسة الرسالة، بيروت - مكتبة المنار الإسلامية، الكويت- ط٢٧ -١٤١٥هـ /١٩٩٤م (٤/ ١٨٦).

٢- الرضا

الرضا هو القناعة(١)، والرضا بهذا السياق منزلة عظيمة تفوق القناعة حتى تصل للمحبة والسكينة.

وكثير من علماء النفس عرفوا السعادة بأنها الرضا، نعم أساس السعادة الرضا، فإذا أراد العبد السعادة فليكن قنوعًا وليدرّب نفسه على القناعة والتسامح في كل شيء.

وجوانب الرضا التي تؤدّي إلى سعادة العبد كثيرة: أولها الرضا عن الرب سبحانه وتعالى فقد أكد هذا النبي -صلّى الله عليه وسلّم- كما سيأتي، ثم الرضا عن الأمور التي تخص العبد نفسه كالصحة والأمان والعمل وشغل وقت الفراغ، ثم الرضا والتسامح مع عباد الله، وهذا يكون بنجاح العلاقات الاجتماعيّة، والعلاقات لا تنجح إلا إذا كان العبد سهلًا هيّنًا محسنًا، مؤدّيًا للحقوق، عارفًا للآداب والقيم، وإذا استطاع العبد تحقيق الرضا بهذه الجوانب الثلاثة، حصل على السعادة في تفاصيل حياته ويومياته وأموره.

قال ابن عطاء: "الرضا سكون القلب إلى قديم اختيار الله للعبد أنه اختار له الأفضل، فيرضى به"(٢)، وقال ابن القيم: وهذا رضا بما منه، وأما الرضا به: فأعلى من هذا وأفضل. ففرق بين من هو راض بمحبوبه، وبين من هو راضٍ بما يناله من محبوبه من حظوظ نفسه. والله أعلم(٣).

والراضي من لم يندم على فائت من الدنيا، ولم يتأسف عليها، والرضا يثمر سرور القلب بالمقدور في جميع الأمور، وطيب النفس وسكونها في كل حال، وطمأنينة القلب عند كل مفزع مهلع من أمور الدنيا، وبرد القناعة، واغتباط العبد بقسمه من ربه، وفرحه بقيام مولاه عليه، واستسلامه لمولاه في كل شيء، ورضاه منه بما يجريه عليه، وتسليمه له الأحكام والقضايا، واعتقاد حسن تدبيره، وكمال حكمته، ويذهب عنه شكوى ربه إلى غيره وتبرمه بأقضيته، والرضا يفرغ قلب العبد. ويقلل همه وغمه. فيتفرغ لعبادة ربه بقلب خفيف من أثقال الدنيا وهمومها وغمومها، ولهذا سمى بعض **العارفين الرضا: "حسن الخلق مع الله"**، فإنه يوجب ترك الاعتراض عليه في

---

(١) مختار، معجم اللغة العربية المعاصرة (٢/ ٩٠٣).

(٢) ابن القيم، **مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين**، ط٣، (المحقق: محمد المعتصم بالله البغدادي)، بيروت: بيروت: دار الكتاب العربي ، ١٤١٦ هـ - ١٩٩٦م. (٢/ ١٧٣).

(٣) المرجع السابق (٢/ ١٧٣).

ملكه، وحذف فضول الكلام التي تقدح في حسن خلقه، فلا يقول: ما أحوج الناس إلى مطر؟ ولا يقول: هذا يوم شديد الحر، أو شديد البرد، ولا يقول: الفقر بلاء، والعيال هم وغم، ولا يسمي شيئا قضاه الله وقدره باسم مذموم إذا لم يذمّه الله سبحانه وتعالى. فإن هذا كله ينافي رضاه(١).

وليس من شرط الرضا ألا يحسّ بالألم والمكاره، بل ألا يعترض على الحكم ولا يتسخّطه. ولهذا أشكل على بعض الناس الرضا بالمكروه، وطعنوا فيه، وإنّما هو الصبر(٢).

ولا بد للعبد أن يعلم أن أعظم راحة، وسرور ونعيم: في الرضا عن ربه تعالى في جميع الحالات، فإنّ الرضا باب الله الأعظم، وجنة الدنيا، ومستراح العارفين، وحياة المحبين، ونعيم العابدين، وقرة عيون المشتاقين، فجدير بمن نصح نفسه أن تشتد رغبته فيه، وأن لا يستبدل بغيره منه(٣).

وقد مدح النبي -صلّى الله عليه وسلّم- العبد الراض فيما روي عنه أنه قال: ((**إِنَّ عِظَمَ الْجَزَاءِ مَعَ عِظَمِ الْبَلَاءِ ، وَإِنَّ اللهَ إِذَا أَحَبَّ قَوْمًا ابْتَلَاهُمْ ، فَمَنْ رَضِيَ فَلَهُ الرِّضَا وَمَنْ سَخِطَ فَلَهُ السُّخْطُ**)) (٤)

ومعنى عظم الجزاء أي عظم الثواب مقرون مع عظم البلاء كيفية وكمًّا، جزاءً وفاقًا وأجرًا طباقًا، فمن رضي فله الرضا أي رضا الله تعالى عنه جزاءً لرضاه، ومن سخط أي كره بلاء الله وفزع ولم يرض بقضائه، فله السخط منه تعالى وأليم العذاب ومن يعمل سوءًا يُجْزَ به، والظاهر أنه تفصيل لمطلق المبتلين لا لمن أحبهم فابتلاهم، والمقصود الحث على الصبر على البلاء بعد وقوعه لا الترغيب في طلبه للنهي عنه، إذ الظاهر أنّه تعالى يوفقهم للرضا فلا يسخط منهم أحد(٥).

---

(١) ينظر: ابن القيم، مدارج السالكين (٢/ ٢١٢)، (٢/ ٢١٦)، (٢/ ٢١٥).

(٢) المرجع السابق (٢/ ١٧٣).

(٣) ينظر: المرجع نفسه(٢/ ١٧٢)، (٢/ ٢٠٠).

(٤) سبق تخريجه ص٣٦.

(٥) ينظر: ابن ماجه، سنن ابن ماجه، الحاشية شرح محمد فؤاد عبد الباقي (٢/ ١٣٣٨). المباركفوري، أبو العلا محمد عبد الرحمن بن عبد الرحيم (ت١٣٥٣هـ)، **تحفة الأحوذي شرح سنن الترمذي**، دار الكتب العلمية - بيروت (٧/ ٦٥).

وقال النبي -صلّى الله عليه وسلّم- في مدح الرضا والقناعة: ((**قَدْ أَفْلَحَ مَنْ أَسْلَمَ، وَرُزِقَ كَفَافًا، وَقَنَّعَهُ اللهُ بِمَا آتَاهُ**))[١]، والفلاح اسم جامع لحصول كلّ مطلوب محبوب والسلامة من كلّ مخوف مهوب[٢]، وقوله -صلّى الله عليه وسلّم-: **"قنعه الله"** أي جعله الله قانعًا بما أعطاه إياه ولم يطلب الزيادة لمعرفته بأنّ رزقه مقسوم لن يعدو ما قدر له[٣]، والإنسان إذا استشعر هذه المعاني واستقر هذا المفهوم في قلبه فلا ريب أنه سيرضى وتسكن نفسه، ولن يسعى وراء الدنيا، بل سترتقي نفسه وينشغل بالطاعات والعبادات التي تحقق له الراحة والسكينة.

وخلاصة ذلك كله أن الرضا بالقضاء من أسباب السعادة، والتسخّط على القضاء من أسباب الشقاوة، وثمرة الرضا: الفرح والسرور بالرب تبارك وتعالى [٤].

---

[١] أخرجه مسلم، المسند الصحيح، كتاب الزكاة - باب في الكفاف والقناعة، ح(١٠٥٤) ، (٢/ ٧٣٠) من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه.

[٢]السعدي، عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله بن ناصر بن حمد آل سعدي (ت: ١٣٧٦هـ)، **بهجة قلوب الأبرار وقرة عيون الأخيار في شرح جوامع الأخبار**، المحقق: عبد الكريم بن رسمي ال الدريني، مكتبة الرشد للنشر والتوزيع، ط١ - ١٤٢٢هـ - ٢٠٠٢م (ص: ١٦٧)

[٣] ينظر: الطيبي، شرف الدين الحسين بن عبد الله (٧٤٣هـ)، شرح الطيبي على مشكاة المصابيح المسمى بـ (الكاشف عن حقائق السنن)، المحقق: د. عبد الحميد هنداوي، مكتبة نزار مصطفى الباز (مكة المكرمة - الرياض)، ط١ - ١٤١٧ هـ - ١٩٩٧ م (١٠/ ٣٢٧٩). المظهري، المفاتيح في شرح المصابيح (٥/ ٢٧٩)

[٤] ابن القيم، مدارج السالكين (٢/ ١٧٤)، (٢/ ٢٠٢).

٣- اتباع منهج النبي صلى الله عليه وسلم

أساس قبول العمل أن يكون صحيحًا وفق منهج النبي صلى الله عليه وسلّم-، وليس بدعة، أو عن جهل، لذا اتباع النبي -صلّى الله عليه وسلّم- في فعل العبادات أصل عظيم.
وإذا كانت سعادة العبد في الدّارين معلقة بهدي النبي -صلّى الله عليه وسلّم- فيجب على كل من نصح نفسه وأحب نجاتها وسعادتها أن يعرف من هديه وسيرته وشأنه ما يخرج به عن الجاهلين به، ويدخل به في عداد أتباعه وشيعته وحزبه، والناس في هذا بين مستقل ومستكثر ومحروم، والفضل بيد الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم(١).
وفي فضل النبي -صلّى الله عليه وسلّم- جاء حديث: ((**لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى أَكُونَ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ وَلَدِهِ وَوَالِدِهِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ**))(٢)، وفي هذا الحديث بيان أنّ الإيمان لا يكتمل إلا إذا قدّم العبد محبة الرسول -صلّى الله عليه وسلّم- على كل شيء، "فلا يكون المؤمن مؤمنًا حتى يُقدّم محبة الرسول على محبة جميع الخلق، ومحبة الرسول تابعة لمحبة مرسله، والمحبة الصحيحةُ تقتضي المتابعةَ والموافقةَ في حبِّ المحبوبات وبغضِ المكروهات"(٣).
والمقصود أنّ بحسب متابعة الرسول تكون العزة والكفاية والنصرة، كما أنّ بحسب متابعته تكون الهداية والفلاح والنجاة، فالله سبحانه علّق سعادة الدّارين بمتابعته، وجعل شقاوة الدّارين في مخالفته، فلأتباعه الهدى والأمن والفلاح والعزّة والكفاية والنصرة والولاية والتأييد وطيب العيش في الدنيا والآخرة، ولمخالفيه الذلّة والصغار والخوف والضلال والخذلان والشقاء في الدنيا والآخرة، وقد أقسم -صلّى الله عليه وسلّم- بأنّه لا يؤمن أحدكم حتى يكون هو أحب إليه من ولده ووالده والناس أجمعين، وأقسم الله سبحانه بأن لا يؤمن من لا يحكّمه في كل ما تنازع فيه هو وغيره، ثم يرضى بحكمه، ولا يجد في نفسه حرجًا مما حكم به، ثم يسلم له تسليمًا وينقاد له

---

(١) ابن القيم، زاد المعاد في هدي خير العباد (١/ ٦٩).

(٢) أخرجه: البخاري، الجامع الصحيح، كتاب الإيمان - باب حب الرسول صلى الله عليه وسلم من الإيمان- ح١٥، (١٤/١). ومسلم، المسند الصحيح، كتاب الإيمان – باب وجوب محبة الرسول صلى الله عليه وسلم – ح(٤٤)، (١/ ٦٧) ، من حديث أنس رضي الله عنه.

(٣) ابن رجب، جامع العلوم والحكم (٣/ ١١٤٩).

انقيادًا. قال تعالى: {وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُبِينًا (٣٦) } [الأحزاب: ٣٦، ٣٧] (١).

وقد دعا النَّبيُّ -صلّى الله عليه وسلّم- الجنَّ والإنسَ إلى الدِّين الحنيف والصراط المستقيم. قال الله عزَّ وجلَّ: {وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ } [الشورى: ٥٢] ، وقال سبحانه: {وَإِنَّكَ لَتَدْعُوهُمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ} [المؤمنون: ٧٣] .
فسبيلُ الهداية مقصورٌ على اتِّباع النَّبيِّ -صلّى الله عليه وسلّم-، ولا يُعبد الله إلّا بما جاء به رسوله الكريم -صلّى الله عليه وسلّم-، ولا طريق يوصل إلى الله إلاَّ باتِّباع ما جاء به -صلّى الله عليه وسلّم-(٢).
وحاجةُ المسلم إلى الهداية إلى الصراط المستقيم أعظمُ من حاجته إلى الطعام والشراب؛ لأنَّ الطعامَ والشرابَ زادُه في الحياة الدنيا، والصراطَ المستقيم زادُه للدار الآخرة، ولهذا جاء الدعاءُ لطلب الهداية إلى الصراط المستقيم في سورة الفاتحة، التي تجب قراءتُها في كلِّ ركعة من ركعات الصلاة، سواء كانت فريضةً أو نافلةً، قال الله عزَّ وجلَّ: {اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ} [الفاتحة: ٦] ، فالمسلمُ يدعو بهذا الدعاء باستمرار ليهديه ربُّه صراطَ المنعَم عليهم من النبيِّين والصِّدِّيقين والشهداء والصالحين، وأن يُجنِّبَه طريق المغضوب عليهم والضالِّين، من اليهود والنصارى وغيرهم من أعداء الدِّين(٣).

وهدايةُ النَّبيِّ -صلّى الله عليه وسلّم- الجنَّ والإنسَ إلى الصراط المستقيم هو النور الذي وصفه الله عزَّ وجلَّ به في قوله: {يَاأَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا (٤٥) وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُنِيرًا (٤٦)} [الأحزاب: ٤٥، ٤٦] فقد وصفه الله عزَّ وجلَّ في هذه الآية بأنَّه سراجٌ منير، يُضيء به للعباد الطريقَ إليه سبحانه وتعالى، وهذا أيضًا هو معنى النور الذي

---

(١) ابن القيم، زاد المعاد في هدي خير العباد (١/ ٣٩).

(٢)العباد، عبد المحسن بن حمد بن عبد المحسن بن عبد الله بن حمد العباد البدر، **شرح حديث جبريل في تعليم الدين**، مطبعة سفير، الرياض، المملكة العربية السعودية - ط١- ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م (ص: ٣٨).

(٣) المرجع السابق (ص: ٣٨).

وصف به القرآن في قوله: { فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالنُّورِ الَّذِي أَنْزَلْنَا وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ (٨)} [التغابن: ٨] ، فنور القرآن ما اشتمل عليه من الهداية إلى الصراط المستقيم(١).

وسنة النبي صلى الله عليه وسلم مليئة بالقيم والفضائل، والأمور الإيجابية، بل إن سنته صلى الله عليه وسلم هي السعادة والإيجابية كلها، وسنته صلى الله عليه وسلم تشمل كل جوانب الحياة، حتى يحظى العبد بالرضا التام المؤدي للسكينة والراحة والانشراح والطمأنينة والهناء.

قال ابن القيم: "لا سبيل إلى السعادة والفلاح لا في الدنيا ولا في الآخرة إلا على **أيدي الرسل**"(٢).

وقد ذكر قبل هذه العبارة ما يفيد الاتباع ويؤكّد ضرورته.

وسنته صلى الله عليه وسلم تشمل علاقة العبد بالآخرين وما يترتب على ذلك من وجود قيما وأخلاق وسلوكيات للتعامل مع الخلق.

وتشمل سنته صلى الله عليه وسلم ما يطور العبد به نفسه ويضبطها، من حث على تزكيتها والرقي بها، وقيادتها نحو الخير والفضائل، والسير فيها بتفكير سوي إيجابي، وتحصيل للحاجات المعنوية والمادية بنفس منضبطة، مع معاهدة النفس على الطاعة والتوبة والدعاء والاستخارة والتقرب إلى الله تعالى.

وتشمل سنته صلى الله عليه وسلم حث العبد على ملأ وقته واستغلال وقت فراغه بالعمل والإنتاجية، والأنشطة والاهتمامات والأهداف القيمة التي تعطي لحياته الحيوية والمعنى وتدفع الملل والفراغ.

وتشمل سنته صلى الله عليه وسلم التأكيد على الصحة النفسية والجسدية، والتأكيد على الحفاظ على الأمن والأمان، وعلى إرشاد المسلم إلى الطريق السوي في التعامل مع العناء النفسي من هم وغم وحزن وابتلاء وقلق.

إن سنته صلى الله عليه وسلم تحمل منهجا كاملا للسعادة بكل معانيها وبكل ما تحمله من إيجابية، وفي الفصل الثاني سيتم تفصيل ذلك مع بيان الأحاديث بإذن الله تعالى.

قال القرطبي: "فلما قضت نتائج العقول، وأدلة الشرع المنقول: أن سعادة الدارين منوطة بمتابعة هذا الرسول، وأن الهداية الحقيقية باقتفاء سبيله واجبة الحصول، .. ، انتهضت همم أعلام العلماء

---

(١) العباد، شرح حديث جبريل في تعليم الدين (ص: ٣٨).

(٢) ابن القيم، زاد المعاد في هدي خير العباد (١/ ٦٨).

، والسادة الفضلاء، إلى البحث عن آثاره: أقواله وأفعاله وإقراره ، فحصلوا ذلك ضبطا وحفظا ، وبلغوه إلى غيرهم مشافهة ونقلا. وميزوا صحيحه من سقيمه، ومعوجه من مستقيمه"(١). ومن كلامه رحمه الله يتبين أن **السعادة الحقيقية باتباع الرسول** -صلّى الله عليه وسلّم-، واتباع الرسول صلى الله عليه وسلم من أهم مكونات السعادة في السّنّة النبوية.

وقال ابن كثير رحمه الله في تفسير قوله تعالى: {وَأَمَّا الَّذِينَ سُعِدُوا فَفِي الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ عَطَاءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ (١٠٨) } [هود: ١٠٨] وَهُمْ أَتْبَاعُ الرُّسُلِ"(٢).

(١) القرطبي، أبو العباس أحمد بن عمر بن إبراهيم، **المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم**، دار ابن كثير- دمشق - بيروت (١/ ٤).

(٢) ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي (ت٧٧٤ هـ)، **تفسير القرآن العظيم**، المحقق : سامي بن محمد سلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع، ط٢- ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩ م (٤/ ٣٥٢).

٤- الفوز بالجنة دار السعداء

قَالَ رَسُولُ اللهِ -صلّى اللهُ عَلَيْهِ وسلّم-: ((**إِنَّ اللهَ يَقُولُ: لِأَهْلِ الْجَنَّةِ: يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ ، يَقُولُونَ: لَبَّيْكَ رَبَّنَا وَسَعْدَيْكَ ، فَيَقُولُ: هَلْ رَضِيتُمْ؟ فَيَقُولُونَ: وَمَا لَنَا لَا نَرْضَى وَقَدْ أَعْطَيْتَنَا مَا لَمْ تُعْطِ أَحَدًا مِنْ خَلْقِكَ ، فَيَقُولُ: أَنَا أُعْطِيكُمْ أَفْضَلَ مِنْ ذَلِكَ ، قَالُوا: يَا رَبِّ ، وَأَيُّ شَيْءٍ أَفْضَلُ مِنْ ذَلِكَ؟ فَيَقُولُ: أُحِلُّ عَلَيْكُمْ رِضْوَانِي فَلَا أَسْخَطُ عَلَيْكُمْ بَعْدَهُ أَبَدًا**)) [(١)].

ينادي الله تعالى أهل الجنة بنسبتهم إليها تذكيرًا لهم بهذه النعمة العظيمة التي أنعم بها عليهم "فيقولون: لبيك ربنا وسعديك " أي: إجابة بعد إجابة، وإسعادًا بعد إسعاد " فيقول: هل رضيتم؟ " أي: هل رضيتم بما أعطاكم ربكم من الجنة ونعميها؟ أو هل رضيتم عن ربكم؟ " فيقولون: وما لنا لا نرضى " أي: ما المانع لنا من الرضا؟ وقد غمرتنا بفضلك وإحسانك وأعطيتنا ما لم يكن يخطر لنا على بال، " وقد أعطيتنا ما لم تعط أحدًا من خلقك " إنّ من يدخل الجنة ينعم ولا ييأس، ويصحّ ولا يسقم، ويشبّ ولا يهرم، ويحيا ولا يموت، " فيقول: أنا أعطيكم أفضل من ذلك، قالوا: يا رب وأيّ شيء أفضل من ذلك؟ " أي: وهل هناك نعيم أعظم من النعيم الذي نحن فيه؟ " فيقول: أُحِل عليكم رضواني فلا أسخط عليكم بعده أبدًا " أي: فيقول الله تعالى لهم: نعم هناك ما هو أعظم نعمة، وأكثر سعادة من الجنة وما فيها، وهو الرضوان الإلهي الذي لا يساويه شيء من نعم الله، فإذا أردت أن أمنحكم السعادة العظمى، وقد أردت لكم ذلك منحتكم الرضوان الدائم الذي لا سخط بعده[(٢)].

ودلّ هذا الحديث على أنّ نعيم أهل الجنة لا يعدله نعيم، ولا تساويه سعادة أخرى، وأن الله يعطي أهل الجنة ما يرضيهم، ويقرّ أعينهم، ومن السعادة التي يمنحها الله أهل الجنة رضوانه عليهم الذي وصفه الله تعالى بأنه أكبر من كلّ نعيم، وأعظم من كلّ سعادة، حيث قال تعالى: {وَعَدَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ

[(١)] أخرجه البخاري، الجامع الصحيح، كتاب الرقاق - باب صفة الجنة والنار – ح٦١٨٣، (٥/ ٢٣٩٨)، وح [٧٠٨٠]. مسلم، المسند الصحيح، كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها - باب إحلال الرضوان على أهل الجنة - ح٢٨٢٩، (٨ / ١٤٤). من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.

[(٢)] قاسم، منار القاري شرح مختصر صحيح البخاري (٥/ ٣٠٢).

وَرِضْوَانٌ مِنَ اللَّهِ أَكْبَرُ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ (٧٢) } [التوبة: ٧٢] وإنما كان هذا الرضوان أكبر لأنّه سبب كل فوز وكرامة، وطريقٌ إلى رؤية الله تعالى(١).

والفوز بالجنة من أكبر النعم وأعظمها، فأي سعادة بعد سعادة الدخول للجنة التي يهنأ العبد بها ولا يشقى، ويتلذذ بكل أنواع الملذات، إن العبد في الدنيا مهما أصابه من هم أو غم يعلم أن الجنة داره دار السعداء التي فيها يسعد سعادة لا نهاية لها، والتي فيها نعيم لا يشبهه نعيم ولا يخطر على قلب بشر، نعيم لا يفنى ولا يبلى، وسيأتي الحديث عن الجنة دار السعداء في الفصل الثالث بإذن الله.

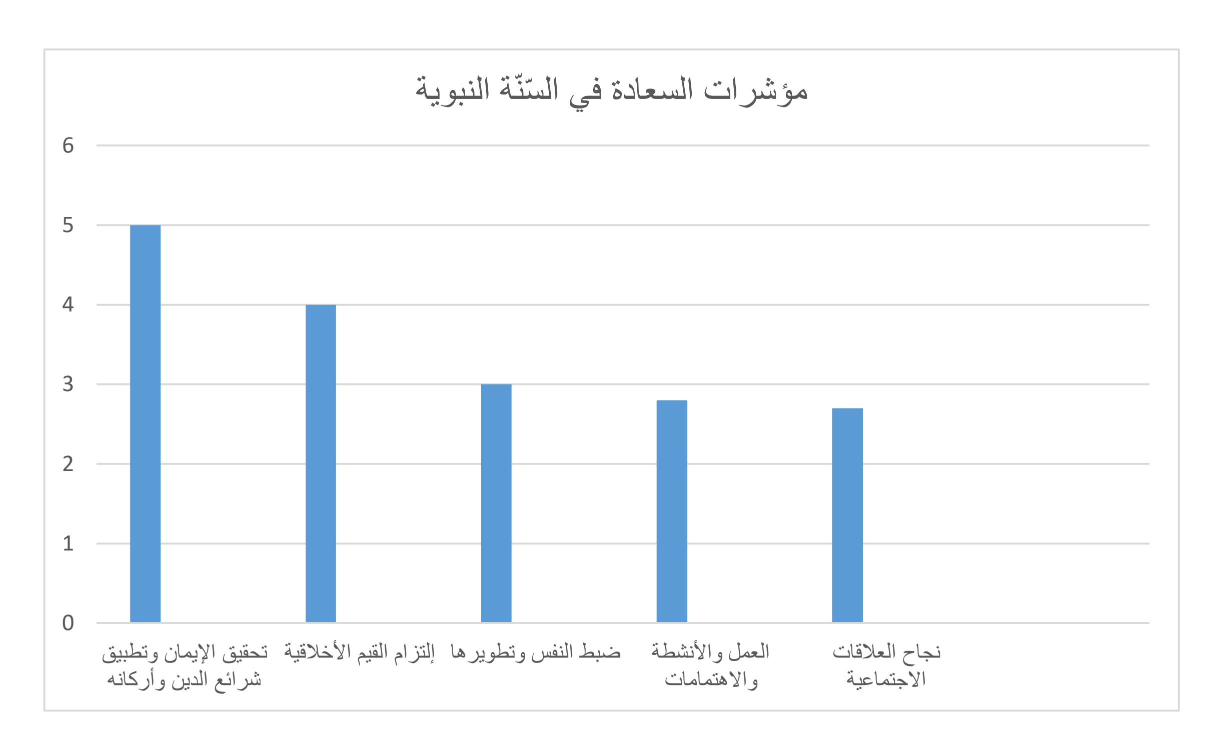
والفوز بالجنة ونعيمها من مكونات السعادة الضرورية، لأن الدنيا دار ابتلاء وهي ممر، وفي الآخرة المستقر فإما إلى جنة أو نار والعياذ بالله، فمن عمل صالحا وحقق السعادة في الدنيا فهو بإذن الله سيكمل طريقه إلى السعادة الكبرى وإلى نهاية الطريق في الجنة دار الأبرار.

---

(١) قاسم، منار القاري شرح مختصر صحيح البخاري (٣٠٣/٥).

المطلب الثالث: مؤشرات السعادة في السنّة النبوية

بعد عرض أحاديث السعادة في السنّة النبوية، واستنباط مفهوم ومكونات السعادة، يمكن تحديد مؤشرات السعادة في السنّة النبوية، وهي كثيرة، يمكن جمعها في خمسة مؤشرات عامة تضم عدة مؤشرات تفصيلية:



١- تحقيق الإيمان، وتطبيق شرائع الدين وأركانه (الحياة ذات المعنى)

" أصبح من الواضح أن كل نتائج الدراسات تؤكد باستمرار حقيقة أن الناس المتدينين يبدون أكثر سعادة وأكثر رضا عن حياتهم من غير المتدينين، وهناك عامل يؤكد الصلة بين الدين والسعادة وهو أن الدين يزرع الأمل في المستقبل ويعطي للحياة معنى"(١).

ويعد تحقيق الإيمان بكل أركانه وتطبيق شرائع الدين وأركانه، من أهم المؤشرات التي تؤثر على مستوى سعادة الفرد، فالإيمان يجعل لحياة العبد معنى وهدف سامي، ويحدد للعبد المغزى من وجوده، وما يجب عليه القيام به في حياته، فإن العدو الأكبر للسعادة الضياع والملل، فإذا لم يكن

---

(١) سيلجمان، السعادة الحقيقية (ص: ٨٤)

للإنسان معنى من وجوده تخبط أيما تخبط، وتكبد الضياع والشقاء، ولا سبيل للبعد عن هذا الشقاء إلا بالإيمان الصادق عقيدا وقولا وعملا على منهج النبي صلى الله عليه وسلم، منهج السعادة الحقيقية.

إن علماء النفس يثبتون ضرورة وجود معنى للحياة سواء كان دين أو سياسة أو أي هدف يسعى الإنسان لبذل كل جهده من أجله، ويؤكدون أن الراهبات كانوا أكثر سعادة وأطول عمرا، لكن بحكم دراساتهم الغربية فهم لا يؤمنون بالله، ومنهم من يؤمن به لكن بصورة خاطئة، وبديانات حرفت، لذا لا يثبتون حقيقة هذا الدين القويم وما فيه من إعجاز وفضائل تصلح حال البشرية أجمع.

٢- التزام القيم الأخلاقية

"جوانب القوة والفضائل خصال إيجابية تجلب الشعور الحسن والاشباع"(١).

إن القيم والفضائل من الأمور التي يتفق عليها كل عاقل وحكيم، وعلى ضرورة وجودها في حياة الفرد كي يكون سعيدا، لكن في سنة صلى الله عليه وسلم عرض للقيم من وجه أكثر تحديد، وأدق توجيه، بأسهل طريق للوصول إلى الحياة السعيدة.

٣- تحقيق النجاح في العلاقات الاجتماعية

"شديدي السعادة اختلفوا بصورة ملحوظة عن غير السعداء في شيء أساسي هو: حياة اجتماعية ثرية ومشبعة"(٢).

الإنسان بطبعه يحب الألفة والاجتماع، يحب الود والاهتمام، وهذه الأمور تؤدي به إلى الإشباع الموصل للسعادة، وفي سنة الحبيب صلى الله عليه وسلم اهتمام بالجانب الاجتماعي للعبد من كل الجوانب: سواء ما كان مع شريك حياته، أو أبنائه وأسرته، أو أبواه وأقاربه، أو مجتمعه بأكمله، وسيأتي تفصيل ذلك بإذن الله في الفصل الثاني.

٤- العمل والإنتاجية، والأنشطة والأهداف والاهتمامات

" أهم سمة بشرية تؤثر في بناء القوة هي الإنتاجية في العمل" (٣).

---

(١) سيلجمان، السعادة الحقيقية (ص:٢٠).

(٢) المرجع السابق (ص:٦٠).

(٣) المرجع نفسه (ص: ٥٧).

"والعمل يعد مرغوبا كوقاية من الملل وهو يحقق قدر كبير من الإشباع، وممارسة نشاط أو صنعة أو صغل موهبة، والاستغراق في هواية، وأن يكون للفرد اهتمامات واسعة، وردود أفعال ودية، وإمكانية على ملأ وقت الفراغ بذكاء، كل هذه مؤشرات تجعل الحياة أكثر سعادة وأكثر حيوية"(١).

الفراغ والملل أمور تحارب السعادة، والسّنّة النبوية جاءت بتعاليم تضفي لحياة العبد الحيوية والنشاط، والإحساس بالإنجاز والنجاح، حيث الحث على العمل والعمل التطوعي والاهتمامات القيمة، وغيرها من الأمور.

٥- ضبط النفس وتطويرها

أكد علماء النفس على عنصر أساسي من عناصر السعادة وهو ضبط النفس **self control**، "فيمكن لكل إنسان زيادة مشاعر السعادة وتقليل مشاعر الشقاء بإرادته في مجاهدته لنفسه لكي تكون متفائلة وراضية"(٢)

ميز الله الإنسان بالعقل، والقدرة على ضبط النفس وتطويرها، وعلمنا الحبيب صلى الله عليه وسلم كيف يمكن للعبد أن يضبط نفسه، وكيف له أن يطورها، وتعتبر قدرة العبد على ضبط نفسه وقيادتها من المؤشرات المؤثرة في سعادته.

و"تعتبر الصحة من المكونات الهامة للشعور بالهناء وهي بحق أحد عناصره الموضوعية وترتبط ارتباطا وثيقا بالسعادة"(٣).

و"يجمع العناء النفسي ما بين المشاعر السلبية والحالات المرتبطة بها، وتسهم مؤشرات السعادة في التخفيف من العناء بأشكاله المتعددة كسوء المزاج والاكتئاب والقلق والشعور بالوحدة والانتحار"(٤).

إن الصحة من الأمور المؤثرة في السعادة، وقد أوصانا النبي صلى الله عليه وسلم بالحفاظ عليها واستغلالها بالطاعات، وعلمنا النبي صلى الله عليه وسلم أن الأمان من النعم العظيمة التي يجب على العبد شكرها والحفاظ عليه، فالإنسان الخائف لا يستطيع الإنجاز ولا يستطيع الشعور بأي

---

(١) ينظر: راسل، انتصار السعادة (ص:١٦٥،١٦٢، ١٦٩، ١٧٩، ٢٣٤ ، ٢٢٨، ٢٣٩).

(٢) موسى، السعادة وتنمية الصحة النفسية (ص٥٠).

(٣) أرجايل، سيكولوجية السعادة، (ص:٢٤٥، ٢١٩)

(٤) ينظر: المرجع السابق (ص٢٠، ٣٨).

نوع من المشاعر الإيجابية لذا كان الأمان من الأمور المهمة التي تتفق البشرية على ضرورتها، والتي ركزت عليها السّنّة النبوية ابتداء.
وعلمنا النبي صلى الله عليه وسلم في سنته الطاهرة منهج التعامل مع العناء النفسي وكيفية التغلب عليه.
هذه مجمل مؤشرات السعادة في السّنّة النبوية التي وقفت عليها، ويأتي الفصل الثاني في بيانها وذكر منهج النبي صلى الله عليه وسلم بها والاستشهاد بأقواله صلى الله عليه وسلم.
وهذه المؤشرات تؤثر على مستوى سعادة الفرد والمجتمع، فالمجتمع أنا وأنت وعائلتي وعائلتك، ومعارفي وعارفك، ومتى سرنا جميعا في طريق السعادة تحققت السعادة للمجتمع بأكمله، فالسعادة تبدأ من الفرد أولا.
والمناخ والعرق والنوع والطبقة والمال ليس لهم تأثير قوي على السعادة، وسيتم تناولهم في الفصل الثالث في ذكر أنواع السعادة في السّنّة النبوية.

قياس السعادة:

تبين في مباحث علم النفس أن السعادة تقاس من خلال سؤال الأشخاص عن سعادتهم بعدة اعتبارات، وفي السّنّة النبوية السعادة أمر يختص بين العبد وربه، فلا يمكن قياسه على وجه دقيق، لكن ممكن وضع مقياس تصوري للسعادة، بحيث يستطيع الإنسان من خلاله تفقد نفسه ومحاسبتها، مع قيادتها نحو طريق السعادة الحقيقية في اتباع منهج النبي صلى الله عليه وسلم.

وبناء على المؤشرات السابقة المستخلصة من السّنّة النبوية، وضعت مقياس للسعادة في السّنّة النبوية، وهو مرفق مع الملاحق.

وبنيت هذا المقياس على عدة اعتبارات ومعايير:

ومن خلال تطابق هذه العبارات مع حياة المؤمن يستطيع قياس مدى سعادته، وحظه منها:

١- تحقيق الإيمان وتطبيق شرائع الدين:

(أعتقد اعتقادا جازما بأن الله سبحانه هو رب كل شيء، وهو الخالق المستحق للعبادة دون ما سواه
أعتقد بأن النبي محمد هو رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي جاء بدين الهداية والسعادة الحقيقية
أؤمن بكل ما جاء به النبي صلى الله عليه وسلم
أشعر أن الإيمان يملأ قلبي رضا وراحة وطمأنينة

أحرص على تطبيق شرائع الإسلام وأركانه
أحافظ على صلاتي التي بها راحتي وصلاحي ومناجاة خالقي
أحافظ على وردي من القرآن الكريم
عند سماع القرآن أو قراءته تطمئن نفسي وتسكن
أشعر أن لحياتي معنى لإيماني بالله واتباعي لمنهج النبي صلى الله عليه وسلم
أعتقد بوجود دار آخرة أحاسب بها)

٢- تطبيق القيم الإسلامية التي تقوي جوانب القوة في شخصية المؤمن وتقوده للإشباع:

(ألتزم بالقيم الأخلاقية الإسلامية
أراقب الله في حياتي كلها
أنا راض عن حياتي، راض بقضاء الله، أشعر براحة في كل أموري
أحافظ على الأذكار الإسلامية في حياتي
أشعر بالرضا عن حياتي، ولدي الهمة لأكون أفضل
غالبا ما أجدد نفسي، وأحاسبها، وأقودها للأفضل
أعمل جاهدا، لأفوز بالجنة دار السعداء ونعيمها
أتوكل على الله في كل أموري، وأستشعر معية الله للمحسنين
أحاول تحقيق الإحسان بكل أنواعه
أنا متفاءل جدا، وأعلم أن الله مع المؤمنين
أشعر بسعادة ورضى لإيماني القوي بالله
أحرص على فعل الخيرات، والأعمال الصالحة
لدي مبادئ وقيم وأهداف فضيلة أسعى لتحقيقها)

٣- تحقيق النجاح في الحياة الاجتماعية:

(لدي مشاعر ودية اتجاه معظم الناس
أحب الخير للناس مثلما أحبه لنفسي
يصفني الناس بأنني شخص معطاء
أستمتع بتبادل الحديث مع أسرتي وأصدقائي والآخرين
أنا سهل في معاملاتي كلها، لين، سمح
أعامل الناس كما أحب أن أعامل
أساعد الناس، وأنفق من مالي، وأحب خدمة الآخرين)

٤- الحرص على العمل والإنتاجية، ومراعاة الاهتمامات القيمة التي تقود إلى تقدير الذات:

(لدي مصدر دخل يكفيني بفضل الله
أنا فرد منتج، أحب العمل والإنتاجية
أحقق أهدافي، وأمارس هواياتي وأنشطتي في الحياة ضمن حدود الشرع
دائما ما أكون منشغلا بشيء له قيمة)

٥- القدرة على ضبط النفس وتطويرها، مما يجعل المؤمن سعيد ويمتلك مشاعر السعادة والإيجابية:

(الحياة بالنسبة لي طيبة جميلة، وهي سبيلي إلى الجنة
عندما أقارن نفسي مع الأقل مني أشعر بالرضا عن حياتي
أستطيع إيجاد الوقت المناسب لما أريده
أشعر أنني متحكم بأمور حياتي وأديرها بشكل جيد
أستطيع ضبط نفسي، ولدي إرادة قوية
دائما ما أرى الأمور بنظرة إيجابية، لإيماني القوي بالله تعالى
أشعر أنني بصحة جيدة
أتبع منهج النبي صــلى الله عليه وســلم في إشــباع الملذات المادية بالقدر والوقت المناسب
أنا سعيد جدا
لدي القدرة على تلقي الصدمات والابتلاءات بنفس قوية وايمان صادق قوي
أعيش في أمن وأمان بفضل الله).

لتطبيق هذا المقياس، ينظر في الملاحق.

الفصل الثاني:

مؤشرات السعادة في السّنّة النبوية

المبحث الأول: تحقيق الإيمان، وتطبيق شرائع الدين وأركانه (الحياة ذات المعنى)

المبحث الثاني: التزام القيم الإسلامية

المبحث الثالث: تحقيق النجاح في الحياة الاجتماعيّة

المبحث الرابع: العمل والإنتاجية، ومراعاة الاهتمامات

المبحث الخامس: ضبط النفس وتطويرها

توطئة:

إنّ السعادة كلمة قليلة الحروف كبيرة المعاني، يبذل الناس في طلبها كلّ غالٍ، يبحثون عنها في كل المجالات والطرق، ونجد الكثير- بل الأكثر- تعب من البحث عنها، وآخرون ظنّوها حلمًا أو كلمات على ورق، والحقيقة أنّ منهجها واضح في الإسلام، وأنّ النبي -صلّى الله عليه وسلّم- دلّنا عليها، وكان منهجه -صلّى الله عليه وسلّم- منهج السلام والطمأنينة والسكينة، ومن اتبعه فاز بسعادة الدّارين، لذا خصصت هذا الفصل لبيان منهجه -صلّى الله عليه وسلّم- في تحقيق سعادة الدّارين، السعادة التي تضفي على حياة العبد الفرح والسرور، والبشرى والانشراح، سعادة حقيقة فاز بها كثير من العباد، على رأسهم النبي -صلّى الله عليه وسلّم- وصحابته الكرام رضي الله عنهم، ومن تبعهم بإحسان.

ففي اتباع منهج النبي صلى الله عليه وسلم في الحياة كلها الطريق الأمثل والسبيل الوحيد للشعور بالسعادة الحقيقية، وهذا الاتباع يؤدي إلى النضج الانفعالي والوجداني والاجتماعي والسلوكي، وإلى توافق الإنسان مع نفسه ومع العالم من حوله، ويزوده بالقدرة على تحمل مسؤوليات الحياة ومواجهة ما يقابله من مشكلات وابتلاءات، وبالتالي يتقبل العبد واقع حياته ويحظى بمشاعر الرضى والطمأنينة والسرور(١).

وفي المنهج النبوي يحقق العبد ذاته ويستغل قدراته وامكاناته إلى أقصى حد ممكن، وتكون شخصيته متكاملة سوية، وسلوكه مستقيما منضبطا، ويعيش في سلام ضمن حدود الشرع وتعاليمه(٢).

وللاستدلال على سعادة الأفراد واتباعهم لمنهج النبي صلى الله عليه وسلم في الحياة، هناك مؤشرات تشمل عدة عوامل ومعايير مستنبطة من السّنّة النبوية، وتتعلق سعادة العبد بمدى التزامه بهذه المؤشرات ومدى تأثيرها على سلوكه وانفعالاته.

---

(١) ينظر بتصرف: نجاتي، الحديث النبوي وعلم النفس (ص:٢٧١).

(٢) ينظر بتصرف: المرجع السابق (ص:٢٧٢).

ويمكن تلخيص مؤشرات السعادة في السّنّة النبوية إلى خمسة مؤشرات عامة كما تم بيانها في نهاية الفصل الأول، وهذه المؤشرات تشمل علاقة العبد بربه، وعلاقته بنفسه، وعلاقته بالآخرين والمجتمع، وفيها بيان لدوافع العبد وحاجاته ورغباته، وفيها ضبط لانفعالاته وعواطفه وسلوكياته، وبالتزامها يستطيع العبد أن يهنأ بحياة سعيدة طيبة.

وبدأت بالحديث عن تحقيق الإيمان، لأن عقيدة المسلم أصل سعادته وفيها نجاته بالدّارين، وفيها يعرف ربه ويتعلق بخالقه سبحانه، ثمّ إذا عرف العبد ربه وحقق الإيمان قولًا وعملًا قاده ذلك إلى تطبيق شرائع الدين وأركانه، والتي فيها سعادته وانقياده لله سبحانه، وفيها الأجر والمثوبة، وفيها تنظيم لحياته ووقته، وفيها ضبط لنفسه، والإنسان عندما يعرف هدفه من هذه الحياة ينشغل به، ومن الأمور المتفق عليها في كل العلوم أن السعادة إنما تكون بمعرفة الإنسان لهدفه وغايته والمعنى من حياته والسعي في تحصيل ذلك، فلا يكون العبد تائهًا دون هدف أو معنى لحياته.

ثم ذكرت التزام القيم الإسلامية، وفيها يسلم الإنسان من الخلق، ويرتقي في معاملاته كلها، وفيها يقوي صلته بالله تعالى، وفيها يعيش وقلبه معلق بالله تعالى، لأنّ كل أموره ومعاملاته مرتبطة بالله تعالى.

ثم يأتي مبحث تحقيق النجاح في الحياة الاجتماعيّة، وإذا نجحت حياة المرء الاجتماعيّة فلا ريب أن ذلك سيحقق له السعادة، ويزيد من ثقته بنفسه، ويؤدي به إلى تقدير الذات وإلى الإشباع الروحي والاجتماعي، وإلى الإيجابية والمرونة.

ثم يأتي مبحث العمل والاهتمامات وفيه يظهر العبد جوانب القوة التي وهبه الله إياها، ويحقق ذاته، ويقدرها، ويستغل مواهبه وإمكاناته، ويملأ حياته بالنشاط والحيوية والأمور القيمة.

ثمّ جاء مبحث ضبط النفس وتطويرها والذي من خلاله يعرف العبد دوافع سلوكه، ويضبط ويدير انفعالاته وعواطفه، ويتعرف على الشخصية النبوية السوية التي يتخذها قدوة ونموذجا له.

وفيما يلي عرض لهذه المباحث مشتملة على أحاديث الرسول -صلّى الله عليه وسلّم-.

المبحث الأول: تحقيق الإيمان، وتطبيق شرائع الدين وأركانه (الحياة ذات المعنى)

إن للإنسان دوافع نفسية روحية لا ترتبط بسد حاجاته البدنية كالدوافع الفسيولوجية، ولا تتعلق بحفظ الذات وبقاء النوع، وإنما هي تسد حاجات نفسية رحية، وهي حاجات أساسية للإنسان لأن إشباعها يحقق له الحياة الآمنة المطمئنة السعيدة، والحرمان منها يؤدي إلى الحرمان من الأمن النفسي، وإلى الشقاء والقلق، والإنسان لديه استعدادا فطريا لمعرفة الله تعالى والإيمان به، قال تعالى: {فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ (٣٠)} [الروم: ٣٠] وقال الرسول صلى الله عليه وسلم في بيان هذه الفطرة السوية: **((مَا مِنْ مَوْلُودٍ إِلَّا يُولَدُ عَلَى الْفِطْرَةِ، فَأَبَوَاهُ يُهَوِّدَانِهِ، أَوْ يُنَصِّرَانِهِ ، أَوْ يُمَجِّسَانِهِ ، كَمَا تُنْتَجُ الْبَهِيمَةُ بَهِيمَةً جَمْعَاءَ ، هَلْ تُحِسُّونَ فِيهَا مِنْ جَدْعَاءَ ؟))**(١)، فالإنسان يولد ومعه هذا الاستعداد الفطري، الذي يحتاج إلى ما يظهره وينميه من تعليم وتوجيه وإرشاد، وهو ما يمثل الناحية البيئة المكتسبة التي تؤثر على أساس الفطرة السوية(٢).

وبهذا يتأكد أن تحقيق الإيمان وتطبيق شرائع الدين وأركانه من أهم الدوافع التي تؤثر على سلوك الإنسان، والتي تسد حاجة ضرورية في حياته.

ويؤثر دافع العبودية لله تعالى على سلوك الإنسان الحركي واللفظي، وعلى نشاطه العقلي المعرفي، وعلى نشاطه الوجداني والانفعالي.

---

(١) أخرجه: البخاري، الجامع الصحيح، كتاب الجنائز - باب إذا أسلم الصبي فمات هل يصلى عليه- ح١٢٩٢، (٤٥٦/١). ومسلم، امسند الصحيح، كتاب القدر - باب معنى كل مولود يولد على الفطرة وحكم موت أطفال الكفار وأطفال المسلمين- ح٢٦٥٨، (٥٢/٨)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) ينظر: نجاتي، الحديث النبوي وعلم النفس (ص:٣٢-٣٣)

المطلب الأول: تحقيق الإيمان بالله تعالى

لا يخفى على أحد أهمية الإيمان، وعظم شأنه، وكثرة عوائده وفوائده على العبد في الدنيا والآخرة، بل إن الخير كله متوقف على تحقيق الإيمان الصحيح، فهو أجلّ المطالب وأنبل الأهداف والمقاصد، وبه يحيا العبد حياة طيبة سعيدة، وينجو من المكاره والشدائد والشرور، ويحظى بالسعادة والحبور، وينال ثواب الآخرة والنعيم المقيم والسرور، والخير الدائم الذي لا يحول ولا يزول[١].

قال تعالى: { مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (٩٧)} [سورة النحل: ٩٧]

في قوله تعالى {وَهُوَ مُؤْمِنٌ} بيان أن الإيمان شرط في صحة الأعمال الصالحة وقبولها، ولا تسمى الأعمال صالحة إلا بالإيمان، والإيمان مقتضٍ لها، فإنّ التصديق الجازم مثمر لأعمال الجوارح من الواجبات والمستحبات، ومن جمع بين الإيمان والعمل الصالح كانت له البشرى والحياة الطيبة، فقد علق الله سبحانه الحياة الطيبة السعيدة بتحقيق الإيمان في قوله سبحانه: {فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً} وهذه الحياة الطيبة تحصل له بطمأنينة قلبه وسكون نفسه وعدم التفاته لما يشوش عليه قلبه، ويرزقه الله رزقًا حلالًا طيّبًا من حيث لا يحتسب، ويحصل له في الآخرة أحسن الجزاء من أصناف اللذات مما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر، فيؤتيه الله في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة، ويكون العبد بذلك قد فاز بالحياة الطيبة السعيدة في الدارين[٢].

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: **((الْإِسْلَامُ أَنْ تَشْهَدَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ -صلّى اللهُ عَلَيْهِ وسلّم-، وَتُقِيمَ الصَّلَاةَ، وَتُؤْتِيَ الزَّكَاةَ، وَتَصُومَ رَمَضَانَ، وَتَحُجَّ الْبَيْتَ إِنِ اسْتَطَعْتَ إِلَيْهِ سَبِيلًا))**،وقال صلى الله عليه وسلم في بيان أركان الإيمان: **((أَنْ تُؤْمِنَ بِاللهِ،**

---

(١) ينظر: نخبة من العلماء، **أصول الإيمان في ضوء الكتاب والسنّة**، وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد - المملكة العربية السعودية- مجمع الملك فهد لطباعة المصاحف- ط١ -١٤٢١هـ، (ص: ٧).

(٢) ينظر: السعدي، تيسير الكريم الرحمن (ص: ٤٤٩).

وَمَلَائِكَتِهِ، وَكُتُبِهِ، وَرُسُلِهِ، وَالْيَوْمِ الْآخِرِ، وَتُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ))، وفي بيان الإحسان قال صلى الله عليه وسلم: **((أَنْ تَعْبُدَ اللهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ))** [١].

وهذا حديث عظيم مشتمل على السعادة كلها، وعلى خيري الدنيا والآخرة، وفيه تحديد المعنى من الحياة، والغاية من الوجود، وفيه بيان حيوية المسلم ونشاطه في استغلال أوقاته في الأمر الذي وجد له، وفيه ضبط المسلم لنفسه وتهذيبها بالالتزام بالطاعات واجتناب المعاصي، وفيه بيان للعلاج النفسي لكل أنواع العناء النفسي، فالإيمان الصادق أول علاج وأفضل سبيل للاطمئنان والسكينة، والصيام والحج من أقوى العلاجات وأكثرها فعالية في تدريب النفس وضبطها وكبح شهواتها بإطار الشرع، وفي الصيام والحج تعليق الفرح بالطاعة، وتعليق لأعياد المسلمين بعد تمام الطاعة، لأن الفرح الحقيقي مرتبط ارتباط وثيق بالطاعة وانجازها.

وفي الحديث تربية للعبد على التسليم والرضا المصاحب لقوة الإيمان، والذي يقود العبد للسعادة في الدارين، وفيه دعوة للإحسان بكل أنواعه.

فهو حديث مشتمل على فوائد عدة، ومن هذه الفوائد أنه مشتملٌ على أركان الإيمان الستة، وأوَّل هذه الأركان الإيمان بالله، وهو أساس للإيمان بكلِّ ما يجب الإيمان به، ولهذا أُضيف إليه الملائكة والكتب والرسل واليوم الآخر، والقضاء والقدر، ومَن لَم يؤمن بالله لا يؤمن ببقيَّة الأركان[٢].

والإيمان هو التصديق بالقواعد الشرعية[٣] وهو أصل كل سعادة وسرور.

قال النبي -صلّى الله عليه وسلّم-: **((أَتَانِي جِبْرِيلُ فَبَشَّرَنِي: أَنَّهُ مَنْ مَاتَ لَا يُشْرِكُ بِاللهِ شَيْئًا دَخَلَ الْجَنَّةَ قُلْتُ: وَإِنْ سَرَقَ وَإِنْ زَنَى؟ قَالَ: وَإِنْ سَرَقَ وَإِنْ زَنَى))**[٤]، في الحديث بشرى عظيمة تجعل المؤمن في سكينة وطمأنينة، فمهما أخطأ العبد فإن له ربا كريما يغفر ويقبل التوبة الصادقة، وبذلك لا ينقطع الأمل ولا تنقطع الحياة والإيجابية في حياة العبد المسلم.

---

[١] أخرجه مسلم، المسند الصحيح، كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها - باب إحلال الرضوان على أهل الجنة فلا يسخط عليهم أبدا -ح(٨)، (٣٦/١) ، من حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

[٢] ينظر: العباد، شرح حديث جبريل في تعليم الدين (ص: ٢٥).

[٣] القرطبي، المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم (١/ ٥٦).

[٤] أخرجه البخاري، الجامع الصحيح، كتاب التوحيد - باب كلام الرب مع جبريل ونداء الله الملائكة - ح(٧٠٤٩)، (٢٧٢١/٦)، من حديث أبي ذر رضي الله عنه.

وفي هذا الحديث دلالة على أن المرتكب لجنس الكبيرة من المسلمين يدخل الجنة، وليس فيه ما ينفي أنه يعذب قبل ذلك، كما أنه ليس في آية {الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ وَلَا تَأْخُذْكُمْ بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَائِفَةٌ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ (٢)} [سورة النور: ٢] ما ينفي أنه قد يدخل الجنة بعد التعذيب على معصية الزنا[١]، وهذا الحديث فيه بشرى من الله تعالى أن المؤمنين الذين حققوا شروط كلمة التوحيد يدخلون الجنة دار السعداء بفضل من الله ونعمته.

- **أثر الإيمان بالله تعالى في تحقيق السعادة:**

وأول أركان الإيمان ومصدر كل سعادة وخير هو الإيمان بالله تعالى، أي **الاعتقاد الجازم** بأن الله رب كل شيء ومليكه وأنه الخالق والرازق والمحيي والمميت، وأنه المستحق للعبادة دون ما سواه، وأن يُفرد بالعبادة والذل والخضوع وجميع أنواع العبادات، وأنّ الله هو المتصف بصفات الكمال والعظمة، والجلال، المنزَّه عن كل عيب ونقص[٢].

والعبد إذا آمن بهذه الأمور وحقق الإيمان، عاش في سكينة وطمأنينة، وفي هناء وسرور، فهو يعلم أن الله بيده كل شيء، وأنه الخالق والرازق، والذي له كل صفات العظمة سبحانه، وهذا الاعتقاد يجعل العبد يعيش في سلام مع نفسه وفي إيجابية، كونه حدد الهدف من حياته، ويقوده هذا الإيمان أيضا إلى الإيمان بباقي الأركان وإلى تطبيق شرائع الدين، والاستقامة على دين الهداية والسعادة والسلام.

والإيمان بالله تعالى يشمل أربعة أمور[٣]: "الإيمان بوجوده سبحانه، الإيمان بربوبيته، الإيمان بألوهيته، الإيمان بأسمائه وصفاته".

- **أثر الإيمان بالملائكة في تحقيق السعادة:**

والايمان بأن لله ملائكة موجودون، خَلقٌ من خلقه، خُلقوا من نور، وهم خلقٌ كثيرٌ لا يعلم عددَهم إلّا الله عزَّ وجلَّ، وهم كما وصفهم الله: { عِبَادٌ مُكْرَمُونَ (٢٦)} [سورة الأنبياء: ٢٦]، ويسبحون الله الليل والنهار لا يفترون، وأنهم قائمون بوظائفهم التي أمرهم الله بها كما تواترت بذلك

---

[١] العيني، عمدة القاري شرح صحيح البخاري (٢٣/ ٥٠).

[٢] ينظر: القحطاني، سعيد بن علي بن وهف، **شرح العقيدة الواسطية لشيخ الإسلام ابن تيمية في ضوء الكتاب والسنّة**، مطبعة سفير، الرياض - مؤسسة الجريسي للتوزيع والإعلان، الرياض، (ص:٧).

[٣] ينظر: المرجع السابق (ص:٧). والعباد، شرح حديث جبريل (ص:٢٥).

النصوص من الكتاب والسّنّة [١]، له الأُثر النفسي الكبير على شخصية المسلم، فهم عباد مكرمون لا يعصون الله أبدا ويفعلون ما يؤمرون، وهم جند الله سخرهم للمؤمنين حفظة ولتثبيت المؤمنين، ولهم وظائف عدة، فعندما يشعر العبد أن الله سبحانه سخر الملائكة لمساندة المؤمنين وتثبيتهم تسعد نفسه بهذه الجنود الربانية وهذا الدعم الإلهي.

- **أثر الإيمان في الكتب السماوية في تحقيق السعادة:**

الإيمان بالكتب السماوية كلها، والتصديق الجازم بها، أحد جوانب الإيمان بالله تعالى وقدرته وحكمته، وتدبيره لأمور العباد، فهي من كلامه سبحانه حقيقة، وهي نور وهدى وهي حق منزل من الله، غير مخلوقة، وفيها سعادة العباد في الدارين، والقرآن الكريم هو المهيمن على كل الكتب السماوية السابقة وهو مخصوص من الله بالحفظ من التبديل والتغيير، وهو كلام الله المنزل الغير مخلوق منه بدأ وإليه يعود، ويؤمن العبد به تفصيلًا، فتُصدَّق أخبارُه، وتُمتثل أوامرُه، وتجتنب نواهيه، ويُتعبَّد الله طبقًا لِما جاء فيه وفي سنّة رسول الله -صلّى الله عليه وسلّم-، فهو المعجزة الخالدة التي تُحدِّي بها أهل الفصاحة والبلاغة [٢]، ولهذا التصديق بهذه الكتب جملة وبالقرآن تفصيلا الأثر العظيم على العبد، والتأثير الكبير على سلوكه وانفعالاته، وفي ضبط عواطفه، وتزكية دوافعه، مما يسوقه للسعادة الحقيقة.

- **أثر الإيمان بالرسل عليهم السلام في تحقيق السعادة:**

الرّسل هم خير البشر، وهم الذين اصطفاهم الله لرسالاته، ومن أركان الإيمان التصديق الجازم بأنّ الله اصطفى رسلًا وأنبياء يهدون الناس إلى الحق ويخرجونهم من الظلمات إلى النور، واقتضت حكمته تعالى أن يرسلهم إلى خلقه مبشّرين ومنذرين، فيجب الإيمان بهم جميعًا على وجه الإجمال، ويجب الإيمان بمن سمَّى الله منهم على وجه التفصيل، ويجب الإيمان بأنّ محمدًا - صلّى الله عليه وسلّم- أفضلهم وخاتمهم، وأنّ رسالته عامة للثقلين ولا نبي بعده - صلّى الله عليه وسلّم- [٣]، وللإيمان بالرسل الكرام الأثر الكبير على شخصية المسلم واتزانه، فهم القدوة

---

[١] ينظر: القحطاني، شرح العقيدة الواسطية لشيخ الإسلام ابن تيمية في ضوء الكتاب والسّنّة (ص: ٧). العباد، شرح حديث جبريل في تعليم الدين (ص: ٢٩).

[٢] ينظر: العباد، شرح حديث جبريل في تعليم الدين (ص: ٢٩). القحطاني، شرح العقيدة الواسطية لشيخ الإسلام ابن تيمية في ضوء الكتاب والسّنّة (ص: ٧).

[٣] ينظر: القحطاني، شرح العقيدة الواسطية لشيخ الإسلام ابن تيمية في ضوء الكتاب والسّنّة (ص: ٧). والعباد، شرح حديث جبريل في تعليم الدين (ص: ٣٢).

الحسنة وفي سيرهم أروع القيم والفضائل مثل الرضا، والصبر والإنجاز والتواضع، والأمانة، والإحسان، فهم خير البشرية الذين اختارهم الله لرسالاته.

- **أثر الإيمان باليوم الآخر في تحقيق السعاد:**

الإيمان باليوم الآخر عقيدة مهمة، وسبب مهم من أسباب السعادة، فإذا تيقن العبد أن هذه الدنيا دار اختبار، والآخرة دار القرار، سعى في الطاعات، وجاهد نفسه على ملازمة الطاعة والاستقامة، فبمهما يجد العبد سعادة الدّارين، وقد جاء في الحديث الشريف: **((فَمَنْ سَرَّهُ أَنْ يُزَحْزَحَ عَنِ النَّارِ وَيَدْخُلَ الْجَنَّةَ، فَلْتُدْرِكْهُ مَوْتَتُهُ وَهُوَ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ))**(١).

وعندما يعتقد المؤمن أن هناك دارًا آخرة يجازي الله فيها المحسن بإحسانه، والمسيء بإساءته، ويغفر الله ما دون الشرك لمن يشاء، ويقر بكلِّ ما جاء في الكتاب والسّنّة عن كلِّ ما يكون بعد الموت، ويتيقن أن الله جعل الدُّورَ دارين دار الدنيا والدار الآخرة، حينها يتحقق له الرضا النفسي(٢).

- **أثر الرضا بالقضاء والقدر في تحقيق السعادة:**

تسكن نفس العبد وتطمئن حينما يصدق بأنّ كلّ خير وشر هو بقضاء الله وقدره، وأنّ الله تعالى علم مقادير الأشياء وأزمانها أزلًا قبل إيجادها ثمّ أوجدها بقدرته، ومشيئته على وِفْقِ ما علمه منها، وأنّه كتبها في اللّوح المحفوظ قبل إحداثها، قال الله عزَّ وجلَّ: { إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ } [سورة القمر: ٤٩] (٣)،

فالله تعالى علم بجميع الكائنات وأزمانها وأحوالها وأفعالها من خير أو شر، وكتب في اللوح المحفوظ كل ما يصدر من الخلق من طاعة ومعصية وإيمان وكفر، وأطلع الملائكة على أحوال

---

(١) أخرجه ابن ماجه، سنن ابن ماجه، كتاب الفتن باب ما يكون من الفتن - ح(٣٩٥٦)، (١٣٠٦/٢)، من طريق الأعمش، من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص، وقد روى ابن ماجه هذا الحديث بثلاثة أسانيد مجمعة عن الأعمش بمتن واحد، فقال: حدثنا أَبُو كُرَيْبٍ ، حَدَّثَنَا أَبُو مُعَاوِيَةَ ، وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ الْمُحَارِبِيُّ ، وَوَكِيعٌ ، عَنِ الْأَعْمَشِ، وأخرج رواية أو معاوية أحمد في مسنده ح ٦٥٠٣ ، وأخرج رواية وكيع أحمد في المسند ح ٦٦١٤، (١٣٦٧/٣) ، وأخرجها أيضًا مسلم في صحيحه ح ١٨٤٤،(١٨/٦)، والأعمش من أئمة الحديث الثقات انظر تقريب التهذيب (٢٥٤)، والحديث جامع لشروط الصحة وهو في صحيح مسلم، وإنما قدمت لفظ ابن ماجه لأنّ فيه لفظ" من سرّه"، وفي مسلم " من أحب".

(٢) ينظر بتصرف: القحطاني، شرح العقيدة الواسطية لشيخ الإسلام ابن تيمية في ضوء الكتاب والسّنّة (ص: ٨). والعباد، شرح حديث جبريل في تعليم الدين (ص: ٣٢).

(٣) ينظر: القحطاني، شرح العقيدة الواسطية لشيخ الإسلام ابن تيمية في ضوء الكتاب والسّنّة (ص: ٩). العباد، شرح حديث جبريل في تعليم الدين (ص: ٥٩).

الإنسان قبل ظهوره إلى هذه الحياة عندما أمر الملك أن يكتب عليه أقداره وهو لا يزال في بطن أمه[١].

والإيمان بهذه الأركان من أسباب السعادة، لأنّ تحقيق الإيمان متوقف على التصديق بكل أركان الإيمان، والمؤمن الحق الذي طلب السعادة ينشرح صدره لتعاليم الدين وقواعده، ويؤمن بما أمرنا الله أن نؤمن به.

قال ابن عثيمين: **"بامتثال أمر الله ورسوله** تدور السعادة في الدنيا والآخرة**"**[٢].

قال حمزة قاسم: **"** أفضل الأعمال على الإطلاق **الإيمان بالله عقيدة وقولًا وعملًا،** لأنّه أساس كل خير ومصدر كلّ سعادة، وشرط في قبول جميع الأعمال الشرعية، وصحتها شرعًا**"**[٣].

ويلحظ القارئ تكرار التأكيد على الإيمان عند شراح الحديث النبوي وهو ما يؤكد ويدل دلالة واضحة أنه لا سعادة بدون إيمان، ولا إيمان بدون سعادة، فمن آمن حق الإيمان تحصل له السعادة ولا ريب في ذلك.

---

[١] قاسم، منار القاري شرح مختصر صحيح البخاري (٥/ ٣٠٩).

[٢] ابن عثيمين، محمد بن صالح بن محمد العثيمين (ت١٤٢١هـ)، **شرح رياض الصالحين**، دار الوطن للنشر، الرياض ط ١٤٢٦ هـ، (٩٨/١).

[٣] قاسم، منار القاري شرح مختصر صحيح البخاري (٣/ ٣٨٩).

المطلب الثاني: تطبيق شرائع الدين وأركانه

الإسلام يشمل الجانب الفعلي التطبيقي، والإيمان يشمل الجانب العقدي(١)، وفي هذا المبحث بيان لأركان الإسلام وشرائعه التي ذكرها جبريل عليه السلام في حديثه، وفيها سعادة العبد وفوزه بالدّارين، فقد بيّن النبي -صلّى الله عليه وسلّم- أنّ من رضي بالإسلام دينًا ذاق طعم الإيمان، والرضا بالإسلام يتطلب الرضا بجميع أركانه وتطبيقها وتحقيق الإسلام على أكمل وجه.

جاء في الحديث الشريف أنّ النبي -صلّى الله عليه وسلّم- قال: ((**بُنِيَ الْإِسْلَامُ عَلَى خَمْسٍ: شَهَادَةِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، وَإِقَامِ الصَّلَاةِ، وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ، وَحَجِّ الْبَيْتِ، وَصَوْمِ رَمَضَانَ**))(٢).

بني الإسلام الذي هو الانقياد على خمس دعائم، وشهادة أن لا إله إلاّ الله وشهادة أن محمدًا رسول الله، وإقام الصلاة أي المداومة عليها، والمراد الإتيان بها بشروطها وأركانها، وإيتاء الزكاة أي إعطائها مستحقيها بإخراج جزء من المال على وجه مخصوص، والحج إلى بيت الله الحرام، وصوم شهر رمضان، ووجه الحصر في الخمسة أن العبادة إما قولية أو غيرها، الأولى الشهادتان، والثانية إما تركية أو فعلية، الأولى الصوم، والثانية إمّا بدنيّة أو ماليّة الأولى الصلاة، والثانية الزكاة أو مركبة منهما وهي الحج(٣).

بيّن الحديث أنّ أركان الإسلام التي فيها سعادة الدنيا والآخرة خمس، على العبد أن يحرص على أدائها كما علّمنا إياها الحبيب المصطفى -صلّى الله عليه وسلّم-.

---

(١) والإيمان والإسلام إذا قرن بينهما كان لكلٍّ منهما معنى، فإذا أفرد أحدهما دخل فيه ما يدخل في الآخر، والتحقيق في التفريق بينهما عند اقترانهما، أنّ الإيمان هو الاعتقادات القائمة بالقلوب، وهو تصديقُ القلبِ، وإقرارُهُ، ومعرفته، والإسلام هو الأعمال الظاهرة من الأقوال والأعمال، وهو استسلامُ العبدِ للهِ، وخُضُوعُه، وانقيادهُ له، وذلك يكونُ بالعملِ، وهو الدِّينُ، كما سمَّى الله تعالى في كتابِه الإسلامَ دينًا. ابن رجب، فتح الباري (١/ ٢٠٩). ابن رجب، جامع العلوم والحكم (١/ ١١١).

(٢) أخرجه: البخاري، الجامع الصحيح، كتاب الإيمان – باب بني الإسلام على خمس – ح(٨) و ح(٤٢٤٣) و مسلم، المسند الصحيح، كتاب الايمان - باب قول النبي صلى الله عليه وسلم بني الإسلام على خمس - ح(١٦)، (١/ ٤٥) واللفظ له، والبخاري بنحو لفظه، كلاهما من حديث ابن عمر رضي الله عنه.

(٣) القسطلاني، إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري (١/ ٩٠).

وهذا الحديث أصل عظيم في معرفة الدين، وعليه اعتماده، وقد جمع أركانه في لفظ بليغ وجيز[١].

قال ابن رجب: "والمقصودُ تمثيل الإسلام ببنيانه ودعائم البنيان هذه الخمس، فلا يثبت البنيانُ بدونها، وبقيةُ خصالِ الإسلام كتتمة البنيان، فإذا فقد منها شيء، نقص البنيانُ وهو قائم لا ينتقض بنقص ذلك، بخلاف نقضِ هذه الدعائم الخمس؛ فإنَّ الإسلام يزولُ بفقدها جميعِها بغير إشكالٍ، وكذلك يزولُ بفقدِ الشهادتين، والمراد بالشهادتين الإيمان بالله ورسوله"[٢].

○ **الشهادة هي كلمة السعادة الحقيقة، وهي الطريق الأمثل للصحة السوية:**

مفهوم الشَّهادَة: أي الخَبرُ القاطعُ[٣]، والشهادة هنا بمعنى الإقرار بكلمة التوحيد، (وهي قولنا: لا إله إلا الله) وتسمّى العبارة (أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدا عبده ورسوله) الشهادتين، فإنّ معنى الشهادة هنا هو الإعلام والبيان لأمر قد علم والإقرار والاعتراف به، وسمّي النطق بالشهادتين بالتشهّد، وهو صيغة (تفعّل) من الشهادة[٤]، والشَّهادتان عَلمُ الإسلام، وبهما يصيرُ الإنسان مسلمًا[٥]، وهما أصل كل سعادة، وبهما يبتدأ العبد بتحقيق منهج السعادة الحقيقية.

والشهادتان مِنْ خصالِ الإسلامِ بغير نزاعٍ، وليسَ المرادُ الإتيان بلفظهما دونَ التَّصديق بهما، فعُلِمَ أنَّ التّصديقَ بهما داخلٌ في الإسلامِ[٦].

قال أبو موسى الأشعري رضي الله عنه: "أَتَيْتُ النَّبِيَّ -صلّى اللهُ عَلَيْهِ وسلّم- ، وَمَعِي نَفَرٌ مِنْ قَوْمِي فَقَالَ: **((أَبْشِرُوا وَبَشِّرُوا مَنْ وَرَاءَكُمْ، أَنَّهُ مَنْ شَهِدَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ صَادِقًا بِهَا دَخَلَ الْجَنَّةَ))**، فَخَرَجْنَا مِنْ عِنْدِ النَّبِيِّ -صلّى اللهُ عَلَيْهِ وسلّم- نُبَشِّرُ النَّاسَ، فَاسْتَقْبَلَنَا عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ

---

[١] النووي، أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي (ت ٦٧٦هـ)، **المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج**، دار إحياء التراث العربي – بيروت، ط٢، ١٣٩٢هـ (١/ ١٦٠).

[٢] ابن رجب، جامع العلوم والحكم (١/ ١٤٨).

[٣] ابن منظور، لسان العرب (٣/ ٢٣٩).

[٤] ينظر: وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية - الكويت، **الموسوعة الفقهية الكويتية**، ط٢، دارالسلاسل - الكويت (٢٦/ ٢١٥).

[٥] ابن رجب، جامع العلوم والحكم (١/١٠٣).

[٦] المرجع السابق (١/ ١١٥).

، رَضِيَ اللهُ عَنْهُ فَرَجَعَ بِنَا إلى رَسُولِ اللهِ -صلّى اللهُ عَلَيْهِ وسلّم- ، فَقَالَ عُمَرُ: يَا رَسُولَ اللهِ ، إِذًا يَتَّكِلَ النَّاسُ ، قَالَ: فَسَكَتَ رَسُولُ اللهِ -صلّى اللهُ عَلَيْهِ وسلّم-". (١)

في الحديث بشرى للعباد أنّ من حقّق الشهادتين بصدق دخل الجنة دار السعداء، وقد قيّد الحديث تحقيقها بصدق بخلاف القول فقط.

وقال الرسول الله -صلّى الله عليه وسلّم-:((**مَنْ لَقِيَ اللهَ لَا يُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا دَخَلَ الْجَنَّةَ. قَالَ: أَلَا أُبَشِّرُ النَّاسَ؟ قَالَ: لَا، إِنِّي أَخَافُ أَنْ يَتَّكِلُوا**)) (٢)

وهذا حديث آخر فيه بشرى للمسلمين أن من مات لا يشرك بالله شيئًا دخل الجنة إمّا قبل دخوله النار أو بعده بفضل الله ورحمته، واقتصر الحديث على نفي الإشراك لأنه يستدعي التوحيد بالاقتضاء ولم يذكر إثبات الرسالة لأنّ نفي الإشراك يستدعي إثباتها للزوم أنّ من كذّب رسل الله فقد كذّب الله ومن كذّب الله فهو كافر، والمراد من لقي الله موحّدًا بسائر ما يجب الإيمان به، وقول النبي -صلّى الله عليه وسلّم-"أخاف أن يتّكلوا" أي أخاف اتكالهم على مجرد التوحيد(٣).

---

(١)أخرجه: أبو عبد الله، مسند الإمام أحمد، حديث أبي موسى الأشعري رضى الله تعالى عنه - ح(١٩٦١٢) (٤٠١/٤) من حَمَّادُ بْنُ سَلَمَةَ عن أَبِي عِمْرَانَ الْجَوْنِيُّ ، عَنْ أَبِي بَكْرِ بْنِ أَبِي مُوسَى عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه ، وحماد ثقة عابد انظر تقريب التهذيب (ص:١٧٨)، وهو حديث صحيح لم يرو بطرق كثيرة، لكن رجاله ثقات، وجمع شروط الحديث الصحيح، وقال الهيثمي: رجاله ثقات ، مجمع الزوائد ومنبع الفوائد: (١ / ١٦).

(٢) أخرجه: البخاري، الجامع الصحيح، كتاب العلم - باب من خص بالعلم قوما دون قوم كراهية أن لا يفهموا – ح(١٢٩) بهذا اللفظ، (١/ ٦٠)، وح(١٢٨). وأخرجه مسلم، المسند الصحيح، كتاب الإيمان – باب من لقي الله بالإيمان وهو غير شاك فيه دخل الجنة وحرم على النار – ح(٣٢)، (١/ ٥٨). من حديث أنس رضي الله عنه.

(٣) ينظر بتصرف: القسطلاني، إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري (١/ ٢٢١).

○ الصلاة طمأنينة القلب، وصلة بين العبد وخالقه الذي يعلم بمكونات نفسه ودوافعها وحاجاتها:

الصلاة من الملائكة دعاء واستغفار، ومن الله رحمة، وبه سمّيت الصلاة لما فيها من الدعاء والاستغفار، وأصلها الدعاء في اللغة، فسمّيت ببعض أجزائها، وقيل: أصلها في اللغة التعظيم، وسميت الصلاة المخصوصة صلاة لما فيها من تعظيم الرب تعالى وتقدس[١].

وفي الشرع: هي أقوال وأفعال مفتتحة بالتكبير مختتمة بالتسليم مع النية بشرائط مخصوصة[٢].

والصلاة صلة بين العبد وربه، يجد العبد فيها لذة وراحة، ويشعر بقرب من الرحمن وانشراح إن أدّاها أداءً صحيحًا بشروطها وأركانها وواجباتها، مع تحقيق الخشوع والطمأنينة حتى يحظى بسعادة الدّارين.

وللصلاة تأثير كبير وفعال في علاج الإنسان من الهم والقلق، وبث الهدوء والسكينة في النفس، فوقوف الإنسان أمام ربه في خشوع واستسلام وفي تجرد كامل عن مشاغل الحياة ومشكلاتها، يبعث الهدوء والاطمئنان، ويقضي على القلق وتوتر الأعصاب الذي أحدثته ضغوط الحياة، وقد كان هذا هديه صلى الله عليه وسلم مع الصلاة حتى سماها راحة كما في قوله صلى الله عليه وسلم ((**قُمْ يَا بِلَالُ، فَأَرِحْنَا بِالصَّلَاةِ**))[٣]،[٤].

قال عبد الله بن مسعود: "**مَنْ سَرَّهُ** أَنْ يَلْقَى اللهَ غَدًا مُسْلِمًا، فَلْيُحَافِظْ عَلَى هَؤُلَاءِ الصَّلَوَاتِ حَيْثُ يُنَادَى بِهِنَّ، فَإِنَّ اللهَ شَرَعَ لِنَبِيِّكُمْ -صلّى اللهُ عَلَيْهِ وسلّم- سُنَنَ الْهُدَى، وَإِنَّهُنَّ مَنْ سُنَنَ الْهُدَى، وَلَوْ أَنَّكُمْ صَلَّيْتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ كَمَا يُصَلِّي هَذَا الْمُتَخَلِّفُ فِي بَيْتِهِ، لَتَرَكْتُمْ سُنَّةَ نَبِيِّكُمْ، وَلَوْ تَرَكْتُمْ سُنَّةَ نَبِيِّكُمْ لَضَلَلْتُمْ، وَمَا مِنْ رَجُلٍ يَتَطَهَّرُ فَيُحْسِنُ الطُّهُورَ، ثُمَّ يَعْمِدُ إلى مَسْجِدٍ مِنْ هَذِهِ الْمَسَاجِدِ، إِلَّا كَتَبَ اللهُ لَهُ بِكُلِّ خَطْوَةٍ يَخْطُوهَا حَسَنَةً، وَيَرْفَعُهُ بِهَا دَرَجَةً، وَيَحُطُّ عَنْهُ بِهَا سَيِّئَةً، وَلَقَدْ رَأَيْتُنَا وَمَا يَتَخَلَّفُ

---

(١) ابن منظور، لسان العرب (١٤/ ٤٦٥- ٤٦٦).

(٢) وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية، الموسوعة الفقهية الكويتية (٢٧/ ٥١).

(٣) سبق تخريجه ص٩١.

(٤) ينظر بتصرف يسير: نجاتي، الحديث النبوي وعلم النفس (ص:٣١٤).

عَنْهَا إِلَّا مُنَافِقٌ مَعْلُومُ النِّفَاقِ، وَلَقَدْ كَانَ الرَّجُلُ يُؤْتَى بِهِ يُهَادَى بَيْنَ الرَّجُلَيْنِ حَتَّى يُقَامَ فِي الصَّفِّ"(١).

في هذا الأثر بيان أنّ المحافظة على الصلاة سبب للسرور والسعادة الحقيقية للعبد حينما يلقى الله تعالى، حيث إنّ الصلاة صلة بين العبد وربه في الدنيا فإذا أدّاها العبد صحيحة الأركان حاضر القلب ومطمئن الجوارح، كانت راحة له وسكن من هموم الدنيا، وقرّبته من الله تعالى، وجلبت له كل خير ورزق، وإذا صلحت صلاته صلحت حياته وسعد، ومن ثمّ فاز بالنعيم الأبدي في الآخرة.

والصلاة مجلبةٌ للرزق، حافظة للصحة، دافعة للأذى، مطردة للأَدواء، مقوّية للقلب، مبيّضة للوجه، مُفْرِحةٌ للنفس، مُذهبة للكسل، منشِّطةٌ للجوارح، ممدَّة للقُوَى، شارحِة للصَّدر، مغذِّية للروح، مُنوِّرة للقلب، حافِظةٌ للنعمة، دافعة للنقمة، جالِبة للبركة، مُبعِدة من الشيطان، مُقرِّبة من الرحمن، ولها تأثير عجيب فى حفظ صحة البدن والقلب، وقواهما، ودفع المواد الرديئة عنهما، وما ابتُلى رجلان بعاهةٍ أو داءٍ أو مِحنةٍ أو بَليةٍ إلا كان حظُّ المُصَلِّى منهما أقلَّ، وعاقبتُه أسلم، وللصلاة تأثيرٌ عجيب في دفع شُرور الدنيا، ولا سِيَّما إذا أُعطيت حقها من التكميل ظاهراً وباطناً، فما استُدْفِعَتْ شرورُ الدُّنيا والآخرة، ولا استُجْلِبَت مصالِحُهُمَا بمثل الصلاة، وسِرُّ ذلك أنَّ الصلاة صِلةٌ باللهِ عَزَّ وجَلَّ، وعلى قدر صِلَةِ العبد بربه عَزَّ وجَلَّ تُفتح عليه من الخيرات أبوابَها، وتُقطعُ عنه من الشرور أسبابَها، وتُفِيضُ عليه موادَ التوفيق مِن ربه عَزَّ وجَلَّ، والعافية والصحة، والغنيمة والغِنى، والراحة والنعيم، والأفراح والمسرَّات، كلها محضرةٌ لديه، ومسارِعةٌ إليه(٢).

---

(١) أخرجه مسلم، المسند الصحيح، كتاب المساجد ومواضع الصلاة - باب صلاة الجماعة من سنن الهدى، ح(٦٥٤)، (٤٥٣/١) من حديث ابن مسعود رضي الله عنه.

(٢) ابن القيم، **الطب النبوي**، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان (ص: ٢٤٩)

○ الزكاة طهرة للأموال والأبدان، وقربة من الله تعالى:

أصل الزكاة في اللغة الطهارة والنماء والبركة والمدح، والزكاة: زكاة المال المعروفة، وهي تطهيره، وقيل لما يخرج من المال للمساكين من حقوقهم زكاة لأنه تطهير للمال وتكثير وإصلاح ونماء، والزكاة طهرة للأموال وزكاة الفطر طهرة للأبدان(١).

وفي الاصطلاح: يطلق على أداء حق يجب في أموال مخصوصة، على وجه مخصوص ويعتبر في وجوبه الحول والنصاب(٢).

والزكاة تطهير لمال العبد وبدنه، وفيها تدريب للعبد على العطاء والرحمة والإحساس بالآخرين، وفي وجوبها حكمة عظيمة، ومن أدّاها حصلت له السعادة والطمأنينة والبركة في الرزق والحياة.

والزكاة طهرة لقلب العبد تعلمه أن سعادته بإسعاد الآخرين، فمتى حرص العبد على إسعاد غيره، تحققت له السعادة، وصفات الرحمة والتعاون والعطاء صفات راقية ترقى بالعبد من دناءة الدنيا إلى نعيم القلب وراحته وسعادته، وهذا أمر مجرّب ومشاهد في الحياة، فمن أسعد غيره حصلت له الراحة والسرور.

قال أَبو أُمَامَة : "سَمِعْتَ رَسُولَ اللهِ -صلّى اللهُ عَلَيْهِ وسلّم- يَخْطُبُ فِي حَجَّةِ الْوَدَاعِ فَقَالَ: **((اتَّقُوا اللهَ رَبَّكُمْ، وَصَلُّوا خَمْسَكُمْ، وَصُومُوا شَهْرَكُمْ، وَأَدُّوا زَكَاةَ أَمْوَالِكُمْ ، وَأَطِيعُوا ذَا أَمْرِكُمْ ، تَدْخُلُوا جَنَّةَ رَبِّكُمْ))** قَالَ: فَقُلْتُ لِأَبِي أُمَامَةَ: مُنْذُ كَمْ سَمِعْتَ مِنْ رَسُولِ اللهِ -صلّى اللهُ عَلَيْهِ وسلّم- هَذَا الْحَدِيثَ؟ قَالَ: سَمِعْتُهُ وَأَنَا ابْنُ ثَلَاثِينَ سَنَةً".(٣)

وسياق هذا الحديث يدلّ على أن سعادة المرء وفوزه بالجنّة معلق بتقوى الله، وأداء هذه الأركان، ولا يدل الحصر عليها فقط، فهناك أمور أخرى لم تذكر في الحديث، إنّما جاء الحديث في ذكر بعض الأعمال التي يترتب عليها الجزاء بدخول الجنة دار القرار.

---

(١) ابن منظور، لسان العرب (١٤/ ٣٥٨).

(٢) الموسوعة الفقهيّة الكويتيّة (٢٣/ ٢٢٦).

(٣) أخرجه الترمذي، الجامع الكبير، أبواب العيدين عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، ح(٦١٦)، (٧٥٥/١)، من طريق زَيْد بْن الْحُبَابِ ، عن مُعَاوِيَة بْن صَالِحٍ عن سُلَيْم بْن عَامِرٍ عن أَبي أُمَامَةَ رضي الله عنه. وقال الترمذي: "حسن صحيح". وقال الألباني: "صحيح". وهذا إسناده حسن، زَيْد بْن الْحُبَابِ صدوق لكن تابعه ابن مهدي الثقة، و مُعَاوِيَةُ بْنُ صَالِحٍ صدوق له أوهام، انظر تقريب التهذيب(ص:٢٢٢، ٥٨٣، ٣٥١)، والحديث له شواهد كثيرة تذكر خطبته صلى الله عليه وسلم في حجة الوداع فهو بمجموعه صحيح.

○ **الحجّ عبادة عظيمة، وتربية ربانية:**

الحجّ لغة: القصد[١]، وفي الاصطلاح: هو قصد موضع مخصوص - وهو البيت الحرام وعرفة- في وقت مخصوص - وهو أشهر الحج- للقيام بأعمال مخصوصة وهي الوقوف بعرفة، والطواف، والسعي عند جمهور العلماء، بشرائط مخصوصة[٢].

والحج من أكثر العبادات التي تجعل روح العبد ترفرف سعادة وحبورًا، فهو في بيت الله الحرام، يؤدي عبادات جليلة فيها تعظيم للرب سبحانه، وفيها تأكيد عقيدة المسلم، وفيها توبة للعبد، ومشاركة مع المسلمين، ففي الحج أعمال كثيرة تؤدّي إلى السعادة الحقيقية.

فقد سئل النبي -صلّى الله عليه وسلّم-: ((**أَيُّ الْعَمَلِ أَفْضَلُ؟ فَقَالَ: إِيمَانٌ بِاللهِ وَرَسُولِهِ. قِيلَ: ثُمَّ مَاذَا؟ قَالَ: الْجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللهِ. قِيلَ: ثُمَّ مَاذَا؟ قَالَ: حَجٌّ مَبْرُورٌ**))[٣].

وجاء هنا لفظ الإيمان نكرة ليشعر بالتعظيم والتفخيم، أي التصديق المقارن بالإخلاص المتبع للأعمال الصالحة، والمبرور من البر، وهو هنا بمعنى المقبول أو لم يخالطه إثم أو لا رياء فيه أو لا تقع فيه معصية[٤].

والحج يعلم الناس الصبر على تحمل المشاق، ويدربه على جهاد النفس والتحكم في شهواتها وأهوائها، ويعالج الحج الكبر والزهو والعجب بالنفس، والتعالي على الناس، ويقوي رابط المحبة والأخوة الإسلامية، ويبث مشاعر السكينة والطمأنينة والسرور والانشراح والسعادة[٥].

---

[١] ابن منظور، لسان العرب (٢/ ٢٢٦).

[٢] ينظر: الموسوعة الفقهية الكويتية (١٧/ ٢٣). العيني، عمدة القاري شرح صحيح البخاري (٩/ ١٢١).

[٣] أخرجه: البخاري، الجامع الصحيح، كتاب الحج – باب فضل الحج المبرور – ح(١٤٤٧)، (٢/ ١٤٤٧). وح(٢٦). ومسلم، المسند الصحيح، كتاب الإيمان - باب بيان كون الإيمان بالله تعالى أفضل الأعمال - ح(٨٣)، (٨٨/١). من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

[٤] القسطلاني، إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري (٣/ ٩٦).

[٥] ينظر بتصرف يسير: نجاتي، الحديث النبوي وعلم النفس (ص:٣٢٤).

وقَالَ رَسُولُ اللهِ -صلّى اللهُ عَلَيْهِ وسلّم-: **((الْحَجَّةُ الْمَبْرُورَةُ لَيْسَ لَهَا جَزَاءٌ إِلَّا الْجَنَّةُ، وَالْعُمْرَةُ إلى الْعُمْرَةِ كَفَّارَةٌ لِمَا بَيْنَهُمَا))**(١) الإنسان حينما يؤدّي الحج أو العمرة يشعر بسعادة تشع قلبه، ونور وبركة وتزكية، فلا عجب أن تكون زيارة البيت الحرام سببًا أصيلًا لسعادة المرء.

وقَالَ النَّبِيَّ -صلّى اللهُ عَلَيْهِ وسلّم-: **((مَنْ حَجَّ لِلهِ فَلَمْ يَرْفُثْ وَلَمْ يَفْسُقْ رَجَعَ كَيَوْمِ وَلَدَتْهُ أُمُّهُ))**(٢) هذا الحديث يشمل الإتيان للحج والعمرة، وقوله -صلّى الله عليه وسلّم-: "فلم يرفث" أي الجماع أو الفحش في القول أو خطاب الرجل المرأة فيما يتعلّق بالجماع، و(ولم يفسق) لم يأت بسيئة ولا معصية، والفاء في قوله: فلم يرفث عطف على الشرط وجوابه (رجع) أي من ذنوبه (كيوم ولدته أمّه) في مثله أي رجع مشابهًا لنفسه في أنّه يخرج بلا ذنب كما خرج بالولادة، وهو يشمل الصغائر والكبائر والتبعات(٣).

---

(١) أخرجه النسائي، سنن النسائي، كتاب مناسك الحج - باب فضل الحج المبرور – ح(٢٦٢٢)، (٥/ ٢٦٢٢). من طريق سُمَيّ ، عَنْ أَبِي صَالِحٍ ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه. قال الألباني: "صحيح". وهو إسناد صحيح رجاله ثقات، انظرتقريب التهذيب (ص:٢٠٣)، (ص: ٢٥٦)، عدا سهيل تلميذ سُمَيّ صدوق انظر: (ص:٢٥٩)، لكن تابعه سفيان الثوري أخرج هذا الطريق عبد الرزاق في المصنف ح ٨٧٩٨، فسهيل والثوري كلاهما روى الحديث عن سمي عن أبي صالح، وبهذا يكون الحديث صحيح.

(٢) أخرجه البخاري، الجامع الصحيح، كتاب الحج - باب فضل الحج المبرور –ح (١٤٤٩)، (٢/ ٥٥٣)، وح [١٧٢٣ ، ١٧٢٤] من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٣) القسطلاني، إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري (٣/ ٩٧).

○ **الصيام دربة للعبد على تأجيل الإشباع وضبط النفس:**

الصوم في اللّغة الإمساك عن الشيء والترك له[١]، وفي الاصطلاح: هو الإمساك عن المفطر على وجه مخصوص[٢].

ومن فضائل الصوم إصلاح الغريزة، وترويضها على الوقوف عند حدود الشرع والعقل، والالتزام بمنهج الدين وتقوية الإرادة، وسدّ مداخل الشيطان، وفيه تربية للنفس، وإحساس بالآخرين، ما يؤدّي إلى تحقيق السعادة النفسيّة في الدنيا بضبط النفس ومجاهدتها، والنجاة من النار في الآخرة والوصول لدار السعداء جزاء للأعمال الصالحة.

وفي فضيلة الصيام قال الرسول -صلّى الله عليه وسلّم-: ((**الصِّيَامُ جُنَّةٌ، فَلَا يَرْفُثْ وَلَا يَجْهَلْ ، وَإِنِ امْرُؤٌ قَاتَلَهُ أَوْ شَاتَمَهُ ، فَلْيَقُلْ إِنِّي صَائِمٌ مَرَّتَيْنِ وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ ، لَخُلُوفُ فَمِ الصَّائِمِ أَطْيَبُ عِنْدَ اللهِ تَعَالَى مِنْ رِيحِ الْمِسْكِ ، يَتْرُكُ طَعَامَهُ وَشَرَابَهُ وَشَهْوَتَهُ مِنْ أَجْلِي ، الصِّيَامُ لِي وَأَنَا أَجْزِي بِهِ ، وَالْحَسَنَةُ بِعَشْرِ أَمْثَالِهَا**))[٣]، ومعنى الصوم جنّة أنه يستر من الآثام أو من النار، أو من جميع ذلك، ومن مزاياه مضاعفة حسنات الصائمين بغير حساب، وهو معنى "وأنا أجزي به" أي أضاعف الثواب عليه بلا حدود، لأنّ الاستثناء يدلّ على أنّ مضاعفة أجر الصيام لا حدّ له[٤].

للصيام فوائد عدة وهو يقوي الإرادة، وينمي القدرة على التحكم في شهوات النفس وأهوائها، وفيه تدريب للإنسان على تحمل الحرمان والصبر عليه، وفي ذلك اعداد له لتحمل ما يمكن أن يتعرض له في الحياة من أنواع الحرمان المختلفة[٥].

---

[١] ابن منظور، لسان العرب (١٢/ ٣٥١).

[٢] الموسوعة الفقهية الكويتية (٢٨/ ٧)

[٣] أخرجه البخاري، الجامع الصحيح، كتاب الصوم باب فضل الصوم – ح(١٧٩٥)، (٢/ ٦٧٠) وح(١٨٠٥ ، ٥٥٨٣ ، ٧٠٥٤، ٧١٠٠). وأخرجه مسلم، المسند الصحيح، كتاب الصيام – باب فضل الصيام - ح(١١٥١)، (٢/ ٨٠٦). من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

[٤] قاسم، منار القاري شرح مختصر صحيح البخاري (٣/ ٢٠١).

(٥) ينظر: نجاتي، علم الحديث النبوي وعلم النفس (ص:٣٢١/٣٢٢).

المبحث الثاني: التزام القيم الإسلامية

إنّ القيم هي الفضائل الدينيّة والخلقيّة والاجتماعيّة التي تقوم عليها سعادة الفرد والمجتمع في الحياة. قال تعالى: {قُلْ إِنَّنِي هَدَانِي رَبِّي إلى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ دِينًا قِيَمًا مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ (١٦١)} [سورة الأنعام: ١٦١]، فالقيم تعني استقامة العبد.(١) يقول السعدي في هذه الآية: " يأمر تعالى نبيه -صلّى الله عليه وسلّم-، أن يقول ويعلن بما هو عليه من الهداية إلى الصراط المستقيم: الدين المعتدل المتضمن للعقائد النافعة، والأعمال الصالحة، والأمر بكل حسن، والنهي عن كل قبيح، الذي عليه الأنبياء والمرسلون، خصوصًا إمام الحنفاء، ووالد من بعث من بعد موته من الأنبياء، خليل الرحمن إبراهيم عليه الصلاة والسلام، وهو الدين الحنيف المائل عن كلّ دين غير مستقيم، من أديان أهل الانحراف، كاليهود والنصارى والمشركين(٢).

وقال ابن كثير في هذه الآية: "{دِينًا قِيَمًا} أَيْ: قَائِمًا ثَابِتًا"(٣).

وقال الطبري: " قل لهم إنني أرشدني ربي إلى الطريق القويم، هو دين الله الذي ابتعثه به، وذلك الحنيفية المسلمة، فوفقني له"(٤).

والتزام القيم الإسلامية من مؤشرات السعادة المؤثرة في سلوك الإنسان وانفعالاته.

ومن أمثلة المؤشرات التي وضعها ماسلو maslow "ارتباط الفرد بمجموعة من القيم منها: صدق الفرد مع نفسه، ومع الآخرين، وأن تكون لديه الشجاعة في التعبير عما يراه صوابا، وأن يتفانى في أداء العمل الذي يجب أن يؤديه، وأن يكشف من هو وما الذي يريده وما الذي يحبه، وأن يعرف ما هو الخيرله، وأن يتقبل ذلك دون اللجوء إلى حيل دفاعية يقصد بها تشويه الحقيقة(٥).

---

(١) ينظر: مختار، معجم اللغة العربية المعاصرة (٣/ ١٨٧٨). تهذيب اللغة (٩/ ٢٦٧).

(٢) السعدي، تيسير الكريم الرحمن (ص: ٢٨٢).

(٣) ابن كثير، تفسير ابن كثير (٣/ ٣٨٠).

(٤)الطبري، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري (ت: ٣١٠هـ)، **تفسير الطبري- جامع البيان**، دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، ط١: ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠١ م، تحقيق: الدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركي .(١٢/ ٢٨١).

(٥) نجاتي، الحديث النبوي وعلم النفس (ص:٢٧٢).

وازداد الاهتمام بدراسة القيم داخل مجالات علم النفس لعدد من الأسباب أهمها: أن النظرية الكفء في تفسير السلوك الإنساني والتنبؤ به يجب أن تتضمن موضوع القيم، والقيم ما هي إلا انعكاسا للأسلوب الذي يفكر به الأشخاص في ثقافة معينة، وهي إحدى المؤشرات الهامة لنوعية الحياة ومستوى الرقي(١).

والقيم مكون دفاعي قوي كما أن لها مكونات معرفية ووجدانية وسلوكية، والقيم وسيلة لها قوة دفع لتحقيق أهداف معينة، ويؤدي ارتقاء نسق القيم لدى الفرد إلى تحقيق توافقه النفسي والاجتماعي، ويرى المحللون النفسيون أن القيم لا تقل أهمية عن الاتجاهات في مجال خدمة حاجة الدفاع عن الأنا، فهي تساعد الفرد عن تبريرات معينة لتأمين حياته، وللقيم وظيفة معرفية في تحقيق الذات ففيها الاتجاه لعمل أفضل تصور وتنظيم ممكن بهدف الوضوح والاتساق(٢).

والالتزام بالسمات الإيجابية والقيم الأخلاقية والتعبير عنها سلوكيا يزيد من احتمالات السعادة(٣).

والقيم مجموعة من الفضائل تشمل الفضائل القلبية الإيمانية التعبديّة، والفضائل الأخلاقيّة، والفضائل السلوكيّة، وإذا التزم العبد بهذه القيم كان من الله أقرب وأكثر سعادة وطمأنينة، وكان من الناس أسلم، وملأ الله قلبه بكل سكينة وطمأنينة وانشراح، وكلّما كان العبد قريبًا من الله وأكثر طاعة فاز بسعادة الدارين، وفيما يلي بيان لهذه القيم وفق السّنّة النّبويّة:

---

(١) ينظر: خليفة، عبد اللطيف محمد، **إرتقاء القيم دراسة نفسية**، عالم المعرفة – الكويت (ص:١٤).

(٢) ينظر بتصرف: المرجع السابق (ص:١٣٢-١٣٣).

(٣) حلاوة، علم النفس الإيجابي (ص:١١).

المطلب الأول: التزام القيم الإيمانيّة التعبدية:

التقوى، والإخلاص، والرضا، وحسن الظن بالله، والزهد، والشكر، والتوكل.

الإيمان هو الاعتقادات القلبيّة، وهو تصديقُ القلبِ مع الإقرار، والمقصود هنا بالقيم الإيمانية ما له علاقة أكثر بأعمال القلوب.

وباب العبادة كبير، والعبادات لا تقتصر على هذه الأمور، لكن اسميتها قيما إيمانية تعبدية لعظمها وعلو منزلتها.

ومعنى قوله تعالى {إِيَّاكَ نَعْبُد} أي نخصّك دون غيرك بأقصى غاية التذلّل والخضوع لك محبة وتعظيمًا وخوفًا، والعبادة تطلق ويراد بها فعل العبادة: أي التعبّد وهو التذلّل والخضوع لله محبة وتعظيمًا، وتطلق ويراد بها العبادات نفسه، وهي بهذا الإطلاق[١]: **اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأعمال الباطنة والظاهرة،** فالصّلاة والزكاة والصيام والحج وصدق الحديث وأداء الأمانة؛ وبر الوالدين وصلة الأرحام والوفاء بالعهود والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. والجهاد للكفار والمنافقين والإحسان إلى الجار واليتيم والمسكين وابن السبيل والمملوك من الآدميين والبهائم والدعاء والذكر والقراءة، وأمثال ذلك من العبادة، وكذلك حبّ الله ورسوله وخشية الله والإنابة إليه، وإخلاص الدين له والصبر لحكمه والشكر لنعمه والرضا بقضائه؛ والتوكل عليه؛ والرجاء لرحمته والخوف لعذابه، وأمثال ذلك هي من العبادة لله، وذلك أن العبادة لله هي الغاية المحبوبة له والمرضيّة له التي خلق الخلق لها كما قال تعالى: {وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ} [سورة الذاريات: ٥٦] وبها أرسل جميع الرسل[٢].

لكن لا يعبد الله الا بما شرع، وعلى ما علّمنا إياه الرسول -صلّى الله عليه وسلّم-.

ومن هذه القيم:

---

[١] اللاحم، سليمان بن إبراهيم بن عبد الله اللاحم، **اللباب في تفسير الاستعاذة والبسملة وفاتحة الكتاب**، دار المسلم للنشر والتوزيع، الرياض - المملكة العربية السعودية، ط١، ١٤٢٠ هـ - ١٩٩٩ م، (ص: ٢٥٣).

[٢] ابن تيمية، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني (ت ٧٢٨هـ)، **مجموع الفتاوى**، المحقق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة النبوية، المملكة العربية السعودية، ١٤١٦هـ/١٩٩٥م، (١٠/ ١٤٩).

التقوى:

التقوى الحذر، قال الله عز وجل: {وَمَا يَذْكُرُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ هُوَ أَهْلُ التَّقْوَى وَأَهْلُ الْمَغْفِرَةِ (٥٦)} [سورة المدثر:٥٦] أي هو أهلٌ أن يُتّقى عقابه، وأهل أن يُعمل بما يُؤدّي إلى مغفرته(١).
وأصلُ التّقوى: أنْ يجعل العبدُ بينَه وبينَ ما يخافُه ويحذره وقايةً تقيه منه، فتقوى العبد لربه أنْ يجعل بينه وبينَ ما يخشاه من ربه من غضبه وسخطه وعقابه وقايةً تقيه من ذلك، وهو فعلُ طاعته واجتنابُ معاصيه(٢)، حتى يصل للسعادة الحقيقية.
و" التَّقْوَى" لفظَةٌ وجِيزَةٌ جامعةٌ لكلِّ خيرٍ دينيّ ودُنيَويٍّ؛ لأنها: امتِثالُ الأوامِرِ واجتنابُ النَّواهِي(٣).
وعَنْ أَبِي الْعَالِيَةِ زِيَادِ بْنِ فَيْرُوزَ، عَنْ طَلْقِ بْنِ حَبِيبٍ، أَنَّهُ قَالَ لَهُ بَكْرُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ: أَلَا تَجْمَعُ لَنَا التَّقْوَى فِي كَلَامٍ يَسِيرٍ تَرْوِيهِ؟ فَقَالَ طَلْقٌ: "التَّقْوَى: أَنْ تَعْمَلَ بِطَاعَةِ اللَّهِ رَجَاءَ رَحْمَةِ اللَّهِ، عَلَى نُورٍ مِنَ اللَّهِ، وَالتَّقْوَى أَنْ تَتْرُكَ مَعْصِيَةَ اللَّهِ مَخَافَةَ عَذَابَ اللَّهِ، عَلَى نُورٍ مِنَ اللَّهِ"(٤).
ومن الأحاديث التي جاءت في مدح التقوى وأنّه سبيل الفلاح والهداية قول النبي صلى الله عليه وسلم: حينما سئل عَنْ أَكْثَرِ مَا يُدْخِلُ النَّاسَ الْجَنَّةَ فَقَالَ صلى الله عليه وسلم: **((تَقْوَى اللهِ، وَحُسْنُ الْخُلُقِ. وَسُئِلَ عَنْ أَكْثَرِ مَا يُدْخِلُ النَّاسَ النَّارَ فَقَالَ: الْفَمُ وَالْفَرْجُ))**(٥).

---

(١) ابن منظور، لسان العرب (٤٠٢/١٥).

(٢) ابن رجب، جامع العلوم والحكم (٢/ ٤٦٨).

(٣)ابن الملقن، أبي حفص عمر بن علي بن أحمد الأنصاري الشافعي (٨٠٤ هـ)، **المعين على تفهم الأربعين**، دراسة وتحقيق الدكتور دغش بن شبيب العجمي، مكتبة أهل الأثر (ص: ٢٤١).

(٤) ابن أبي حاتم، أبو محمد عبد الرحمن بن محمد بن إدريس بن المنذر التميمي، الحنظلي، الرازي ابن أبي حاتم (ت ٣٢٧هـ)، **تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم**، المحقق: أسعد محمد الطيب، مكتبة نزار مصطفى الباز - المملكة العربية السعودية، ط٣- ١٤١٩ هـ (٢/ ٤٤٦).

(٥) أخرجه الترمذي، أبواب البر والصلة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم - باب ما جاء في حسن الخلق – ح٢٠٠٤(٥٣٦/٣)، من طريق عَبْدُ اللهِ بْنُ إِدْرِيسَ ، عن أبيه إدريس بن يزيد، عَنْ جَدّه يزيد بن عبد الرحمن الأسود، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه. وعبد الله ثقة، وإدريس ثقة، ويزيد بن عبد الرحمن راوٍ مقل، قال الذهبي وثق، وقال ابن حجر مقبول، وفي التهذيب لم يذكر من جرحه وذكر أن ابن حبان والعجلي وثقوه، انظر الكاشف (٢/ ٣٨٦)، تهذيب التهذيب (١١/ ٣٤٥)، تقريب التهذيب(٦٠٣)، وخلال بحثي في كتب التراجم لم أقف على تجريح له، وتبين لي أنه راو مقل، وهذا معنى اصطلاح ابن حجر بقوله عن الراوي مقبول فمعناه كما بين في مقدمته من ليس له من الحديث إلا القليل ، ولم يثبت فيه ما يترك حديثه من أجله ، وإليه الإشارة بلفظ : مقبول انظر تقريب التهذيب (ص: ٧٤)، وقال الترمذي بعد هذا الحديث: "حديث صحيح غريب". وقال الحاكم: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه"(٣٢٤/٤). وقال البزار: "وهذا الحديث لا

وهذا حديث عظيم جمع فيه رسول الله -صلّى الله عليه وسلّم- بين حق الله وحقوق العباد[١].

ومعنى " التقوى" أي مخافة الله في السر والعلانية، حيث يراك الناس وحيث لا يرونك، ومَن عَلِم أن الله يراه حيث كان، وأنه مُطّلع على باطنه وظاهره وسرّه وعلانيته، واستحضر ذلك في خلواته أوجب له ذلك ترك المعاصي في السر[٢]،وفي الجملة فتقوى الله في السرِّ هو علامةُ كمالِ الإيمانِ، وله تأثيرٌ عظيم في إلقاء الله لصاحبه الثناءَ في قلوب المؤمنين[٣]، وحسن الخلق من خصال التقوى، ولا تَتِمُّ التقوى إلا به، وإنَّما أُفرد بالذكر للحاجة إلى بيانه، فإنَّ كثيراً من النَّاس يظنُّ أنَّ التقوى هي القيامُ بحقِّ اللهِ دونَ حقوق عباده[٤].

وجاء في الحديث الشريف: **((لَا تَحَاسَدُوا، وَلَا تَنَاجَشُوا، وَلَا تَبَاغَضُوا، وَلَا تَدَابَرُوا، وَلَا يَبِعْ بَعْضُكُمْ عَلَى بَيْعِ بَعْضٍ، وَكُونُوا عِبَادَ اللهِ إِخْوَانًا الْمُسْلِمُ أَخُو الْمُسْلِمِ، لَا يَظْلِمُهُ وَلَا يَخْذُلُهُ، وَلَا يَحْقِرُهُ التَّقْوَى هَاهُنَا»** وَيُشِيرُ إِلَى صَدْرِهِ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ **«بِحَسْبِ امْرِئٍ مِنَ الشَّرِّ أَنْ يَحْقِرَ أَخَاهُ الْمُسْلِمَ، كُلُّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ حَرَامٌ، دَمُهُ، وَمَالُهُ، وَعِرْضُهُ))**.[٥]

وهذا حديث عظيم، فيه فوائد كثيرة، ومباحث عدة، لا يسع المكان لذكرها كلها، لكن المؤمن يتأملها ويدركها بالرجوع إلى كتب الشروح، وما يخص التقوى قوله -صلّى الله عليه وسلّم-" التقوى هاهنا"، أي محل التقوى القلب الذي هو في الصدر، وتحقيق هذا أنّ مادة التقوى في القلب؛ لأنّ حقيقة التقوى اجتناب عذاب الله عزَّ وجلَّ بفعل المأمور واجتناب المحظور[٦].

نعلم يروى عن أبي هريرة إلا من هذا الوجه، ولا نعلم رواه عن إدريس إلا ابنه، ورواه عن داود غير واحد" مسند البزار(٩٨/١٧). وقال الألباني: "حسن الإسناد". وهذا الحديث غريب الإسناد لم يرو بطرق كثيرة، وهو صحيح على نحو ما حكم عليه الترمذي، ولتوثيق العجلي وابن حبان ليزيد والله أعلم.

(١)ينظر: السعدي، بهجة قلوب الأبرار وقرة عيون الأخيار (ص: ٤٩).

(٢)الأثيوبي، محمد بن علي بن آدم بن موسى، **مشارق الأنوار الوهاجة ومطالع الأسرار البهاجة في شرح سنن الإمام ابن ماجه**، دار المغني-الرياض - المملكة العربية السعودية- ط١- ١٤٢٧ هـ - ٢٠٠٦ م (١/ ٥٣٥).

(٣) ابن رجب، جامع العلوم والحكم (٢/ ٤٨١)

(٤) المرجع السابق (٢/ ٥٣٨)

(٥) أخرجه مسلم، المسند الصحيح، كتاب البر والصلة – باب تحريم ظلم المسلم – ح(٢٥٦٤)، (٤/ ١٩٨٦) أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه.

(٦)الصرصري، سليمان بن عبد القوي بن عبد الكريم الطوفي الصرصري، أبو الربيع، نجم الدين (ت ٧١٦ هـ)، **التعيين في شرح الأربعين**، المحقق: أحمد حَاج محمّد عثمان، مؤسسة الريان (بيروت - لبنان)، المكتَبة المكيّة (مكّة - المملكة العربية السعودية)، ط١، ١٤١٩ هـ - ١٩٩٨ م(١/ ٣٠٥)

والتقوى خصلة عظيمة، يحتاج العبد لتحقيقها إيمان راسخ، ومجاهدة نفس، حتى يصل لهذه الخصلة التي ترقى به إلى سعادة الدنيا والآخرة، وكلّما كان العبد متقيًا لله ازداد سعادة ورزق الطمأنينة والانشراح.

والتقوى خصلة تؤثر على سلوكيات العبد وانفعالاته وفيها ضبط لنفسه، وهي تُكون مناعة نفسية عند المؤمن ضد العناء النفسي ومسبباته.

قال ابن رجب: "وقوله -صلّى الله عليه وسلّم- أوصيكم بتقوى الله والسمع والطاعة فهاتان الكلمتان يجمعان سعادة الدنيا والآخرة أما **التقوى فهي كافلة سعادة الدنيا والآخرة** لمن تمسك بها وهي وصية الله للأولين والآخرين كما قال تعالى: { وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَلَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنِ اتَّقُوا اللَّهَ وَإِنْ تَكْفُرُوا فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ غَنِيًّا حَمِيدًا (١٣١)} [النساء: ١٣١]، وأمّا السَّمع **والطاعة لوُلاة أُمور المسلمين، ففيها سعادةُ الدُّنيا**، وبها تنتظِمُ مصالحُ العباد في معايشهم، وبها يستعينون على إظهار دينهم وطاعةِ ربّهم"(١).

وهنا نستفيد أنّ **تقوى الله أساس كلّ سعادة وطمأنينة**، وأن طاعة ولاة أمور المسلمين فيها سعادة الدنيا ومصالح العباد، خاصة أن طاعة ولاة الأمور تؤدي إلى ترابط المجتمع وإلى الأمن والأمان الاجتماعي، وهذه الإشارة فيها عمق وبعد في النظر، فمتى تحقق الأمن بصوره كلها استطاع العبد أن يعبد الله على أكمل وجه، وعاش عيشة طيبة هنية.

وقال ابن القيم: " **التقوى** امتثال الأوامر، واجتناب النواهي، فهي **كافلة سعادة الدنيا والآخرة** لمن تمسّك بها"(٢).

---

(١) ابن رجب، جامع العلوم والحكم (٢/ ٧٦٧).

(٢) الأثيوبي، مشارق الأنوار الوهاجة (١/ ٥٠٨).

الإخلاص:

الإخلاص هو الصفاء والنقاء، خلص الشيء خلوصًا وخلاصًا صفا وَزَالَ عَنهُ شوبه وَيُقَال خلص من ورطته سلم مِنْهَا وَنَجَا، وأخلص لله دينه ترك الرِّيَاء فِيهِ[١].

وحقيقته: هو أن يريد العبد بعمله التقرب إلى الله تعالى وحده[٢].

والإخلاص استواء أعمال العبد في الظاهر والباطن. والرياء: أن يكون ظاهره خيرًا من باطنه. والصدق في الإخلاص: أن يكون باطنه أعمر من ظاهره[٣].

وما أحسن ما قال الفضيل بن عياض في بيانه حيث قال: هو أخلصه وأصوبه. قالوا: يا أبا علي، ما أخلصه وأصوبه؟ فقال: إن العمل إذا كان خالصًا، ولم يكن صوابًا لم يقبل، وإذا كان صوابًا ولم يكن خالصًا: لم يقبل. حتى يكون خالصًا صوابًا، والخالص: أن يكون لله، والصواب أن يكون على السّنّة. ثم قرأ قوله تعالى: { فَمَنْ كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا (١١٠) } [سورة الكهف: ١١٠][٤].

ومن أراد محبة الله التي هي سبيل سعادة الدارين فعليه بالإخلاص قولًا وعملًا، ظاهرًا وباطنًا، وإعمار قلبه بالتوحيد لله تعالى، فقد قال رسول الله -صلّى الله عليه وسلّم-: **((إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الْعَبْدَ التَّقِيَّ الْغَنِيَّ الْخَفِيَّ))** [٥]، والله تعالى إذا أحب عبدًا فقد سعد وفاز بالدّارين، وهنا النبي -صلّى الله عليه وسلّم- يبيّن لنا أنّ الله يحب العبد التقي الورع، والغني غنى النفس والخفي المشتغل بالعبادة وأمور نفسه المخلص لله تعالى[٦].

---

[١] ينظر: مجموعة مؤلفين، المعجم الوسيط (١/ ٢٤٩).

[٢] القحطاني، سعيد بن علي بن وهف القحطاني، **نور الإخلاص وظلمات إرادة الدنيا بعمل الآخرة في ضوء الكتاب والسّنّة**، مطبعة سفير، الرياض، مؤسسة الجريسي للتوزيع والإعلان، الرياض، (ص: ٦).

[٣] ابن القيم، مدارج السالكين (٢/ ٩١).

[٤] المرجع السابق (٢/ ٨٨).

[٥] أخرجه مسلم، المسند الصحيح، – كتاب الزهد – ح(٢٩٦٥)، (٤/ ٢٢٧٧) من حديث سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه.

[٦] النووي، المنهاج (١٨/ ١٠٠).

وهذه علامة للسعادة بأن تكون حسنات العبد خلف ظهره وسيئاته نصب عينيه وعلامة الشقاوة أن يجعل حسناته نصب عينيه وسيئاته خلف ظهره والله المستعان(١).

والإخلاص خصلة عظيمة، تزكي النفس، وترقى بسلوكيات العبد، وتقوي مناعته النفسية من العناء، وتقربه من الله تعالى، وعلى قدر القرب من الله تعالى تكون السعادة.

والإخلاص عملية نفسية تنشط الأفكار ومشاعر الصدق في العمل، والاستمتاع بأدائه والرضا به، وتدفع الى الدقة والتفوق، وعكس الإخلاص الرياء والفرق بينهما يكمن في الدافع لإتقان العمل والحاجة الى المراقبة(٢).

---

(١) ابن القيم، محمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية (ت ٧٥١هـ)، **مفتاح دار السعادة**، دار الكتب العلمية - بيروت (١/ ٢٩٨).

(٢) ينظر: موسى، السعادة وتنمية الصحة النفسية (ص: ١٤٢)

الرضا:

الرضا هو القناعة[١]، والرضا بهذا السياق منزلة عظيمة تفوق القناعة حتى تصل للمحبة والسكينة، وهو "**العملة الجديدة التي أصبح عالم اليوم يسعى لها** "[٢].

ويقول سيلجمان: "الرضا المعنوي هو الطريق الى ما أراه مكونا للحياة الطيبة"[٣].

والرضا عملية نفسية سهلة إذا كانت الأمور كما نريد، وصعبة إذا كانت على غير ما نريد، وعلى الإنسان أن يُرضّي نفسه في كل الأحوال، حتى يحميها من مشاعر السخط والضجر والسأم والملل والعجز والانهزامية، فالرضا عملية نفسية إرادية، ومصدر من مصادر السعادة وعلامة صحة، والرضا يجعل الإنسان نشيطا مرتاحا في حياته اليومية، وهو يشمل مجالات الحياة كلها، فمن الرضا قبول الإنسان لقدراته، وصحته ولون بشرته وطوله ومظهره، وأسرته ، وعمله، وغيرها من المجالات، مع تقبل الحياة والاستمتاع بها في حدود الشرع، ولا يتعارض الرضا مع الطموح والرغبة في التقد لأن الشخص الراضي نشيط مثابر حريص على ما ينفعه وينفع الآخرين[٤].

وقد تقدم بيان الرضا في السنة النبوية في مكونات السعادة في الفصل الأول.

حسن الظن بالله:

حسن الظن بالله منزلة عالية، يصل لها المؤمن الحق، القريب من ربه، الذي استقر الإيمان بقلبه وسكنت جوارحه طاعة لله، وحسن الظن بالله سبب من أسباب سعادة العبد، فبحسن الظن يرزق العبد الأمل والتفاؤل والطمأنينة بأن ربه سبحانه لن يخذله ما دام قريبًا منه، وقد قال النبي -صلّى الله عليه وسلّم-: ((يَقُولُ اللهُ تَعَالَى: **أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي ، وَأَنَا مَعَهُ إِذَا ذَكَرَنِي ، فَإِنْ ذَكَرَنِي فِي نَفْسِهِ ذَكَرْتُهُ فِي نَفْسِي ، وَإِنْ ذَكَرَنِي فِي مَلَإٍ ذَكَرْتُهُ فِي مَلَإٍ خَيْرٍ مِنْهُمْ ، وَإِنْ تَقَرَّبَ إِلَيَّ بِشِبْرٍ**

---

(١) مختار، معجم اللغة العربية المعاصرة (٢/ ٩٠٣).

(٢) سيلجمان، السعادة الحقيقية (ص:٢١٢).

(٣) المرجع نفسه (ص: ٣٤٣).

(٤) ينظر: موسى، السعادة وتنمية الصحة النفسية (١٠٠-١٠٣).

تَقَرَّبْتُ إِلَيْهِ ذِرَاعًا ، وَإِنْ تَقَرَّبَ إِلَيَّ ذِرَاعًا تَقَرَّبْتُ إِلَيْهِ بَاعًا ، وَإِنْ أَتَانِي يَمْشِي أَتَيْتُهُ هَرْوَلَةً .)) (١)

قوله تعالى في الحديث الشريف:" أنا عند ظنِّ عبدي بي"، أي يعامل الله العبدَ على حسن ظنِّه به، ويفعلُ به ما يتوقَّعه منه، والمراد: الحثُّ على حسن الظن بالله، وتغليب الرجاء على الخوف، والظنُّ هنا بمعنى: اليقين والاعتقاد، لا بمعنى: الشك(٢).

ومعنى الحديث بالغفران له إذا استغفر الله والقبول إذا أناب إلى الله، والإجابة إذا دعا الله، والكفاية إذا اطلب الكفاية من الله، لأن هذه الصفات لا تظهر من العبد إلا إذا أحسن ظنه بالله وقوى يقينه.(٣)

ولا يستقيم للعبد وعد الله له بالخير إلّا إذا أحسن العمل، و إذا اتقى ربّه وجاهد نفسه، وحاذر محارمه، فإنّ هذا هو الذي يستطيع أن يحسن ظنّه بربه، أما من ساءت أعماله وساءت أقواله فكيف يستطيع أن يحسن ظنه بربه، وقد بارزه بالمحاربة، وتعدى حدوده، وترك أوامره، وارتكب نواهيه، فتحسين الظن بربه في هذه الحالة غرور، وفيه أداء من الشيطان، فمن ساء فعله ساء ظنه، فالواجب على كل مؤمن ومؤمنة أن يراقب الله سبحانه، وأن يجتهد في طاعته وترك معصيته، وأن يحسن الظن به سبحانه، لكونهما قاما بما يجب وتركا ما نهى الله عنه(٤).

وحسن الظن بالله تعالى من التفاؤل الذي يجعل الحياة أكثر سعادة وإيجابية، ويجعل مناعة الإنسان أقوى وأنشط.

---

(١) أخرجه البخاري، الجامع الصحيح، كتاب التوحيد - باب قول الله تعالى ويحذركم الله نفسه – ح(٧٤٠٥)، (٢٧٤٩/٦) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) ينظر: ابن الملك، شرح المصابيح (٣/ ٨٤).

(٣) ينظر: القاضي عياض، إكمال المعلم بفوائد مسلم (٨ /١٧٢).

(٤) ينظر: ابن باز، عبد العزيز بن عبد الله بن باز (ت ١٤٢٠هـ)، **فتاوى نور على الدرب**، ط١، جمعها: الدكتور محمد بن سعد الشويعر، الناشر: الرئاسة العامة للبحوث العلمية والإفتاء -المملكة العربية السعودية، ١٤٢٨ – ٢٠٠٧م(٤/ ٣٥).

الزهد:

مفهوم الزهد من الإعراض، زهد فِيهِ وَعنهُ زهدًا وزهادة أعرض عَنهُ وَتَركه لاحتقاره أو لتحرجه مِنْهُ أَو لقلته وَيُقَال زهد فِي الدُّنْيَا ترك حلالها مَخَافَة حسابه، وَترك حرامها مَخَافَة عِقَابه، والزَّاهِد العابد[١].

والزهد في الدنيا الرغبة عنها، وألا يتناول الإنسان منها إلا ما ينفعه في الآخرة، وهو أعلى من الورع[٢].

قال تعالى: {لِكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ} [سورة الحديد: ٢٣] الزهد بين كلمتين في القرآن فمن لم ييأس على الماضي ولم يفرح بالآتي فقد أخذ الزهد بطرفيه[٣].

الزهد أعلى من الورع، لأنّ الورع: ترك ما يضرّ من أمور الدنيا، والزهد: ترك ما لا ينفع في الآخرة، وترك ما لا ينفع أعلى من ترك ما يضر، لأنّه يدخل في الزهد الطبقة الوسطى التي ليس فيها ضرر ولا نفع، فالزهد يتجنب ما لا نفع فيه، وأمّا الوَرَع فيفعل ما أبيح له، لكن يترك ما يضره[٤].

واختلف الناس في حقيقة الزهد، وأحسن ما قيل فيه هوأن لا تكون الدنيا بمنزلة من القلب واختلف أيضًا في حقيقة الدنيا وأحسن ما قيل فيها أنها كل لذة قبل الموت لا أثر لها بعده بمعنى أثر خير[٥].

ومفهوم الزهد اصطلاحًا على أضرب:

أحدها: الزهد في الحرام، وهو الزهد الواجب العام.

---

[١] مجموعة مؤلفين، المعجم الوسيط (١/ ٤٠٣).

[٢]ابن عثيمين، محمد بن صالح بن محمد العثيمين (ت ١٤٢١هـ)، **شرح الأربعين النووية**، دار الثريا للنشر (ص: ٣١٨).

[٣] الكحلاني، التنوير شرح الجامع الصغير (٢/ ٣٠٢).

[٤] ابن عثيمين، شرح الأربعين النووية (ص: ٣١٨).

[٥] الكحلاني، التنوير شرح الجامع الصغير (٢/ ٣٠١).

والثاني: الزهد في الشبهات، والأشبه وجوبه لأنه وسيلة إلى اتقاء الوقوع في الحرام، واجتناب الحرام واجب، ووسيلة الواجب واجبة، فالزهد في الشبهات واجب.

الثالث: الزهد فيما عدا الضرورات من المباحات وهو المراد من هذا الحديث ظاهرًا، وهو زهد الخواص العارفين بالله عزَّ وجلَّ.

والرابع: الزهد فيما سوى الله عزَّ وجلَّ من دنيا وجنة وغير ذلك، فلا قصد لصاحب هذا الزهد إلّا الوصول إلى الله عزَّ وجلَّ والقرب منه، وهو زهد المقرّبين، فلا جرم لما حصل لهم مقصودهم اندرج في ضمنه كل مقصود لغيرهم عفوًا من غير طلب ولا قصد له، ولا جعلوه ثمن عبادتهم(١).

و الزهد سبب كل السعادة ففيه غنى القلب، كما قال -صلّى الله عليه وسلّم-: ((**مَنْ كَانَتِ الْآخِرَةُ هَمَّهُ جَعَلَ اللهُ غِنَاهُ فِي قَلْبِهِ ، وَجَمَعَ لَهُ شَمْلَهُ ، وَأَتَتْهُ الدُّنْيَا وَهِيَ رَاغِمَةٌ، وَمَنْ كَانَتِ الدُّنْيَا هَمَّهُ جَعَلَ اللهُ فَقْرَهُ بَيْنَ عَيْنَيْهِ، وَفَرَّقَ عَلَيْهِ شَمْلَهُ ، وَلَمْ يَأْتِهِ مِنَ الدُّنْيَا إِلَّا مَا قُدِّرَ لَهُ**))(٢).

والسَّعيد من اختارَ باقِيةً يَدُومُ نَعِيمُها، على بالِيَةٍ لا يَنْفَدُ عَذَابها(٣)، وفي هذا الحديث ترغيب في الزهد في الدنيا والإعراض عنها، والرغبة في الآخرة والإقبال عليها، والتشجيع في ترك الدنيا بمعنى الإنفاق ممن هي في يديه، والإعراض عنها ممن ليست عنده كأنّه -صلّى الله عليه وسلّم- يقول: من أعرض عن الدنيا، وأقبل على الآخرة، رزق الفراغ والتنعم وجمع الشمل، وأتته الدنيا ، ومن أقبل على الدنيا وأعرض عن الآخرة شغل بما لا يجري، وتعب فيما لا يغني عنه ، فتزداد الدنيا عنه بعدًا؛ لأنّه لا يصيب منها إلا المقدور، والمقدور لا يغنيه، وإن كثر لغلبة الحرص عليه والتأسف على فوت ما لم يقدر له وتعب الطلب ، والخيبة في التعب ، فهو فقير وإن ملك الدنيا، وفي الحديث تنبيه وإرشاد في الرجوع إلى الله تعالى والإقبال على الله ، ولا يقبل على الآخرة إلّا من استغنى عن الدنيا ، فإن الدنيا حجاب الآخرة فإذا رفع الحجاب عن بصر القلب رأى الآخرة بعين إيقانه ، ومن نظر إلى الآخرة شغل عن الدنيا ، صارت مرفوعة منه متروكة عنه

---

(١) الصرصري، التعيين في شرح الأربعين (١/ ٢٣٣).

(٢)سبق تخريجه ص١٠٧

(٣) ابن الملقن، المعين على تفهم الأربعين (ص: ٣٦٨).

، فمن أغناه الله تعالى عن الدنيا بالزهد فيها، والرغبة عنها صارت الآخرة همه ؛ لأن الإنسان حريص ، والنفس راغبة ، إما ترغب إلى الدنيا أو إلى الآخرة ، فإذا حجبت عن الدنيا بالعزوف عنها ، والاستغناء منها افتقرت إلى الآخرة ، ورغبت فيها.[١]

و قال رسول الله -صلّى الله عليه وسلّم-: **((الدُّنْيَا سِجْنُ الْمُؤْمِنِ، وَجَنَّةُ الْكَافِرِ))**[٢]، ومعنى هذا الحديث أن كل مؤمن ممنوع في الدنيا من الشهوات المحرمة والمكروهة مكلف بفعل الطاعات، فإذا مات استراح من هذا وانقلب إلى ما أعد الله تعالى له من النعيم الدائم والراحة الخالصة من النقصان، وأمّا الكافر فإنما له من ذلك ما حصل في الدنيا مع قلته وتكديره بالمنغّصات، فإذا مات صار إلى العذاب الدائم وشقاء الأبد[٣].

وروي عَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ السَّاعِدِيِّ قَالَ: أَتَى النَّبِيَّ -صلّى اللهُ عَلَيْهِ وسلّم- رَجُلٌ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ ، دُلَّنِي عَلَى عَمَلٍ إِذَا أَنَا عَمِلْتُهُ أَحَبَّنِي اللهُ ، وَأَحَبَّنِي النَّاسُ ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ -صلّى اللهُ عَلَيْهِ وسلّم: **((ازْهَدْ فِي الدُّنْيَا يُحِبَّكَ اللهُ ، وَازْهَدْ فِيمَا فِي أَيْدِي النَّاسِ يُحِبُّوكَ))** [٤].

وهذا الرجل طلب حاجتين عظيمتين: أولهما محبة الله عزّ وجل، والثانية محبة الناس، فدلّه النبي -صلّى الله عليه وسلّم- على طريق الوصول إليهما، وفي هذا الحديث مشروعية طلب حب الناس، وفيه دلالة على أن الزهد سبيل محبة الله للعبد، وفيه الحث والترغيب في الزهد فيما عند

---

[١] الكلاباذي، أبو بكر محمد بن ابي إسحاق بن إبراهيم بن يعقوب ت٣٨٠، **بحر الفوائد المسمى بمعاني الأخيار**، تحقيق: محمد حسن محمد، دار الكتب العلمية – بيروت – ط١- ١٤٢٠هـ، (٣٣٣/١).

[٢] اخرجه: مسلم، المسند الصحيح، كتاب الزهد والرقائق - باب ،ح(٢٩٥٦)، (٢٢٧٢/٤) من حديث أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه.

[٣] النووي، المنهاج (١٨/ ٩٣).

[٤] أخرجه ابن ماجه، سنن ابن ماجه، كتاب الزهد -باب الزهد في الدنيا - ح(٤١٠٢)، (١٣٧٣/٢). من طريق شِهَابُ بْنُ عَبَّادٍ، عن خَالِدِ بْن عَمْرٍو الْقُرَشِيُّ، عَنْ سُفْيَانَ الثَّوْرِيِّ، عَنْ أَبِي حَازِمٍ، عَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ السَّاعِدِيِّ رضي الله عنه. وقال ابن عدي:"هذا الحديث عن الثوري منكر" انظر الكامل في الضعفاء: (٣ / ٤٥٥). وخَالِدُ بْنُ عَمْرٍو الْقُرَشِيُّ رماه ابن معين بالكذب ونسبه صالح جزرة وغيره إلى الوضع انظر تهذيب التهذيب (٣/ ١٠٩)، تقريب التهذيب(ص:١٨٩)، وهذا اسناد ضعيف جدا لأجل خَالِدُ. لكن الألباني ذكر متابعات وشاهد لهذا الحديث تفيد بقبوله بمجموعه. قال الشيخ الألباني:"جملة القول أن الحديث صحيح بهذا الشاهد المرسل، و الطرق الموصولة المشارإليها، و الله أعلم" السلسلة الصحيحة (٣/ ١٨).

الناس، لأنّ النبي -صلّى الله عليه وسلّم- جعله سببًا لمحبة الناس لك، وهذا يشمل أن لا تسأل الناس شيئًا، وأن لا تتطلع وتعرِّض بأنك تريد كذا[١].

والطبيعة الإنسانية مبنية بكيفية تجعلها أكثر استعدادا لمنح الحب لمن هم أقل طلبا له[٢].

و الزهد في الدنيا سبب لمحبة الله عزَّ وجلَّ فلأن الله عزَّ وجلَّ يحب من أطاعه، ويبغض من عصاه، وطاعة الله عزَّ وجلَّ مع محبة الدنيا مما لا يجتمع، عرف ذلك بالنصوص والنظر والتجربة والطبع والتواتر، والله عزَّ وجلَّ لا يحب الخطايا ولا أهلها، ولأن الدنيا لهو ولعب والله عزَّ وجلَّ لا يحب اللّهو ولا اللّعب، ولأنّ القلب بيت الرب عزَّ وجلَّ، والله عزَّ وجلَّ لا شريك له، ولا يحب أن يشركه في بيته حب الدنيا ولا غيره، وبالجملة فنحن نعلم قطعًا أن محب الدنيا مبغوض عند الله عزَّ وجلَّ، فالزاهد فيها الراغب عنها محبوب له عزَّ وجلَّ، ومحبة الدنيا المكروهة هي إيثارها لقضاء شهوات النفس وأوطارها لأن ذلك يَشغل عن الله عزَّ وجلَّ[٣].

والدنيا زهيدة، لا تعدل شيئا، فقد قَالَ رَسُولُ اللهِ -صلّى اللهُ عَلَيْهِ وسلّم-: ((**لَوْ كَانَتِ الدُّنْيَا تَعْدِلُ عِنْدَ اللهِ جَنَاحَ بَعُوضَةٍ مَا سَقَى كَافِرًا مِنْهَا شَرْبَةَ مَاءٍ**))[٤]، ومعنى "تعدل"؛ أي: تَزِنُ وتقابل، ومعناه لو كان للدنيا وقعٌ وقَدْرٌ عند الله بقدر جناح بعوضةٍ ما سقى كافرًا منها شربة؛ لأنّ الكافر عدو، ولا يُعطى العدو إلّا من الشيء الخسيس الذي لا يلتفت إليه من حقارته[٥].

---

(١) ينظر: ابن عثيمين، شرح الأربعين النووية (ص: ٣٢٣).

(٢) راسل، انتصار السعادة (ص:١٩٢)

(٣) الصرصري، التعيين في شرح الأربعين (١/ ٢٣١)

(٤)أخرجه الترمذي، الجامع الكبير، كتاب الزهد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم - باب ما في هوان الدنيا على الله عز وجل ح(٢٣٢٠)، (١٣٨/٤) من طريق عَبْدُ الْحَمِيدِ بْنُ سُلَيْمَانَ ، عَنْ أَبِي حَازِمٍ ، عَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ الساعدي رضي الله عنه، قال الترمذي: "وفي الباب عن أبي هريرة، هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحٌ، غَرِيبٌ مِنْ هَذَا الْوَجْهِ". وهذا إسناد ضعيف لضعف عَبْدُ الْحَمِيدِ بْنُ سُلَيْمَانَ، انظر تقريب التهذيب (ص: ٣٣٣)، وللحديث شواهد عن عدد من الصحابة وقد صحح المتن الترمذي. وقال الألباني بعد دراسة الشواهد:"وبالجملة فالحديث بمجموع هذه الطرق صحيح بلا ريب، والله أعلم" السلسلة (٢/ ١٨٥)، فهو حديث صحيح بمجموعه.

(٥) المظهري، المفاتيح في شرح المصابيح (٥/ ٢٨٣).

والزهد من العمليات النفسية التي تقوي الشعور بالرضا والطمأنينة، نتيجة لتعلق القلب بالمحبوب الأعظم، وفي الزهد تنشيط مناعة المؤمن ضد العناء النفسي والقلق والحزن والهم، وهو مؤشر هام للسعادة الحقيقية.

الشكر:

قال الله تعالى: {وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِنْ كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ (٧)} [سورة إبراهيم: ٧]

والشُّكْرُ لغة: عِرفانُ الإحسانِ ونَشرُه، وحَمْدُ مُوليهِ[١]، واصطلاحًا: معرفة إحسان المحسن والتحدث به وسميت المجازاة على فعل الجميل شكرًا لأنها تتضمن الثناء عليه وشكر العبد الله تعالى اعترافه بنعمه وثناؤه عليه وتمام مواظبته على طاعته وأمّا شكر الله تعالى أفعال عباده فمجازاته إياهم عليها وتضعيف ثوابها وثناؤه بما أنعم به عليهم فهو المعطي والمثني سبحانه والشكور من أسمائه سبحانه وتعالى بهذا المعنى والله أعلم[٢].

والشكر لله هو رأس العبادة، وأصل الخير، وأوجبه على العباد، فإنه ما بالعباد من نعمة ظاهرة ولا باطنة، خاصّة أو عامّة إلّا من الله، وهو الذي يأتي بالخير والحسنات، ويدفع السوء والسيّئات، فيستحق أن يبذل له العباد من الشكر ما تصل إليه قواهم، وعلى العبد أن يسعى بكل وسيلة توصله وتعينه على الشكر[٣].

والشكر خير زاد يتزود به العبد، فقد روي عَنْ ثَوْبَانَ، قَالَ: لَمَّا نَزَلَ فِي الْفِضَّةِ وَالذَّهَبِ مَا نَزَلَ ، قَالُوا: فَأَيَّ الْمَالِ نَتَّخِذُ؟ قَالَ عُمَرُ: فَأَنَا أَعْلَمُ لَكُمْ ذَلِكَ. فَأَوْضَعَ عَلَى بَعِيرِهِ، فَأَدْرَكَ النَّبِيَّ -صلّى

---

[١] الازهري، تهذيب اللغة (١٠/ ١٠).

[٢] النووي، المنهاج (١٧/ ١٦٢)

[٣] السعدي، بهجة قلوب الأبرار (ص: ٥٤).

اللهُ عَلَيْهِ وسلّم- ، وَأَنَا فِي أَثَرِهِ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ ! أَيُّ الْمَالِ نَتَّخِذُ ؟ فَقَالَ: **((لِيَتَّخِذْ أَحَدُكُمْ قَلْبًا شَاكِرًا، وَلِسَانًا ذَاكِرًا، وَزَوْجَةً مُؤْمِنَةً تُعِينُ أَحَدَكُمْ عَلَى أَمْرِ الْآخِرَةِ))**(١).

ومعنى الحديث أي: ليعوّد قلبه الشكر ويمرّنه عليه، ويعود لسانه ذكر لله تعالى، ويتخير زوجة مؤمنة تعينه على أمر الآخرة، فإنّ الزوجة بيدها مقاليد أمر الزوج في معاشه، فهي إمّا معينة له على الآخرة أو بخلاف ذلك(٢).

والشكر عملية نفسية تتضمن إدراك الإنسان لما حصل له من خير ومنفعة، وفي الشكر ينشغل العبد بأفكار ومشاعر إيجابية، كمشاعر الرضا والمحبة والمودة والتي من شأنها تنمية صحته النفسية، وفي الشكر تعويد للإنسان على الاعتراف بالفضل(٣).

والشكر يحصل حتى على أقل الأشياء بنظرنا، فقد قَالَ رَسُولُ اللهِ -صلّى اللهُ عَلَيْهِ وسلّم-: **((إِنَّ اللهَ لَيَرْضَى عَنِ الْعَبْدِ أَنْ يَأْكُلَ الْأَكْلَةَ فَيَحْمَدَهُ عَلَيْهَا أَوْ يَشْرَبَ الشَّرْبَةَ فَيَحْمَدَهُ عَلَيْهَا))**(٤).

وفي هذا الحديث حبّ الله عز وجل للحمد، وهذا من رفقه سبحانه في عباده، فالأُكلة أي لقمات كثيرة، فرضي الله عن عبده في النعم الكثيرة بالمرة الواحدة من الحمد(٥).

---

(١) أخرجه: الترمذي، الجامع الكبير، أبواب تفسير القرآن عن رسول الله صلى الله عليه وسلم .- باب ومن سورة التوبة – ح٣٠٩٤، (١٧٢/٥)، من طريق منصور بن المعتمرعن سَالِمِ بْنِ أَبِي الْجَعْدِ عن ثوبان مولى النبي صلى الله عليه وسلم. و سنن ابن ماجه، كتاب النكاح - باب أفضل النساء - ح(١٨٥٦)، (٥٩٦/١) وأبو عبد الله، مسند الإمام أحمد بن حنبل، مسند الأنصار - -ح(٢٢٤٩٠)، (٥/ ٢٨٢) من طريق عمرو بن مرة عن سالم.
قال الترمذي:" هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ، سَأَلْتُ مُحَمَّدَ بْنَ إِسْمَاعِيلَ ، فَقُلْتُ لَهُ : سَالِمُ بْنُ أَبِي الْجَعْدِ سَمِعَ مِنْ ثَوْبَانَ ؟ فَقَالَ : لَا . فَقُلْتُ لَهُ : مِمَّنْ سَمِعَ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ؟ فَقَالَ : سَمِعَ مِنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ ، وَأَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ، وَذَكَرَ غَيْرَ وَاحِدٍ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ"، وقال ابن حجر:" ورجاله ثقات إلا أن فيه انقطاعا" انظر التلخيص الحبير في تخريج أحاديث الرافعي الكبير: (٣ / ٢٤٩)، وقال الألباني: "صحيح". وهذا اسناد رجاله ثقات عدا عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ مُرَّةَ صدوق انظر تقريب التهذيب(ص:٣١٥)، و تابعه منصور والأعمش، لكن العلة في الحديث بانقطاعه فقد أثبت الترمذي أن سالم بن الجعد لم يسمع من ثوبان فهذا إسناد ضعيف والله أعلم، والحديث بمجموعه حسن كما حكم الترمذي.

(٢) الكحلاني، التنوير شرح الجامع الصغير (٩/ ٢١١)

(٣) ينظر: موسى، السعادة وتنمية الصحة النفسية (١٠٧-١٠٨)

(٤) أخرجه مسلم، المسند الصحيح، كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار - باب استحباب حمد الله تعالى بعد الأكل والشرب ح(٢٧٣٤)، (٢٠٩٥/٤) من حديث أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه.

(٥)أبو المظفر، يحيى بن (هُبَيْرَة بن) محمد بن هبيرة الذهلي الشيبانيّ، أبو المظفر، عون الدين (ت ٥٦٠هـ)، **الإفصاح عن معاني الصحاح**، المحقق: فؤاد عبد المنعم أحمد، دار الوطن -١٤١٧هـ (٥/ ٤٠٠).

وفي هذا دليل على أنّ رضا الله ـ عزّ وجلّ ـ قد ينال بأدنى سبب، مثل هذا السبب اليسير[١].

فإذا وفَّقَ الله عبدَه للشكر على نعمه الدنيوية بالحمدِ أو غيره من أنواع الشكر، كانت هذه النعمةُ خيرًا من تلك النعم وأحبَّ إلى الله - عز وجل - منها، فالله سبحانه يَبذُلُ نِعَمَهُ لعباده، ويطلب منهم الثناءَ بها، وذكرها، والحمد عليها، ويرضى منهم بذلك شكرًا عليها، وإنْ كان ذلك كلُّه من فضله عليهم، وهو غيرُ محتاجٍ إلى شكرهم، لكنَّه يُحِبُّ ذلك من عباده، حيث كان صلاحُ العبدِ وفلاحُه وكماله فيه[٢].

والعبد إذا أراد أن يظهر شكره لله يسجد شكرًا لله تعالى، فقد روي عَنْ أَبِي بَكْرَةَ ، قَالَ: ((**كَانَ رَسُولُ اللهِ -صلّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وسلّم- إِذَا أَتَاهُ أَمْرٌ يَسُرُّهُ ، أَوْ يُسَرُّ بِهِ ، خَرَّ سَاجِدًا شُكْرًا لِلهِ عَزَّ وَجَلَّ**)) [٣].

وسجود الشكر عند حدوث نعمة، أو وصول شيء إلى الرجل يُسَرُّ به، واندفاع بليَّة كانت عليه[٤]وذهب جمع من العلماء إلى ظاهر هذا الحديث فرأوا السجود مشروعًا في باب شكر النعمة[٥].

---

(١) ابن عثيمين، شرح رياض الصالحين (٢/ ٢٠٤).

(٢) ابن رجب، جامع العلوم والحكم (٢/ ٧١٦).

(٣) أخرجه: أبو داود، السنن، كتاب الجهاد – باب في سجود الشكر – ح(٢٧٧٤)، (٨٩/٣) من طريق مخلد بن خالد عن أَبي عَاصِمٍ، عَنْ أَبِي بَكْرَةَ بَكَّارِ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ عن أَبِي عَبْدُ الْعَزِيزِ، عَنْ أَبِي بَكْرَةَ رضي الله عنه. والترمذي، الجامع الكبير، أبواب السير عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، باب ما جاء في سجدة الشكر –ح ١٥٧٨ (٢٣٤/٣) من طريق محمد بن المثنى عن أبو عاصم به. وابن ماجه، سنن ابن ماجه، أبواب إقامة الصلاة والسّنّة فيها، باب ما جاء فِي الصلاة والسجدة عند الشكر – ح١٣٩٤، (٤٠٢/٢) من طريق عبدة بن عبد الله الخزاعي وأحمد بن يوسف عن أبو عاصم به
قال الترمذي: "حسن غريب"، وقال الألباني: "صحيح". هذا الحديث مداره على بكار بن عبد العزيز بن أبي بكرة، رواه عنه ثلاثة رواة: أبو سلمة موسى بن إسماعيل، وخالد بن خداش، وأبو عاصم الضحاك بن مخلد، وواه عن أبي عاصم عدد من الرواة منهم: مخلد بن خالد، وعمرو بن علي، ومحمد بن المثني، ومحمد بن عبد الملك الدقيقي، واحمد بن يوسف السلمي، وعبدة بن عبد الله الخزاعي.
وهو إسناد حسن: أبو عاصم ثقة انظر نهذيب التهذيب (٤٥٠/٤)، لكن أَبِي بَكْرَةَ بَكَّارِ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ صدوق، وأباه عبدالعزيز صدوق أيضا تقريب التهذيب (ص:١٢٦)-(ص:٣٥٦)، والحديث له شاهد صحيح من حديث ابن عباس رضي الله عنه أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سَجَدَ فِي ص ، وَقَالَ: **((سَجَدَهَا دَاوُدُ تَوْبَةً ، وَنَسْجُدُهَا شُكْرًا))** في سنن النسائي ح٩٥٧، (١٥٩/٢).

(٤) المظهري، المفاتيح في شرح المصابيح (٢/ ٣٦٧).

(٥) التُّورِبِشْتِي، فضل الله بن حسن بن حسين بن يوسف أبو عبد الله، شهاب الدين التُّورِبِشْتِي (المتوفى: ٦٦١ هـ)، **الميسر في شرح مصابيح السنّة**، المحقق: د. عبد الحميد هنداوي، مكتبة نزار مصطفى الباز، ط٢، ١٤٢٩ هـ - ٢٠٠٨ هـ (١/ ٣٥٥).

وقوله (خرّ ساجدًا) أي: وقع على الفور هاويًا إلى إيقاع السجود، شكرًا لله على إنعامه وتواضعًا له وإقبالًا عليه(١).

وفي هذا الحديث بيان وإرشاد للعبد إلى منهج النبي -صلّى الله عليه وسلّم- في التعبير عن السعادة والسرور.

ومازال العبد يشكر الله سبحانه، والله سبحانه يزيده ويزيده، فقد روي عنْ أَبِي الْأَشْعَثِ الصَّنْعَانِيِّ أَنَّهُ رَاحَ إِلى مَسْجِدِ دِمَشْقَ وَهَجَّرَ بِالرَّوَاحِ، فَلَقِيَ شَدَّادَ بْنَ أَوْسٍ، وَالصُّنَابِحِيُّ مَعَهُ، فَقُلْتُ: أَيْنَ تُرِيدَانِ يَرْحَمُكُمَا اللهُ؟ قَالَا: نُرِيدُ هَاهُنَا إِلى أَخٍ لَنَا مَرِيضٍ نَعُودُهُ، فَانْطَلَقْتُ مَعَهُمَا حَتَّى دَخَلَا عَلَى ذَلِكَ الرَّجُلِ، فَقَالَا لَهُ: كَيْفَ أَصْبَحْتَ؟ قَالَ: أَصْبَحْتُ بِنِعْمَةٍ. فَقَالَ لَهُ شَدَّادٌ: أَبْشِرْ بِكَفَّارَاتِ السَّيِّئَاتِ، وَحَطِّ الْخَطَايَا ، فَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ -صلّى اللهُ عَلَيْهِ وسلّم- يَقُولُ: **((إِنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ يَقُولُ: إِنِّي إِذَا ابْتَلَيْتُ عَبْدًا مِنْ عِبَادِي مُؤْمِنًا، فَحَمِدَنِي عَلَى مَا ابْتَلَيْتُهُ ، فَإِنَّهُ يَقُومُ مِنْ مَضْجَعِهِ ذَلِكَ كَيَوْمِ وَلَدَتْهُ أُمُّهُ مِنَ الْخَطَايَا ، وَيَقُولُ الرَّبُّ عَزَّ وَجَلَّ: أَنَا قَيَّدْتُ عَبْدِي وَابْتَلَيْتُهُ ، وَأَجْرُوا لَهُ كَمَا كُنْتُمْ تُجْرُونَ لَهُ وَهُوَ صَحِيحٌ))**. (٢)

---

(١) الكحلاني، التنوير شرح الجامع الصغير (٨/ ٣٦٥).

(٢) أخرجه أبو عبد الله، مسند الإمام أحمد بن حنبل، حديث شداد بن أوس رضى الله تعالى عنه ح(١٧١٥٩) (١٢٣/٤) من طريق طريق هيثم بن خارجه عن إِسْمَاعِيل بْنُ عَيَّاشٍ، عَنْ رَاشِدِ بْنِ دَاوُدَ الصَّنْعَانِيِّ، عَنْ أَبِي الْأَشْعَثِ الصَّنْعَانِيِّ عن شَدَّاد بْنَ أَوْسٍ رضي الله عنه

ورواه عن إسماعيل بن عياش: هيثم بن خارجة، وهو صدوق انظر تقريب التهذيب ص٥٧٧، وأبو داود سليمان بن محمد المباركي، وهو صدوق انظر تقريب التهذيب ص٢٥١، وأورد طريقه ابن حدر في المطالب العالية، ح٢٤٥٤، (١١ / ٦٧).

وتابعهم مُحَمَّدُ بْنُ الْمُبَارَكِ الصُّورِيُّ، وهو ثقة انظر تقريب التهذيب (ص٥٠٤)، وأخرج طريقه الطبراني، المعجم الأوسط ح٤٧٠٩، (٥ / ٧٣).

وإسماعيل بن عياش صدوق في روايته عن أهل بلده مخلط في غيرهم، انظر تقريب التهذيب (ص: ١٠٩)، وراشد بن داود راوي مختلف فيه، وأبو الأشعث الصنعاني ثقة انظر تقريب التهذيب (ص: ٢٦٤)، فرجال هذا الحديث غالبهم في مرتبة الحسن عدا راشد بن داود الصنعاني راوي مختلف فيه، قال ابن معين: ثقة، وقال الدارقطني: ضعيف لا يعتبر به. وقال البخاري: فيه نظر، وخلاصة القول فيه صدوق له أوهام، انظر تهذيب التهذيب: (١ / ٥٨٣)، تهذيب الكمال: (٩ / ٦)، الكاشف في معرفة من له رواية في الكتب الستة: (٢ / ٣٨٧)، تقريب التهذيب(ص: ٢٠٤)، التاريخ الكبير (١٨١/٢)، سؤالات البرقاني للدارقطني رواية الكرجي عنه ص(٣٠)، وقال الألباني:"وهذا إسناد حسن إن شاء الله تعالى رجاله ثقات" السلسلة الصحيحة (٥/ ٨).

وفي الحديث دلالة على أن العمل الذي يعمله المبتلى قبل ابتلائه مكتوب له، ومدخر ثوابه عند الله، لا ينقطع بابتلائه، كقيام الليل، والأوراد، وغير ذلك مما كان يعتادُه قبل أن يحل به الابتلاء، فسبحانك يا رب من خالق كريم، وإله بعبادك رؤوف رحيم[١].

التوكل:

معنى المتوَكِّلُ على الله باللغة: أي الَّذِي يعلمُ أَن الله كافِلُ رزْقِهِ وأَمْرِه فاطْمَأنَّ قلْبُه على ذَلِك، وَلم يَتَوَكلْ على غَيره[٢].

وحقيقة التوكل: هو صدق اعتماد القلب على الله عز وجل في استجلاب المصالح، ودفع المضار من أمور الدنيا والآخرة كلها، وتحقيق الإيمان بأنه لا يعطي ولا يمنع ولا يضر ولا ينفع سواه[٣].

لا يصح اسم التوكل مع الالتفات والطمأنينة إلى الأسباب بل فعل الأسباب سنة الله وحكمته والثقة بأنه لا يجلب نفعا ولا يدفع ضرًّا، والكل من الله تعالى وحده، والتوكّل محلّه القلب وأمّا الحركة بالظاهر فلا تنافي التوكل بالقلب بعد ما تحقق العبد أن الثقة من قبل الله تعالى، فإن تعسر شيء فبتقديره وإن تيسر فبتيسيره[٤].

---

[١] المناوي، زين الدين محمد المدعو بعبد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي بن زين العابدين الحدادي ثم المناوي القاهري (ت١٠٣١هـ)، **الإتحافات السنية بالأحاديث القدسية ومعه النفحات السلفية بشرح الأحاديث القدسية**، الشارح: محمد منير بن عبده أغا النقلي الدمشقي الأزهري (ت ١٣٦٧هـ) ، شرحه باسم «النفحات السلفية بشرح الأحاديث القدسية»، المحقق: عبد القادر الأرناؤوط - طالب عواد، الناشر: دار ابن كثير دمشق- بيروت (ص:١٥- ١٦)

[٢] الأزهري، تهذيب اللغة (١٠/ ٢٠٣).

[٣] ابن رجب، جامع العلوم والحكم (٢/٤٩٧).

[٤] النووي، المنهاج (٣/ ٩١).

ولا يكون معنى التوكل ترك الكسب بالبدن، وترك التدبير بالقلب والسقوط على الأرض، إنما يظهر تأثير التوكل في حركة العبد وسعيه أي: بعمله إلى مقاصده(١).

والخلاصة في تحقيق التوكل أنه لا يُنافي السَّعي في الأسباب التي قدَّر الله سبحانه المقدورات بها، وجرت سُنَّته في خلقه بذلك، فإنَّ الله تعالى أمر بتعاطي الأسباب مع أمره بالتوكُّل، فالسَّعيُ في الأسباب بالجوارح طاعةٌ له، والتوكُّلُ بالقلب عليه إيمانٌ به، كما قال الله تعالى: { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا خُذُوا حِذْرَكُمْ } [سورة النساء: ٧١] ، وقال سبحانه: {وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ} [سورة الأنفال: ٦٠] (٢).

وفي هذه المعاني قال الرسول -صلّى الله عليه وسلّم-: ((**لَوْ تَوَكَّلُونَ عَلَى اللهِ حَقَّ تَوَكُّلِهِ، لَرَزَقَكُمُ اللهُ كَمَا يَرْزُقُ الطَّيْرَ، تَغْدُو خِمَاصًا، وَتَعُودُ بِطَانًا**))(٣)

والتوكل من القيم التعبدية التي تسكن بها النفس وتطمئن، وفيه سعادة الدنيا بمعونة الله وتيسيره سبحانه أمور المؤمنين، وبه يصل العبد للسعادة الأخروية في الآخرة.

والتوكل عملية نفسية مرتبطة بالبعد الوجداني في الإنسان، يتولد عنها أفكار ومشاعر الاستعانة بالله تعالى، وتفويض الأمر إليه والرضا بما قضى وقدر، مما يجعل المتوكل آمنا مطمئنا في سعيه في الحياة، لأنه مع الله القادر على كل شيء، الخبير بكل الأمور، العادل في قضائه وقدره، وهو من أهم العمليات النفسية التي تولد مشاعر إيجابية لتنمية الصحة النفسية، وإطفاء الوهن النفسي في الحياة(٤).

---

(١) الطيبي، الكاشف عن حقائق السنن (٣٣٣٦/١٠).

(٢) ابن رجب، جامع العلوم والحكم (٣/ ١٢٦٧).

(٣) أخرجه: الترمذي، الجامع الكبير، أبواب الزهد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم - باب في التوكل على الله – ح(٢٣٤٤)، (٥٧٣/٤) من طريق بَكْرِ بْنِ عَمْرٍو، عن عَبْدِ اللهِ بْنِ هُبَيْرَةَ ، عَنْ أَبِي تَمِيمٍ الْجَيْشَانِيِّ ، عَنْ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رضي الله عنه. وابن ماجه، سنن ابن ماجه، أبواب الزهد – باب التوكل واليقين- ح(٤١٦٤)، (٢/ ١٣٩٤) من طريق ابن لهيعة عن ابن هبيرة به. وابن هبيرة ثقة انظر تقريب التهذيب(ص:٣٢٧)، وبَكْرِ بْنِ عَمْرٍو،صدوق عابد انظر تقريب التهذيب (ص: ١٢٧)، وعبد الله ابن لهيعة، راوٍ أكثر الأئمة على تضعيفه وقبول حديثه بحيثية معينة لاحتراق كتبه، ورواية ابن لهيعة هنا من طريق ابن وهب والعلماء قبلوا رواية ابن وهب عن ابن لهيعة، ، وهذا إسناد حسن. وقال الترمذي: "هذا حديث حسن صحيح لا نعرفه إلا من هذا الوجه". وقال الألباني:"صحيح".

(٤) ينظر: موسى، السعادة وتنمية الصحة النفسية (ص:١٢١).

وحسن الظن بالله، والتقوى، والإخلاص، والرضا، والزهد، والشكر، والتوكل، قيما إيمانية تعبدية، توصل العبد للسعادة الحقيقية، لأن فيها صلاحًا لقلبه، وهي فضائل قلبية قل من يتصف بها إلا من رحم الله، لأنها تحتاج مجاهدة من العبد، ومعرفة للدنيا وزهدًا بها، ومن أراد سبيل السعادة كما علمنا النبي -صلّى الله عليه وسلّم- فليحرص على هذه القيم الإيمانية ففيها الخير الكثير، وفيها الراحة والطمأنينة والسكينة والفوز والحبور.

وهذه القيم تقوي دافع العبودية عند المؤمن، الذي يؤثر على سلوكياته وانفعالاته وعواطفه وعلى نشاطه الذهني، فعلى المؤمن الذي يبحث عن السعادة الحقيقية تدريب نفسه وإدارتها نحو القيم والفضائل الإسلامية.

المطلب الثاني: التزام القيم الأخلاقية:

الصدق، والصبر، الحلم، الرفق.

الْأَخْلَاق: علم مَوْضُوعه أَحْكَام قيمية تتَعَلَّق بِالْأَعْمَالِ الَّتِي تُوصَف بالْحسنِ أَو الْقبْح(١)، وفيه تحديد مبادئ عمل العبد والغاية العليا له، وهو علم بالفضائل وكيفية التحلِّي بها، والرذائل وكيفيّة تجنّبها(٢).

ومن هذه الأخلاق التي ترقى بالعبد إلى منازل السعداء:

الصدق:

---

(١) مجموعة مؤلفين، المعجم الوسيط (١/ ٢٥٢).

(٢) ينظر: مختار، معجم اللغة العربية المعاصرة (١/ ٦٨٨).

الصدق هو مُطَابقَة الْكَلَام للْوَاقِع بِحَسب اعْتِقَاد الْمُتَكَلّم والصلابة والشدة وَيُقَال رجل صدق وَامْرَأَة صدق وَالْأَمر الصَّالح لَا شية فِيهِ من نقص أَو كذب وَفِي التَّنْزِيل الْعَزِيز {وَقل رب أدخلني مدْخل صدق وأخرجني مخرج صدق}، وصدق فلَان فِي الحَدِيث صدقًا أخبر بالواقع(١).

ولا يخفى ما للصدق من فضل عظيم، وثواب جزيل، ومقام كريم، ومما يدلّ على فضل الصدق، وسموّ منزلته، وعلوّ مكانه أنه من خصائص أهل الإيمان والتقوى، قال تعالى: {إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَانِتِينَ وَالْقَانِتَاتِ وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ وَالْخَاشِعِينَ وَالْخَاشِعَاتِ وَالْمُتَصَدِّقِينَ وَالْمُتَصَدِّقَاتِ وَالصَّائِمِينَ وَالصَّائِمَاتِ وَالْحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَالْحَافِظَاتِ وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا} ، فمن اتصف بهذه الصفات العظام وكانت لباسه وحليته فقد فاز. نسأل اللَّه أن يجعلنا منهم، ولقد أمر اللَّه عباده المؤمنين بأن يكونوا مع الصادقين، ويلازموا الصدق في كل الأحوال فهو سبيل النجاة من خزي الدنيا وعذاب الآخرة(٢).

وقال النَّبِيّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **((إِنَّ الصِّدْقَ يَهْدِي إِلَى الْبِرِّ ، وَإِنَّ الْبِرَّ يَهْدِي إِلَى الْجَنَّةِ ، وَإِنَّ الرَّجُلَ لَيَصْدُقُ حَتَّى يَكُونَ صِدِّيقًا ، وَإِنَّ الْكَذِبَ يَهْدِي إِلَى الْفُجُورِ ، وَإِنَّ الْفُجُورَ يَهْدِي إِلَى النَّارِ ، وَإِنَّ الرَّجُلَ لَيَكْذِبُ حَتَّى يُكْتَبَ عِنْدَ اللهِ كَذَّابًا)) (٣).**

والصدق يطلق على صدق اللسان وهو نقيض الكذب، والصدق في النية وفي العزم وفي الوفاء وفي الأعمال(٤).

والبر العملُ الصالحُ الخالصُ من كلِّ مذمومٍ، وهو اسمٌ جامعٌ للخيراتِ كلِّها، ولذا حكم - -صلّى الله عليه وسلّم- - بأنَّه يهدي ويوصل إلى الجنة(٥).

---

(١) مجموعة مؤلفين، المعجم الوسيط (١/٥١٠، ٥١١).

(٢)القحطاني، سعيد بن علي بن وهف القحطاني، **الخلق الحسن في ضوء الكتاب والسّنّة**، مطبعة سفير، الرياض، توزيع: مؤسسة الجريسي للتوزيع والإعلان، الرياض، (ص: ٤١).

(٣) أخرجه: البخاري، الجامع الصحيح، كتاب الأدب، باب قول الله تعالى يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين ح ٥٧٤٣، (٥/ ٢٢٦١). ومسلم، المسند الصحيح، كتاب البر والصلة والآداب، باب قبح الكذب وحسن الصدق وفضله – ح٢٦٠٧، (٢٩/٨). من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه.

(٤) القسطلاني، إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري (٩/ ٦٢).

(٥) ينظر: الكحلاني، محمد بن إسماعيل بن صلاح بن محمد الحسني، الكحلاني ثم الصنعاني، أبو إبراهيم، عز الدين، المعروف كأسلافه بالأمير (ت ١١٨٢هـ)، **التحبير لإيضاح معاني التيسير**، حققه وعلق عليه وخرج أحاديثه وضبط نصه: محَمَّد صُبْحي بن حَسَن حَلّاق أبو مصعب، مَكتَبَةُ الرُّشد، الرياض - المملكة الْعَرَبيَّة السعودية، ط١، ١٤٣٣ هـ - ٢٠١٢ م(٦/

والرجل ليصدق في السر والعلانية، ويتكرّر ذلك منه حتى يكون صديقًا وهو من أبنية المبالغة والمراد فرط صدقه حتى يصدق قوله عمله(١).

ولم يعد الصدق مطلبا دينيا أو قضية أخلاقية، بل أكدت الدراسات أنه مطلبا نفسيا وجسميا واجتماعيا، فهو ينشط المناعة الجسمية والنفسية، والكذب يثبطها ويضعفها، وهو علامة جيدة للصحة النفسية(٢).

وقال النبي -صلّى الله عليه وسلّم- مادحًا الصدق مزكيًّا له: **((دَعْ مَا يَرِيبُكَ إلى مَا لَا يَرِيبُكَ ، فَإِنَّ الصِّدْقَ طُمَأْنِينَةٌ ، وَإِنَّ الْكَذِبَ رِيبَةٌ))** (٣).

فالصدق مما يطمئن له القلب ويسكن، والكذب مما يقلق له ويضطرب، فإذا تردّد العبد في أمر فليدعه إلى ما تسكن إليه نفسه وتستقر عنده، فإنّ التردّد فيه أمارة كونه باطلًا(٤).

والصدق يوصل إلى البر، والبر اسم جامع لكل خير، أي العمل الصالح الخالص من كل ذم ، والمرء يصدق أي يعتاد الصدق في كل أمر، حتى يكون صديقا فيصبح الصدق صفة ذاتية له فيدخل في زمرة الصديقين ويستحق ثوابهم، والفجوراسم جامع لكل شر أي الميل إلى الفساد والانطلاق إلى المعاصي، ومن اعتاد الكذب يحكم له به، وكذابا صيغة مبالغة من الكذب وهو من يصبح الكذب صفة ملازمة له(٥).

وهذه الأحاديث فيها فوائد عدّة، منها بيان عظم مقدار الصدق، وتعليق سعادة الدنيا والآخرة، والنجاة من شرهما به، فما أنجى الله من أنجاه إلا بالصدق، ولا أهلك من أهلكه إلا بالكذب، وقد أمر الله سبحانه عباده المؤمنين أن يكونوا مع الصادقين، فقال: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ (١١٩) } [سورة التوبة:١١٩] ، وقد قسم سبحانه الخلق إلى قسمين: سعداء،

---

٣٨٦). النعيمي، شمس الدين البِرْماوي، أبو عبد الله محمد بن عبد الدائم بن موسى النعيمي العسقلاني المصري الشافعي (ت ٨٣١ هـ)، **اللامع الصبيح بشرح الجامع الصحيح**، تحقيق ودراسة: لجنة مختصة من المحققين بإشراف نور الدين طالب، دار النوادر، سوريا، ط١، ١٤٣٣ هـ - ٢٠١٢ م(١٥/ ١٢٩)

(١) القسطلاني، إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري (٩/ ٦٢).

(٢) ينظر: موسى، السعادة وتنمية الصحة النفسية (ص:١١٥).

(٣)سبق تخريجه ص ٩٥.

(٤)البيضاوي، القاضي ناصر الدين عبد الله بن عمر البيضاوي (ت ٦٨٥هـ)، **تحفة الأبرار شرح مصابيح السّنّة**، المحقق: لجنة مختصة بإشراف نور الدين طالب، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بالكويت - ١٤٣٣ هـ - ٢٠١٢م (٢/ ٢١٦).

(٥) صحيح البخاري (٥/ ٢٢٦١)، انظر الحاشية تعليق المحقق، ط ابن كثير، تعليق مصطفى ديب البغا.

وأشقياء، فجعل السعداء هم أهل الصدق والتصديق، والأشقياء هم أهل الكذب والتكذيب، وهو تقسيم حاصر مطرد منعكس، فالسعادة دائرة مع الصدق والتصديق، والشقاوة دائرة مع الكذب والتكذيب(١).

والصدق خلق عظيم، يرجع نفعه على العبد في الدنيا والآخرة وعلى المجتمع أيضًا، لذلك على طالب السعادة أن يخلص قلبه لله ويربي نفسه على خلق الصدق، وألا يتوسع في مجال التورية، فيدخل في دائرة الكذب بل إذا اتق الله علم أن التورية بابها ضيق لا كما يفعل البعض في هذا الزمن.

وإذا حقق العبد الإيمان، صار صادقًا دون تكلف لأنه لا يخاف إلا الله تعالى، ولعلمه أن الأمور كلها بيد الله، فيكون راضيًا لحكمه سبحانه، وبهذا تسكن نفسه وترزق السعادة.

الصبر:

الصبر لغة من قولهم صبر صبرًا تجلد وَلم يجزع وانتظر فِي هدوء واطمئنان وَيُقَال صَبر على الْأَمر احتمله وَلم يجزع، وَحبس نَفسه عَنهُ وضبطها، والصَّبْر التجلد وَحسن الِاحْتِمَال وَعَن المحبوب حبس النَّفس عَنهُ وعَلى الْمَكْرُوه احْتِمَاله دون جزع وَقَالُوا قَتله صبرًا حَبسه حَتَّى مَاتَ، وَشهر الصَّبْر شهر الصَّوْم لما فِيهِ من حبس النَّفس عَن الشَّهَوَات(٢).

واصطلاحًا: منع وحبس النفس عن الجزع، واللسان عن التشكِّي، والجوارح عن التشْويش: كلطم الخدود، وشقّ الجيوب ونحوهما(٣).

وأما حقيقته فهو خلق فاضل من أخلاق النفس يمتنع به العبد من فعل ما لا يحسن ولا يجمل وهو قوة من قوى النفس التي بها صلاح شأنها وقوام أمرها(٤)، وهذه القوة تمكِّن الإنسان من ضبط

---

(١) ابن القيم، زاد المعاد في هدي خير العباد (٣/ ٥١٦-٥١٧).

(٢) مجموعة مؤلفين، المعجم الوسيط (١/٥٠٥/ ٥٠٦).

(٣) القحطاني، الخلق الحسن في ضوء الكتاب والسّنّة (ص: ١٤٤).

(٤) ابن القيم، **عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين**، ط٣، دمشق: دار ابن كثير ١٤٠٩هـ - ١٩٨٩م (ص: ١٦).

نفسه لتحمّل المتاعب، والمشاق، والآلام[١]، ليحظى بالسعادة الحقيقية، ومن استطاع تدريب نفسه على هذا الخلق رزق انشراح القلب، والهدوء والاطمئنان.

وفي هذا المعنى العظيم يقول الرسول -صلّى الله عليه وسلّم-: **((عَجَبًا لِأَمْرِ الْمُؤْمِنِ، إِنَّ أَمْرَهُ كُلَّهُ خَيْرٌ، وَلَيْسَ ذَاكَ لِأَحَدٍ إِلَّا لِلْمُؤْمِنِ، إِنْ أَصَابَتْهُ سَرَّاءُ شَكَرَ، فَكَانَ خَيْرًا لَهُ، وَإِنْ أَصَابَتْهُ ضَرَّاءُ، صَبَرَ فَكَانَ خَيْرًا لَهُ))** [٢]، وهنا أظهر النبي -صلّى الله عليه وسلّم- العجب على وجه الاستحسان لشأن المؤمن فإن شأنه كله خير، وليس ذلك لأحد إلا المؤمن[٣].

فالمؤمن إذا أصابته ضراء صبر فكان الصبر خيرًا له لأنه يؤمن بأن كل شيء بقضاء الله، فيكون دائمًا في سرور وانشراح، فما أصابه فإنه من الله، فإن كان ضراء صبر وانتظر الفرج من الله ولجأ إلى الله تعالى في كشف هذه الضراء، وان كان سراء شكر وحمد الله وعلم إن ذلك لم يكن بحوله ولا قوته، فيحوز أجر الصابرين الذين يوفون أجورهم بغير حساب[٤].

والصبر من المؤشرات الهامة للصحة النفسية والسعادة، فقدرة العبد على تحمل مشاق الحياة، والصمود في مواجهة الشدائد، والقدرة على تأجيل الإشباع، تدل دلالة واضحة على شخصيته السوية وما يتمتع به من قدر كبير من الصحة النفسية والسعادة الحقيقية[٥].

والصبر من أنجح الطرق لعلاج الانفعالات الإنسانية: كالخوف والحزن والقلق، ولأهميته اهتمت السّنّة النبوية وضع عدة وسائل لتحقيقه[٦].

وبيّن لنا النبي -صلّى الله عليه وسلّم- أن الصبر خلق يحتاج لتدريب وتربية للنفس، فقد روي عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: أَنَّ نَاسًا مِنَ الْأَنْصَارِ ، سَأَلُوا رَسُولَ اللهِ -صلّى اللهُ عَلَيْهِ وسلّم- فَأَعْطَاهُمْ ، ثُمَّ سَأَلُوهُ فَأَعْطَاهُمْ ، حَتَّى نَفِدَ مَا عِنْدَهُ ، فَقَالَ: **((مَا يَكُونُ عِنْدِي مِنْ خَيْرٍ فَلَنْ**

---

(١) القحطاني، الخلق الحسن في ضوء الكتاب والسّنّة (ص: ١٤٤).

(٢) سبق تخريجه ص١٠٩

(٣) ابن عثيمين، شرح رياض الصالحين (١/ ١٩٧).

(٤) ينظر: ابن عثيمين، شرح رياض الصالحين (١/ ٤٧٧)، الكحلاني، التنوير شرح الجامع الصغير (٧/ ٢٠٤).

(٥) ينظر: نجاتي، الحديث النبوي وعلم النفس (ص:٢٩٦).

(٦) ينظر: عجين، الذكاء العاطفي الذاتي وتطبيقاته في السّنّة النبوية (ص: ٦٨).

أَدَّخِرَهُ عَنْكُمْ ، وَمَنْ يَسْتَعْفِفْ يُعِفَّهُ اللهُ ، وَمَنْ يَسْتَغْنِ يُغْنِهِ اللهُ ، وَمَنْ يَتَصَبَّرْ يُصَبِّرْهُ اللهُ ، وَمَا أُعْطِيَ أَحَدٌ عَطَاءً خَيْرًا وَأَوْسَعَ مِنَ الصَّبْرِ)) (١).

وقوله -صلّى الله عليه وسلّم- ومن يتصبر يصبره الله، أي: ومن يعالج نفسه ويدرّبها على الصبر ويتكلفه على ضيق العيش وغيره من مكاره الدنيا، يرزقه الله الصبر ويُسهِّله الله عليه، والصبر كسائر الأخلاق يحتاج إلى مجاهدة النفس وتمرينها، وقول النبي -صلّى الله عليه وسلّم-:"ومن يتصبر" بدل (يصبر) بإضافة التاء دلالة على المشقة والمجاهدة(٢).

فمن أهم وسائل تحقيق الصبر طلبه من الله تعالى كما جاء في الحديث السابق، ومن وسائل تحقيقه أيضا ، ضبط النفس عند المصيبة باظهار مشاعر الحزن من غير تسخط، كما كان فعل النبي صلى الله عليه وسلم في وفاة ابنه إبراهيم(٣)، قال أَنَس بْن مَالِكٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: دَخَلْنَا مَعَ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى أَبِي سَيْفٍ الْقَيْنِ ، وَكَانَ ظِئْرًا لِإِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ ، فَأَخَذَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِبْرَاهِيمَ فَقَبَّلَهُ وَشَمَّهُ ، ثُمَّ دَخَلْنَا عَلَيْهِ بَعْدَ ذَلِكَ ، وَإِبْرَاهِيمُ يَجُودُ بِنَفْسِهِ ، فَجَعَلَتْ عَيْنَا رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تَذْرِفَانِ ، فَقَالَ لَهُ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: وَأَنْتَ يَا رَسُولَ اللهِ؟ فَقَالَ: **((يَا ابْنَ عَوْفٍ ، إِنَّهَا رَحْمَةٌ))**. ثُمَّ أَتْبَعَهَا بِأُخْرَى، فَقَالَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **((إِنَّ الْعَيْنَ تَدْمَعُ، وَالْقَلْبَ يَحْزَنُ، وَلَا نَقُولُ إِلَّا مَا يَرْضَى رَبُّنَا، وَإِنَّا بِفِرَاقِكَ يَا إِبْرَاهِيمُ لَمَحْزُونُونَ))**(٤).

وإنما كان الصبر أعظم العطايا، لأنه يتعلق بجميع أمور العبد وكمالاته، وكل حالة من أحواله تحتاج إلى صبر، فإنه يحتاج إلى الصبر على طاعة الله، حتى يقوم بها ويؤديها، وإلى صبر عن معصية الله حتى يتركها لله، وإلى صبر على أقدار الله المؤلمة، فلا يتسخّطها، وإلى صبر على

---

(١) أخرجه البخاري، الجامع الصحيح، كتاب الزكاة - باب الاستعفاف عن المسألة - ح(١٤٠٠)، (٥٣٤/٢). ومسلم، المسند الصحيح، كتاب الزكاة - باب فضل التعفف والصبر-ح(١٠٥٣)، (٧٢٩/٢) من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.

(٢) ينظر: السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (ت ٩١١ هـ) ، التوشيح شرح الجامع الصحيح، المحقق: رضوان جامع رضوان، مكتبة الرشد – الرياض، ط١، ١٤١٩ هـ - ١٩٩٨ م(٨/ ٣٨٤٦). المظهري، المفاتيح في شرح المصابيح (٢/ ٥١٧). الشنقيطي، محمَّد الخَضِر بن سيد عبد الله بن أحمد الجكني الشنقيطي (ت ١٣٥٤هـ)، **كوثَر المعاني الدراري في كشف خبايا صحيح البخاري**، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١، ١٤١٥ هـ - ١٩٩٥ م(١٢/ ٣٨٣). السعدي، بهجة قلوب الأبرار وقرة عيون الأخيار (ص: ٨٩)، القسطلاني، إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري (٣/ ٥٩).

(٣) ينظر: عجين، الذكاء العاطفي الوجداني وتطبيقاته في السّنّة النبوية (ص:٦٨).

(٤) البخاري، الجامع الصحيح، كتاب الجنائز - باب قول النبي صلى الله عليه وسلم إنا بك لمحزونون - ح ١٢٤١، (١/ ٤٣٩) من حديث ابن عمر رضي الله عنه.

نعم الله ومحبوبات النفس، فلا يدع النفس تمرح وتفرح الفرح المذموم، بل يشتغل بشكر الله، فهو في أحواله كلّها يحتاج إلى الصبر، وبالصبر ينال الفلاح، وما أعطي العبد عطاء خيرًا وأوسع من الصبر لأنّه جامع لمكارم الأخلاق(١).

الحلم:

معنى الحلم من قولهم: تأنى وَسكن عِنْد غضب أَو مَكْرُوه مَعَ قدرَة وَقُوَّة وصفح وعقل(٢).
والحلم: هو حالة متوسطة بين رذيلتين: الغضب، والبلادة، فإذا استجاب المرء لغضبه بلا تعقّل ولا تبصّر كان على رذيلة، وإن تبلّد، وضيّع حقه ورضي بالهضم والظلم كان على رذيلة، وإن تحلّى بالحلم مع القدرة وكان حلمه مع من يستحقه كان على فضيلة، وهناك ارتباط بين الحلم وكظم الغيظ، وهو أن ابتداء التخلق بفضيلة الحلم يكون بالتحلّم وهو كظم الغيظ، وهذا يحتاج إلى مجاهدة شديدة، لما في كظم الغيظ من كتمان ومقاومة واحتمال، فإذا أصبح ذلك هيئة راسخة في النفس، وأصبح طبعًا من طبائعها كان ذلك هو الحلم، واللَّه أعلم.(٣)
والأصل في الحلم تأخير مكافأة مَن ظلمك، ويستعمل في العفو عن الذنب، وهو الطمأنينة أي يكون متحمّلًا لسماع كلام المتحاكمين واسع الخلق غير متضجر ولا غضوب(٤).
وقد مدح النبي -صلّى الله عليه وسلّم- صفة الحلم، حيث قال النبي -صلّى الله عليه وسلّم- لِلْأَشَجِّ أَشَجِّ عَبْدِ الْقَيْسِ: " **إِنَّ فِيكَ خَصْلَتَيْنِ يُحِبُّهُمَا اللهُ: الْحِلْمُ، وَالْأَنَاةُ** " (٥) والحلم: العقل، والأناة: التثبت وترك العجلة (٦).

---

(١) السعدي، بهجة قلوب الأبرار وقرة عيون الأخيار (ص: ٨٩)

(٢) مجموعة مؤلفين، المعجم الوسيط (١/ ١٩٤).

(٣) القحطاني، الخلق الحسن في ضوء الكتاب والسنّة (ص: ١٠٣).

(٤) المظهري، المفاتيح في شرح المصابيح (٥/ ٢٤٤). الكرماني، الكواكب الدراري في شرح صحيح البخاري (٢٤/ ٢١٠)

(٥) أخرجه مسلم، المسند الصحيح، كتاب الإيمان - باب الأمر بالإيمان بالله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم وشرائع الدين والدعاء إليه والسؤال عنه وحفظه وتبليغه من لم يبلغه، ح(١٧)، (١/٤٨) من حديث ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنه.

(٦) القاضي عياض، إكمال المعلم بفوائد مسلم (١/ ٢٣٣).

والأناة أيضًا: الثبات في الأمر؛ يعني: الثباتُ في الطاعات وأمور الخير محمود، والسكونُ وتركُ العجلة في الأمور الدنيوية محمودٌ أيضًا، والتعجيل في الأمور الأخرويّة مرضيٌّ كي لا يمنعه الشيطان عما قصد من الخير(١).

والخلق الحسن يكون طبيعيًّا، بمعنى أنّ الإنسان يمنّ الله عليه من الأصل بخلق حسن، ويكون بالكسب بمعنى أنّ الإنسان يمرّن نفسه على الخلق الحسن حتى يكون ذا خلق حسن، والعجيب أنّ الخلق الحسن يُكسِب الإنسان الراحة والطمأنينة وعدم القلق لأنّه مطمئن من نفسه في معاملة غيره(٢).

وهنا في هذا الحديث يمتدح النبي -صلّى الله عليه وسلّم- خلق الحلم، وأي سعادة بعد تطبيق خلق أحبه الله ورسوله، والأخلاق الحسنة فضيلة ورفعة، وربما يشق تطبيقها على العبد، لكن في تدريب النفس عليها طاعة لله تعالى، واقتداء للنبي -صلّى الله عليه وسلّم-، وبها يكون العبد أسلم مع الناس، ومن ثم تحصل له السعادة والطمأنينة بكل الجوانب.

والحلم عملية نفسية تتعلق بالبعد الوجداني، وتؤثر إيجابا على سلوك العبد، وفيها يتخلص العبد من المشاعر والانفعالات السلبية ومن القلق والتوتر، وهو مؤشر للشخصية السوية، فقد امتدح النبي صلى الله عليه وسلم من اتصف بهذه الخصلة.

---

(١) المظهري، المفاتيح في شرح المصابيح (٥/ ٢٤٤)

(٢) ابن عثيمين، شرح الأربعين النووية (ص: ١٩٧).

الرفق:

الرفق: من رفق بِهِ وَله وَعَلِيهِ رفقًا ومرفقًا لَان لَهُ جَانِبه وَحسن صَنِيعه، والرفيق اللين الْجَانِب[١]، والرفق لين الجانب بالقول والفعل والأخذ بالأسهل وهو ضد العنف[٢].

وقد امتدح النبي -صلّى الله عليه وسلّم- الرفق بقوله: **((مَنْ يُحْرَمِ الرِّفْقَ يُحْرَمِ الْخَيْرَ كُلَّهُ))**[٣]، وفي هذا الحديث دلالة على أن الرفق خير كله، ودليل على فضله؛ لأنّه سبب كل خير، وجالب كل نفع، بضد الخوف والعنف [٤].

وقال النبي -صلّى الله عليه وسلّم- لعائشة رضي الله عنها كلمات مباركات في فضيلة الرفق: **((يَا عَائِشَةُ إِنَّ اللهَ رَفِيقٌ يُحِبُّ الرِّفْقَ، وَيُعْطِي عَلَى الرِّفْقِ مَا لَا يُعْطِي عَلَى الْعُنْفِ، وَمَا لَا يُعْطِي عَلَى مَا سِوَاهُ))**[٥].

فالله سبحانه رفيق يريد بعباده اليُسر ولا يريد بهم العُسر، فلا يكلِّفهم فوقَ طاقتهم، بل يسامحهم وَيلطُف بهم، ويحب سبحانه الرِّفق، أي يحب جلّ وعلا أن يرفقَ العبادُ بعضُهم بعضًا، ويتلاطفوا فيما بينهم، ويعطي سبحانه من الثواب في مقابلة الرفق أو من المطالب والأغراض ما لا يعطي على ما سوى الرفق من الخِصَال الحسنة، وهذا يدلّ على أن الرفقَ أقوى الأسباب الحسنة كلِّها وأوثقُها[٦].

والرفق من العمليات النفسية التي تتعلق بالبعدين الوجداني والمعرفي، وله اتصال بالمرونة والتوافق، والذكاء الوجداني، وهو أمر في غاية الإيجابية والسعادة، لما فيه من راحة النفس وإراحة الغير، وتكاد تتفق دراسات علم النفس أن الفعل الخيّر والمرونة من أسباب السعادة القوية، والتي تؤدي إلى المهارة في العلاقات وإلى تحقيق النجاح في الحياة الاجتماعية.

---

[١] مجموعة مؤلفين، المعجم الوسيط (١/ ٣٦٢).

[٢] ابن حجر، فتح الباري (١٠/ ٤٤٩).

[٣] أخرجه مسلم، المسند الصحيح، كتاب البر والصلة والآداب، باب فضل الرفق – ح٢٥٩٢، (٨ / ٢٢)، من حديث جَرِيرٍ بن عبد الله البجلي رضي الله عنه.

[٤] القاضي عياض، إكمال المعلم بفوائد مسلم (٨/ ٦٤)

[٥] أخرجه مسلم، المسند الصحيح، كتاب البر والصلة والآداب - باب فضل الرفق، ح(٢٥٩٣)، (٢٠٠٣/٤) من حديث عَائِشَةَ رضي الله عنها.

[٦] ابن ملك، شرح المصابيح (٥/ ٣٣٩).

والفعل الخير من الأمور التي تشعر المؤمن بخيرية الذات، وتحقق له الإشباع النفسي، مما يعني تحقق الرضا والسعادة.

والفعل الخير لا يصاحبه تيار منفصل من الانفعال الايجابي مثل الفرح، بل هو يتشكل من الاندماج الكامل وفقدان للوعي بالذات فالوقت يتوقف[١].

والرفق لا يكون في شيء إلا زانه إلَّا زانه لأنه سَبَب لكل خير[٢] فقد قال -صلّى الله عليه وسلّم: **((إِنَّ الرِّفْقَ لَا يَكُونُ فِي شَيْءٍ إِلَّا زَانَهُ، وَلَا يُنْزَعُ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا شَانَهُ))** [٣]، وفي هذا دلالة على أن السعادة تحصل للعبد بإحسانه للآخرين.

وروى ابن مَسْعُودٍ رضي الله عنه حديثًا عظيمًا في الرفق عَنِ النَّبِيِّ -صلّى اللهُ عَلَيْهِ وسلّم- :**((حُرِّمَ عَلَى النَّارِ كُلُّ هَيِّنٍ لَيِّنٍ، سَهْلٍ قَرِيبٍ مِنَ النَّاسِ))** [٤].

وهذا حديث عظيم الفوائد، فيه أنّه لا يدخل النار ولا تصل إلى من كانت هذه صفاته:

٦- **هيّنًا**: والهون من السهولة والسكينة والوقار.

٧-**وليّنًا**: أي: حليمًا

٨-**وسهلًا**: أي: في قضاء حوائج الناس وتمشية أمورهم وإعانتهم، وغير صعب الأخلاق.

٩-**وقريبًا:** إلى الناس غير متكبر ولا متعاظم، قريب منهم بمجالستهم وملاطفتهم[٥].

---

(١) ينظر: سيلجمان، السعادة الحقيقية (ص:٢٠).

(٢) المناوي، التيسير بشرح الجامع الصغير (٢/ ١٣٨).

(٣) أخرجه مسلم، المسند الصحيح، كتاب البر والصلة والآداب - باب فضل الرفق ح(٢٥٩٤)، (٤/٢٠٠٤) من حديث عَائِشَةَ رضي الله عنها.

(٤) أخرجه الترمذي، الجامع الكبير، أبواب صفة القيامة والرقائق والورع عن رسول الله صلى الله عليه وسلم – ح ٢٤٨٨، (٢٦٧/٤) من طريق هشام بن عروة عن مُوسَى بْنِ عُقْبَةَ ، عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرٍو الْأَوْدِيِّ ، عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ رضي الله عنه. وموسى بن عقبة ثقة انظر تقريب التهذيب (ص: ٥٥٢)، وهشام بن عروة وهو ثقة انظر تقريب التهذيب (ص:٥٧٣)، وقال الترمذي: "هذا حديث حسن غريب"، وقال الدارقطني: "يرويه هشام بن عروة واختلف عنه فرواه عبد الله بن مصعب عن هشام عن ابن المنكدر عن جابر وخالفه عبدة بن سليمان وليث بن سعد وأبو أسامة ولوذان بن سليمان رووه عن هشام بن عروة عن موسى بن عقبة عن عبد الله بن عمرو الأودي عن ابن مسعود وهو أشبه" انظر العلل الواردة في الأحاديث النبوية: (١٣ / ٣٣٧) وعبد الله بن عمر الأودي شيخ موسى بن عقبة مقبول وهو راوي مقل ولم يجرح، انظر تقريب التهذيب (ص: ٢١٥)، وذكره ابن حبان في الثقات (٥/ ٥٥)، وهو إسناد ضعيف من أجل الأودي فلم أقف على توثيق صريح له وأخرج له الترمذي هذا الحديث فقط، وقد صحح الشيخ الألباني الحديث بالشواهد، قال الألباني:"و بالجملة فالحديث صحيح بمجموع هذه الشواهد والله أعلم" السلسلة الصحيحة (٣/ ١٢).

(٥) ينظر: ابن الملك، شرح المصابيح (٥/ ٣٤٥)، الكحلاني، التنوير شرح الجامع الصغير (٤/ ٣٦١)

قال الله تعالى: {فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ (١٥٩)} [سورة آل عمران: ١٥٩] أي: برحمة الله لك ولأصحابك، منَّ الله عليك أن ألنت لهم جانبك، وخفضت لهم جناحك، وترققت عليهم، وحسنت لهم خلقك، فاجتمعوا عليك وأحبّوك، وامتثلوا أمرك[١].

والرفق، والصدق، والصبر، والحلم، أخلاق فضيلة، ترقى للعبد إلى منازل السعداء، وفيها يضبط العبد علاقته مع ربه ونفسه ومجتمعه، فيكون صادقًا مع الله وصابرًا على أداء الطاعات واحتساب الابتلاءات، وصادقًا مع نفسه في تربيتها وفق المنهج الصحيح الذي يسوقها إلى دار السعداء مستعينًا بالصبر والتصبر، وصادقًا مع الخلق، وصابرًا على أذاهم، حليمًا معهم محسنًا لهم رفيقا بهم، وإذا استطاع المرء أن يحقق هذه القيم الأخلاقية رزق سعادة وطمأنينة، وأجرًا كبيرًا بإذن الله تعالى.

---

[١] السعدي، تيسير الكريم الرحمن (ص: ١٥٤).

المطلب الرابع: التزام القيم السلوكية:

الذكر، والإحسان، والأمانة، والتواضع والعفو

القيم السلوكية هي الفضائل التي يتحلى بها المرء، والسُّلُوكُ: مصدرُ سَلَكَ طَرِيقًا، والمَسْلكُ: الطريقُ(١)، والسلوك سيرة الإنسان وتصرّفه واتِّجاهه، ويشمل الآداب كحسن السلوك وسيّئها(٢).

ذكر الله تعالى:

معنى الذكر الإتيان بالألفاظ التي ورد الترغيب في قولها والإكثار منها مثل الباقيات الصالحات، وهي سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر، وما يلتحق بها من الحوقلة والبسملة والحسبلة والاستغفار ونحو ذلك والدعاء بخيري الدنيا والآخرة(٣).

والذِّكْرُ لغة: الحفظُ للشَّيْء، والذِّكْرُ: جَرْيُ الشيءِ على لسَانك، والذِّكْرُ: مَا ذكرْتَه بلسانك وأظهرْتَه، ومن أنواع الذكْرُ: الصَّلاةُ، وقِرَاءَة الْقُرْآن، والتسبيحُ، والدُّعَاء، والشُّكْرُ، والطَّاعَة(٤).

والذكر: التّخلّص من الغفلة والنّسيان، والذّكر عبوديّة القلب واللّسان(٥).

قال تعالى: {وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا (٣٥) } [سورة الأحزاب: ٣٥].

والذكر حياة للقلوب، وتدبر للعقول، فقد قال النبي -صلّى الله عليه وسلّم-: ((**مَثَلُ الَّذِي يَذْكُرُ رَبَّهُ وَالَّذِي لَا يَذْكُرُ مَثَلُ الْحَيِّ وَالْمَيِّتِ**)) (٦).

---

(١) الأزهري، تهذيب اللغة (١٠/ ٣٨).

(٢) مختار، معجم اللغة العربية المعاصرة (٢/ ١٠٩٧).

(٣) ابن حجر، فتح الباري (١١/ ٢٠٩).

(٤) الأزهري، تهذيب اللغة (١٠/ ٩٤)

(٥) مجموعة مؤلفين، بإشراف الشيخ/ صالح بن عبد الله بن حميد إمام وخطيب الحرم المكي، **نضرة النعيم في مكارم أخلاق** الرسول الكريم ـ صلى الله عليه وسلم، دار الوسيلة للنشر والتوزيع، جدة ـط٤، (٥/ ١٩٦٢).

(٦)أخرجه: البخاري، الجامع الصحيح، كتاب الدعوات، باب فضل ذكر الله عز وجل ـ ٦٠٤٤، (٥/ ٢٣٥٣). ومسلم، المسند الصحيح، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب استحباب صلاة النافلة فِي بيته وجوازها فِي المسجد ـح ٧٧٩، (٢ / ١٨٨) من حديث أَبِي مُوسَى الأشعري رضي الله عنه.

وهنا شبَّه النبي -صلّى الله عليه وسلّم- الذاكرَ بالحَيِّ الذي تزيَّنَ ظاهرُه بنور الحياة وبالتصرف فيما يريد، وباطنُه منوَّر بنور العلم والفهم، كذلك الذاكِرُ مزيَّنٌ ظاهُره بنور العلم والطاعة، وباطنُه بنور العلم والمعرفة، وغيرُ الذاكِرِ كالميت؛ لأنه عاطلٌ ظاهرُه، وباطلٌ باطنُه(١).

وفي ذكر الله تنمية لأفكار ومشاعر الإيمان، والتي تحمل أقوى معنى للإيجابية والسعادة والتفاؤل والرضا، ويرتبط ذكر الله بإشباع الحاجة إلى الدين، والتي بإشباعها تطمئن النفس وتسمو الأفكار، وتعلو المشاعر، وتصلح الأعمال(٢).

وفي الذكر الأجر والصدقة، فقد روي عَنْ أَبِي ذَرٍّ، أَنَّ نَاسًا مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ -صلّى اللهُ عَلَيْهِ وسلّم- قَالُوا لِلنَّبِيِّ -صلّى اللهُ عَلَيْهِ وسلّم-: يَا رَسُولَ اللهِ ، ذَهَبَ أَهْلُ الدُّثُورِ بِالْأُجُورِ يُصَلُّونَ كَمَا نُصَلِّي ، وَيَصُومُونَ كَمَا نَصُومُ ، وَيَتَصَدَّقُونَ بِفُضُولِ أَمْوَالِهِمْ قَالَ: **((أَوَلَيْسَ قَدْ جَعَلَ اللهُ لَكُمْ مَا تَصَّدَّقُونَ ، إِنَّ بِكُلِّ تَسْبِيحَةٍ صَدَقَةً، وَكُلِّ تَكْبِيرَةٍ صَدَقَةً ، وَكُلِّ تَحْمِيدَةٍ صَدَقَةً ، وَكُلِّ تَهْلِيلَةٍ صَدَقَةً ، وَأَمْرٌ بِالْمَعْرُوفِ صَدَقَةٌ ، وَنَهْيٌ عَنْ مُنْكَرٍ صَدَقَةٌ ، وَفِي بُضْعِ أَحَدِكُمْ صَدَقَةٌ ، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ أَيَأْتِي أَحَدُنَا شَهْوَتَهُ وَيَكُونَ لَهُ فِيهَا أَجْرٌ ؟ قَالَ: أَرَأَيْتُمْ لَوْ وَضَعَهَا فِي حَرَامٍ أَكَانَ عَلَيْهِ فِيهَا وِزْرٌ ؟ فَكَذَلِكَ إِذَا وَضَعَهَا فِي الْحَلَالِ كَانَ لَهُ أَجْرًا))**(٣)، وفي هذا الحديث فضيلة التسبيح وسائر الأذكار، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وإحضار النية في المباحات، وإنّما تصير طاعات بالنيات الصادقات(٤).

---

(١) ابن ملك، شرح المصابيح (٣/ ٨٣)

(٢) ينظر بتصرف: موسى، السعادة وتنمية الصحة النفسية (١١٦-١١٧).

(٣) أخرجه: مسلم، المسند الصحيح، كتاب الزكاة- باب بيان أن اسم الصدقة يقع على كل نوع من المعروف - ح(١٠٠٦)، (٢/ ٦٩٧) من حديث أَبِي ذَرٍّ رضي الله عنه.

(٤)ابن دقيق، تقي الدين أبو الفتح محمد بن علي بن وهب بن مطيع القشيري، المعروف بابن دقيق العيد (ت ٧٠٢هـ) ، **شرح الأربعين النووية في الأحاديث الصحيحة النبوية**، ط٦، مؤسسة الريان، ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٣ م، (٩١/١).

الإحسان:

الإحسان لغة: من الحسن، الحَسَنُ: نعت لما حَسُنَ، تَقول: حَسُنَ الشيءُ حُسْنًا[(١)]، وهو ضد القبح ونقيضه، و الإحسان يكون لنفس الإنسان ولغيره[(٢)].

واصطلاحًا: فعل ما ينبغي فعله من المعروف، وهو ضربان: أحدهما: الإنعام على الغير، والثّاني الإحسان في فعله وذلك إذا علم علمًا محمودًا، وعمل عملًا حسنًا[(٣)].

قال تعالى: {وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ} [سورة البقرة: ١٩٥] وهذا يشمل جميع أنواع الإحسان، لأنه لم يقيده بشيء دون شيء، فيدخل فيه الإحسان بالمال، ويدخل فيه الإحسان بالجاه، بالشفاعات ونحو ذلك، ويدخل في ذلك، الإحسان بالأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، وتعليم العلم النافع، ويدخل في ذلك قضاء حوائج الناس، من تفريج كرباتهم وإزالة شداتهم، وعيادة مرضاهم، وتشييع جنائزهم، وإرشاد ضالهم، وإعانة من يعمل عملا والعمل لمن لا يحسن العمل ونحو ذلك، مما هو من الإحسان الذي أمر الله به، ويدخل في الإحسان أيضًا، الإحسان في عبادة الله تعالى، وهو كما ذكره النبي -صلّى الله عليه وسلّم- في حديث جبريل عليه السلام، فمن اتصف بهذه الصفات، كان من الذين قال الله فيهم: {لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَى وَزِيَادَةٌ} [سورة يونس: ٢٦] وكان الله معه يسدّده ويرشده ويعينه على أموره كلّها [(٤)].

والإحسان باب واسع للسعادة، فمن أراد الراحة والسرور، فليحرص على تحقيق الإحسان بأنواعه كلّها، وهذا أمر مجرب ومشاهد، فالمرء حينما يحسن لإنسان مثلًا كأن يفرّج عنه أو يعينه يشعر بانشراح وسرور في قلبه، ولا عجب في ذلك، فالله سبحانه وعد المحسنين بالخير الكثير.

والإحسان يحقق نوعا من الإشباع الذاتي، وتقدير الذات، والذي يؤدي بدوره إلى الرضا النفسي المكون الأساسي للسعادة.

[(١)] الأزهري، تهذيب اللغة (٤/ ١٨٢).

[(٢)] ابن منظور، لسان العرب (١٣/ ١١٤-١١٧).

[(٣)] المناوي، التوقيف على مهمات التعاريف (ص:٤٠).

[(٤)] السعدي، تيسير الكريم الرحمن (ص: ٩٠).

"فممارسة الخير ليست مجرد متعة بل هي حالة من الإشباع المتكامل، وكنوع من الإشباع فهي تشحذ قواك لأن ترتفع لحجم مناسب، وأن تواجه تحديا"([١]).

قال رَسُول اللهِ -صلّى اللهُ عَلَيْهِ وسلّم-: **((إِنَّ اللهَ كَتَبَ الْإِحْسَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ ، فَإِذَا قَتَلْتُمْ فَأَحْسِنُوا الْقِتْلَةَ ، وَإِذَا ذَبَحْتُمْ فَأَحْسِنُوا الذَّبْحَ ، وَلْيُحِدَّ أَحَدُكُمْ شَفْرَتَهُ ، فَلْيُرِحْ ذَبِيحَتَهُ))**([٢])، كتب أي أوجب، والإحسان هو فعل الحسن الذي هو ضد القبيح، فيتناول الحسن شرعًا، والحسن عرفًا([٣]).

وقَالَ رَسُولُ اللهِ -صلّى اللهُ عَلَيْهِ وسلّم-: **((إِذَا أَحْسَنَ أَحَدُكُمْ إِسْلَامَهُ ، فَكُلُّ حَسَنَةٍ يَعْمَلُهَا تُكْتَبُ لَهُ بِعَشْرِ أَمْثَالِهَا إلى سَبْعِ مِائَةِ ضِعْفٍ ، وَكُلُّ سَيِّئَةٍ يَعْمَلُهَا تُكْتَبُ لَهُ بِمِثْلِهَا))**([٤])، فحسن إسلامه أي: صار إسلامه حسنًا باعتقاده وإخلاصه ودخوله فيه بالباطن والظاهر، وأن يستحضر عند عمله قرب ربّه منه واطلاعه عليه كما دل عليه تفسير الإحسان في حديث جبريل([٥]).

والله سبحانه يفرج عمن فرج وأحس لعباده، فقد روي عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ أَبِي قَتَادَةَ، أَنَّ أَبَا قَتَادَةَ، طَلَبَ غَرِيمًا لَهُ، فَتَوَارَى عَنْهُ ثُمَّ وَجَدَهُ، فَقَالَ: إِنِّي مُعْسِرٌ، فَقَالَ: آللَّهِ؟ قَالَ: آللَّهِ؟ قَالَ: فَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ -صلّى اللهُ عَلَيْهِ وسلّم-، يَقُولُ:**((مَنْ سَرَّهُ أَنْ يُنْجِيَهُ اللهُ مِنْ كُرَبِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ، فَلْيُنَفِّسْ عَنْ مُعْسِرٍ، أَوْ يَضَعْ عَنْهُ))** ([٦])، من أَفْرحه أنْ يُنجيه الله، فليؤخّر مطالبة المعسر إلى مدّة يَجِدُ مالًا، "أو يضعُ عنه" بعضَ الدَّين([٧])، والتنفيس: إذهاب الغَمِّ([٨]).

---

(١) ينظر: سيلجمان، السعادة الحقيقية (ص:٢٠).

(٢) أخرجه مسلم، المسند الصحيح، كتاب الصيد والذبائح وما يؤكل من الحيوان - باب الأمر بإحسان الذبح والقتل وتحديد الشفرة – ١٩٥٥، (٦ / ٧٢) من حديث شَدَّادِ بْنِ أَوْسٍ رضي الله عنه.

(٣) المغربي، الحسين بن محمد بن سعيد اللاعيّ، المعروف بالمَغرِبي (ت ١١١٩ هـ)، **البدرُ التمام شرح بلوغ المرام**، المحقق: علي بن عبد الله الزبن- دار هجر (٩/ ٣٧٨).

(٤) أخرجه: البخاري، الجامع الصحيح، كتاب الإيمان - باب حسن إسلام المرء – ح٤٣، (٢٤/١). ومسلم، المسند الصحيح، كتاب الإيمان - باب إذا هم العبد بحسنة كتبت وإذا همّ بسيئة لم تكتب – ١٢٨، (١ / ٨٢) من حديث أَبِي هُرَيْرَ رضي الله عنه.

(٥) ابن حجر، فتح الباري (١/ ٩٩).

(٦) أخرجه مسلم، المسند الصحيح، كتاب المساقاة - باب فضل إنظار المعسر، ح(١٥٦٣)، (١١٩٦/٣) من حديث أَبِي قَتَادَةَ رضي الله عنه.

(٧) ابن ملك، شرح المصابيح (٣/ ٤٤٩)

(٨) المظهري، المفاتيح في شرح المصابيح (٣/ ٤٦٣)

والله سبحانه في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه، وهذا يوصل العبد للسعادة بلا شكّ ، فالمرء إذا أعانه الله حصلت له السعادة، لذلك فإنّ إسعاد الآخرين والتفريج عنهم وإعانتهم من أسهل الأسباب وصولا للسعادة، وفي ذلك قال رَسُول اللهِ -صلّى اللهُ عَلَيْهِ وسلّم- : **((مَنْ نَفَّسَ عَنْ مُؤْمِنٍ كُرْبَةً مِنْ كُرَبِ الدُّنْيَا نَفَّسَ اللهُ عَنْهُ كُرْبَةً مِنْ كُرَبِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ ، وَمَنْ يَسَّرَ عَلَى مُعْسِرٍ يَسَّرَ اللهُ عَلَيْهِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَمَنْ سَتَرَ مُسْلِمًا سَتَرَهُ اللهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ، وَاللهُ فِي عَوْنِ الْعَبْدِ مَا كَانَ الْعَبْدُ فِي عَوْنِ أَخِيهِ))**[١]،وهذا الحديث فيه الحثُّ على إعانة المسلم أخاه المسلم، وأنَّه كلَّما حصل منه العون لإخوانه فإنَّه يحصِّل بذلك عون الله وتسديده، وجملة " والله في عون العبد.." كلمة جامعة من جوامع كلم الرسول -صلّى الله عليه وسلّم-[٢]، ومعنى "في عون" أي يوقع الله العون في العبد ويجعله مكانًا له، مبالغة في الإعانة[٣].

وفي هذا الإحسان والتفريج للمسلمين وإعانتهم تحقيق النجاح في الحياة الاجتماعية، والتي تعد مؤشرا هاما للسعادة، وتؤثر تأثيرا واضحا على حصول السرور والاستقرار النفسي.

والشخص المحبوب يتم تقديره نتيجة لخدمات قدمها، وليس نتيجة لخصائص داخلية[٤].

الأمانة:

والأمانة: ضد الخيانة[٥]، وأصل الأَمْن: طمأنينة النفس وزوال الخوف، والأَمْنُ والأَمَانَةُ والأَمَانُ في الأصل مصادر، ويجعل الأمان تارة اسمًا للحالة التي يكون عليها الإنسان في الأمن، وتارة اسمًا لما يؤمن عليه الإنسان[٦]، والأمانة هنا اسم لما يؤمن عليه الإنسان، وهي من الحفظ.

---

(١) جزء من حديث سبق تخريجه ص٩٣.

(٢) البدر، عبد المحسن بن حمد بن عبد المحسن بن عبد الله بن حمد العباد البدر، **فتح القوي المتين في شرح الأربعين وتتمة** الخمسين للنووي وابن رجب رحمهما الله، دار ابن القيم، الدمام المملكة العربية السعودية، ط١، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م (ص: ١٢٢).

(٣) الطيبي، الكاشف عن حقائق السنن (٢/ ٦٦٥).

(٤) راسل، انتصار السعادة (١٩٩).

(٥) ابن منظور، لسان العرب (١٣/ ٢١).

(٦) الراغب، أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني (ت ٥٠٢هـ)، **المفردات في غريب القرآن**، المحقق: صفوان عدنان الداودي، دار القلم، الدار الشامية - دمشق بيروت، ط١ - ١٤١٢ هـ، (ص: ٩٠).

والأمانة خلق فضيل، صاحبه يحظى بالمحبة والقبول بين الناس، والانشراح والطمأنينة من حقوق العباد، وبهذا تحصل له الراحة الداخلية والسعادة، وهذه الصفة التي اشتهر بها النبي -صلّى الله عليه وسلّم- من صغره، فهو الصادق الأمين -صلّى الله عليه وسلّم-.

وقد عد النبي -صلّى الله عليه وسلّم- الخيانة من خصال المنافقين، فقال صلى الله عليه وسلم: ((**آيَةُ الْمُنَافِقِ ثَلَاثٌ: إِذَا حَدَّثَ كَذَبَ ، وَإِذَا وَعَدَ أَخْلَفَ ، وَإِذَا اؤْتُمِنَ خَانَ**))(١)، الآية العلامة(٢)، "إذا ائتمنٍ خان " أي أن يشتهر بالخيانة بين الناس، فلا يثق به أحد، لأنه إذا أودع سراً أفشاه، وإذا أودع مالاً تصرف فيه خلاف الوجه الشرعي المطلوب منه، وإذا استشير لم ينصح في مشورته، وإذا عهد إليه بعمل لم يؤده، والخيانة من الكبائر ومن أخلاق المنافقين سواء كانت في سر أو وديعة أو وظيفة، وسواء كانت في حق من حقوق الله، أو من حقوق العباد(٣).

والأمانة من السلوكيات الإيجابية الخيرة، والتي تتأثر بدافع التدين، عن طريق ممارسة جوانب القوة والفضائل في شخصية المؤمن السوية.

وجوانب القوة والفضائل هي خصال إيجابية تجلب الشعور الحسن والإشباع، والحياة الجيدة هي عبارة عن استخدام ما يميزك من جوانب القوة في كل يوم لتحقيق السعادة الحقيقية والاشباع الشامل(٤).

التواضع والعفو:

التواضع لغة: عدم التَّكبُّر والتعاظم، إبعاد الذَّات عن الأضواء، وهو عكس الكِبْر، تواضع العبدُ: تخاشَع، تذلَّل، عكسه تكبَّر(٥).

---

(١) أخرجه: البخاري، الجامع الصحيح، كتاب الشهادات - باب من أمر بإنجاز الوعد - ح ٢٥٣٦، (٢/ ٩٥٢)، وح [٣٣ ، ٢٥٩٨ ، ٥٧٤٤]. مسلم، المسند الصحيح، كتاب الإيمان - باب بيان خصال المنافق –ح٥٩، (٥٦/١). من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢)ابن حجر، فتح الباري (١/ ٨٩)

(٣)قاسم، منار القاري شرح مختصر صحيح البخاري (١/ ١٢٠)

(٤) ينظر: سيلجمان، السعادة الحقيقية (٢١، ٢٥).

(٥) مختار، معجم اللغة العربية المعاصرة (٣/ ٢٤٥٧).

واصطلاحًا: الانكسار والتذلل ونقيضه التكبر والترفع[١].

والعفو لغة: من عفَا عنه ذنْبَه/ عفَا له ذنْبَه/ عفَا عن ذنْبَه: أي صفح عنه ولم يُعاقبْه، غَفَر وتجاوز، وعفَا عن حقِّه: أسقطه[٢]. والعفو اصطلاحًا قريب من المعنى اللغوي.

والانسان متى كان متواضعًا عفوًا، كان عزيز النفس، رفيع القدر، بعيد الهم والكدر، ويرزقه الله الراحة والطمأنينة والسكينة، فقلبه بعيد عن الناس عامر بحب الله وذكره، منشغل بالطاعات.

ويبين هذا المعنى قول رَسُولِ اللهِ -صلّى اللهُ عَلَيْهِ وسلّم-: **((مَا نَقَصَتْ صَدَقَةٌ مِنْ مَالٍ، وَمَا زَادَ اللهُ عَبْدًا بِعَفْوٍ إِلَّا عِزًّا، وَمَا تَوَاضَعَ أَحَدٌ لِلَّهِ إِلَّا رَفَعَهُ اللهُ))**[٣].

فالعفو عز في وقته وبعده، وما زاد به أحد إلا عزًّا، وإذا وسوس الشيطان للمسلم بأنّ هذا يخرجه الناس مخرج الذل؛ فتلك خديعة منه، فكلام رسول الله - -صلّى الله عليه وسلّم- - دواء لذلك الداء[٤]، وهذه الجملة فيها وجهان: أحدهما: ظاهره أن من عرف بالصفح والعفو ساد وعظم القلوب وزاد عزه، والثاني: أن يكون أجره على ذلك في الآخرة وعزته هناك[٥].

قوله -صلّى الله عليه وسلّم-: (وما تواضع أحد لله إلا رفعه الله) وفي هذه الجملة إشارة دقيقة: أي ألا يكون تواضعه لأهل الدنيا، ثم يتكبر على أهل الدين، ولكن يتواضع لله فيرفعه الله تعالى جل جلاله[٦]، وفي هذه الجملة وجهان كذلك: أحدهما: أنّ الله تعالى يمنحه ذلك في الدنيا جزاء على تواضعه له، وأن تواضعه يثبت له في القلوب محبة ومكانة وعزة، والثاني: أن يكون ذلك ثوابه في الآخرة على تواضعه[٧].

---

[١] الهرري، محمد الأمين بن عبد الله الأُرَمي العَلَوي الهَرَري الشافعي، **الكوكب الوهاج شرح صحيح مسلم**، دار المنهاج - دار طوق النجاة، ط١، ١٤٣٠ هـ - ٢٠٠٩ م(٢٤/ ٣٧٠).

[٢] مختار، معجم اللغة العربية المعاصرة (٢/ ١٥٢٢).

[٣] أخرجه مسلم، المسند الصحيح، كتاب البر والصلة والآداب - باب استحباب العفو والتواضع ح(٢٥٨٨)، (٤/٢٠٠١) من حديث أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه.

[٤] أبو المظفر، الإفصاح عن معاني الصحاح (٨/ ١٧٤).

[٥] القاضي عياض، إكمال المعلم بفوائد مسلم (٨/ ٥٩).

[٦] أبو المظفر، الإفصاح عن معاني الصحاح (٨/ ١٧٤)

[٧] القاضي عياض، إكمال المعلم بفوائد مسلم (٨/ ٥٩)

والتواضع والعفو عملية نفسية إرادية تتضمن ضبط النفس، وتحويل مشاعر وأفكار العداوة والانتقام والتكبر والرفعة إلى مشاعر مودة ومحبة ولين ومرونة، فتنشط مناعة المؤمن النفسية، ويكون أقدر على إدارة نفسه نحو السعادة والإيجابية في كل مجالات الحياة(١).

والتواضع والعفو **والإحسان، والأمانة، قيمٌ سلوكيّة** يختارها الإنسان مسلكًا في معاملاته، حتى يكون من المحسنين الذين رزقوا السعادة، ولكي يستخدم ما في شخصيته من جوانب قوة وفضائل، والتي تحقق له الإشباع الكامل، المؤدي للرضا والطمأنينة.

(١) ينظر: موسى، السعادة وتنمية الصحة النفسية (ص: ١١٣).

المبحث الثالث: تحقيق النجاح في الحياة الاجتماعيّة

إنّ العلاقات الاجتماعيّة أمر مهم لسعادة الإنسان فالإنسان اجتماعي بطبعه، ويحب الألفة والاجتماع، ومن أهم ركائز السعادة نجاح علاقات الإنسان، والعلاقة الأولى علاقته مع ربه التي ذُكرت في مبحث تحقيق الإيمان، وهي أهم العلاقات وأشرفها وأعلاها، والعلاقة الثانية علاقته مع نفسه وحسن إدارتها التي سيتم ذكرها في مبحث ضبط النفس وتطويرها، والعلاقة الثالثة علاقته مع المجتمع والناس، وهو ما سيتم تفصيله هنا.

وعلاقات الإنسان الاجتماعيّة تتكوّن من علاقته مع شريك حياته إن كان متزوّجًا، وعلاقته مع أبنائه، وعلاقته مع والديه وأقاربه، ثم علاقته مع إخوانه في الله، وترابط المجتمع الإسلامي من الأمور التي تحقق سعادة الفرد أيضا.

وتكشف الكثير من الدراسات عن أثر التفاعل الاجتماعي وشبكة العلاقات الاجتماعية التي نعيش في ظلها على السعادة(١).

وشديدي السعادة اختلفوا بصورة ملحوظة عن غير السعداء في شيء أساسي هو: حياة اجتماعية ثرية ومشبعة (٢).

فالوالدية تمنح السعادة، والأسرة مصدر السعادة، والزواج يرتبط بقوة بالسعادة، والزمالة والتعاون عنصران للسعادة، والاهتمام الودي بالأشخاص والأشياء والطفولة سبيل للسعادة، والنتيجة الحاسمة أن الحياة الاجتماعية الثرية تجعلك أكثر سعادة(٣).

---

(١) أرجايل، سيكولوجية السعادة (ص:٢٥).

(٢) سيلجمان، السعادة الحقيقية (ص:٦٠).

(٣) ينظر: راسل، انتصار السعادة، (ص: ١٦٤، ١٦٦، ١٩٦، ٢٠٣، ٢٠٨، ٢١٤). وسيلجمان، السعادة الحقيقية (ص: ٧٧، ٧٨). وأرجايل، سيكولوجية السعادة (ص٢٥).

المطلب الأول: السعادة الزوجية

{وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ (٢١)} [سورة الروم: ٢١].

من آيات الله سبحانه وتعالى الدالة على رحمته وعنايته بعباده وحكمته العظيمة وعلمه المحيط، { أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا } تناسبكم وتناسبونهنّ وتشاكلكم وتشاكلونهن { لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً } بما رتب على الزواج من الأسباب الجالبة للمودة والرحمة، فحصل بالزوجة الاستمتاع واللّذة والمنفعة بوجود الأولاد وتربيتهم، والسكون إليها، فلا تجد بين أحد في الغالب مثل ما بين الزوجين من المودة والرحمة، { إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ } يُعملون أفكارهم، ويتدبرون آيات اللّه وينتقلون من شيء إلى شيء[١].

وقد كان النبي -صلّى الله عليه وسلّم- خير الناس لأهله، من اتبع منهجه حاز على السعادة الزوجيّة، والسكينة والمودّة.

والزواج يرتبط بقوة بالسعادة، لما فيه من التخلي عن الأنانية والتسامي، وهو يحقق نجاحا على نحو لافت في علم النفس الإيجابي، وهو يعد من عوامل السعادة الأكثر قوة وفعالية مقارنة بما تحققه الوظيفة أو الموارد المالية أو المجتمع من إرضاء للفرد، فالزواج يدعم الثقة للأفراد ويوجههم، وفيه القدرة على تقبل الحب وإعطائه، فالحب يمنح الإنسان القوة والنشاط، والزواج يجعل من الشخص محبوبا مثاليا، فيفضي على قواه وفضائله قيما مثالية، ويقلل من عيوبه، وهذه الخاصية التي تجعل الزواج أحد مؤشرات السعادة المهمة[٢].

---

(١) السعدي، تيسير الكريم الرحمن (ص: ٦٣٩)

(٢) ينظر بتصرف يسير: سيلجمان، السعادة الحقيقية (ص:٧٧، ٢٣٣،٢٣٤).

وأرشدنا النبي -صلّى الله عليه وسلّم- إلى طريق السعادة الزوجيّة في علاقته مع زوجاته عليه السلام، وفي أقواله أيضًا، ويمكن تلخيص هذه الطرق بالنقاط الآتية:

١٠- الزواج من سنة النبي -صلّى الله عليه وسلّم- لمن قدر على مؤنته.

فالإنسان له حاجات نفسيّة وجسديّة، وفي النكاح يحصل له تحقيق ذلك من الألفة والمحبّة والتقدير والاحترام بين الزوجين.

وفي ذلك روي عن رَسُولُ اللهِ -صلّى اللهُ عَلَيْهِ وسلّم أنه قال: **((النِّكَاحُ مِنْ سُنَّتِي، فَمَنْ لَمْ يَعْمَلْ بِسُنَّتِي فَلَيْسَ مِنِّي ، وَتَزَوَّجُوا فَإِنِّي مُكَاثِرٌ بِكُمُ الْأُمَمَ ، وَمَنْ كَانَ ذَا طَوْلٍ فَلْيَنْكِحْ، وَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَعَلَيْهِ بِالصِّيَامِ ، فَإِنَّ الصَّوْمَ لَهُ وِجَاءٌ))**[١].

ومعنى النكاح أي: طلب النساء بالوجه المشروع في الدين، وهو من سنّة النبي -صلّى الله عليه وسلّم- أي من طريقته التي سلكها وسبيله الذي ندبه، فمن لم يعمل بسنّته -صلّى الله عليه وسلّم- رغبة وإعراضا عنها وقلة مبالاة بها فليس من الرسول وملّته -صلّى الله عليه وسلّم-، ولا يشمل الحديث من يترك النكاح لعدم تيسر المؤن أو للاشتغال بالعبادة ونحو ذلك [٢].

قال أَنَس بْنَ مَالِكٍ رَضِيَ اللهُ عَنْه: جَاءَ ثَلَاثَةُ رَهْطٍ إلى بُيُوتِ أَزْوَاجِ النَّبِيِّ -صلّى اللهُ عَلَيْهِ وسلّم- ، يَسْأَلُونَ عَنْ عِبَادَةِ النَّبِيِّ -صلّى اللهُ عَلَيْهِ وسلّم-، فَلَمَّا أُخْبِرُوا كَأَنَّهُمْ تَقَالُّوهَا، فَقَالُوا: وَأَيْنَ نَحْنُ مِنَ النَّبِيِّ -صلّى اللهُ عَلَيْهِ وسلّم- قَدْ غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ وَمَا تَأَخَّرَ؟! قَالَ أَحَدُهُمْ: أَمَّا أَنَا فَإِنِّي أُصَلِّي اللَّيْلَ أَبَدًا ، وَقَالَ آخَرُ: أَنَا أَصُومُ الدَّهْرَ وَلَا أُفْطِرُ ، وَقَالَ آخَرُ: أَنَا أَعْتَزِلُ النِّسَاءَ فَلَا أَتَزَوَّجُ أَبَدًا ، فَجَاءَ رَسُولُ اللهِ -صلّى اللهُ عَلَيْهِ وسلّم- فَقَالَ: **((أَنْتُمُ الَّذِينَ قُلْتُمْ كَذَا وَكَذَا ، أَمَا وَاللهِ إِنِّي لَأَخْشَاكُمْ لِلهِ وَأَتْقَاكُمْ لَهُ، لَكِنِّي أَصُومُ وَأُفْطِرُ، وَأُصَلِّي وَأَرْقُدُ، وَأَتَزَوَّجُ النِّسَاءَ، فَمَنْ رَغِبَ عَنْ**

---

[١] أخرجه ابن ماجه، سنن ابن ماجه، كتاب النكاح - باب ما جاء في فضل النكاح - ح(١٨٤٦)، (٥٩٢/١)، من طريق عِيسَى بْنُ مَيْمُونٍ ، عَنِ الْقَاسِمِ ، عَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها. قال السندي: إسناده ضعيف لاتفاقهم على ضعف عيسى بن ميمون المديني لكن له شاهد صحيح. انظر حاشية السندي على بن ماجه: (١ / ٥٦٧). وقال ابن حجر:" في إسناده عيسى بن ميمون وهو ضعيف". انظر التلخيص الحبير في تخريج أحاديث الرافعي الكبير: (٣ / ٢٤٩)". وقال:"وهذه الأحاديث وإن كان في الكثير منها ضعف فمجموعها يدل على أن لما يحصل به المقصود من الترغيب في التزويج أصلا لكن في حق من يتأتى منه النسل". انظر فتح الباري شرح صحيح البخاري: (٩ / ٨).

[٢] حاشية السندي على سنن ابن ماجه (١/ ٥٦٧).

سُنَّتِي فَلَيْسَ مِنِّي))(١)، وفي هذا الحديث الترغيب في النكاح، إن قصد به طاعة كاتباع السّنّة أو تحصيل ولد صالح أو عفّة فرجه أو عينه، فهو من أعمال الآخرة يُثاب عليه(٢).

"وأتزوَّج النساءَ"؛ لأنّ الله تعالى خلقَ النساءَ للرجال، وركَّب في الرجال والنساء الشهوةَ، كما خلقَ فيهم الاحتياجَ إلى الطعام، فكما أنّه لا بد من الطعام، فكذلك لا بدّ للرجال من النساء، والتزوُّجُ مُباحٌ، وهو سبب العبادات؛ لأنّه يحصل به دفعُ الزِّنا من الرجال والنساء، ويُؤجَر الرجلُ بما يعطي زوجتَه من النفقة والكسوة، ويُؤجَر أيضًا بمكالمته ومجالسته إياها وتحصيل الأولاد، والأولادُ عبادُ الله، وأُمَّةُ محمدٍ عليه السلام، ولا شكّ في أن تكثيرَ عبادِ الله تعالى وأُمةِ النبي - عليه السلام - عبادةٌ، فإذا كان كذلك فلا ينبغي لمَن يحتاج إلى النكاح ويقدر على تحصيل الكسوة والنفقة أن يتركَ التزوُّجَ(٣).

وقال الإمام أحمد رحمه الله: "ليست العزوبة من الإسلام في شيء، ومن دعاك إلى غير الزواج دعاك إلى غير الإسلام"(٤).

الزواج سنة حميدة منذ أيام أبينا آدم وأمنا حواء عليهما السلام، والحياة الزوجية سكن وأمن ومودة، ويتضمن الزواج اختيار الزوج، والاستعداد للحياة الزواجية والدخول فيها والاستقرار والسعادة وتحقيق التوافق الزواجي، وحل ما يطرأ من مشكلات زواجية(٥).

---

(١) أخرجه: البخاري، الجامع الصحيح، كتاب النكاح - باب الترغيب في النكاح - ح(٤٧٧٦)، (١٩٤٩/٥). ومسلم، المسند الصحيح، كتاب النكاح - باب استحباب النكاح لمن تاقت نفسه إليه -ح (١٤٠١)،(١٠٢٠/٢) من حديث أَنَس بْنَ مَالِكٍ رضي الله عنه.

(٢) القسطلاني، إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري (٨/ ٤).

(٣) المظهري، المفاتيح في شرح المصابيح (١/ ٢٤٦).

(٤) ابن قدامة، عبد الله بن أحمد بن قدامة المقدسي أبو محمد (٦٢٠هـ)، **المغني في فقه الإمام أحمد بن حنبل الشيباني**، ط١، دار الفكر – بيروت، ١٤٠٥، (٣٣٤/٧).

(٥) زهران، حامد عبد السلام، **الصحة النفسية والعلاج النفسي**، عالم الكتب – القاهرة – ط٤، (ص:٤٥٧).

١١- حسن اختيار شريك الحياة:

وتبدأ السعادة الزوجية ابتداء من أوّل الزواج بحسن اختيار الزوجين، فالأحاديث تدلّنا على اختيار الزوجة الصالحة ذات الدين والخلق، واختيار الزوج الصالح من يُرضى دينه وخلقه، فمن كانت هذه صفاتهم فمعاملتهم ستكون تحت شعار تقوى الله وحسن المعاشرة.

قال رَسُول اللهِ -صلّى اللهُ عَلَيْهِ وسلّم-: **((الدُّنْيَا مَتَاعٌ، وَخَيْرُ مَتَاعِ الدُّنْيَا الْمَرْأَةُ الصَّالِحَةُ))**(١)، المتاع ما يُتمتع ويُنتفع به، وأراد بـ (الدنيا): ما في الدنيا مما ينتفع به؛ يعني: مالُ الدنيا خلق لبني آدم لينتفعوا به، وخير ما يَنتفع به الرجلُ المرأةُ الصالحة، فإنه يتلذَّذُ منها، وتكون له سكنًا وأنيسًا، وتحفظ عينه وفرجه من الحرام، وتُعينه على دينه بأن تمنعه عن الكَلِّ في الطاعات، ويحصل له منها أولاد يطيعون الله، وتزيد بهم أمة محمد - -صلّى الله عليه وسلّم- -، فأيُّ متاع من أمتعة الدنيا يكون نفعها مثل نفع المرأة الصالحة؟(٢).

والزوجة الصالحة من أعظم نعم الدنيا، ولذلك أمر -صلّى الله عليه وسلّم- بالمبادرة إليها وتفضيلها على غيرها، حيث قال: " فاظفر بذات الدين " أي فاحرص على أن تفوز بالمرأة الصالحة المتدينة لأنها خير متاع الدنيا إن نظرت إليها سرتك، وإن أمرتها أطاعتك وإن غبت عنها حفظتك في مالك وعرضها، وقوله " تربت يداك " ومعناه في الأصل: افتقرت يداك، والمراد به هنا التحذير الشديد من مخالفة هذه النصيحة الغالية، وأنّ من خالفها وتزوج بغير ذات الدين. خسر المزايا كلّها التي لا تتوفر إلّا في المرأة الصالحة من سعادة وطاعة وإخلاص، ووفاء وأمانة، واحترام لزوجها، ومراعاة لمشاعره، وحسن تربية لأولادها، ومحافظة على مال زوجها، وصيانة لعرضها، وهذا هو المقصود بقوله: " تربت يداك "(٣).

وفي تفضيل الرجل الصالح على غيره روي عنْ أَبِي حَاتِمٍ الْمُزَنِيِّ عن رَسُول اللهِ -صلّى اللهُ عَلَيْهِ وسلّم- أنه قال: ((**إِذَا جَاءَكُمْ مَنْ تَرْضَوْنَ دِينَهُ وَخُلُقَهُ فَأَنْكِحُوهُ ، إِلَّا تَفْعَلُوا تَكُنْ فِتْنَةٌ فِي**

---

(١) أخرجه مسلم، المسند الصحيح، كتاب الرضاع - باب خير متاع الدنيا المرأة الصالحة - ح١٤٦٧، (٤ / ١٧٨) من حديث عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرٍو رضي الله عنه.

(٢) المظهري، المفاتيح في شرح المصابيح (٤/ ٩).

(٣) قاسم، منار القاري شرح مختصر صحيح البخاري (٥/ ٩٨).

الْأَرْضِ وَفَسَادٌ ، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ، وَإِنْ كَانَ فِيهِ ؟ قَالَ: إِذَا جَاءَكُمْ مَنْ تَرْضَوْنَ دِينَهُ وَخُلُقَهُ فَأَنْكِحُوهُ - ثَلَاثَ مَرَّاتٍ))(١).

وقوله (إذا أتاكم) أي خطب إليكم بنتكم (من ترضون خلقه) وذلك لأنّه مدار حسن المعاش، كما أنّ الدين مدار أداء الحقوق (إلا تفعلوا إلخ) أي إن لم تزوّجوا من ترضون دينه وخلقه وترغبوا في ذي الحسب والمال تكن فتنة وفساد لأنّ الحسب والمال يجلبان الفتنة والفساد عادة، وقيل إذا نظرتم إلى صاحب المال والجاه يبقى أكثر الرجال والنساء بلا تزوّج، فيكثر الزنا ويلحق العار والغيرة بالأولياء، فيقع القتل وتهيج الفتنة، ويمكن أن يقال إنّ تعظيم الجاه والمال وإيثاره على الدين يؤدّي إلى الفتنة، وفي هذا الحديث حجّة للإمام مالك على الجمهور فإنّه يراعي الكفاءة في الدين فقط(٢).

وفي علم النفس يرتبط التكافؤ بالأهلية، بحيث يكون كل من الزوجين أهلا للآخر، وتكون الأهلية على صعيدين موضوعي ونفسي ذاتي(٣).

١٢- تقوى الله في معاملة شريك الحياة، وطاعة الزوج في غير معصية.

فالنبي -صلّى الله عليه وسلّم- أوصى الرجال بالنساء، وأنهنّ خلقن من ضلع أعوج، وهذا الاعوجاج هو شدّة العاطفة لديهن، وهنّ القوارير، فالرحمة الرحمة بهنّ، وليتق الله الرجل فيها، ومثل ذلك الزوج، فقد أوصى النبي -صلّى الله عليه وسلّم- النساء بأزواجهنّ وأوجب طاعتهم في غير المعصية، ورغّب في دخول الجنة لمن ماتت وزوجها راضٍ عنها، ورفع قدر الزوج عند الزوجة لما له من القوامة والإدارة وتدبير الأسرة، لذا فإنّ كلًّا من الزوج والزوجة مأمورين بحسن المعاشرة والمعاملة بالتي هي أحسن.

---

(١) أخرجه الترمذي، الجامع الكبير، كتاب النكاح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم - باب ما جاء إذا جاء كم من ترضون دينة فزوجوه ح(١٠٨٥)، (٣٨٦/٢). من طريق عبد الله بن هرمز، عن محمد وسعيد ابني عبيد، عن أبي حاتم المزني رضي الله عنه. وقال الترمذي: "هذا حديث حسن غريب ، وأبو حاتم المزني له صحبة ، ولا نعرف له عن النبي صلى الله عليه وسلم غير هذا الحديث"، وقال المباركفوري:" في سنده عبد الله بن مسلم بن هرمز وهو ضعيف إلا أنه قد تأيد بحديث أبي هريرة المذكور قبله" انظر تحفة الأحوذي شرح سنن الترمذي: (٢ / ١٦٩) وقال الألباني: "حسن لغيره".
وعبد الله بن هرمز ضعيف، ومحمد بن سعيد ابني عبيد مجهولان، فهو إسناد ضعيف، وأبو حاتم المزني مختلف في صحبته لكن الترمذي وغيره رجح صحبته، وله شاهد ضعيف من حديث أبي هريرة في جامع الترمذي ح ١٠٨٤، (٣٨١/٢)، وللحديث شواهد أخرى ومعناه صحيح والله أعلم.

(٢) السندي، حاشية السندي على سنن ابن ماجه (١/ ٦٠٧)

(٣) حجازي، مصطفى، الصحة النفسية – منظور دينامي تكاملي للنمو في البيت والمدرسة، المركز الثقافي العربي- المغرب- ط٢-٢٠٠٤(ص:١٢٧).

وروي عن رَسُول اللهِ -صلّى اللهُ عَلَيْهِ وسلّم أنه قال: **((أَيُّمَا امْرَأَةٍ مَاتَتْ وَزَوْجُهَا عَنْهَا رَاضٍ دَخَلَتِ الْجَنَّةَ))** (١)، وفي هذا الحديث بيان عظم ثواب الزوجة في طاعتها لزوجها(٢)، وفيه بيان عظم مكانة الزوج.

١٣- التطيب والزينة لشريك الحياة:

مدح النبي -صلّى الله عليه وسلّم- المرأة التي تسرّ زوجها إذا نظر إليها، وفي هذا استحباب الزينة والتطيب للزوج، وأنّ هذا من سعادة الزوجين.

فقد سئل النبي -صلّى اللهُ عَلَيْهِ وسلّم-: أَيُّ النِّسَاءِ خَيْرٌ؟ قَالَ: **((الَّتِي تَسُرُّهُ إِذَا نَظَرَ، وَتُطِيعُهُ إِذَا أَمَرَ، وَلَا تُخَالِفُهُ فِي نَفْسِهَا وَمَالِهَا بِمَا يَكْرَهُ))**(٣).

وفي الحديث أنّه يندب للمرأة ألا تترك الزينة والطيب لأنّه مما يسرّه(٤).

(قال: التي تسرّه) أي: زوجها، والمعنى تجعله مسرورا (إذا نظر): أي: إليها، ورأى منها البشاشة وحسن الخلق ولطف المعاشرة، وإن اجتمعت الصورة والسيرة فهي سرور على سرور، ونور

---

(١)أخرجه: الترمذي، الجامع الكبير، كتاب الرضاع - باب ما جاء في حق الزوج على المرأة - ح(١١٦١)، (٤٥٧/٢). من طريق وَاصِلُ بْنُ عَبْدِ الْأَعْلَى عن مُحَمَّد بْنُ فُضَيْلٍ ، عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ أَبِي نَصْرٍ ، عَنْ مُسَاوِرٍ الْحِمْيَرِيِّ ، عَنْ أُمِّهِ ، عَنْ أُمِّ سَلَمَةَ رضي الله عنها. وابن ماجه، سنن ابن ماجه، كتاب النكاح - باب حق الزوج على المرأة - ح(١٨٥٤) (٥٩٥/١). من طريق أَبي بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ عن محمد بن فضيل به.
قال الترمذي:" حديث حسن غريب". وقال الألباني: "ضعيف". ومُسَاوِرٍ الْحِمْيَرِيِّ، وأُمِّهِ، ضعفاء ولا متابع لهم، انظر تقريب التهذيب (ص:٥٢٧، ٧٥٩)، فهو إسناد ضعيف.
(٢) ابن الملك، شرح المصابيح (١٧/٤).

(٣) أخرجه: النسائي، سنن النسائي، كتاب النكاح - باب أي النساء خير - ح(٣٢٣١)، (٦٨/٦). من طريق الليث بن سعد عن ابنِ عَجْلَانَ ، عَنْ سَعِيدٍ الْمَقْبُرِيِّ ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه.
قال الحاكم: "هذا حديث صحيح على شرط مسلم، ولم يخرجاه" انظر مستدرك الحاكم(١٦٢/٢).وقال الألباني: "حسن صحيح".
والليث وابن القطان ثقات، وابن عجلان صدوق إلا أنه اختلطت عليه أحاديث أبي هريرة، انظر تقريب التهذيب(ص:٤٩٦)، وقال ابن عدي بعدما ذكر هذا الحديث: "هذان الحديثان عن ابن عجلان عن أبيه غير محفوظين عنه". انظرالكامل في الضعفاء: (٨ / ١٢). وتابع ابن عجلان أبو معشر نجيح بن عبد الرحمن وهو راوي متكلم فيه، قال أبو نعيم: صالح لين الحديث محله الصدق، وقال ابن معين: ضعيف، يكتب من حديثه الرقاق، وكَانَ رجلا أميا يتقى أن يروى من حديثه المسند. وقال أحمد بن حنبل: حديثه عندي مضطرب، لا يقيم الإسناد، ولكن أكتب حديثه أعتبر به. قال يحيى بن سعيد: "ابن عجلان لم يقف على حديث سعيد المقبري ما كان عن أبيه، عن أبي هريرة، وما روى هو عن أبي هريرة أضعفهم عنه حديثًا أبو معشر". انظر تهذيب الكمال: (٢٩ / ٣٢٢) موسوعة أقوال الإمام أحمد بن حنبل في رجال الحديث وعلله (٤/ ١٠) ، أخرج طريق أبو معشر البزار في مسنده ح٨٥٣٧، (١٥ / ١٧٥). وبعد عرض أقوال العلماء يتبين أن الحديث ضعيف والله أعلم.
(٤) الكحلاني، التنوير شرح الجامع الصغير (٥/ ٥٦٧)

على نور (وتطيعه إذا أمر): أي: في غير معصية الخالق (ولا تخالفه في نفسها ولا مالها): أي: ماله الذي بيدها، ويحمل على حسن المعاشرة[١].

١٤- التغاضي، والحكمة في معاملة شريك الحياة، والتعامل بذكاء وجداني:

فقد أخبرنا النبي -صلّى الله عليه وسلّم- أنه لا يكره مؤمن مؤمنه إن كره منها خلقًا رضي بآخر، وفي هذا دلالة على أن الواجب بين الزوجين عدم نسيان المعروف بينهما، فالحسنات تذهب السيئات حتى في العلاقات، وأنّ المرء لا يكره الشخص، وإنّما يكره الفعل، وينطبق هذا المفهوم على كلا الزوجين، فأحيانًا كثيرة يحتاج المرء إلى التغاضي حتى يحظى بسعادة وطمأنينة.
قال رسول الله -صلّى الله عليه وسلّم-: **((لَا يَفْرَكْ مُؤْمِنٌ مُؤْمِنَةً إِنْ كَرِهَ مِنْهَا خُلُقًا رَضِيَ مِنْهَا آخَرَ)).**[٢]

والذكاء الوجداني يشكل مؤشرا للنضج النفسي، وكما أنه من المقومات الأساسية لنجاح الرباط الزواجي واستقراره وترسخه ونماءه، ويتضمن تلك القدرات على السلوك الإيجابي البناء الذي يشكل أساس التعامل الفعال مع الحياة وتحدياتها سواء في الزواج أو العمل، وكلا من النضج النفسي والذكاء الانفعالي ومعهما إدارة الذات أمور تنبع من الصحة النفسية التي تشكل الشخصية المعافاة، وهذه الأخيرة وليدة التنشئة التي توفر الأمان والطمأنينة القاعدية والتقبل غير المشروط القائم على الرباط الوثيق بين الأسرة، وهذه الأمور توفر إمكانية قيام الرباط الزواجي الذي يحمل الإرضاء وتحقيق الذات لكلا الزوجين، ويفتح أمامها آفاق النماء والاستقرار والانغراس الحياتي[٣].

---

(١) القاري، مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح (٥/ ٢١٣٢)

(٢) أخرجه مسلم، المسند الصحيح، كتاب الرضاع ، باب الوصية بالنساء – ح ١٤٦٩، (٤ / ١٧٨) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٣) ينظر: حجازي، الصحة النفسية (ص١٣٥).

١٥- الكلمة الطيبة، وحسن المعاملة.

وهذا مستفاد من معاملته - صلّى الله عليه وسلّم - مع زوجاته وعدله بينهن، وتدليله لهن بأسماء محببة لهن، وبالكلمة الطيبة، وحسن المعاملة، والكلمة الطيبة بريد القلب، وبها سعادة الزوجين وإعمار للمحبة بينهما، وهي من الذكاء الوجداني الذي يشمل المهارة الاجتماعية في التعامل.
هذه بعض طرق السعادة الزوجية في السّنّة النّبويّة، ولو تتبعنا سنّته عليه الصلاة والسلام لوجدنا كنزًا ودستورًا للزوجين في علاقتهما ببعضهما البعض.

المطلب الثاني: تربية الأبناء

قال تعالى: {الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا (٤٦)} [سورة الكهف: ٤٦].

إنّ نعمة الأبناء من النعم الكبيرة، ومن رزق الأبناء رزق قدرًا كبيرًا من السعادة، فهم مصدر إسعاد وعناية وبرّ، ويمتلئ المنزل حبًّا وسرورًا بوجودهم، ومع هذا فإنّ في تربيتهم بعض المتاعب، لكن من اتّبع منهج النبي -صلّى الله عليه وسلّم- في تربيتهم تيسّرت له التربية واحتسب وكسب الأجر والسعادة.

واتفقت كلمة علماء الاجتماع والتربية على ضرورة الأسرة لتكوين الحياة الاجتماعية السوية، كما اتفقوا أيضا على أهمية التربية للأبناء الذي هم ثمار الزاوج في ظل الأسرة وتحت جناحيها، والزواج وإنشاء الأسرة نظاما فطريا مهم جدا، مما يتطلب تحقيق هذه المطالب الفطرية والاجتماعية للإنسان، وهذا ما عملت الشريعة على تحقيقه من تشريع الزواج والحث عليه(١)، من أجل حياة طيبة سعيدة.

وأصبح من الواضح أن الوالدية قادرة نفسيا على توفير أعظم وأكثر الطراز بقاء من السعادة التي يمكن أن تقدمها الحياة، والدافع لإنجاب الأطفال لابد أنه شديد القوة، والاستغناء عن سعادة الأبوة يؤدي إلى عدم إشباع إحدى الحاجات الضرورية(٢).

قال رَسُول اللهِ -صلّى اللهُ عَلَيْهِ وسلّم-: ((**إِذَا مَاتَ الإنسان انْقَطَعَ عَنْهُ عَمَلُهُ إِلَّا مِنْ ثَلَاثَةٍ: إِلَّا مِنْ صَدَقَةٍ جَارِيَةٍ ، أَوْ عِلْمٍ يُنْتَفَعُ بِهِ ، أَوْ وَلَدٍ صَالِحٍ يَدْعُو لَهُ**))(٣)، الحديث فيه دلالة على أنه لا ينقطع ثواب هذه الثلاثة الأشياء بالموت، وأنه يجري بعد الموت، قال العلماء رحمهم الله تعالى: معنى الحديث أنّ عمل الميت ينقطع بموته وينقطع تجدّد الثواب له إلا في هذه الأشياء

---

(١) الزبيبي، أحمد عبد الجليل، **دعائم استقرار الأسرة في ظل الشريعة الإسلامية** – القوامة والنفقة أنموذجا –دراسة تحليلية مقارنة، مجلة جامعة دمشق للعلوم الاقتصادية والقانونية – المجلد ٢٨ – العدد الأول – ٢٠١٢، (ص:٤٦٤)

(٢) ينظر: راسل، انتصار السعادة، ص(٢١٤-٢١٥).

(٣) أخرجه: مسلم، المسند الصحيح، كتاب الوصية - باب ما يلحق الإنسان من الثواب بعد وفاته –ح(١٦٣١)، (١٢٥٥/٣) من حديث أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنها.

الثلاثة؛ لكونه [كان سببها] فإنّ الولد من كسبه، وكذلك الذي خلَّفه من تعليم أو تصنيف، وكذلك الصدقة الجارية وهي الوقف، وفي الحديث دلالة على فضيلة الزواج لرجاء ولد صالح (١).

"أو ولد صالح يدعو له"، قيَّد الولد بالصالح؛ لأنَّ الأجر لا يحصل من غيره، وإنما ذَكَرَ الدعاءَ له تحريضًا للولد على الدعاء لأبيه، حتى قيل: يحصل للوالد ثوابٌ مِن عملِ الولد الصالح، سواءٌ دعا لأبيه أو لا، كما أنّ مَن غرسَ شجرةً مثمرةً يحصل للغارس ثوابٌ بأكل ثمراتها، سواءٌ دعا له الآكِلُ أو لا؛ فإن ثوابَ هذه الأشياء الثلاثة غيرُ منقطع بالموت(٢)، وهي سبب لسعادته في الدنيا والآخرة.

وروي عن رسول الله -صلّى اللهُ عَلَيْهِ وسلّم أنه قال: ((**إِنَّ أَوْلَادَكُمْ مِنْ أَطْيَبِ كَسْبِكُمْ، فَكُلُوا مِنْ كَسْبِ أَوْلَادِكُمْ**))(٣).

أولادكم من أحل أكسابكم وأفضلها، فما كسبت أولادكم فإنه حلال لكم، وإنما سمّي الولد أطيب كسب وأحله، لأنه أصله، أي من أطيب ما وجد بسببكم وبتوسط سعيكم(٤).

النبي -صلّى الله عليه وسلّم- علمنا في سنته بعض التعاليم في تربية الأبناء، حتى يحفظهم الله بحفظه، وننال وإياهم السعادة، ومن هذه التعاليم:

١٦- التحنيك والدعاء للابن عند ولادته

التربية الإسلامية، والأذكار والرقية تبدأ من اليوم الأول لولادة الطفل، فقد قالت أَسْمَاء رَضِيَ اللهُ عَنْهَا وكانت حامل بِعَبْدِ اللهِ بْنِ الزُّبَيْرِ : فَخَرَجْتُ وَأَنَا مُتِمٌّ ، فَأَتَيْتُ الْمَدِينَةَ فَنَزَلْتُ بِقُبَاءَ ، فَوَلَدْتُهُ بِقُبَاءَ ، ثُمَّ أَتَيْتُ بِهِ النَّبِيَّ -صلّى اللهُ عَلَيْهِ وسلّم- فَوَضَعْتُهُ فِي حِجْرِهِ ، ثُمَّ دَعَا بِتَمْرَةٍ فَمَضَغَهَا

---

(١) المغربي، البدر التمام شرح بلوغ المرام (٦/ ٣٩٩).

(٢) ابن الملك، شرح المصابيح (١/ ١٩٣).

(٣) أخرجه: النسائي، سنن النسائي، كتاب البيوع - باب الحث على الكسب –ح(٤٤٥٠)، (٧/ ٢٤١). من طريق عُمَارَةَ بْنِ عُمَيْرٍ، عَنْ عَمَّةٍ لَهُ ، عَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها.
وعمة عمارة لم أقف على ترجمة لها فالظاهر والله أعلم أنها مجهولة. قال ابن حجر: "عن عمارة عن عمته وتارة عن أمه وكلتاهما لا يعرفان" انظر التلخيص الحبير في تخريج أحاديث الرافعي الكبير: (٤ / ١٦)، فهذا اسناد ضعيف لجهالة عمة عُمَارَةَ بْنِ عُمَيْرٍ التي يروي الحديث عنها.

(٤) القاري، مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح (٦/ ٢١٩٦).

، ثُمَّ تَفَلَ فِي فِيهِ ، فَكَانَ أَوَّلَ شَيْءٍ دَخَلَ جَوْفَهُ رِيقُ رَسُولِ اللهِ -صلّى اللهُ عَلَيْهِ وسلّم- ، **ثُمَّ حَنَّكَهُ بِتَمْرَةٍ ، ثُمَّ دَعَا لَهُ وَبَرَّكَ عَلَيْهِ ، وَكَانَ أَوَّلَ مَوْلُودٍ وُلِدَ فِي الْإِسْلَامِ**(١) .

١٧- تقبيل الأطفال، ورحمتهم والعطف عليهم، وملاطفتهم

قال أَبو هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: قَبَّلَ رَسُولُ اللهِ -صلّى اللهُ عَلَيْهِ وسلّم- الْحَسَنَ بْنَ عَلِيٍّ وَعِنْدَهُ الْأَقْرَعُ بْنُ حَابِسٍ التَّمِيمِيُّ جَالِسًا ، فَقَالَ الْأَقْرَعُ: إِنَّ لِي عَشَرَةً مِنَ الْوَلَدِ مَا قَبَّلْتُ مِنْهُمْ أَحَدًا ، فَنَظَرَ إِلَيْهِ رَسُولُ اللهِ -صلّى اللهُ عَلَيْهِ وسلّم- ، ثُمَّ قَالَ: **((مَنْ لَا يَرْحَمُ لَا يُرْحَمُ))**(٢).

وعَنْ السيدة عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا قَالَتْ: جَاءَ أَعْرَابِيٌّ إلى النَّبِيِّ -صلّى اللهُ عَلَيْهِ وسلّم- فَقَالَ: تُقَبِّلُونَ الصِّبْيَانَ، فَمَا نُقَبِّلُهُمْ ، فَقَالَ النَّبِيُّ -صلّى اللهُ عَلَيْهِ وسلّم-: **((أَوَ أَمْلِكُ لَكَ أَنْ نَزَعَ اللهُ مِنْ قَلْبِكَ الرَّحْمَةَ))** (٣).

وعَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ شَدَّادٍ ، عَنْ أَبِيهِ قَالَ: خَرَجَ عَلَيْنَا رَسُولُ اللهِ -صلّى اللهُ عَلَيْهِ وسلّم- فِي إِحْدَى صَلَاتَيِ الْعِشَاءِ ، وَهُوَ حَامِلٌ حَسَنًا أَوْ حُسَيْنًا ، فَتَقَدَّمَ رَسُولُ اللهِ -صلّى اللهُ عَلَيْهِ وسلّم- فَوَضَعَهُ ، ثُمَّ كَبَّرَ لِلصَّلَاةِ ، فَصَلَّى ، فَسَجَدَ بَيْنَ ظَهْرَانَيْ صَلَاتِهِ سَجْدَةً أَطَالَهَا ، قَالَ أَبِي: فَرَفَعْتُ رَأْسِي ، وَإِذَا الصَّبِيُّ عَلَى ظَهْرِ رَسُولِ اللهِ -صلّى اللهُ عَلَيْهِ وسلّم- وَهُوَ سَاجِدٌ ، فَرَجَعْتُ إلى سُجُودِي ، فَلَمَّا قَضَى رَسُولُ اللهِ -صلّى اللهُ عَلَيْهِ وسلّم- الصَّلَاةَ ، قَالَ النَّاسُ: يَا رَسُولَ اللهِ ، إِنَّكَ سَجَدْتَ بَيْنَ ظَهْرَانَيْ صَلَاتِكَ سَجْدَةً أَطَلْتَهَا ، حَتَّى ظَنَنَّا أَنَّهُ قَدْ حَدَثَ أَمْرٌ ، أَوْ أَنَّهُ يُوحَى إِلَيْكَ قَالَ: **((كُلُّ ذَلِكَ لَمْ يَكُنْ ، وَلَكِنَّ ابْنِي ارْتَحَلَنِي، فَكَرِهْتُ أَنْ أُعْجِلَهُ، حَتَّى يَقْضِيَ حَاجَتَهُ))**(٤) .

---

(١) أخرجه: البخاري، الجامع الصحيح، كتاب مناقب الأنصار - باب هجرة النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه إلى المدينة -ح(٣٦٩٧)، (٣/ ١٤٢٢). ومسلم، المسند الصحيح، كتاب الآداب - باب استحباب تحنيك المولود عند ولادته – ح(٢١٤٦)، (١٦٩٠/٣). من حديث أَسْمَاءَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا.

(٢) أخرجه: البخاري، الجامع الصحيح، كتاب الأدب - باب رحمة الولد وتقبيله ومعانقته –ح(٥٦٥١)، (٥/ ٢٢٣٥). ومسلم، المسند الصحيح، كتاب الفضائل - باب رحمته صلى الله عليه و سلم الصبيان والعيال - ح (٢٣١٨)، (١٨٠٨/٤) من طريق أبي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

(٣) أخرجه: البخاري، الجامع الصحيح، كتاب الأدب - باب رحمة الولد وتقبيله ومعانقته – ح(٥٦٥٢)، (٥/ ٢٢٣٥). ومسلم، المسند الصحيح، كتاب الفضائل - باب رحمته صلى الله عليه و سلم الصبيان والعيال – ح(٢٣١٧)، (٤/ ١٨٠٨). من حديث عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا.

(٤)أخرجه: النسائي، سنن النسائي، كتاب التطبيق - باب هل يجوز أن تكون سجدة أطول من سجدة – ح(١١٤١)، (٢/ ٢٢٩). من طريق يزيد بن هارون عن جَرِير بْنُ حَازِمٍ عن مُحَمَّدُ بْنُ أَبِي يَعْقُوبَ الْبَصْرِيُّ ، عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ شَدَّادٍ بن الهاد ، عَنْ أَبِيهِ رضي الله عنه. وهو إسناد صحيح رجاله ثقات انظر: تقريب التهذيب (ص: ١٣٨، ٦٠٦، ٣٠٧،٤٩٠). قال الحاكم:" هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه" انظر المستدرك (١٦٦/٣)، وقال الألباني: "صحيح".

وكل هذه الاحاديث السابقة تدلّ على: أن الأبناء لهم حاجات فلا بد من إشباعها، عن طريق تقديرهم وتعليمهم ومعاملتهم في رحمه ولين، وتقبيلهم ليشعروا بالحنان والاستقرار النفسي، وهذا ثابت حاليًّا في علم النفس ويدعو إليه علماء النفس، وهو موجود في منهج النبي -صلّى الله عليه وسلّم-، المنهج الذي يدعو ليس فقط لسعادة الإنسان وحده، بل لسعادة المجتمع بأكمله.

والارتباط النفسي عند الأطفال أمر مهم، والروابط العائلية السليمة أظهرت صفاتا اجتماعية صحيحة عند الأطفال، بينما نتج الحرمان منها مرض الأطفال واضطرابهم النفسي وعدم قدرتهم على التعايش الاجتماعي الدافئ السليم بعد الطفولة، وأظهرت الدراسات أن الطفل المحبوب يكون محبا أيضا، ويواسي أقرانه المحرومين من العطف، تماما كما لو كان معالجا، فيقدم لهم من طعامه ولعبه ويعلمهم الاحتضان والتقبيل والمشاركة[١].

وقبول الأهل للطفل وحبه وملاطفته كما علمنا النبي صلى الله عليه وسلم، يوفر له الثقة والقبول والاعتراف الذي تبنى عليه الشخصية السوية والمستقرة نفسيا، والقادرة على الانفتاح على المجتمع من موقع قبول الذات والمفهوم الإيجابي[٢].

١٨- تعويذ الأطفال بالأذكار والرقية

روى ابن عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قَالَ كَانَ النَّبِيُّ -صلّى اللهُ عَلَيْهِ وسلّم- يُعَوِّذُ الْحَسَنَ وَالْحُسَيْنَ وَيَقُولُ"((**إِنَّ أَبَاكُمَا كَانَ يُعَوِّذُ بِهَا إِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ أَعُوذُ بِكَلِمَاتِ اللهِ التَّامَّةِ مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ وَهَامَّةٍ وَمِنْ كُلِّ عَيْنٍ لَامَّةٍ**))[٣]، والرقية مهمة وتحفظ الأطفال بحفظ الله، ومن ثم تحيطهم السعادة والأمان.

١٩-تعليمهم الصلاة في سن سبع سنوات، وضربهم ضربًا غير مبرح في سن عشر سنوات

---

(١) حقي، الفت، **سيكولوجية الطفل – علم نفس الطفولة،** – مركز إسكندر للكتاب – الإسكندرية (ص:٩٠).

(٢) ينظر بتصرف: حجازي، الصحة النفسية (ص:١٨٤).

(٣) أخرجه: البخاري، الجامع الصحيح، كتاب أحاديث الأنبياء - باب حدثنا موسى بن إسماعيل – ح(٣١٩١)، (٣/ ١٢٣٣) من حديث ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنه.

قَالَ رَسُولُ اللهِ -صلّى اللهُ عَلَيْهِ وسلّم-: **((مُرُوا أَوْلَادَكُمْ بِالصَّلَاةِ وَهُمْ أَبْنَاءُ سَبْعِ سِنِينَ ، وَاضْرِبُوهُمْ عَلَيْهَا وَهُمْ أَبْنَاءُ عَشْرِ سِنِينَ ، وَفَرِّقُوا بَيْنَهُمْ فِي الْمَضَاجِعِ))**[١] ، وفي هذا الحديث فوائد كثيرة، منها أن التعليم في الصغر أثبت وأكثر تأثيرًا في الطفل، ومنها عظم شأن الصلاة، وبيان العمر المناسب لتعليم الأطفال الشرائع الدينية وتدريبهم عليها، وفي الحديث أيضًا أنّ الطفل لا يضرب على كل شيء، فالصلاة التي هي عمود الدين لم يضرب الطفل عليها إلا في عمر عشر سنين، ومع ذلك ليس ضربًا مبرحًا، وإنما ضرب خفيف غير مؤلم للتنبيه والتذكير، وفي منهج النبي -صلّى الله عليه وسلّم- بيان للعبد كيف يسعد نفسه ومجتمعه.

وفي تحديد النبي صلى الله عليه وسلم لهذه الأعمار حكمة بالغة، حيث أن في عمر السبع سنوات ينتقل الطفل من التمييز بين التقسيمات والفروق بين الأحجام، إلى العمليات المحسوسة، حيث يستخدم النطق، ويكون لديه القدرة على تصنيف الأشياء، وفي هذا العمر الذي يكون الطفل فيه في مرحلة العمليات المحسوسة يناسبه أن يتدرب ويتعلم على أداء الصلاة، وفي عمر عشر سنوات تقريبا (١١-١٥ سنة) ينتقل للعمليات المعقدة وتظهر قدرته على تكوين المفاهيم والتجريد والبرهنة على النظريات، لذلك ناسب أن يكون التشديد على أمر الصلاة في هذا العمر[٢].

وللآباء واجب اتجاه أبنائهم، فعليهم أن يساعدوهم على إشباع حاجاتهم الروحية والمادية المختلفة، ولكن دون المبالغة في مساعدتهم بحيث يفقد الطفل القدرة على الاستقلال عنهم، وعليهم الإسراع بتعليمهم الاعتماد على أنفسهم في شتى المجالات[٣].

---

[١] أخرجه: أبي داود، سنن أبي داود، كتاب الصلاة - باب متى يؤمر الغلام بالصلاة – ح(٤٩٥)، (١٣٣/١). من طريق سَوَّار بْنُ دَاوُدَ أَبي حَمْزَةَ الْمُزَنِيُّ الصَّيْرَفِيُّ عن عَمْرِو بْنِ شُعَيْبٍ ، عَنْ أَبِيهِ ، عَنْ جَدِّهِ عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه.
وسَوَّارُ صدوق له أوهام، وتابعه الليث بن أبي سليم، وهو صدوق اختلط جدا ولم يتميز حديثه فترك انظر تقريب التهذيب (ص: ٤٦٤)، أخرج طريقه البيهقي في السنن الكبرىح٣٢٨٦، (٢٢٩/٢). وتابعه أيضا عبد الله بن بكر، وهو ثقة ، أخرج طريقه البيهقي في السنن الكبرى ح ٣٢٨٣، (٢٢٩/٢).
وعمرو بن شعيب بن محمد بن عبد الله بن عمرو بن العاص صدوق، انظر تقريب التهذيب (ص: ٤٢٣)، وشعيب صدوق ثبت سماعه من جده، انظر تقريب التهذيب (ص: ٢٦٧)، والحديث جمع باقي شروط القبول وهو حديث حسن.

(٢) ينظر بتصرف: حقي، سيكولوجية الطفل (ص:٢٦).

(٣) ينظر: القوصي، عبد العزيز، **أسس الصحة النفسية**، مكتبة النهضة المصرية- ط٤ – ١٩٥٢م(ص:١٦٦).

المطلب الثالث: بر الوالدين وصلة الرحم

{وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِنْكُمْ وَأَنْتُمْ مُعْرِضُونَ (٨٣) } [سورة البقرة: ٨٣]

وهذه الشرائع من أصول الدين، التي أمر الله بها في كل شريعة، لاشتمالها على المصالح العامّة، في كل زمان ومكان، فلا يدخلها نسخ، كأصل الدين، ولهذا أمرنا بها في قوله: { وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا } إلى آخر الآية، فقوله: { لا تَعْبُدُونَ إِلا اللَّهَ } هذا أمر بعبادة الله وحده، ونهى عن الشرك به، وهذا أصل الدين، فلا تقبل الأعمال كلها إن لم يكن هذا أساسها، فهذا حق الله تعالى على عباده، ثم قال: { وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا } أي: أحسنوا بالوالدين إحسانا، وهذا يعم كل إحسان قولي وفعلي مما هو إحسان إليهم، وفيه النهي عن الإساءة إلى الوالدين، أو عدم الإحسان والإساءة، لأن الواجب الإحسان، والأمر بالشيء نهي عن ضده، وللإحسان ضدان: الإساءة، وهي أعظم جرما، وترك الإحسان بدون إساءة، وهذا محرم، لكن لا يجب أن يلحق بالأول، وكذا يقال في صلة الأقارب واليتامى، والمساكين، ثم أمر بالإحسان إلى الناس عموما فقال: { وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا } ومن القول الحسن أمرهم بالمعروف، ونهيهم عن المنكر، وتعليمهم العلم، وبذل السلام، والبشاشة وغير ذلك من كل كلام طيب(١).

وقال تعالى: {قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا (٣٠) وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنْتُ وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا (٣١) وَبَرًّا بِوَالِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا} [مريم: ٣٠ - ٣٢]

خاطب عيسى عليه السلام قومه في المهد صبي بوصفه بالعبودية، وأن الله علمه الكتاب، وجعله من جملة أنبيائه، فهذا من كماله لنفسه، ثم ذكر تكميله لغيره فجعله مُبَارَكًا في أي: مكان، وأي: زمان، فالبركة جعلها الله فيَّ من تعليم الخير والدعوة إليه، والنهي عن الشر، والدعوة إلى الله في أقواله وأفعاله، فكل من جالسه، أو اجتمع به، نالته بركته، وسعد به مصاحبه، وأوصاه بالقيام بحقوق الله تعالى، التي من أعظمها الصلاة، وحقوق عباده، والتي أجلها الزكاة، وأن يبر والدته فيحسن إليها غاية الإحسان، لشرفها وفضلها، ولكونها والدة لها حق الولادة وتوابعها، ولم يجعله

---

(١) السعدي، تيسير الكريم الرحمن (ص: ٥٧).

متكبرا على الله، مترفعا على عباده ولا شقيا، فلم يجعله كذلك بل جعله مطيعا له خاضعا خاشعا متذللا متواضعا لعباد الله، سعيدا في الدنيا والآخرة([١]).

فعلق الله سبحانه وتعالى عدم حصول الشقاء للعبد بالقيام بحق الله سبحانه، وبحقوق العباد، وميز من بين كل الأوامر بر الوالدين لما لهما من الحق والفضل على الإنسان، وميز سبحانه الوالدة لمباشرتها للتربية والعناية أكثر من الوالد غالبا، ولحاجتها للبر والإحسان لضعف جنسها بخلاف الوالد، والله أعلم.

قَالَ رَسُولُ اللهِ -صلّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وسلّم-: ((**رِضَى الرَّبِّ فِي رِضَى الْوَالِدِ، وَسَخَطُ الرَّبِّ فِي سَخَطِ الْوَالِدِ**)) ([٢])أي: إذا رضي الوالد من الولد رضي الرب عنه، وكذلك السخط،([٣])وذَكَرَ الوالدَ، والمرادُ منه: الوالدةُ أيضًا، بل حقُّ الوالدة آكَدُ، وكذلك جميعُ الآباء والأمهات وإن عَلَوا داخلون في هذا الحديث، إلا أنَّ مَن هو أقربُ حَقُّه آكَدُ([٤]).

وقال -صلّى الله عليه وسلّم-: **((مَنْ سَرَّهُ أَنْ يُبْسَطَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ، أَوْ يُنْسَأَ فِي أَثَرِهِ فَلْيَصِلْ رَحِمَهُ))** ([٥]) أي: من أفرحه أن يبسط له في رزقه، ويؤخر له في عمره، (فليصل رحمه) كلّ ذي رحم محرّم، أو الوارث أو القريب، وقد يكون بالمال وبالخدمة وبالزيارة، ومعنى البسط في الرزق البركة فيه، إذ الصلة صدقة وهي تربي المال وتزيد فيه فينمو بها وفي العمر حصول القوّة في

---

(١) السعدي، تيسير الكريم الرحمن (ص: ٤٩٢)

(٢) أخرجه: الترمذي، جامع الترمذي - أبواب البر والصلة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم - باب ما جاء من الفضل في رضا الوالدين- ح١٨٩٩، (٣/٤٦٥). من طريق شعبة بن الحجاج عن يَعْلَى بْنِ عَطَاءٍ المعافري، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرٍو رضي الله عنه. رجال الإسناد ثقات، عدا عطاء المعافري مقبول، ولم يروي عنه إلا ابنه، ولم أقف على توثيق أو تجريح فيه انظرتقريب التهذيب (ص: ٣٩٢، ٦٠٩،٢٦٦)، تهذيب الكمال: (٢٠ / ١٣٢).
قال الترمذي:" حدثنا محمد بن بشار قال: حدثنا محمد بن جعفر، عن شعبة، عن يعلى بن عطاء، عن أبيه، عن عبد الله بن عمرو، نحوه، ولم يرفعه وهذا أصح،: وهكذا روى أصحاب شعبة، عن شعبة، عن يعلى بن عطاء، عن أبيه، عن عبد الله بن عمرو، موقوفا، ولا نعلم أحدا رفعه غير خالد بن الحارث، عن شعبة وخالد بن الحارث ثقة مأمون، سمعت محمد بن المثنى يقول: ما رأيت بالبصرة مثل خالد بن الحارث، ولا بالكوفة مثل عبد الله بن إدريس وفي الباب عن عبد الله بن مسعود"، وقال الحاكم: "هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحٌ عَلَى شَرْطِ مُسْلِمٍ وَلَمْ يُخَرِّجَاهُ". وقال الألباني:"صحيح".

(٣) ابن الملك، شرح المصابيح (٥/ ٢٨٣).

(٤) المظهري، المفاتيح في شرح المصابيح (٥/ ٢٠٩).

(٥) أخرجه: البخاري، الجامع الصحيح، كتاب البيوع - باب من أحب البسط في الرزق ح(١٩٦١)،(٢/٧٢٨)، وح(٥٦٣٩). ومسلم، المسند الصحيح، كتاب البر والصلة والآداب - باب صلة الرحم وتحريم قطيعتها- ح(٢٥٥٧)، (٤/ ١٩٨٢). من حديث أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه.

الجسد أو يبقى ثناؤه الجميل على الالسّنّة فكأنه لم يمت، ويجوز أن يكتب في بطن أمه إن وصل رحمه فرزقه وأجله كذا، وإن لم يصل فكذا(١)

وقال النَّبِيّ -صلّى اللهُ عَلَيْهِ وسلّم-: ((**رَغِمَ أَنْفُ ثُمَّ رَغِمَ أَنْفُ ثُمَّ رَغِمَ أَنْفُ. قِيلَ: مَنْ يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: مَنْ أَدْرَكَ أَبَوَيْهِ عِنْدَ الْكِبَرِ أَحَدَهُمَا أَوْ كِلَيْهِمَا ، فَلَمْ يَدْخُلِ الْجَنَّةَ**))(٢) وفي هذا الحديث من الفقه أنّ رسول الله - -صلّى الله عليه وسلّم- - كرّر ذكر إرغام الأنف ثلاثًا لمن أدرك أبويه أو أحدهما فلم يدخل الجنة؛ لأنّه قد وجد بوجودهما أو وجود أحدهما بابًا مفتوحًا إلى الجنة يدخل منه، وهو برّهما، أو برّ أحدهما؛ فإذا لم يفعل استحق دعاء رسول الله - -صلّى الله عليه وسلّم- -؛ لأنه لو امتثل أمر الله في طاعتهما بعد الإيمان به لأحبط ذلك عنه حال السوء، وتضاعف له درجات الخير، فإذا بلغ من الخذلان إلى أنه لم يمتثل أمر ربه في طاعة والديه، ولم يعرف لهما إحسانهما المتقدم من حقه، ولم يلحقه عليهما رأفة حين ضعفهما، يماثل بها رأفتهما عليه حين ضعفه، فقد فاتته ثلاث درجات، فكان قول الرسول - -صلّى الله عليه وسلّم- - رغم أنفه ثلاث مرّات كلّ واحدة منهن في جواب إخلاله بحال توجب عليه برّهما؛ الأول: وصية الله إياه في الإحسان إليهما، والثانية: مكافأتهما في إحسانهما إليه، والثالثة: عدم رحمتهما مع الكبر(٣)، ورغم أنفه: ذل، وقيل كره وخزي(٤)، وفي الحديث بشارة لمن برَّ بوالديه بدخول الجنة، خصوصًا عند كبرهما وَضُعْفِهما(٥).

ومن نعم الله العظيمة وجود الوالدين، فهم البركة والخير كله، ومن أراد السعادة فعليه ببر الوالدين، فهو بريد كل سعادة وفرح، وبرّ الوالدين سبب للبركة والتوفيق، وهو باب عظيم للثواب والحسنات، ويتبع برّ الوالدين صلة الرحم، فمن وصل رحمًا رزق سعة الرزق والبركة في

---

(١) القسطلاني، إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري (٤/ ١٧).

(٢) أخرجه: مسلم، المسند الصحيح، كتاب البر والصلة والآداب - باب رغم أنف من أدرك أبويه أو أحدهما عند الكبر فلم يدخل الجنة – ح(٢٥٥١)، (٤/ ١٩٧٨) من حديث أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه.

(٣) أبو المظفر، الإفصاح عن معاني الصحاح (٨/ ٩١).

(٤) النووي، المنهاج(١٦/ ١٠٨).

(٥)الحريملي، فيصل بن عبد العزيز بن فيصل (١٣٧٦هـ)، **تطريز رياض الصالحين**، دار العاصمة للنشر والتوزيع – الرياض ط١، ١٤٢٣هـ، (ص: ٢٢٣).

العمر، والثواب الجزيل، وهذه الأمور كلّها سبب لسعادة الإنسان، فالإنسان اجتماعي بطبعه، وصلته مع والديه وأرحامه تضفي عليه الألفة والمحبة والسرور والوداد.

وفي بره بوالديه وصلته لأرحامه إشباع وتقدير لذاته، وتلبية لحاجات النفس الاجتماعية، مما يوصله للرضا النفسي والسعادة.

واعتماد المرء على والديه أمر كبير في السنوات الأولى، فوجودهم مصدر للسعادة والأمن والطمأنينة، وكلما كبر كلما ازداد حبا لهما ومعرفة بفضلهما لما لهما من دور كبير في تنشئته وسد حاجاته النفسية والمادية، ومن عوامل استمرار ثقة الطفل بنفسه أن يتصل بعد والديه بأفراد أسرته، ثم يتصل برفاقه وأصحابه، ثم تتسع دائرة الاتصال إلى المجتمع الأكبر، وهذه الخطوات متصلة ومتداخلة(١)، وكلها مؤشرات لسعادة الفرد ونجاحه في الحياة الاجتماعية.

ومؤسسة الأسرة مؤسسة لم تحيد عن طريق السعادة، فحب الوالدين لأبنائهما، وحب الأبناء لوالديهم بمقدوره أن يكون واحدا من أعظم مصادر السعادة التي تحقق الإشباع الأساسي(٢).

وعلاقات القرابة والرحم هي من أهم العلاقات وأقواها خارج المنزل، وخصوصًا العلاقات بالأخوة والأباء والأبناء الراشدين، ومن أكثر الأمور فائدة في علاقة القرابة أنهم مستعدون لتقديم أكبر العون عند الحاجة(٣).

---

(١) ينظر: القوصي، أسس الصحة النفسية (ص:١٦٦).

(٢) ينظر: راسل، انتصار السعادة(ص:٢٠٣).

(٣) أرجايل، سيكولوجية السعادة (ص:٣٤).

المطلب الرابع: الأخوّة في الله

الأخوة في الله علاقة سامية، أساسها الاجتماع على طاعة الله وتقواه، هم قوم اجتمعوا لله، وهي نعمة كبيرة يمن الله بها على عباده المؤمنين، فيكونوا باجتماعهم أقوى، وبتذاكرهم أكثر طاعة، قال إِدْرِيسَ الْخَوْلَانِيِّ: دَخَلْتُ مَسْجِدَ دِمَشْقٍ فَإِذَا أَنَا بِفَتًى بَرَّاقِ الثَّنَايَا ، وَإِذَا النَّاسُ حَوْلَهُ إِذَا اخْتَلَفُوا فِي شَيْءٍ أَسْنَدُوهُ إِلَيْهِ ، وَصَدَرُوا عَنْ رَأْيِهِ ، فَسَأَلْتُ عَنْهُ فَقِيلَ: هَذَا مُعَاذُ بْنُ جَبَلٍ ، فَلَمَّا كَانَ الْغَدُ هَجَّرْتُ ، فَوَجَدْتُ قَدْ سَبَقَنِي بِالْهَجِيرِ وَقَالَ إِسْحَاقُ: بِالتَّهْجِيرِ وَوَجَدْتُهُ يُصَلِّي فَانْتَظَرْتُهُ حَتَّى إِذَا قَضَى صَلَاتَهُ جِئْتُهُ مِنْ قِبَلِ وَجْهِهِ فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ فَقُلْتُ لَهُ: وَاللهِ إِنِّي لَأُحِبُّكَ لِلهِ [عَزَّ وَجَلَّ] فَقَالَ: آللهِ ؟ فَقُلْتُ: آللهِ . فَقَالَ: آللهِ ؟ فَقُلْتُ: آللهِ . فَأَخَذَ بِحُبْوَةِ رِدَائِي فَجَبَذَنِي إِلَيْهِ وَقَالَ: أَبْشِرْ، فَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ -صلّى اللهُ عَلَيْهِ وسلّم- يَقُولُ: **((قَالَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: وَجَبَتْ مَحَبَّتِي لِلْمُتَحَابِّينَ فِيَّ ، وَالْمُتَجَالِسِينَ فِيَّ ، وَالْمُتَزَاوِرِينَ فِيَّ ، وَالْمُتَبَاذِلِينَ فِيَّ)).** (١)

قوله: "للمتحابين في"؛ يعني: الذين يحب بعضهم بعضًا لمرضاتي ولأجلي، لا لغرضٍ دنيوي، **"والمتزاورين في"**؛ أي: الذين يزور بعضهم بعضًا لأجلي، **"والمتباذلين فيّ"؛ أي:** الذين يبذل؛ أي: يعطي بعضهم بعضًا شيئًا(٢).

الأخوة في الله من أسباب السعادة، فالأخ يشد عضد أخيه، ويآزره، ويناصحه، ويشاركه أفراحه وأحزانه، الأخ سند، وإذا كانت العلاقة قائمه لله عزو وجل فهي علاقة سامية، تمتد- بإذن الله- إلى الآخرة كما قال تعالى: { إِخْوَانًا عَلَى سُرُرٍ مُتَقَابِلِينَ} [سورة الحجر: ٤٧]، فمن حظي بأخ صالح في الله فليتمسّك به، فإنّه نعمة من الرحمن.

---

(١) روي من طريق مَالِك ، عَنْ أَبِي حَازِمِ بْنِ دِينَارٍ ، عَنْ أَبِي إِدْرِيسَ الْخَوْلَانِيِّ عن معاذ بن جبل رضي الله عنه. ورواه عن مالك: عبد الله بن مسلمه القعنبي في المعجم الكبير (٢٠ / ٨٠) برقم: (١٥٠). واسحاق بن عيسى عند: أبو عبد الله، مسند الإمام أحمد بن حنبل، حديث معاذ بن جبل رضي الله تعإلى عنه - ح(٢٢٠٨٣)، (٥/٢٣٢). والحديث روي من طرق أخرى، وله شواهد عن عدد من الصحابة، وهذا الإسناد صحيح كل رجاله ثقات وجمع شروط الصحة، انظر تقريب التهذيب (ص: ٥١٦، ٢٤٧، ٢٨٩، ٣٢٣).

(٢) المظهري، المفاتيح في شرح المصابيح (٥/ ٢٣١)

والزمالة والتعاون عنصران ضروريان في السعادة[١]، وتشير نتائج كثير من البحوث إلى أن من لهم عدد أكبر من الأصدقاء، أو يقضون وقتا أطول مع أصدقائهم يميلون إلى أن يكونوا أكثر سعادة [٢].

ولعل أول ما يوفره الأصدقاء لبعضهم البعض هو التحسين الفوري للحالة المعنوية، إما بتوفير جو المرح أو نوع من الإشباع الهادئ، ورغم انخفاض أهميتها كمصدر مستقل للسعادة بالقياس مع الزواج أو الحياة الأسرية إلا إنها أهم في المتوسط في العمل والاستمتاع بوقت الفراغ، ورغم انخفاضه نسبيا إلا إنه متسق[٣].

---

(١) راسل، انتصار السعادة(١٦٤).

(٢) أرجايل، سيكولوجية السعادة (ص:٣٠).

(٣) المرجع السابق (ص: ٣٠- ٣١)

المطلب الخامس: ترابط المجتمع الإسلامي

ترابط المجتمع الإسلامي من أهم ركائز السعادة للفرد والجماعة، لذلك دعانا النبي صلى الله عليه وسلم للترابط والتراحم والتآخي، وافشاء السلم والسلام، ومعرفة حق الجار والخادم، ومعرفة آداب البيع والشراء وغيرها من المعاملات، لأن صلاح الأفراد ينتج عنه صلاح المجتمع، ومن ثم بناء مجتمع إسلامي يسير على نهج النبي صلى الله عليه وسلم.

وفي دعوة النبي صلى الله عليه وسلم إلى روح الإخاء والتعاون والتماسك والتكامل الاجتماعي، وتقوية الانتماء إلى المجتمع الإسلامي، مع تعزيز ترابط العلاقات الاجتماعية وحب الناس ومساعدتهم، إشارة إلى المجتمع الإنساني السوي، الذي يتماسك أفراده كالبنيان الواحد المتكامل، وما يترتب على ذلك من مشاعر إيجابية وقيم وفضائل سامية، وهذه الأمور مؤشرات هامة على شعور الفرد بالراحة النفسية والأمن النفسي الذي يقود للسعادة الحقيقية(١).

ومن أهم مصادر الشعور بالرضا نوعية العلاقات، وتتمثل عناصرها في كمية المودة والقرب وكون الفرد محلا للثقة وطمأنينة الفرد على قيمته، وهي ما يمكن إدراجها ضمن ما يسمى بالدعم الاجتماعي(٢).

والذين يواجهون الحياة بإحساس الأمان هم أسعد من أولئك الين يواجهونها بعدمه، وهذا الإحساس بالأمان يسببه الحب المتبادل والذي يتم اسقباله(٣).

وفي تراحم المسلمين وترابطهم قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **((تَرَى الْمُؤْمِنِينَ فِي تَرَاحُمِهِمْ وَتَوَادِّهِمْ وَتَعَاطُفِهِمْ كَمَثَلِ الْجَسَدِ إِذَا اشْتَكَى عُضْوًا تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ جَسَدِهِ بِالسَّهَرِ وَالْحُمَّى))**(٤).

---

(١) ينظر بتصرف: نجاتي، الحديث النبوي وعلم النفس (ص: ٢٧٦-٢٨٧).

(٢) أرجايل، سيكولوجية السعادة (ص:٣٧).

(٣) راسل، انتصار السعادة (ص:١٩٤).

(٤) أخرجه: البخاري، الجامع الصحيح، كتاب الأدب - باب رحمة الناس والبهائم – ح ٥٦٦٥، (٥/ ٢٢٣٨). ومسلم، المسند الصحيح، كتاب البر والصلة والآداب - باب تراحم المؤمنين وتعاطفهم وتعاضدهم – ح ٢٥٨٦، (٨/ ٢٠)، من حديث النُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ رضي الله عنه.

ومعنى الحديث أي كما أن عند تألُّم بعض أعضاء الجسد يسري ذلك إلى كلِّه، فكذا المؤمنون كلُّهم كنفسٍ واحدة إذا أصاب واحداً منهم مصيبةٌ ينبغي أن يغتم بها جميعهم ويهتموا بإزالتها عنه(١).

وقوله صلى الله عليه وسلم: ((تداعى له سائر الجسد)) أي كأنه بعضه دعا بعضاً، ووجه التشبيه فيه هو التوافق في المشقة والراحة والنفع والضرر(٢).

وفي سلام المجتمع، ونشر الأمن والسلامة بين أفراده قال صلى الله عليه وسلم: ((**أَفْشُوا السَّلَامَ تَسْلَمُوا**))(٣)

أفشوا السَّلَام أي أعلنوه وعموا بِهِ من عرفتموه وَغَيره فَإِنَّهُ يزِيل الضغائن وَيُورث التحابب، وإِذا فَعلْتُمْ ذَلِك تسلموا من التنافر والتقاطع وتدوم المودّة وتجتمع الْقُلُوب وتزول الضغائن والحروب(٤).

ومن ترابط المجتمع معرفة حق الجار والإحسان إليه، فقد قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ((**مَا زَالَ جِبْرِيلُ يُوصِينِي بِالْجَارِ حَتَّى ظَنَنْتُ أَنَّهُ سَيُوَرِّثُهُ**))(٥).

وكذلك من نجاح المجتمع وترابطه، تحقيق مبدأ الأخوة الإسلامية، وأنه لا فرق بين أبيض وأسود وفقير وغني إلا بالتقوى، والمسلمون كلهم عباد لله إخوانا مترابطين، فقد روى الْمَعْرُور قَالَ: لَقِيتُ أَبَا ذَرٍّ بِالرَّبَذَةِ وَعَلَيْهِ حُلَّةٌ ، وَعَلَى غُلَامِهِ حُلَّةٌ ، فَسَأَلْتُهُ عَنْ ذَلِكَ ، فَقَالَ: إِنِّي سَابَبْتُ رَجُلًا فَعَيَّرْتُهُ بِأُمِّهِ ، فَقَالَ لِيَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ((**يَا أَبَا ذَرٍّ أَعَيَّرْتَهُ بِأُمِّهِ؟ إِنَّكَ امْرُؤٌ فِيكَ**

(١) ابن الملك، شرح المصابيح (٥/ ٢٩١).
(٢) ينظر: الطيبي، الكاشف عن حقائق السنن (١٠/ ٣١٧٦).
(٣) سبق تخريجه ص٩٤.
(٤) ينظر: المناوي، التيسير بشرح الجامع الصغير (٢/ ٣)، (١/ ١٧٩)
(٥) أخرجه: البخاري، الجامع الصحيح، كتاب الأدب - باب الوصاة بالجار - ح ٥٦٦٨، (٥/ ٢٢٣٩). ومسلم، المسند الصحيح، كتاب البر والصلة والآداب - باب الوصية بالجار والإحسان إليه – ح ٢٦٢٥ ،(٣٧/٨)، من حديث عَائِشَةَ رضي الله عنها.

جَاهِلِيَّةٌ، إِخْوَانُكُمْ خَوَلُكُمْ، جَعَلَهُمُ اللهُ تَحْتَ أَيْدِيكُمْ، فَمَنْ كَانَ أَخُوهُ تَحْتَ يَدِهِ فَلْيُطْعِمْهُ مِمَّا يَأْكُلُ ، وَلْيُلْبِسْهُ مِمَّا يَلْبَسُ، وَلَا تُكَلِّفُوهُمْ مَا يَغْلِبُهُمْ ، فَإِنْ كَلَّفْتُمُوهُمْ فَأَعِينُوهُمْ))(١).

ومن الأمور التي تحقق ترابط المجتمع مخالطة الناس والصبر على أذاهم، والتعامل معهم بسهولة ولين، فالمسلم هين لين كما ذك ذكر النبي صلى الله عليه وسلم، وكذلك الإحسان للناس والتجاوز عنهم ومساعدتهم سواء في الأمور المادية أو المعنوية كل هذا يحقق الترابط للمجتمع المسلم، وفي ذلك جاء حديث النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **((حُوسِبَ رَجُلٌ مِمَّنْ كَانَ قَبْلَكُمْ، فَلَمْ يُوجَدْ لَهُ مِنَ الْخَيْرِ شَيْءٌ إِلَّا أَنَّهُ كَانَ يُخَالِطُ النَّاسَ، وَكَانَ مُوسِرًا، فَكَانَ يَأْمُرُ غِلْمَانَهُ أَنْ يَتَجَاوَزُوا عَنِ الْمُعْسِرِ. قَالَ: قَالَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: نَحْنُ أَحَقُّ بِذَلِكَ مِنْهُ، تَجَاوَزُوا عَنْهُ))** (٢).

---

(١) أخرجه: البخاري، الجامع الصحيح، كتاب الإيمان - باب المعاصي من أمر الجاهلية ولا يكفر صاحبها بارتكابها إلا بالشرك – ح ٣٠، (١/ ٢٠)، وح ٥٧٠٣، وح ٢٤٠٧، من حديث أبي ذر رضي الله عنه.

(٢) سبق تخريجه ص٩٠.

المبحث الرابع: العمل والإنتاجية، ومراعاة الاهتمامات

ربما كانت أهم سمة بشرية تؤثر في بناء القوة هي الإنتاجية في العمل، والعمل الجاذب أو العمل ذو النداء الداخلي أي الذي يبعث لدى الفرد شعورا بأنه مدعو لأدائه فإنه ينطوي على ارتباط وجداني بالعمل لذاته، والأفراد الذين يعملون على هذا النمط يرون أن عملهم يسهم في نفع ومصلحة عامة(١).

والنبي صلى الله عليه وسلم حثنا على العمل والنشاط والحيوية، وامتدح المؤمن القوي في بدنه وفي روحه وصفاته، فقال صلى الله عليه وسلم: ((**الْمُؤْمِنُ الْقَوِيُّ خَيْرٌ وَأَحَبُّ إِلَى اللهِ مِنَ الْمُؤْمِنِ الضَّعِيفِ، وَفِي كُلٍّ خَيْرٌ احْرِصْ عَلَى مَا يَنْفَعُكَ، وَاسْتَعِنْ بِاللهِ وَلَا تَعْجِزْ، وَإِنْ أَصَابَكَ شَيْءٌ فَلَا تَقُلْ : لَوْ أَنِّي فَعَلْتُ كَانَ كَذَا وَكَذَا، وَلَكِنْ قُلْ : قَدَّرَ اللهُ وَمَا شَاءَ فَعَلَ فَإِنَّ لَوْ تَفْتَحُ عَمَلَ الشَّيْطَانِ**))(٢).

وفي هذا الحديث بيان لشخصية المؤمن السوية، وما فيها من الحيوية والنشاط، والرضا والقناعة، والبعد عن الكسل والعجز وعن النظرة السلبية، وفيه حث على النظرة الإيجابية، مع ترك الماضي والعمل للحاضر والمستقبل بنظرة سوية إيجابية.

وأكثر الناس ذكاء من استطاع توظيف مواهبه بشكل مناسب، والسعادة الأصيلة تعتمد أكثر من أي شيء آخر على ما يسمى بالاهتمام الودي بالأشخاص وبالأشياء، ويكمن سر السعادة في أن: تجعل اهتماماتك واسعة قدر الإمكان وتجعل ردود أفعالك ودودة لا عدائية بأقصى درجة ممكنة تجاه الأشياء والأشخاص الذين يهمونك(٣).

---

(١) ينظر: سيلجمان، السعادة الحقيقية (ص:٥٧)، (٢١٤).

(٢) أخرجه: مسلم، المسند الصحيح، كتاب القدر - باب فِي الْأمر بالقوة وترك العجز والاستعانة بالله وتفويض المقادير - ح٢٦٦٤، (٥٦/٨) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٣) ينظر، راسل، انتصار السعادة (ص:١٥٩، ١٦٦، ١٦٩).

ومعظم الناس بمقدورهم الاهتمام بشدة بشيء أو بآخر وما إن يستثار اهتمامهم حتى تصبح حياتهم خالية من الضجر، والانسان الذي ينشد السعادة بحكمته سوف يهدف الى ان يمتلك عددا من الاهتمامات المساعدة بالإضافة الى الاهتمامات الرئيسة التي عليها تبنى حياته[١].

المطلب الأول: العمل الصالح

العمل الصالح هو الإحسان وهو فعل الحسنات، والحسنات هي ما أحبه الله ورسوله وهو ما أمر به أمر إيجاب أو استحباب، فما كان من البدع في الدين التي ليست مشروعة فإنّ الله لا يحبّها ولا رسوله، فلا تكون من الحسنات ولا من العمل الصالح، كما أنّ من يعمل ما لا يجوز كالفواحش والظلم ليس من الحسنات ولا من العمل الصالح[٢].

والعمل الصالح شامل لأفعال الخير كلها، الظاهرة والباطنة، المتعلقة بحق الله وحق عباده الواجبة والمستحبة[٣].

والعمل الصالح مؤشر للسعادة في السّنّة النبوية، لما يحققه من تقدير لذات المسلم، وتحقيق الهوية الإسلامية الخيّرة.

قال تعالى: {وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ وَاتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا (١٢٥)} [سورة النساء: ١٢٥]

وقوله تعالى: { فَمَنْ كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا (١١٠) } [سورة الكهف: ١١٠]

وقوله تعالى في الآية الأولى: {أسلم وجهه لله} وقوله تعالى في الآية الثانية {ولا يشرك بعبادة ربه أحدًا} المراد إخلاص الدين لله وحده[٤].

والعمل لا يكون صالحًا إلا بتحقيق شرطين أساسيين، هما: **الإخلاص** لله تعالى بعيدًا عن الرياء والشرك وغيرها من أمراض القلوب، **وبمتابعة الرسول** -صلّى الله عليه وسلّم-، فيعبد الإنسان

---

(١) ينظر: راسل، انتصار السعادة (ص:١٧٩) ، (ص٢٥٠).

(٢) ابن تيمية، **مجموع الفتاوى** (١٠/ ١٧٣).

(٣) السعدي، تيسير الكريم الرحمن (ص: ٩٣٤).

(٤) ينظر: المرجع السابق (ص: ٩٣٤).

الله تعالى على الكيفية التي علّمنا إياها النبي -صلّى الله عليه وسلّم- من غير إحداث في الدين وبعيدًا عن الجهل والبدع والمخالفة.

قال تعالى: {الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ (٢)} [سورة الملك: ٢]

وقال تعالى: {إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ يَهْدِيهِمْ رَبُّهُمْ بِإِيمَانِهِمْ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ (٩)} [سورة يونس: ٩]

وقال سبحانه: {وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ (٥٥)} [سورة النور: ٥٥]

وقال عزّوجلّ :{وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَحْسَنَ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ (٧)} [سورة العنكبوت: ٧]

قال رسول الله -صلّى اللهُ عَلَيْهِ وسلّم-: **((سَدِّدُوا وَقَارِبُوا، وَأَبْشِرُوا، فَإِنَّهُ لَنْ يُدْخِلَ الْجَنَّةَ أَحَدًا عَمَلُهُ» قَالُوا: وَلَا أَنْتَ؟ يَا رَسُولَ اللهِ قَالَ: «وَلَا أَنَا، إِلَّا أَنْ يَتَغَمَّدَنِيَ اللهُ مِنْهُ بِرَحْمَةٍ، وَاعْلَمُوا أَنَّ أَحَبَّ الْعَمَلِ إلى اللهِ أَدْوَمُهُ وَإِنْ قَلَّ))** [١]. في هذا الحديث دعوة إلى المحافظة على الأعمال الصالحة، والمداومة عليها وإن قلت.

وجاء في حديث الرسول -صلّى الله عليه وسلّم-: **((وَمَنْ بَطَّأَ بِهِ عَمَلُهُ لَمْ يُسْرِعْ بِهِ نَسَبُهُ))**[٢].

لم يسرع به نسبه: لم يلحقه برتب أصحاب الأعمال الكاملة، لأنّ المسارعة إلى السعادة بالأعمال لا بالأحساب[٣].

قال ابن عثيمين رحمه الله:" فإن من عمل فيها **عملًا صالحًا** صارت مزرعة له في الآخرة ونال السعادتين سعادة الدنيا وسعادة الآخرة"[٤]

---

[١] أخرجه مسلم، المسند الصحيح، كتاب صفة القيامة والجنة والنار- باب لن يدخل أحد الجنة بعمله بل برحمة الله تعالى ح(٢٨١٨)، (٤/ ٢١٧١) من حديث عائشة رضي الله عنها.

[٢] أخرجه مسلم، المسند الصحيح، صحيح مسلم - كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار - باب فضل الاجتماع على تلاوة القرآن وعلى الذكر –ح(٢٦٩٩)، (٢٠٧٤/٤) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

[٣] الأنصاري، إسماعيل بن محمد بن ماحي السعدي الأنصاري (ت ١٤١٧هـ)، **التحفة الربانية في شرح الأربعين حديثًا النووية**، مطبعة دار نشر الثقافة – الإسكندرية - ط١، ١٣٨٠ هـ (ص: ٨٣).

[٤] ابن عثيمين، شرح رياض الصالحين (٣٦٤/٣).

وقال الزمخشري في تفسير قوله تعالى: {فَمِنْهُمْ شَقِيٌّ وَسَعِيدٌ (١٠٥)} [هود: ١٠٥] "والشقي الذي وجبت له النار لإساءته، والسعيد الذي وجبت له الجنة لإحسانه".[١]

العمل الصالح فضيلة، وإذا وفق العبد له نال سعادة حقيقة، وطمأنينة وسكينة، وباب الأعمال الصالحة واسع، منها ما يدخل في إحسانه في عبادته وأداء حق الله تعالى، ومنها ما يدخل في إحسانه للعباد وأداء حقوقهم والإحسان إليهم بأوجه الإحسان الكثيرة، فالسعادة تتحقق للعبد إن صلحت علاقته مع ربه وأحسن في عبادته، وإن صلحت علاقته مع نفسه فأحسن إدارتها وقادها للطاعة والاستقامة، ومن ثم صلاح علاقته مع الناس بالإحسان لهم وتأدية حقوقهم، وهذه الأمور مذكورة في علم النفس أنها تحقق السعادة، من ناحية الاعتقاد ومعرفة النفس وإدارتها، ونجاح العلاقات، وهي في منهج النبي -صلّى الله عليه وسلّم- ضمن مفاهيم أوسع وأضبط وأكمل.

وكلما كانت الأفعال الخيرة تلقائية ومعتمدة على مصادر القوة الشخصية كان اليوم كله أفضل، فممارسة الخير ليست مجرد متعة بل هي حالة من الإشباع المتكامل، وكنوع من الإشباع فهي تشحذ قواك لأن ترتفع لحجم مناسب، وأن تواجه تحديا، فالفعل الخير لا يصاحبه تيار منفصل من الانفعال الايجابي مثل الفرح، بل هو يتشكل من الاندماج الكامل وفقدان للوعي بالذات فالوقت يتوقف[٢].

---

[١] الزمخشري، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل (٢/ ٤٢٩).

[٢] ينظر: سيلجمان، السعادة الحقيقية (ص:٢٠).

المطلب الثاني: طلب العلم

قال ابن القيم: "وكمال كلّ انسان إنّما يتم بهذين النوعين: **همة ترقيه وعلم يبصره ويهديه،** فإنّ مراتب السعادة والفلاح إنما تفوت العبد من هاتين الجهتين أو من إحداهما أما أن لا يكون له علم بها فلا يتحرك في طلبها أو يكون عالمًا بها ولا تنهض همته إليها"(١).

"ولما كان كمال الإرادة بحسب كمال مرادها، وشرف العلم تابع لشرف معلومه كانت نهاية سعادة العبد الذي لا سعادة له بدونها ولا حياة له إلّا بها أن تكون إرادته متعلقة بالمراد الذي لا يبلى ولا يفوت وعزمات همته مسافرة إلى حضرة الحي الذي لا يموت ولا سبيل له إلى هذا المطلب الأسنى والحظ الأوفى إلا بالعلم الموروث عن عبده ورسوله -صلّى الله عليه وسلّم-"(٢)، وهنا يؤكد رحمه الله على ضرورة **وجود الإرادة والعلم الصحيح للوصول إلى السعادة.**

فمحبة العلم وأهله محبة لميراث الأنبياء وورثتهم، ومحبة العلم من علامات السعادة وبغض العلم من علامات الشقاوة وهذا كله إنما هو في علم الرسل الذي جاؤوا به وورثوه للأمة لا في كل ما يسمّى علمًا، ومحبة العلم تحمل على تعلمه واتباعه وذلك هو الدين(٣).

طلب العلم رزق من الله يمن به تعالى على من صدق في طلبه، وفي طلب العلم بركة وخير كثير يناله طالب العلم، وفيه سعادة وطمأنينة ورقي للنفس وتزكية لها، لذلك كان من أهم أسباب السعادة طلب العلم الشرعي، والعلم الشرعي نوعان: نوع طلبه فرض للعبد وهو ما يتعلق بتحقيق إيمانه وتطبيق شرائع الدين بصورة صحيحة، ونوع آخر فرض كفاية كعلم المصطلح وأصول الفقه.

وجاء في فضل طلب العلم قوله -صلّى الله عليه وسلّم-: ((**أَلَا إِنَّ الدُّنْيَا مَلْعُونَةٌ مَلْعُونٌ مَا فِيهَا إِلَّا ذِكْرُ اللهِ، وَمَا وَالَاهُ ، وَعَالِمٌ أَوْ مُتَعَلِّمٌ**))(٤) ومعناه أنّ الدنيا مذمومة مبعدة عن الله تعالى لا

---

(١) ابن القيم، مفتاح دار السعادة (١/ ٤٦).

(٢) المرجع السابق (١/ ٤٦).

(٣) المرجع نفسه (١/ ١٣٦).

(٤) أخرجه: الترمذي، الجامع الكبير، كتاب الزهد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم باب منه، ح(٢٣٢٢)، (١٣٩/٤). من طريق علي بن ثابت عن عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ ثَابِتِ بْنِ ثَوْبَانَ، عن عطاء، عن عبد الله بن ضمرة عن أبي هريرة رضي الله عنه. وابن ماجه، سنن ابن ماجه -أبواب الزهد- باب مثل الدنيا –ح(٤١١٢)، (١٣٧٧/٢) من طريق أَبِي خُلَيْدٍ عُتْبَةُ بْنُ حَمَّادٍ الدِّمَشْقِيُّ عن ابن ثوبان به. وعَلِيُّ بْنُ ثَابِتٍ صدوق ربما أخطأ، وأبو خليد صدوق، وعَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ ثَابِتِ بْنِ ثَوْبَانَ صدوق يخطئ، وعَطَاءَ بْنَ قُرَّةَ صدوق، وباقي الرواة ثقات، انظر تقريب التهذيب(ص:٣٣٧، ٣٩٢، ٣٩٨، ٣٨٠). وقال الدارقطني:

يحمد مما فيها إلّا ذكر الله تعالى وعالم أو متعلم، و ما والَى ذكرَ الله؛ أي: قارَبه من ذِكرِ خيرٍ، وقيل: من: الموالاة، أي المتابعة، وما والَى ذِكرَه تعالى: طاعتُه واتباعُ أمرِه ونهيه وما أحبَّه الله[١]، وتخصيص الحديث العلم بعد التعميم دلالة على فضله، ثم في عبارة "وعالمًا أو متعلِّمًا" بدل لفظ العلم تفخيمًا صريحًا لشأنهما، وفيه بيان أنّ جميع الناس سوى العالم والمتعلم همج، وتنبيه على أنّ المعنى بالعالم والمتعلم العلماء بالله الجامعون بين العلم والعمل فيخرج منه الجهلاء والعالم الذي لا يعمل بعلمه، ومن يعلم علم الفضول وما لا فائدة منه[٢].

وفي الحديث أنّ ذكر الله تعالى رأس كلّ عبادة ورأس كل سعادة، بل هو كالحياة للأبدان والروح للإنسان، وهل للإنسان عن الحياة غنى؟ وهل له عن الروح معدل؟ وإن شئت قلت: به بقاء الدنيا وقيام السماوات والأرض[٣].

وجاء في فضل طلب العلم قوله صلى الله عليه وسلم: ((**وَمَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَلْتَمِسُ فِيهِ عِلْمًا سَهَّلَ اللهُ لَهُ بِهِ طَرِيقًا إِلَى الْجَنَّةِ**)).[٤]

ومعنى هذا الحديث أي: سهل الله له بسبب العلم طريقًا من طرق الجنة، وجاء لفظ العلم نكرة ليتناول كل أنواع العلوم الدينية ويندرج فيه القليل والكثير، والعلم كمال يوجب للعالم في نفسه شرفًا وفضلًا، ويتعدى منه إلى غيره، فيستضيء بنوره ويكمل بواسطته، لكنه كمال ليس للعالم من ذاته، بل نور يتلقاه من النبي -صلّى الله عليه وسلّم- ولذلك شبهه بالقمر[٥].

وطلب العلم يحقق للإنسان نوع من الإشباع الذاتي، ويسد جانب من حاجات النفس إلى المعرفة والاكتشاف، وفيه تهذيب لدوافع الإنسان وتهذيب لعواطفه وسلوكه.

"وهذا إسناد مقلوب وإنما رواه ابن ثوبان عن عطاء بن قرة عن عبد الله بن ضمرة عن أبي هريرة وهوالصحيح" فرجج الدارقطني هذا الطريق، انظرالعلل الواردة في الأحاديث النبوية: (٥ / ٨٩). وقال الألباني: "حسن".

(١) ينظر: ابن الملك، شرح المصابيح شرح مصابيح السّنّة للإمام البغوي (٥/ ٣٩٤). السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (ت ٩١١هـ)، **عقود الزبرجد على مسند الإمام أحمد**، حَقّقه وَقدم لَه: د. سَلمان القضَاة، دَار الجيل، بَيروت – لبنان، ١٤١٤ هـ - ١٩٩٤ م (٢/ ٤٣٧).

(٢) ينظر: الطيبي، الكاشف عن حقائق السنن (١٠/ ٣٢٨٥)

(٣) المرجع السابق (١٠/ ٣٢٨٥).

(٤) جزء من حديث سبق تخريجه ص٩٤.

(٥) ينظر: السيوطي، عقود الزبرجد على مسند الإمام أحمد (٢/ ٢٩٢)، البيضاوي، تحفة الأبرار شرح مصابيح السّنّة (١/ ١٥٣).

ويعتقد الكثيرون من علماء النفس أن السعادة مستحيلة دونما عقيدة ذات طابع ديني بشكل أو بآخر، وبأن الهدف الثابت ليس كافيا لجعل الحياة سعيدة ولكنه شرط لاغنى عنه للحياة السعيدة، والإيمان بقضية ما مصدر من مصادر السعادة، وتتحقق كل شروط السعادة في رجل العلم فيحصل على إشباع عميق لدرجة انه يجد المتعة في الطعام، ولديه النشاط الذي يستغل به طاقاته بكاملها ويصل الى نتائج مهمة للمجتمع ككل(١).

---

(١) ينظر: راسل، انتصار السعادة (ص: ص١٥٦ – ١٥٧ ، ١٦٣ - ١٦٤ ، ٢٦٣).

المطلب الثالث: قراءة القرآن

جاء في الأثر عن عبد الله ابن مسعود رضي الله عنه أنه قال: **"مَنْ أَحَبَّ الْقُرْآنَ فَلْيَبْشَرْ"**(١).
آيات القرآن تبصرة وتذكرة للعبد كما قال تعالى: {وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ (٧) تَبْصِرَةً وَذِكْرَى لِكُلِّ عَبْدٍ مُنِيبٍ (٨)} [سورة ق: ٧، ٨]
"فالتبصرة التعقل والتذكرة التذكر والفكر باب ذلك ومدخله فإذا فكر تبصر وإذا تبصر تذكر فجاء التذكير في الآية لترتيبه على العقل المرتب على الفكر فقدم الفكر إذ هو الباب والمدخل ووسط العقل إذ هو ثمرة الفكر ونتيجته وأخّر التذكر إذ هو المطلوب من الفكر والعقل، فتأمل ذلك حق التأمل، فإن قلت: فما الفرق بين التذكر والتفكر؟ فإذا تبين الفرق ظهرت الفائدة قلت التفكر والتذكر أصل الهدى والفلاح وهما قطبا السعادة، فاعلم أن التفكر طلب القلب ما ليس بحاصل من العلوم من أمر هو حاصل"(٢).
والقرآن العزيز أُنزل للعمل فمن عمل به في جميع أحواله كان من السعداء العقلاء الفائزين في الدنيا والآخرة، قال الله تعالى: {كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ (٢٩) } [سورة ص: ٢٩، ٣٠]وقد كتب الله السعادة لمن عمل بالقرآن(٣).
فإذا جعل العبد له وردًا يوميًّا ولو شيئًا يسيرًا، يتلو فيه القرآن ويتدبر الآيات ويخشع قلبه وتسكن جوارحه، وترتقي نفسه حينئذٍ وترتاح من نصب الدنيا وهمها، وتسافر في تدبر وتلاوة خير الكلام وأطيبه الذي يريحها ويسعدها، المهم أنّه يداوم على النظر في كتاب الله تعالى وتدبر آياته وفهمها، والسعي لتربية نفسه على ما جاء في القرآن الكريم، حينئذٍ سيجد طريق السعادة، وسيفتح الله له أبواب الخير والبشائر والرزق والطمأنينة والسكينة والرضا. قال تعالى: {طه (١) مَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَى (٢) إِلَّا تَذْكِرَةً لِمَنْ يَخْشَى (٣)} [سورة طه: ١ - ٣]

---

(١) الدارمي، أبو محمد عبد الله بن عبد الرحمن بن الفضل بن بَهرام بن عبد الصمد الدارمي، التميمي السمرقندي (ت ٢٥٥هـ)، **سنن الدارمي**، من كتاب فضائل القرآن - باب فضل من قرأ القرآن- ح(٣٣٢٣)، تحقيق: حسين سليم أسد الداراني، دار المغني للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية، ط١، ١٤١٢ هـ - ٢٠٠٠ م . (أثر صحيح)

(٢) ابن القيم، مفتاح دار السعادة (١/ ٢١٣)

(٣) القحطاني، سعيد بن علي بن وهف، **الاعتصام بالكتاب والسنّة أصل السعادة في الدنيا والآخرة ونجاة من مضلات الفتن،** مطبعة سفير، الرياض - مؤسسة الجريسي للتوزيع والإعلان، الرياض (ص: ١٢).

ومن الأحاديث التي جاءت في فضل قراءة القرآن وأنّه سبيل إلى سعادة العبد وسكينته: ما رواه ابن عَبَّاسٍ، قَالَ: بَيْنَمَا جِبْرِيلُ قَاعِدٌ عِنْدَ النَّبِيِّ -صلّى اللهُ عَلَيْهِ وسلّم-، سَمِعَ نَقِيضًا مِنْ فَوْقِهِ، فَرَفَعَ رَأْسَهُ، فَقَالَ: " هَذَا بَابٌ مِنَ السَّمَاءِ فُتِحَ الْيَوْمَ لَمْ يُفْتَحْ قَطُّ إِلَّا الْيَوْمَ، فَنَزَلَ مِنْهُ مَلَكٌ، فَقَالَ: هَذَا مَلَكٌ نَزَلَ إلى الْأَرْضِ لَمْ يَنْزِلْ قَطُّ إِلَّا الْيَوْمَ، فَسَلَّمَ، وَقَالَ: **((أَبْشِرْ بِنُورَيْنِ أُوتِيتَهُمَا لَمْ يُؤْتَهُمَا نَبِيٌّ قَبْلَكَ: فَاتِحَةُ الْكِتَابِ، وَخَوَاتِيمُ سُورَةِ الْبَقَرَةِ، لَنْ تَقْرَأَ بِحَرْفٍ مِنْهُمَا إِلَّا أُعْطِيتَه))** [١] .

وفي هذا الحديث ما يدل على تكريم هذه الآيات بأن فتح لها بابًا لم يفتح قبل، وأرسل بها ملكًا لم يرسل قبل، وتسميتها بنورين، وأنّه لم يؤتها نبي قبل محمد -صلّى الله عليه وسلّم-[٢].

وجاء في فضل قارئ القرآن قوله -صلّى الله عليه وسلّم-: ((**مَثَلُ الَّذِي يَقْرَأُ الْقُرْآنَ كَالْأُتْرُجَّةِ، طَعْمُهَا طَيِّبٌ وَرِيحُهَا طَيِّبٌ ، وَالَّذِي لَا يَقْرَأُ الْقُرْآنَ كَالتَّمْرَةِ ، طَعْمُهَا طَيِّبٌ وَلَا رِيحَ لَهَا ، وَمَثَلُ الْفَاجِرِ الَّذِي يَقْرَأُ الْقُرْآنَ كَمَثَلِ الرَّيْحَانَةِ ، رِيحُهَا طَيِّبٌ وَطَعْمُهَا مُرٌّ ، وَمَثَلُ الْفَاجِرِ الَّذِي لَا يَقْرَأُ الْقُرْآنَ كَمَثَلِ الْحَنْظَلَةِ ، طَعْمُهَا مُرٌّ وَلَا رِيحَ لَهَا**))[٣] .

وحاصل الحديث أنَّ المؤمن إمّا مُخلِصٌ، أو مُنافقٌ، وعلى التَّقديرين: إمّا أنْ يَقرأ أو لا، والطَّعْم بالنِّسبة إلى نفْسه، والرِّيح بالنِّسبة إلى السَّامِع[٤].

والقرآن بركة وخير وهدى وفرقان وفيه سعادة الدارين، وفيه إرشاد للعبد بكيفيّة تحقيق السعادة الحقيقيّة.

يرى بعض علمان النفس أن الموسيقى تحدث العديد من الانفعالات الإيجابية المتنوعة، ويتضمن هذا السرور والإثارة والشعور العميق بالرضا[٥].

---

[١] أخرجه: مسلم، المسند الصحيح، كتاب صلاة المسافرين وقصرها - باب فضل الفاتحة وخواتيم سورة البقرة والحث على قراءة الآيتين من آخر البقرة، ح(٨٠٦)، (١/ ٥٥٤) من حديث ابن عباس رضي الله عنه.

[٢] أبو المظفر، الإفصاح عن معاني الصحاح (٣/ ٢٣٩).

[٣] أخرجه البخاري ، الجامع الصحيح، كتاب الأطعمة – باب ذكر الطعام – ح(٥١١١)، (٥/ ٢٠٧٠) وح(٤٧٣٢). ومسلم، المسند الصحيح، كتاب صلاة المسافرين وقصرها - باب فضيلة حافظ القرآن ح٧٩٧، (١٩٤/٢). من حديث أبي موسى الأشعري رضي الله عنه.

[٤] الكرماني، الكواكب الدراري في شرح صحيح البخاري (١٩/ ٢٩)

[٥] ينظر: أرجايل، سيكولوجية السعادة (ص:١٧٠)

بينما المؤمن يدرك أنها من أسباب الشقاء والضنكا، وأن القرآن يحدث أعظم الانفعالات الإيجابية، وفيه أروع معاني السكينة والخشوع والطمأنينة، وهو يمد المؤمن بمشاعر السرور والراحة والإشباع، واللذة، وغيرها من المشاعر الإيجابية التي يحياها المؤمن عند قراءة القرآن وتدبره، ففيه حلاوة ولذة لا يجدها المؤمن إلا بهذا الكتاب المحكم.

المطلب الرابع: بركة العطاء والإنفاق

قال تعالى: {**الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ**} [سورة البقرة: ٢٧٤] بشّر الله المتصدقين بأموالهم في طاعته وطريق مرضاته، بأجر عظيم وخير كبير عند الرب الرحيم سبحانه وتعالى، فلا هم يخافون ولا يحزنون، وفازوا بحصول المقصود ونجوا من الشرور(١).

الإنفاق فضيلة، ومعناه إخراج المال الطّيّب في الطّاعات والمباحات(٢)، وسبحان الله ثمرة الإنفاق تظهر للعبد عاجلًا في الدنيا، ويشعر بها في حياته ويومه وولده، فيوفّقه الله وتفتح له الأبواب، ويرزق السعادة والرضا والبركة، وحينما يستشعر العبد فرحة الفقراء بصدقته يزداد سعادة، فالنفوس جبلت على الفرح بفرح الآخرين، وباب الإنفاق واسع وطوبى لمن وفّق له.

وثمرة الإنفاق والصدقة على المحتاجين يراها العبد في الدنيا قبل الآخرة، وفي دفع السوء عنه، وفي بركة أبنائه وحياته، فقد قال النبي -صلّى الله عليه وسلّم-: **((ما من يوم يصبح العباد فيه إلا ملكان ينزلان فيقول أحدهما: اللهمّ أعط منفقًا خلفا، ويقول الآخر: اللهمّ أعط ممسكًا تلفًا))** (٣) أي اللّهمّ أعط من صرف ماله في الخيرات ولم يمسكه عوضًا صالحًا وكثّر ماله، ومَن لم يُنفِقْ مالَه في الخيرات أَتلِفْ مالَه، وقوله: اللّهمّ أعط ممسكًا تلفًا هو من قبيل المشاكلة لأنّ التلف ليس بعطية، وفي هذا الحديث أنّ الله خلق ملكين وجعل شغلهما الذي خلقهما لأجله أن يدعوا الله سبحانه وتعالى بأن يخلف على المنفق، ويتلف على الممسك، فليحذر الممسكون وليبشر المنفقون(٤).

---

(١) ينظر: السعدي، تفس تيسير الكريم الرحمن (ص: ١١٦).

(٢) نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم (٣/ ٥٩٨).

(٣) أخرجه: البخاري، الجامع الصحيح، كتاب الزكاة - باب قول الله تعالى: {فأما من أعطى واتقى وصدق بالحسنى فسنيسره لليسرى وأما من بخل واستغنى وكذب بالحسنى فسنيسره للعسرى} - ح(١٣٧٤)، (٢/٥٢٢). ومسلم، المسند الصحيح، كتاب الزكاة - باب في المنفق والممسك – ح(١٠١٠)، (٢/٧٠٠). من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٤) ينظر: القسطلاني، إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري (٣/ ٣٦) أبو المظفر، الإفصاح عن معاني الصحاح (٦/ ٢٥٥) المظهري، المفاتيح في شرح المصابيح (٢/ ٥٢٣).

والصدقة تكون بعد كفّ العبد نفسه عن المسألة، روى في هذا شَدَّاد، قَالَ: سَمِعْتُ أَبَا أُمَامَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ -صلّى اللهُ عَلَيْهِ وسلّم-:

((يَا ابْنَ آدَمَ إِنَّكَ أَنْ تَبْذُلَ الْفَضْلَ خَيْرٌ لَكَ، وَأَنْ تُمْسِكَهُ شَرٌّ لَكَ، وَلَا تُلَامُ عَلَى كَفَافٍ، وَابْدَأْ بِمَنْ تَعُولُ، وَالْيَدُ الْعُلْيَا خَيْرٌ مِنَ الْيَدِ السُّفْلَى)) (١) والفضل هو الزيادة على قدر الحاجة، وبذله خير للعبد(٢)، "وإن تمسكه"؛ أي: ذلك الفضل "شرٌّ لك، و لا لوم عليك على إمساك كفاف، وهو ما كفّ من الرزق عن مسألة الناس، تكفّ به وجهك عنهم، وإن حفظت أكثر من ذلك، ولم تتصدق بما فضل عنه، فأنت بخيل، والبخلُ مذموم(٣).

الإنفاق والعطاء والتفكير في الآخرين والعطف عليهم، من مؤشرات السعادة الواضحة، لما في ذلك من ضبط لنفس الإنسان وإشباع لذاته عن طريق الإحسان للآخرين وتقديرهم ومحبتهم له.

فالطريق السلطاني إلى السعادة هو أن تحفظ قلبك خاليا من الحقد وعقلك نظيفا من القلق، عش ببساطة، انتظر القليل واعط الكثير، املأ جنبات حياتك بالحب وانثر شعاع الشمس حولك، انس نفسك، وفكر بالآخرين، افعل مع الآخرين ما تحب أن يفعلوه بك، إن هذه الفلسفة هي الطريق السوي للسعادة(٤).

---

(١) أخرجه مسلم، المسند الصحيح، كتاب الزكاة - باب بيان أن اليد العليا خير من اليد السفلى وأن اليد العليا هي المنفقة وأن اليد السفلى هي الآخذة - ح(١٠٣٦)،(٢/ ٧١٨). من حديث أبي أمامة رضي الله عنه.

(٢) السيوطي، عقود الزبرجد على مسند الإمام أحمد (٢/ ٢٦١).

(٣) ابن الملك، شرح المصابيح (٢/ ٤٥٣).

(٤) ينظر: بيل، قوة التفكير الإيجابي (ص:٨٠).

المطلب الخامس: حضور مجالس الذكر

بحضور مجالس الذكر يرزق العبد السكينة، ويرتقي عن الدنيا وهمومها، ويكون همّه عاليًا راقيًا، والعبد يشعر بهذه السعادة حينما يحضر مجلس الذكر، فيمتلأ قلبه رضا وترفرف روحه فرحًا وسعادة لأن ذكر الله يروي الأرواح، بل لا تسعد الأنفس إلا بذكره وقربه سبحانه، لأنّها إنّما خلقت لأجل ذلك، وحينما يقود الإنسان نفسه إلى الطريق الذي خلقت له تحصل له السعادة الحقيقية وتلتقي حاجات النفس مع بريق الشرع.

والقوم الذين اجتمعوا على ذكر الله لا يشقى جليسهم، بل كل الجلساء يحظون بالسعادة والفوز، لحديث رَسُولُ اللَّهِ -صلّى اللهُ عَلَيْهِ وسلّم-: **((إِنَّ لِلَّهِ مَلاَئِكَةً يَطُوفُونَ فِي الطُّرُقِ يَلْتَمِسُونَ أَهْلَ الذِّكْرِ، فَإِذَا وَجَدُوا قَوْمًا يَذْكُرُونَ اللَّهَ تَنَادَوْا: هَلُمُّوا إلى حَاجَتِكُمْ " قَالَ: «فَيَحُفُّونَهُمْ بِأَجْنِحَتِهِمْ إلى السَّمَاءِ الدُّنْيَا» قَالَ: " فَيَسْأَلُهُمْ رَبُّهُمْ، وَهُوَ أَعْلَمُ مِنْهُمْ، مَا يَقُولُ عِبَادِي؟ قَالُوا: يَقُولُونَ: يُسَبِّحُونَكَ وَيُكَبِّرُونَكَ وَيَحْمَدُونَكَ وَيُمَجِّدُونَكَ " قَالَ: " فَيَقُولُ: هَلْ رَأَوْنِي؟ " قَالَ: " فَيَقُولُونَ: لاَ وَاللَّهِ مَا رَأَوْكَ؟ " قَالَ: " فَيَقُولُ: وَكَيْفَ لَوْ رَأَوْنِي؟ " قَالَ: " يَقُولُونَ: لَوْ رَأَوْكَ كَانُوا أَشَدَّ لَكَ عِبَادَةً، وَأَشَدَّ لَكَ تَمْجِيدًا وَتَحْمِيدًا، وَأَكْثَرَ لَكَ تَسْبِيحًا " قَالَ: " يَقُولُ: فَمَا يَسْأَلُونِي؟ " قَالَ: «يَسْأَلُونَكَ الجَنَّةَ» قَالَ: " يَقُولُ: وَهَلْ رَأَوْهَا؟ " قَالَ: " يَقُولُونَ: لاَ وَاللَّهِ يَا رَبِّ مَا رَأَوْهَا " قَالَ: " يَقُولُ: فَكَيْفَ لَوْ أَنَّهُمْ رَأَوْهَا؟ " قَالَ: " يَقُولُونَ: لَوْ أَنَّهُمْ رَأَوْهَا كَانُوا أَشَدَّ عَلَيْهَا حِرْصًا، وَأَشَدَّ لَهَا طَلَبًا، وَأَعْظَمَ فِيهَا رَغْبَةً، قَالَ: فَمِمَّ يَتَعَوَّذُونَ؟ " قَالَ: " يَقُولُونَ: مِنَ النَّارِ " قَالَ: " يَقُولُ: وَهَلْ رَأَوْهَا؟ " قَالَ: " يَقُولُونَ: لاَ وَاللَّهِ يَا رَبِّ مَا رَأَوْهَا " قَالَ: " يَقُولُ: فَكَيْفَ لَوْ رَأَوْهَا؟ " قَالَ: " يَقُولُونَ: لَوْ رَأَوْهَا كَانُوا أَشَدَّ مِنْهَا فِرَارًا، وَأَشَدَّ لَهَا مَخَافَةً " قَالَ: " فَيَقُولُ: فَأُشْهِدُكُمْ أَنِّي قَدْ غَفَرْتُ لَهُمْ " قَالَ: " يَقُولُ مَلَكٌ مِنَ المَلاَئِكَةِ: فِيهِمْ فُلاَنٌ لَيْسَ مِنْهُمْ، إِنَّمَا جَاءَ لِحَاجَةٍ. قَالَ: هُمُ الجُلَسَاءُ لاَ يَشْقَى بِهِمْ جَلِيسُهُمْ))**(١).

---

(١) أخرجه البخاري، الجامع الصحيح، كتاب الدعوات - باب فضل ذكر الله عز وجل – ح ٦٠٤٥ ، (٥/ ٢٣٥٣).

مسلم، المسند الصحيح، كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار- باب فضل مجالس الذكر -ح(٢٦٨٩)، (٤/٢٠٦٩) كلاهما من حديث أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه.

هُمُ القومُ لا يُحْرَمُ من الثواب معهم أحد، بل يجدُ من بركتِهم نصيبًا، وفي هذا ترغيبٌ للعباد في مجالسة الصُّلَحاء؛ لينالوا نصيبًا منهم[١]، وفي هذا الحديث ترغيب لحضور مجالس الذكر لما فيها من البركة والغفران.

وروى أنس بن مالك رضى الله تعالى عنه أن رسول الله -صلّى الله عليه وسلّم- قال: **((إِذَا مَرَرْتُمْ بِرِيَاضِ الْجَنَّةِ فَارْتَعُوا. قَالُوا: وَمَا رِيَاضُ الْجَنَّةِ؟ قَالَ: حِلَقُ الذِّكْرِ))**[٢] أي إذا مررتم بجماعةٍ يذكرون الله، فاذكروا الله أنتم أيضًا موافقةً لهم، فإنهم في رياضِ الجنة، وأيُّ خصلةٍ توصلُ العبد إلى الجنة، فهي روضةٌ من رياض الجنة[٣].

وهذه المجالس فيها من الخير الكثير، والبركة الوافرة، وفيها تجديد لانفعالات الإنسان، وإضفاء روح الإيجابية والمرونة في حياته، وفيها تحقيق مبدأ التفاعل الاجتماعي وهو ما يسهم في سعادة الفرد.

وفي مجالسة الأصدقاء المساعدة على تجنب الشعور بالوحدة، ويفتقر الأفراد الذين يشعرون بالوحدة إلى المهارات الاجتماعية: فهم يبدون أقل اهتماما بالآخرين، وأقل قدرة على الإشباع، ولا يحبون الآخرين ولا يثقون فيهم، وهم أقل انبساطا وأكثر عصبية[٤].

وفي هذه المجالس المباركة، ذكر لله تعالى وطلب للعلم، وتذكير بالآخرة، والفوز بالثواب، والغفران، وحضور الملائكة، فهي مجالس السعداء في الدنيا والآخرة.

وتحقق مجالس الذكر للصالحين الجانب الاجتماعي في الدنيا، والدعم النفسي، والسعي للهدف الأسمى، مع شعور بالانجاز وتقدير للذات، وفي الآخرة الدرجات العلا.

"إن أعظم الناس حظا من النجاح في مجتمعنا على كل مستوى، هم أولئك الذي يعرفون أكبر عدد ممكن من الأشخاص الناجحين، وهم ينظمون حياتهم بطريقة مقصودة كي يحتكوا بهؤلاء

---

(١) ابن الملك، شرح المصابيح (٣/ ٩٠).

(٢) أخرجه: الترمذي، الجامع الكبير، كتاب الدعوات عن رسول الله صلى الله عليه وسلم -ح(٣٥١٠)، (٤١٣/٥) من طريق مُحَمَّدُ بْنُ ثَابِتٍ الْبُنَانِيُّ ، عن ثابت البناني، عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه. ومحمد بن ثابت ضعيف انظر تقريب التهذيب (ص: ٤٧٠). قال الترمذي: "هذا حديث حسن غريب من هذا الوجه". قال الألباني: "حسن".

(٣) المظهري، المفاتيح في شرح المصابيح (٣/ ١٤٤).

(٤) ينظر: أرجايل، سيكولوجية السعادة (ص:٤٢)

الناجحين"(١). وخير نجاح وخير صحبة في هذه الحياة ما يجده المرء في مجالس ذكر الله تعالى.

المطلب السادس: العمل والكسب الحلال

عمل الإنسان وكسبه بيده من أشرف الأعمال وأحلاها على نفس المؤمن من المسألة والطلب من الناس، وفي العمل حياة للروح، وفي انشغال العبد بكسبه سعادة لروحه.

وأطيب الكسب وأكثره بركة وثواب عمل الإنسان بيده(٢)، وأفضل طرق الاكتساب السعي في طلب الرزق والمعيشة بما يكون بعمل الرجل وجهده سواء في صناعته وزراعته ونحو ذلك من الحرف الجائزة غير الدنيئة التي لا تليق به، والتكسب بالعمل سنة الأنبياء(٣).

والعمل خير من المسألة، فقد روي الزُّبَيْرِ بْنِ الْعَوَّامِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ، عَنِ النَّبِيِّ -صلّى اللهُ عَلَيْهِ وسلّم- قَالَ: **((لَأَنْ يَأْخُذَ أَحَدُكُمْ حَبْلَهُ ، فَيَأْتِيَ بِحُزْمَةِ الْحَطَبِ عَلَى ظَهْرِهِ فَيَبِيعَهَا ، فَيَكُفَّ اللهُ بِهَا وَجْهَهُ ، خَيْرٌ لَهُ مِنْ أَنْ يَسْأَلَ النَّاسَ ، أَعْطَوْهُ أَوْ مَنَعُوهُ))** (٤).

فيكفّ الله أي: فيمنع الله بها وجهه من أن يريق ماءه بالسؤال، ومن فوائد الاكتساب الاستغناء والتصدق فيتصدق به ويستغني عن الناس فهو خير له من سؤال الناس حتى ولو كان الاكتساب بعمل شاق كالاحتطاب، وفي هذا الحديث فضيلة الاكتساب بعمل اليد، وغاية ما في هذا الحديث تفضيل الاحتطاب على السؤال، وليس فيه أنه أفضل المكاسب فلعلّه ذكره لتيسره لا سيما في بلاد الحجاز لكثرة ذلك فيها(٥).

---

(١) تراسي، بريان، **غير تفكيرك غير حياتك**، مكتبة جرير-ط١-٢٠٠٧ (ص:١٥٦).

(٢) نظر: الكحلاني، التنوير شرح الجامع الصغير (٢/ ٤٤٣)

(٣) ينظر: المناوي، زين الدين محمد المدعو بعبد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي بن زين العابدين الحدادي ثم المناوي القاهري (ت ١٠٣١هـ)، **فيض القدير شرح الجامع الصغير**، المكتبة التجارية الكبرى – مصر - ط١- ١٣٥٦ه، (١/ ٥٤٧).

(٤) أخرجه: البخاري، الجامع الصحيح، كتاب الزكاة - باب الاستعفاف عن المسألة - ح(١٤٠٢)، (٥٣٥/٢)، وح(١٩٦٩، ٢٢٤٤) من حديث الزُّبَيْرِ بْنِ الْعَوَّامِ رضي الله عنه.

(٥) القسطلاني، إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري (٣/ ٦٠).

والأنبياء عليهم السلام كانوا يعملون بأيديهم، فالعمل فضيلة، وروى الْمِقْدَامِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ، عَنْ رَسُولِ اللهِ -صلّى اللهُ عَلَيْهِ وسلّم- قَالَ: ((**مَا أَكَلَ أَحَدٌ طَعَامًا قَطُّ ، خَيْرًا مِنْ أَنْ يَأْكُلَ مِنْ عَمَلِ يَدِهِ ، وَإِنَّ نَبِيَّ اللهِ دَاوُدَ عَلَيْهِ السَّلَامُ كَانَ يَأْكُلُ مِنْ عَمَلِ يَدِهِ**))[١].

ووجه الخيريّة ما فيه من إيصال النفع إلى المكاسب وإلى غيره وللسلامة عن البطالة المؤدّية إلى الفضول، ولكسر النفس به وللتعفّف عن ذلّ السؤال[٢]، وفي هذا الحديثُ بيان فضيلة الكسب؛ فالاكتسابُ من سُنَنِ الأنبياء، وسُنَنُ الأنبياء فيها سعادةُ الدنيا والآخرة[٣].

إذا لم يكن للإنسان عمل يؤدّيه، كدّرت البطالة عليه، وقلّ قدره في نفسه وبين الناس، فالعمل سبب لتقدير الإنسان وشغل وقته، وإعفاء نفسه عن السؤال، والإنسان يحتاج إلى كلّ هذه الأمور، لذلك كان من أهم أسباب السعادة العمل، وكلّما كان الإنسان ناجحًا في عمله كان أسعد وهذا الأمر يشعر به الكل، وهو من منهجه -صلّى الله عليه وسلّم-.

والعمل يعد مرغوبا أولا وفي البداة كوقاية من الملل، ومن مزايا العمل أنها تجعل أيام العطلة أكثر بهجة عندما تأتي، ومن المرجح أن يجد الشخص لذة أكبر كثيرا في وقت الراحة عما يمكن للرجل العاطل أن يجده، وأنه يوفر فرصا للنجاح ومجالا للطموح[٤]، لذلك كان العمل من أهم مؤشرات السعادة.

وتشير كثير من الدراسات إلى أن العاطلين عن العمل يفتقدون تقدير الذات ويشعرون بالفشل، وبأنهم أقل من غيرهم، وقد تبين حديثا أنه رغم أن تقدير الذات لا يتأثر، فإن هناك آثار واضحة على الشعور بالكفاءة الشخصية والإنجاز[٥].

---

[١] أخرجه البخاري، الجامع الصحيح، كتاب البيوع - باب كسب الرجل وعمله بيده – ح(٢٠٧٢)، (٧٦٣/٢) من حديث الْمِقْدَامِ بن معدي رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

[٢] القسطلاني، إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري (٤/ ٢٠)

[٣] المظهري، المفاتيح في شرح المصابيح (٣/ ٣٨٣).

[٤] راسل، انتصار السعادة (٢٢٨-٢٢٩).

[٥] أرجايل، سيكولوجية السعادة (ص:٧٢).

وللعمل أخلاق، يجب على الإنسان التحلي بها حتى يصل للسعادة، وقد تم ذكرها في مبحث القيم التي توصل العبد إلى السعادة، وهي مثلها التي ينبغي للعامل التحلي بها.

فينبغي أن يتحلّى العامل بالإخلاص، والتقوى، والرضا فلا يطمع برزق غيره، وحسن الظن مع الله والعباد، والصدق والصبر والحلم والرفق، والشكر والتوكل على الله، وذكر الله تعالى، والإحسان إلى الخلق، والأمانة في المعاملات، والتواضع وعدم التجبّر، وغيرها من أخلاق المهنة لا يسع المقام لذكرها كلّها، لكن الإنسان إذا أصلح قلبه، صلحت أموره كلّها ورزق السعادة.

والإنسان في عمله ينفع مجتمعه ويرقيه إلى الأفضل، فيكون فردا منتجا لا عالة على المجتمع، وبذلك تكتمل سعادة المجتمع باكتمال عطاء الأفراد وتعاونهم وترابطهم تحت مظلة الإسلام وتعاليمه، فالسعادة الاجتماعيّة أمر مهمّ للعبد، يصنعه بنفسه بالعطاء والإحسان والإخلاص والمثابرة.

المطلب السابع: الاهتمامات القيمة، وشغل وقت الفراغ

يمثل النشاط الذي نقوم به في وقت الفراغ واحدا من العناصر الهامة للشعور بالرضا العام عن الحياة[١]، حيث السعادة والإيجابية.

وأحد مصادر التعاسة والإعياء والشد العصبي هو انعدام القدرة على الاهتمام بأي شيء له أهمية عملية في حياة الفرد الخاصة[٢]، فيلازمه الملل، وتهاجمه العزلة والوحدة، ويؤثر ذلك سلبيا على طمأنينة نفسه، وتقديره لذاته.

وقد حث النبي صلى الله عليه وسلم المؤمن على الحرص بالاهتمامات القيمة التي تضفي على حياته الإيجابية والنشاط والحيوية، وبين النبي صلى الله عليه وسلم خسران وغبن كثير من الناس في استغلال وقت فراغهم الذي يعتبر من أعظم النعم ومن أبرز مؤشرات السعادة في حياة الفرد، وفي هذا قَالَ النَّبِيُّ -صلّى اللهُ عَلَيْهِ وسلّم-: **((نِعْمَتَانِ مَغْبُونٌ فِيهِمَا كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ الصِّحَّةُ وَالْفَرَاغُ))** [٣]

نعمتان تثنية نعمة وهي الحالة الحسنة، (مغبون فيهما) أي في النعمتين كثير من الناس، وهما الصحة في البدن والفراغ من الشواغل بالمعاش المانع له عن العبادة، والغَبن النقص في البيع، فقد غبن صاحبهما فيهما أي باعهما ببخس لا تحمد عاقبته أو ليس له رأي في ذلك البتة فقد يكون الإنسان صحيحًا ولا يكون متفرغًا للعبادة لاشتغاله بالمعاش وبالعكس، فإذا اجتمع الصحة والفراغ وقصر في نيل الفضائل، فذلك الغبن كلّ الغبن لأنّ الدنيا سوق الأرباح ومزرعة للآخرة وفيها التجارة التي يظهر ربحها في الآخرة، فمن استعمل فراغه وصحته في طاعة مولاه فهو المغبوط، ومن استعملهما في معصية الله فهو المغبون لأنّ الفراغ يعقبه الشغل والصحة يعقبها السقم ولو لم يكن إلّا الهرم[٤].

---

(١) أرجايل، سيكولوجية السعادة (ص:٨٥).

(٢) راسل، انتصار السعادة (ص: ٢٤٠).

(٣) البخاري، الجامع الصحيح، كتاب الرقاق -باب ما جاء في الصحة والفراغ وأن لا عيش إلا عيش الآخرة -ح(٦٠٤٩)،(٥/ ٢٣٥٧) من حديث ابن عباس رضي الله عنه.

(٤) القسطلاني، إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري (٩/ ٢٣٦).

والفراغ وقت خال من الشواغل والأعمال، ومن استغل هذين الأمرين فهو الرابح السعيد، فالصحة نعمة كبيرة إذا استغل العبد صحته في طاعة الله وعبادته حصل له الأجر الكبير، ويدرك هذا الفضل المريض الذي يتمنى الصحة حتى يعبد الله على أكمل وجه، ومن امتلأ وقته بالأعمال والكسب والمعاش وقصر وقت فراغه.

والفراغ نعمة كبيرة وفضيلة لمن استغله في الطاعات، فمن كان عنده فراغ وشغله في الطاعات فهو السعيد الرابح، الذي يحظى برضى الله عنه وبالحسنات وبالراحة النفسية، بخلاف من شغل وقت فراغه بالمعاصي والآثام، فنفس الإنسان إن لم يشغلها بالطاعة شغلته بغيرها، والمؤمن الفطن يشغل وقته بالطاعات والعبادات ويشغل وقت فراغه بما يرضي الله تعالى.

والاهتمامات الفردية التي تملأ وقت الفراغ وتوفر الاسترخاء من توتر انشغالات الحياة الأكثر جدية هي سبيل السعادة، فرجل العلم على سبيل المثال عليه ان يكون جنبا الى جنب مع البحوث المتعلقة بتخصصه، وتكون مشاعره اتجاه مثل هذه البحوث ذلك الانتماء الدافيء والحيوية لأمر وثيق الأهمية بمهنته[١]، وبذلك يشغل وقت فراغه باهتمام قيم، وبأمر يظهر فيه مكامن القوة والتمييز في شخصيته مما يقوده إلى الرضا النفسي والوصول إلى السعادة الحقيقية.

والأنشطة والاهتمامات التي يشغل العبد بها وقت فراغه كثيرة في السّنّة النبوية، منها ما يتعلق بإشباع الجانب المادي كالرياضة والسباحة وصغل المهارات والمواهب، ومنها ما يتعلق بإشباع الجانب الروحي كقراءة القرآن وطلب العلم، والعمل الصالح والعمل التطوعي، وغيرها من الأعمال الصالحة التي بفعلها يرزق العبد بركة وسكينة.

---

(١) ينظر: راسل، انتصار السعادة (ص: ٢٤٠).

المطلب الثامن: العمل التطوعي

يعتبر العمل التطوعي من الأمور المهمة في حياة المسلم، فهو يمثل جوهر الإسلام في العطاء والنفع، لأنه يشعر المسلم أنه يقدم العمل لله تعالى دون مقابل، قال تعالى: {لَا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِنْ نَجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا} [النساء: ١١٤](١).

والعمل التطوعي جانب مهم من جوانب السعادة، وهو يظهر ما في الإنسان من قوة وتمييز في شخصيته وسلوكه، وفيه تزكية لنفس المؤمن لأنه يعمل العمل دون مقابل مادي، بل ابتغاء وجه الله سبحانه وتعالى الذي يؤتي سبحانه المؤمنين أجرا عظيما في الدارين.

الفعل الخير (العمل التطوعي) لا يصاحبه تيار منفصل من الانفعال الايجابي مثل الفرح، بل هو يتشكل من الاندماج الكامل وفقدان للوعي بالذات فالوقت يتوقف(٢)، لذلك يجد الإنسان راحته وسعادته في العمل التطوعي.

والعمل التطوعي سبب للبركة، وسعة الرزق، وقوة الشخصية، ونجاح الحياة الاجتماعية، والسكينة والطمأنينة، وهو سبب للخير الكثير ولمعية الله تعالى فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: **((مَنْ نَفَّسَ عَنْ مُؤْمِنٍ كُرْبَةً مِنْ كُرَبِ الدُّنْيَا نَفَّسَ اللهُ عَنْهُ كُرْبَةً مِنْ كُرَبِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ ، وَمَنْ يَسَّرَ عَلَى مُعْسِرٍ يَسَّرَ اللهُ عَلَيْهِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَمَنْ سَتَرَ مُسْلِمًا سَتَرَهُ اللهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ، وَاللهُ فِي عَوْنِ الْعَبْدِ مَا كَانَ الْعَبْدُ فِي عَوْنِ أَخِيهِ))** (٣)

وفي الحديث تأكيد على عظم الفعل الخيّر والعمل التطوعي، والذي هو سبب للتنفيس عن النفس وراحتها، فمن كان سعى لعون أخيه المسلم وسعادته، كان الله في عونه ورزقه السعادة والحياة الطيبة.

---

(١) ينظر: زينو، رندة محمد، **العمل التطوعي في السّنّة النبوية – دراسة موضوعية -**، رسالة ماجستير، الجامعة الإسلامية – غزة - -٢٠٠٧، (ص١٨)

(٢) ينظر: سيلجمان، السعادة الحقيقية (ص:٢٠).

(٣) جزء من حديث سبق تخريجه ص٩٣.

باختصار إذا أردت السعادة: فـ " لتكن مهمتك هي البحث عن طرق لتقدم بها مساهماتك وخدماتك"(١).

"لن يحظى بالسعادة إلا الخيرون من الناس، ولا يكون المرء خيرا إلا بتحليه بالفضيلة"(٢).

(١) تراسي، غير تفكيرك غير حياتك (ص:١٦١).

(٢) المرجع السابق (ص:٢٨٠)

المبحث الخامس: ضبط النفس وتطويرها

"أنت تستطيع التحكم في رغباتك، وحاجاتك واندفاعاتك، لا يكفي أن تعرف اهو الصواب، بل لابد أن توظف هذه المعرفة وتحولها إلى تصرفات، وحين يحدث شيء سيء فهل تستطيع أن تنظم مشاعرك؟، هل تستطيع أن تعالج مشاعرك السلبية بنفسك (تطييب خاطرك بنفسك) هل تستطيع أن تجعل نفسك منشرحا – حتى من باب التجربة؟"(١).

السّنّة النبوية مليئة بالنماذج التي تدع إلى ضبط النفس، وإدارتها إلى طريق الإيجابية والتفاؤل، ومن ذلك قول النبي صلى الله عليه وسلم: **((لَيْسَ الشَّدِيدُ بِالصُّرَعَةِ، إِنَّمَا الشَّدِيدُ الَّذِي يَمْلِكُ نَفْسَهُ عِنْدَ الْغَضَبِ))**(٢)، فالشدة والقوة لا تقاس باندفاع الانفعالات وشدة الغضب، إنما تقاس بقدرة الإنسان على ضبط نفسه والتحكم بإدارة سلوكه نحو الصواب.

والحصول على السعادة إنما يتعلق بقدرة الإنسان على ضبط النفس وتطويرها، فمتى امتلك الإرادة استطاع قيادة نفسه إلى طريق السواء والإيجابية.

وفي هذا المبحث بيان ما في السّنّة النبوية من دعوة إلى ضبط النفس وتطويرها، وتخليصها من العناء.

---

(١) سيلجمان، السعادة الحقيقية (ص:١٩٦)

(٢) أخرجه: البخاري، الجامع الصحيح، كتاب الأدب - باب الحذر من الغضب – ح ٥٧٦٣، (٥/ ٢٢٦٧). ومسلم، المسند الصحيح كتاب البر والصلة والآداب - باب فضل من يملك نفسه عند الغضب وبأي شيء يذهب الغضب - ح٢٦٠٩، (٣٠/٨). من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

المطلب الأول: التفكير الإيجابي

التفكير الإيجابي هو القدرة الفطرية للوصول الى نتائج أفضل وعبر أفكار إيجابية[١].

والشخص الإيجابي شخص سعيد حيث أنه يتصف بالرؤية المشرقة والمقدرة على إدارة الازمات وبمشاعر إيجابية متفائلة، وهو يتسم فضلا عما يميزه من سلوك التفاؤل والرضا والازدهار يتسم بتعدد استراتيجيات المواجهة الإيجابية والضبط الشخصي للمشاعر والأفكار السلبية عند مواجهة مختلف التوترات وضغوط الحياة[٢].

وهناك عشر خصال سلوكية يمكن وصفها للشخص ذو التفكير الإيجابي والذي يعيش بإيجابية: التفاؤل والايمان والترابط والشجاعة والثقة والتصميم والصبر والهدوء والتركيز، وهذه الخصال هي نقطة القوة التي تواجه المواقف والتحديات والتي تساعدك في تحقيق أغراضك وأهدافك[٣].

قال النبي صلى الله عليه وسلم: **((الْمُؤْمِنُ الْقَوِيُّ خَيْرٌ وَأَحَبُّ إِلَى اللهِ مِنَ الْمُؤْمِنِ الضَّعِيفِ، وَفِي كُلٍّ خَيْرٌ احْرِصْ عَلَى مَا يَنْفَعُكَ، وَاسْتَعِنْ بِاللهِ وَلَا تَعْجِزْ، وَإِنْ أَصَابَكَ شَيْءٌ فَلَا تَقُلْ : لَوْ أَنِّي فَعَلْتُ كَانَ كَذَا وَكَذَا ، وَلَكِنْ قُلْ : قَدَّرَ اللهُ وَمَا شَاءَ فَعَلَ فَإِنَّ لَوْ تَفْتَحُ عَمَلَ الشَّيْطَانِ))**[٤]، في الحديث مدح للمؤمن الإيجابي المتفائل الذي ينتفع من الخير أينما وجده ويحرص عليه، وهو دائما في إقبال واستعانة بالله تعالى في كل أمور الحياة.

وقد مدح النبي صلى الله عليه وسلم النظرة الإيجابية التي يختص بها المؤمن لإيمانه القوي: **((عَجَبًا لِأَمْرِ الْمُؤْمِنِ، إِنَّ أَمْرَهُ كُلَّهُ خَيْرٌ))**[٥].

ومن هذه الأحاديث يمكن استنباط أسس التفكير الإيجابي في السّنّة النبوية:

---

(١) دبليو، سكوت، **قوة التفكير الإيجابي في العمل**، العبيكان- الرياض –ط١-٢٠٠٣ (ص:٤٩).
(٢) حلاوة، علم النفس الإيجابي (ص٨).
(٣) دبليو، قوة التفكير الإيجابي في العمل (ص٢٦).
(٤) سبق تخريجه٢١٤.
(٥) سبق تخريجه ص١٠٩.

١- الاعتقاد بأفكار إيجابية (الإيمان)

إن الإيمان هو أصل السعادة في الدارين، وفي التصديق الجازم بكل أركانه مع التطبيق العملي يجد العبد إيجابية في أفكاره واعتقاداته، ويشعر بتفاؤل ورغبة في الإنجاز والنجاح.

وفي الالتزام بتعاليم الإسلام كل الإيجابية، ففي قراءة القرآن الكريم يكسب العبد انفعالات إيجابية وتأثيرات وجدانية إيجابية، ويشعر بسكينة ووقار وسعادة كبيرة تفوق الوصف، وعند ترديد الأذكار الإسلامية والأدعية في كل يوم بكلمات طيبات وتسبيح وذكر لله تعالى واستغفار وتوكل واستعانة وغيرها من الأمور التي تشبع روح الإنسان بالتفكير الإيجابي والمرونة الحياتية.

ففي ترديد المؤمن لهذا الدعاء النبوي مثلا: **((اللهم أصلح لي ديني الذي هو عصمة أمري، وأصلح لي دنياي التي فيها معاشي، وأصلح لي آخرتي التي فيها معادي، واجعل الحياة زيادة لي في كل خير، واجعل الموت راحة لي من كل شر))**(١)، يشعر المؤمن بسكينة وإيجابية وخير بهذه الحياة، وتمتلئ نظرته للحياة بتفاؤل وأمل لحسن ظنه بالله سبحانه وتعالى، والسّنّة النبوية مليئة بالأدعية والأذكار والإيجابية.

والتفكير الإيجابي غالبا يتضمن محاولة أن تعتقد في مجموعه من العبارات المبهجة (٢).

وقد **((كَانَ رَسُولُ اللهِ -صلّى اللهُ عَلَيْهِ وسلّم- يَتَفَاءَلُ، وَيُعْجِبُهُ الِاسْمُ الْحَسَنُ))**(٣)، وقال صلى الله عليه وسلم في ذم السلبية والتشاؤم **((لَا عَدْوَى وَلَا طِيَرَةَ، وَيُعْجِبُنِي الْفَأْلُ الصَّالِحُ الْكَلِمَةُ الْحَسَنَةُ))**(٤)، فالتفاؤل والتفكير بنظرة إيجابية منهج نبوي، وهو أحد سمات الشخصية السعيدة في السّنّة النبوية.

---

(١) أخرجه مسلم، المسند الصحيح، كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب التعوذ من شرّ ما عمل ومن شرّ ما لم يعمل- ٢٧٢٠، (٨ / ٨١). من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) ينظر: سيلجمان، السعادة الحقيقية (٣٧، ٤٠، ٥٩ ، ٩٠، ١٣٢).

(٣) سبق تخريجه ص٩٧.

(٤) سبق تخريجه ص٩٨.

والتفكير الإيجابي من أهم عناصر السعادة، وهو الانتفاع بقابلية العقل اللاوعي للاقتناع بشكل إيجابي، فإذا أردنا أن نغير أسلوبنا فيجب أن يكون ذلك من خلال عقلنا الباطن، وهذا يعني أنه يجب أن نختار أفكارا إيجابية جديدة، ونغذيه مرارا وتكرارا، لأن الأفكار المتكررة ترسخ في العقل اللاواعي(١).

والمعتقدات هي المسؤولة عن أفكارنا وهي من يشكل مشاعرنا والتي بدورها تشكل سلوكنا(٢).

وكل التطورات التي تحدث في حياتك تبدأ بتطوير تصورك لشخصيتك في البداية، وتؤثر صورك الداخلية على انفعالاتك وسلوكياتك ومواقفك النفسية، بل حتى على الطريقة التي يستجيب بها لك الآخرين، إن تكون تصور إيجابي للذات يعد جانبا لا غنى عنه لتغيير تفكيرك وتغيير حياتك(٣).

وتعد أغلب أفكارك واستجاباتك للأحداث والأشخاص في حياتك محددة وفقا لمسلماتك الأساسية، وهي تلك الأفكار والمفاهيم والآراء والاستنتاجات التي توصلت إليها كمحصلة لمدركاتك وتجاربك، وهي لا تقتصر على صورتك الذاتية وحسب بل أيضا على فلسفتك في الحياة، وكلما كنت أكثر صلابة واقتناعا بما تفعله بشأن مسلماتك الأساسية كلما تحكمت وتوقعت هذه المسلمات بكل ماتفعله، وتقوله، وتشعر به(٤).

فللهوية الإسلامية الإيجابية الأثر الكبير في الوصول إلى السعادة الحقيقية، ووقد جاءت الأحاديث النبوية لترسخ الهوية الإيجابية وربطت كثيرا من أعمال الإنسان بها، فمن ذلك قوله صلى الله عليه وسلم: **" الْمُسْلِمُ مَنْ سَلِمَ الْمُسْلِمُونَ مِنْ لِسَانِهِ وَيَدِهِ"**(٥)(٦).

---

(١) بيفر، التفكير الإيجابي (ص:١٢).

(٢) دبليو، قوة التفكير الإيجابي في العمل (ص٤١).

(٣) تراسي، غير تفكيرك غير حياتك (ص:٢١).

(٤) المرجع السابق (ص:٢٤).

(٥) أخرجه البخاري، الجامع الصحيح، باب المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده -ح١٠، (١٣/١) من حديث عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرٍو رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا.

(٦) الرقيب، سعيد بن صالح، **أسس التفكير الإيجابي وتطبيقاته تجاه الذات والمجتمع في السنّة النبوية**، بحث محكم – مؤتمر تحديات وآفاق – الجامعة الإسلامية – ماليزيا (ص:١٢).

٢- التعامل بإيجابية مع الماضي والحاضر والمستقبل (الرضا والتوكل وحسن الظن بالله تعالى)

الإسلام جعل التفاؤل مرتبطا بالثقة بالله والرضا بقضائه، فلن يصيب الانسان إلا ما كتبه الله فلا يستبطئ الرزق، ولا يستعجل النجاح ولا يقلق على المستقبل[١].

وقد علم النبي -صلّى الله عليه وسلّم- ابن عباس رضي الله عنه كلمات مباركات هي منهج حياة، وهي سعادة وبركة للعبد، حيث قال -صلّى الله عليه وسلّم-: ((**يَا غُلَامُ ، إِنِّي أُعَلِّمُكَ كَلِمَاتٍ؛ احْفَظِ اللهَ يَحْفَظْكَ ، احْفَظِ اللهَ تَجِدْهُ تُجَاهَكَ ، إِذَا سَأَلْتَ فَاسْأَلِ اللهَ ، وَإِذَا اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ بِاللهِ ، وَاعْلَمْ أَنَّ الْأُمَّةَ لَوِ اجْتَمَعَتْ عَلَى أَنْ يَنْفَعُوكَ بِشَيْءٍ ، لَمْ يَنْفَعُوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللهُ لَكَ ، وَلَوِ اجْتَمَعُوا عَلَى أَنْ يَضُرُّوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَضُرُّوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللهُ عَلَيْكَ ، رُفِعَتِ الْأَقْلَامُ وَجَفَّتِ الصُّحُفُ**))[٢]، فكلّما كان العبد من الله أقرب كان أسعد وأكثر بركة، وأكثر إيجابية.

والإيمان بالقدر يجعل الإنسان قادرا على التحكم بانفعالاته في حالتي الفرح والاكتئاب بطريقة إيجابية[٣].

وعندما تسيطر على الانسان الانفعالات الإيجابية يظهر مستوى مرتفع من الابداع وعلى المدى البعيد يمكن ان تتطور المرونة النفسية العامة لدى مثل هذا الانسان مما يمكنه من التعامل الإيجابي والمواجهة الإيجابية لأي ضغوط او منغصات حياتية[٤].

---

(١) موسى، السعادة وتنمية الصحة النفسية (ص١٠٣).

(٢) أخرجه الترمذي، الجامع الكبير، كتاب صفة القيامة والرقائق والورع عن رسول الله صلى الله عليه وسلم - ح(٢٥١٦) (٦٦٧/٤) من طريق ليث بن سعد وابن لهيعة عن قيس بن الحجاج، عن حنش الصنعاني، عن ابن عباس رضي الله عنه. قال الترمذي: "هذا حديث حسن صحيح". وقال الألباني: "صحيح". السلسلة الصحيحة (٥/ ٣٨١). وقال الأرنؤوط: صحيح، المسند: (٣٠٣/١) ح(٢٧٦٣). وذكر ابن رجب أن هناك أسانيد أخرى لينة وأصحها طريق حنش، وهو طريق حسن جيد، جامع العلوم والحكم (٥٨٤/٢). وفي الحديث ابن لهيعة وهو من الرواة المختلف فيهم وقبل الأئمة حديثه عن العبادلة، ولخص القول فيه ابن حجر بقوله:" صدوق خلط بعد احتراق كتبه، ورواية ابن المبارك وابن وهب عنه أعدل من غيرهما"، **وتابع** ابن لهيعة ليث بن سعد برواية الترمذي نفسها وهو ثقة، وفي الإسناد قيس بن الحجاج وهو **راو مقل**، قال عنه أبوحاتم: صالح، وقال ابن يونس: وكان رجلا صالحا، وذكره ابن حبان في الثقات، ولخص حاله ابن حجر بقوله: صدوق، ينظر: الجرح والتعديل (٧ / ٩٥)، تهذيب الكمال (٢٠/٢٤) (١٥/ ٤٨٧)، تاريخ الإسلام (٣/ ٤٨٣)، تقريب التهذيب (ص:٣١٩، ٤٦٤، ٤٥٦) الكاشف (١/ ٥٩٠)، وهذا الحديث صححه الترمذي وقواه ابن رجب، وصححه الألباني، والأرنؤوط .

(٣) عجين، الذكاء العاطفي الذاتي وتطبيقاته في السنّة النبوية (ص:٦٠)

(٤) حلاوة، علم النفس الإيجابي (ص١٦).

وتتضمن دراسة الانفعالات الإيجابية الوعي بالحالة الداخلية للفرد، وكيف يمكن ترجمة حالة الوعي هذه الى ردود أفعال وسلوكيات إيجابية.(١)

وتشمل النظرة الإيجابية للحياة حياة الإنسان بكل أبعادها: الماضي والحاضر والمستقبل(٢):

٢٠-الانفعالات الإيجابية حول الماضي هي: الرضا والقناعة والانجاز والفخر والإخلاص والصفاء، والصفح والنسيان.

٢١- الانفعالات الإيجابية حول المستقبل: تتضمن التفاؤل والأمل والإيمان والثقة.

٢٢- اما الانفعالات الإيجابية حول الحاضر: فتتضمن البهجة والسكينة والحيوة واللذة والانفعال الأكثر أهمية وهو التدفق وهي الانفعالات التي يعنيها معظم الناس عندما يتحدثون عادة عن السعادة، وان كانت السعادة في حقيقتها اكبر من ذلك، وهي تشمل الملذات الحسية والمسرات(٣).

وفي قول النبي صلى الله عليه وسلم **((الْمُؤْمِنُ الْقَوِيُّ خَيْرٌ وَأَحَبُّ إِلَى اللهِ مِنَ الْمُؤْمِنِ الضَّعِيفِ، وَفِي كُلٍّ خَيْرٌ احْرِصْ عَلَى مَا يَنْفَعُكَ، وَاسْتَعِنْ بِاللهِ وَلَا تَعْجِزْ، وَإِنْ أَصَابَكَ شَيْءٌ فَلَا تَقُلْ : لَوْ أَنِّي فَعَلْتُ كَانَ كَذَا وَكَذَا ، وَلَكِنْ قُلْ : قَدَّرَ اللهُ وَمَا شَاءَ فَعَلَ فَإِنَّ لَوْ تَفْتَحُ عَمَلَ الشَّيْطَانِ))**(٤)، تدريب نفسي على التفكير الإيجابي، وتكوين مناعة نفسية قوية لدى المؤمن.

فالنبي صلى الله عليه وسلم امتدح قوة الشخصية، ودعا إلى التقبل والرضا لكل الأمور **"وفي كل خير"**، والتفاؤل والتوكل على الله تعالى **"احرص على ما ينفعك واستعن بالله ولا تعجز"** فيحرص المؤمن على ما ينفعه من ماضيه وحاضره ومستقبله، ويستعين بالله مقدما على العمل والحياة، وفي قوله صلى الله عليه وسلم **"فلا تقل لو أني فعلت"** فقه كبير وإشارة نفسية دقيقة فلا ينبغي للإنسان التحسر على ما مضى وفات، بل يطوي صفحة الماضي إلا ما كان فيها من نفع وخير، فإن لو من مداخل الشيطان وهي من مداخل العناء النفسي والقلق والحزن والهم.

"وينبغي على المتفائل أن يقترب من مشاكله بأسلوب كيف وليس بأسلوب لو"(٥).

---

(١) حلاوة، علم النفس الإيجابي (ص١٦).

(٢) سيلجمان، السعادة الحقيقية (ص: ٨٧، ١٠٦).

(٣) ينظر: سيلجمان، السعادة الحقيقية (ص: ٨٧، ١٠٦).

(٤) سبق تخريجه٢١٤.

(٥) دبليو، قوة التفكير الإيجابي في العمل (ص١٨٢).

٣- إدارة الأزمات بمشاعر إيجابية (التكيّف)

يفسر المؤمن الأزمات تفسيرا حسنا يبعث في نفسه الأمن والطمأنينة وينشط المناعة النفسية والجسمية(١).

فلن نتمكن من تغيير الواقع وكل ما نستطيع القيام به هو السيطرة على ردود افعالنا اتجاه هذا الواقع(٢).

والمؤمن السوي لديه قدرة على التكيّف مع الواقع وتبصر الفوائد المخفية والفرص الإيجابية للازمات والمشاكل والصعوبات(٣)، فهو يتقلب بين شكر للنعم وصبر وتعامل مع الأزمات، فقد قال الرسول صلى الله عليه وسلم: ((**عَجَبًا لِأَمْرِ الْمُؤْمِنِ، إِنَّ أَمْرَهُ كُلَّهُ خَيْرٌ، وَلَيْسَ ذَاكَ لِأَحَدٍ إِلَّا لِلْمُؤْمِنِ، إِنْ أَصَابَتْهُ سَرَّاءُ شَكَرَ فَكَانَ خَيْرًا لَهُ ، وَإِنْ أَصَابَتْهُ ضَرَّاءُ صَبَرَ فَكَانَ خَيْرًا لَهُ**))(٤).

٤- القدرة على الاستمتاع في الحياة (التلذذ)

الشخص الذي لديه متعة التلذذ ميزة على الشخص الذي لا يملكها، فحتى التجارب غير السارة قد تكون نافعة له، والتلذذ يتطلب طاقة أكبر من التي تكفي لعمل الضروري وهذا بدوره يتطلب أن تعمل الآلة النفسية بنعومة، والتلذذ والاستمتاع في الحياة هو سر السعادة وطيب العيش(٥).
وللانسان ذو الحيوية الملائمة والذي تتوافر لديه القدرة على الاستمتاع، سوق يقهر كل الفواجع بأن ينبثق بعد كل ضربة اهتماما بالحياة لا يمكن أن يضيق لدرجة تجعل من الخسارة الواحد امرا مميتا(٦).

---

(١) موسى، السعادة وتنمية الصحة النفسية (ص١٠٣).

(٢) دبليو، قوة التفكير الإيجابي في العمل (ص٤٥).

(٣) ينظر: دبليو، قوة التفكير الإيجابي في العمل (ص١٨١).

(٤) سبق تخريجه ص١٠٩.

(٥) ينظر: راسل، انتصار (ص١٧٧، ١٨٧، ١٨٩).

(٦) راسل، انتصار السعادة (ص:٢٤٩).

والمؤمن السوي لديه القدرة على الحفاظ على معنوياته عالية على الرغم من تحديات الظروف[١]، فقد ميزه النبي صلى الله عليه وسلم لرسوخ إيمانه وقوته فقال صلى الله عليه وسلم: ((**إِنَّ أَمْرَهُ كُلَّهُ خَيْرٌ، وَلَيْسَ ذَاكَ لِأَحَدٍ إِلَّا لِلْمُؤْمِنِ**))، فالمؤمن لقوة إيمانه لديه القدرة على العيش بهناء، والحصول على الحياة الطيبة التي تعد أحد مظاهر السعادة في الدنيا.

٥- النية الحسنة نحو الآخرين (والمحبة)

وإحدى الأسس الرئيسية في التفكير الإيجابي هي المحبة الإنسانية والنية الحسنة نحو الآخرين، وكم تدهش لما يشيعه الشعور الطيب في قلوب الناس[٢].

فكونك إيجابيا معناه كونك ودودا وصريحا وهذا لا يعني ان تهدر كرامتك بل يعني ان تقول ما تعتقده وتسعى للحقيقة وهذا لا يعني ان تكون فظا ولكن كونك إيجابيا يعني ان تختار بوعي وان تنظر للجانب المضيء من الأمور وان تحب نفسك وتهتم بمن حولك[٣].

وقد أكد النبي صلى الله عليه وسلم على ضرورة التفاعل الاجتماعي ومحبة الناس في كثير من أحاديث، ومنها قوله صلى الله عليه وسلم : ((**وَاللهُ فِي عَوْنِ الْعَبْدِ مَا كَانَ الْعَبْدُ فِي عَوْنِ أَخِيهِ**))[٤] فمحبة الناس ومخالطتهم والتعايش معهم إحدى سمات الشخصية السوية، والمحبة تقود إلى حسن الظن بالآخرين والتعامل الفعال معهم.

ويذهب النبي صلى الله عليه وسلم لترسيخ الهوية الإيجابية في أدنى درجاتها وذلك بحثه أتباعه من المسلمين بأن يكف الواحد منهم شره عن الناس (السلوك السلبي) إذا لم يكن قادرا على عمل الخير لنفسه أو لغيره (السلوك الإيجابي)، فعن عَنْ أَبِي ذَرٍّ قَالَ: **قُلْتُ : يَا رَسُولَ اللهِ ، أَيُّ الْأَعْمَالِ أَفْضَلُ ؟ قَالَ : الْإِيمَانُ بِاللهِ ، وَالْجِهَادُ فِي سَبِيلِهِ ، قَالَ : قُلْتُ : أَيُّ الرِّقَابِ أَفْضَلُ ؟ قَالَ: أَنْفَسُهَا عِنْدَ أَهْلِهَا ، وَأَكْثَرُهَا ثَمَنًا ، قَالَ : قُلْتُ : فَإِنْ لَمْ أَفْعَلْ ؟ قَالَ : تُعِينُ صَانِعًا ، أَوْ تَصْنَعُ**

---

(١) ينظر بتصرف: دبليو، قوة التفكير الإيجابي في العمل (ص١٨١).
(٢) بيل، قوة التفكير الإيجابي (ص:٧٧، ٧٨، ٨٥).
(٣) بيفر، التفكير الإيجابي (ص١٤).
(٤) جزء من حديث سبق تخريجه ص٩٣.

لِأَخْرَقَ ، قَالَ : قُلْتُ : يَا رَسُولَ اللهِ ، أَرَأَيْتَ إِنْ ضَعُفْتُ عَنْ بَعْضِ الْعَمَلِ ؟ قَالَ : تَكُفُّ شَرَّكَ عَنِ النَّاسِ ، فَإِنَّهَا صَدَقَةٌ مِنْكَ عَلَى نَفْسِكَ))[١] [٢].

ومن خلال مباحث الدراسة يتبيّن أنّ الإنسان هو صانع السعادة لنفسه وأسرته ومجتمعه، فإذا هو صلح واتبع منهج النبي -صلّى الله عليه وسلّم- في الحياة، صلحت أسرته والمجتمع بأكمله، والإنسان صانع لسعادته من خلال تفكيره ومعتقداته وإرادته، ولكن هذا في اطار وحدود الإسلام والثقة بالله أوّلًا قبل كل شيء، وهو ما جاء في مبحث حسن الظن بالله تعالى، ومبحث الرضا، فإذا رضي الإنسان بالله ربًّا وبمحمد -صلّى الله عليه وسلّم- نبيًّا ورسولًا وبالإسلام دينًا، وحقق ذلك قولًا وعمًلا، رزق الرضى والطمأنينة والفرح والحبور، والسكينة والبركة.

---

(١) أخرجه: مسلم، المسند الصحيح، كتاب الإيمان - باب بيان كون الإيمان بالله تَعَالى أفضل الأعمال-ح٨٤ ،(٦٢/١) من حديث أبي ذر رضي الله عنه.

(٢) الرقيب، أسس التفكير الإيجابي (ص:١٣).

المطلب الثاني: الدعاء في الرخاء والشدة

قال تعالى: {ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ (٥٥)} [سورة الأعراف: ٥٥]

معنى الدعاء إظهار غاية التذلل والافتقار إلى الله والاستكانة له[١]، ولا ريب أنّ الدعاء من أسباب السعادة والانشراح، إذ هو دليل على قوّة إيمان العبد وتعلّقه بربّه ومعرفته حقيقة الأمور ومآلها، وإيمانه بأنّ الأمر كلّه بيد الله سبحانه، فيتذلّل العبد في رخائه وفي شدّته، ويطلب من الله الكريم ما يرجوه ويتمنّاه من صلاح الدين والدنيا، ويناجي ربّه القريب بقلب خاشع خاضع، وما أن ينتهي من الكلمات الطيبات والأدعية والأذكار حتى يجد راحة في قلبه وانشراحًا ورضى بكل قضاء وقدر.

والدعاء عملية نفسية تنشط المناعة النفسية لدى المؤمن، وتنشط الأفكار الإيجابية في حياته، وتدفعه للإكثار من الطاعات والتقرب من الله أكثر، والدعاء يتعلق بالبعد الوجداني ويؤثر إيجابا على وجدان العبد وما ينتجه من سكينة وطمأنينة، وفيه يتخلص العبد من المشاعر والانفعالات السلبية ومن الضيق والتوتر والحزن، وهو مؤشر للسعادة والرضا.

والسر في إدارة الانفعال من خلال الدعاء – بعد اللجوء إلى الله تعالى – أن الإنسان إذا عود نفسه اللجوء إلى الله بالدعاء، فإنه يأخذ فترة من الاسترخاء والهدوء الذي يصاحب فترة الانفعال، مما يساعد على ضبط انفعاله وترشيده[٢]، ومن ثم الحصول على السعادة الحقيقية.

وفضيلة الدعاء تكون في الرخاء والشدة، قَالَ رَسُولُ اللهِ -صلّى اللهُ عَلَيْهِ وسلّم-: ((**مَنْ سَرَّهُ أَنْ يَسْتَجِيبَ اللهُ لَهُ عِنْدَ الشَّدَائِدِ وَالْكُرَبِ ، فَلْيُكْثِرِ الدُّعَاءَ فِي الرَّخَاءِ**))[٣]، وقوله -صلّى الله عليه وسلّم- (من سرّه) أي: أفرحه، والسرور انشراح الصدر بلذّة فيها طمأنينة النفس عاجلًا، (أن يستجيب الله له عند الشدائد والكرب) والكرب جمع كربة، وهي غمّ يأخذ بالنفس بشدّته (فليكثر

---

(١) ابن حجر، فتح الباري (١١/ ٩٥).

(٢) عجين، الذكاء العاطفي الذاتي وتطبيقاته في السنّة النبوية (ص: ٦١)

(٣) أخرجه الترمذي، الجامع الكبير، كتاب الدعوات عن رسول الله صلى الله عليه وسلم - باب ما جاء أن دعوة المسلم مستجابة - ح(٣٣٨٢)، (٥/٣٢٤) من طريق عُبَيْدُ اللهِ بْنُ وَاقِدٍ ، عن سَعِيد بْنُ عَطِيَّةَ اللَّيْثِيُّ ، عَنْ شَهْرِ بْنِ حَوْشَبٍ ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه. وقال الترمذي:" حديث غريب".
وهذا اسناد ضعيف لضعف عُبَيْدُ اللهِ بْنُ وَاقِدٍ و سَعِيدُ بْنُ عَطِيَّةَ اللَّيْثِيُّ مقبول، انظر تقريب التهذيب (ص: ٣٧٨، ٢٣٩)، وتابعهما : هُشَيْمٌ ، و جَعْفَرَ بْنَ إِيَاسٍ في مسند أبي يعلى ح٦٣٩٦، (١١ / ٢٨٣)، وهشيم وجعفر ثقات انظر تقريب التهذيب(ص: ٥٧٤، ١٣٩)، وشهر بن حوشب صدوق انظر تقريب التهذيب (ص:٢٦٩)، فالحديث حسن، وقال الألباني: "حسن".

من الدعاء في الرخاء) والرّخاء حال الرفاهية والأمن والعافية وسعة العيش وطيبه، والمعنى فليلازم الدعاء في حال الصحة والرفاهية والسلامة من المحن، لأنّ من شيمة المؤمن الشاكر الحازم أن يلتجئ إلى الله قبل الاضطرار، ولذا ذمّ الله من يدعوه عند الشدة فإذا عافاه الله مما ابتلاه أعرض ونأى بجانبه، وذلك أنّ العبد في جميع أحواله مفتقر إلى مولاه لا غنى له عن نعماه، فكيف يعرض عنه وينساه وإليه مآبه وعقباه؟!(١).

وللدعاء آداب ينبغي للعبد التحلّي بها، فقد قَالَ رَسُولُ اللهِ -صلّى اللهُ عَلَيْهِ وسلّم-: **((أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّ اللهَ طَيِّبٌ لَا يَقْبَلُ إِلَّا طَيِّبًا، وَإِنَّ اللهَ أَمَرَ الْمُؤْمِنِينَ بِمَا أَمَرَ بِهِ الْمُرْسَلِينَ، فَقَالَ: {يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا، إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ} [سورة المؤمنون: ٥١] وَقَالَ: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ} [سورة البقرة: ١٧٢] ثُمَّ ذَكَرَ الرَّجُلَ يُطِيلُ السَّفَرَ أَشْعَثَ أَغْبَرَ، يَمُدُّ يَدَيْهِ إلى السَّمَاءِ، يَا رَبِّ، يَا رَبِّ، وَمَطْعَمُهُ حَرَامٌ، وَمَشْرَبُهُ حَرَامٌ، وَمَلْبَسُهُ حَرَامٌ، وَغُذِيَ بِالْحَرَامِ، فَأَنَّى يُسْتَجَابُ لِذَلِكَ؟))**(٢)، ومعنى إضافة الطيب إلى الله تعالى: تنزيهه عن النَّقْصِ والخُبْثِ؛ إذِ الطَّيِّب خلاف الخبيث، ويكون بِمَعْنَى القُدُّوس، وقوله: "إنَّ اللهَ طَيِّبٌ لَا يَقبَلُ إلَّا طيبًا" هو توطِئَةٌ لِبَاقِي الحديث، وهو طِيبُ الطُّعْم لإجابة الدعاء، والطَّيِّب: الكسب الحَلال، والله تعالى طَيِّبٌ مُنَزَّهٌ فَلَا يَقْبَلُ مِنَ الأعْمَالِ إلَّا طاهِرًا مِن المُفْسِدَات: كالرِّياء والعُجب ونحوهما، ولا مِنَ الأموال إلَّا طاهِرًا مِنَ الحَرام، فالطَّيِّبُ مَا طَيَّبَهُ الشَّرْعُ لا الطَّعم اللذيذ، و"الأشعث" المُغْبَر الرأس، وقوله: "يمُدُّ يَدَيْهِ إلى السَّماءِ" وهو دالٌّ على أن ذَلِكَ مِنْ أدَبِ الدعاء، وقوله: "فأنَّى يُستجاب لذلك" أي: كيف؟ على جِهَةِ الاستبعاد لمن هذه صِفَتُهُ وهذا حالُهُ، ومعناه: أنه ليسَ أهلًا لإجابةِ دُعائه، فلا يُجيرُهُ شعثه وغباره من إثم مطعمه ومشربه(٣).

و**من دعاء النبي -صلّى الله عليه وسلّم-:**

- عن زيد بن أرقم - رضي الله عنه - قال: كان رسول الله - -صلّى الله عليه وسلّم- - يقول: **((اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْعَجْزِ وَالْكَسَلِ ، وَالْجُبْنِ ، وَالْبُخْلِ ، وَالْهَرَمِ ، وَعَذَابِ الْقَبْرِ اللَّهُمَّ آتِ**

---

(١) ينظر: الكحلاني، التنوير شرح الجامع الصغير (١٠/ ٢٥٦). المباركفوري، أبو الحسن عبيد الله بن محمد عبد السلام بن خان محمد بن أمان الله بن حسام الدين الرحماني المباركفوري (ت ١٤١٤هـ)، **مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح**، إدارة البحوث العلمية والدعوة والإفتاء - الجامعة السلفية - بنارس الهند، ط٣ - ١٤٠٤ هـ، ١٩٨٤ م(٧/ ٣٦٠)

(٢) أخرجه مسلم، المسند الصحيح، كتاب الزكاة - باب قبول الصدقة من الكسب الطيب وتربيتها - ح(١٠١٥)، (٧٠٣/٢) من حديث أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه.

(٣) ينظر: ابن الملقن، المعين على تفهم الأربعين ت دغش (ص: ١٨٥-١٨٨).

نَفْسِي تَقْوَاهَا ، وَزَكِّهَا أَنْتَ خَيْرُ مَنْ زَكَّاهَا ، أَنْتَ وَلِيُّهَا وَمَوْلَاهَا ، اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ عِلْمٍ لَا يَنْفَعُ ، وَمِنْ قَلْبٍ لَا يَخْشَعُ ، وَمِنْ نَفْسٍ لَا تَشْبَعُ ، وَمِنْ دَعْوَةٍ لَا يُسْتَجَابُ لَهَا)).(١)

- عن أبي الفضل العباس بن عبد المطلب -رضي الله عنه -قال: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، عَلِّمْنِي شَيْئًا أَسْأَلُهُ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ، قَالَ: **((سَلِ اللهَ الْعَافِيَةَ)).** فَمَكَثْتُ أَيَّامًا ثُمَّ جِئْتُ، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، عَلِّمْنِي شَيْئًا أَسْأَلُهُ اللهَ، فَقَالَ لِي **((يَا عَبَّاسُ، يَا عَمَّ رَسُولِ اللهِ، سَلِ اللهَ الْعَافِيَةَ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ))**، والعافية في الدنيا والآخرة أساس السعادة، وهي تشمل معافاة الدين والبدن.

- عن أنس -رضي الله عنه -قال: كان أكثر دعاء النبي --صلّى الله عليه وسلّم- -: **((اللهم آتنا في الدنيا حسنة، وفي الآخرة حسنة، وقنا عذاب النار))**(٢)، الحسنة الخير والفلاح، وهي طريق السعادة.

- عن أبي هريرة - رضي الله عنه - عن النبي - -صلّى الله عليه وسلّم- - قال: **((تعوذوا بالله من جهد البلاء، ودرك الشقاء، وسوء القضاء، وشماتة الأعداء))**(٣)، كلّما كان لسان العبد رطبًا بذكر الله كان من الله أقرب، لذلك على المسلم أن يحرص على الذكر والدعاء حتى يستطيع ضبط نفسه وتعاهدها على الطريق القويم.

ومن الأمور التي تجلب السعادة للعبد (الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم):

الصلاة على النبي --صلّى اللَّهُ عَلَيْهِ وسلّم-- من الله تشريف وزيادة تكرمة، وعلى من دون النبي -صلّى الله عليه وسلّم- رحمة(٤)، لذا كان من أسباب سعادة العبد الإكثار من الصلاة على النبي -صلّى الله عليه وسلّم- لينال رحمة الله سبحانه، وشفاعة نبيه -صلّى الله عليه وسلّم.

---

(١) أخرجه مسلم، المسند الصحيح، كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب التعوذ من شرّ ما عمل ومن شرّ ما لم يعمل – ٢٧٢٢، (٨ / ٨١) من حديث زَيْدِ بْنِ أَرْقَمَ رضي الله عنه.

(٢) أخرجه: البخاري، الجامع الصحيح، كتاب الدعوات - باب قول النبي صلى الله عليه وسلم ربنا آتنا في الدنيا- ح٤٢٥٠ (٤/ ١٦٤٤). ومسلم، المسند الصحيح، كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب فضل الدعاء باللهم آتنا فِي الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة – ح ٢٦٩٠، (٨ / ٦٨). من حديث أنس رضي الله عنه.

(٣) أخرجه: البخاري، الجامع الصحيح، كتاب الدعوات - باب التعوذ من جهد البلاء -ح٥٩٨٧، (٥/ ٢٣٣٦)، وح [٦٢٤٢]. ومسلم، المسند الصحيح، كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار ، باب فِي التعوذ من سوء القضاء ودرك الشقاء وغيره – ح٢٧٠٧، (٨ / ٧٦). من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٤) القسطلاني ، إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري (٧/ ٣٠٦)

وقال النبي صلى الله عليه وسلم: **((إِنَّ جِبْرِيلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَالَ لِي: أَلَا أُبَشِّرُكَ ؟ إِنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ يَقُولُ لَكَ: مَنْ صَلَّى عَلَيْكَ صَلَّيْتُ عَلَيْهِ ، وَمَنْ سَلَّمَ عَلَيْكَ سَلَّمْتُ عَلَيْهِ))** [١] وفي هذا الحديث بيان فضل الصلاة على النبي -صلّى الله عليه وسلّم-، وفيه أيضًا بيان تمام عناية الله عزّ وجلّ بحبيبه محمد --صلّى الله عليه وسلّم-- حيث يُرضيه بهذه البشارة العظيمة، والمنة الجسيمة[٢].

ولما كان البشر عاجزًا عن أن يبلغ القدر الواجب للنبيّ -صلّى الله عليه وسلّم- من التقدير، شرع الله لنا أن نحيل أمر ذلك عليه تعالى بأن نقول: اللهم صلّ على محمد، أي: لأنّك أنت العليم بما يليق به من ذلك[٣].

---

[١] أخرجه أبو عبد الله، مسند الإمام أحمد بن حنبل، حديث عبد الرحمن بن عوف الزهري رضى الله تعالى عنه، ح(١٦٦٢) (١٩١/١). من طريق يَزِيد بْنِ الْهَادِ، عَنْ عَمْرِو بْنِ أَبِي عَمْرٍو ، عَنْ أَبِي الْحُوَيْرِثِ ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ جُبَيْرِ بْنِ مُطْعِمٍ ، عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ. وهذا إسناد حسن: فأَبو الْحُوَيْرِثِ منهم من وثقه ومنهم من ضعفه، ولخص القول فيه ابن حجر بقوله "صدوق سيء الحفظ"، وهو راوٍ مقل. تقريب التهذيب(ص:٣٥٠)، تهذيب الكمال: (١٧/ ٤١٤)، وعمرو ليس به بأس تهذيب الكمال (٦ / ٢٥٢)، وباقي رجال الإسناد ثقات انظر تهذيب الكمال (٢٤ / ٥٧٣)، (٩ / ٢٧٥)، (٢٤ / ٢٥٥).

[٢] الاثيوبي، ذخيرة العقبى في شرح المجتبى (١٥/ ٩٩).

[٣] القسطلاني، إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري (٩/ ٢٠٤).

المطلب الثالث: جهاد النفس

مجاهدة النفس من أهم أسباب السعادة حيث يقود العبد نفسه إلى طريق الإيمان والطاعات، ويرتقي بها عن الدنيا وهمومها، وقد عد علماء النفس والفلسفة معرفة النفس من أهم أسباب السعادة، نعم لا نزكي النفس، لكن نحسن تربيتها بمجاهدتها وتدريبها على الطاعات، وملئها بحب خالقها، فالنفس إذا كانت خالية من الذكر والعبادة والتعلق بالله تعالى تعلقت بالدنيا وزينتها، لذا كان لزامًا على من أراد السعادة معاهدة نفسه على الطاعات.

والاعتقاد بوجود قوة إلهية كبرى ترصد جميع أعمالنا وتعلم ما يظهر منا وما يخفى، وتحاسبنا على نياتنا وضمائرنا ودوافعنا الداخلية ليس فقط على أعمالنا الخارجية؛ يؤدي إلي ضبط سلوكيات الانسان وقيادة نفسه نحو الصواب، ومعاهدتها على الطاعات[١].

ويعد ضبط النفس ومجاهدتها من أقوى مؤشرات السعادة كما أثبتت ذلك الدراسات النفسية، فيمكن لكل إنسان زيادة مشاعر السعادة وتقليل مشاعر الشقاء بإرادته في مجاهدته لنفسه لكي تكون متفائلة وراضية[٢]، وتنبثق السعادة الحقيقية وتشتق من التفوق على نفسك وليس من تقدير نفسك في ضوء تقديرات الآخرين[٣].

والشخص الإيجابي يتسم بتعدد استراتيجيات المواجهة الإيجابية والضبط الشخصي للمشاعر والأفكار السلبية عند مواجهة مختلف التوترات وضغوطها[٤].

وجهاد النفس على أربع مراتب:

- أن يجاهدها على **تعلم** الهدى ودين الحق الذي لا فلاح لها ولا سعادة في معاشها ومعادها إلا به، ومتى فاتها علمه شقيت في الدارين.
- أن يجاهدها على **العمل به** بعد علمه، وإلّا فمجرد العلم بلا عمل إن لم يضرها لم ينفعها.

---

(١) ينظر بتصرف: القوصي، أسس الصحة النفسية (ص:٩٦).

(٢) موسى، السعادة وتنمية الصحة النفسية (ص٥٠).

(٣) سيلجمان، السعادة الحقيقية (ص:٢٧).

(٤) أبو حلاوة، علم النفس الإيجابي (ص:٨٠).

- أن يجاهدها على **الدعوة إليه**، وتعليمه من لا يعلمه، وإلا كان من الذين يكتمون ما أنزل الله من الهدى والبينات، ولا ينفعه علمه، ولا ينجيه من عذاب الله، والسعادة تحصل له أكثر حينما يحمل هم غيره ويحسن إلى عباد الله ويعلمهم.
- أن يجاهدها على **الصبر** على مشاق الدعوة إلى الله وأذى الخلق، ويتحمل ذلك كله لله، فإذا استكمل هذه المراتب الأربع صار من الربانيين، فإنّ السلف مجمعون على أنّ العالم لا يستحق أن يسمى ربانيًّا حتى يعرف الحق ويعمل به ويعلمه[١].

قال رسول الله -صلّى الله عليه وسلّم- في حجة الوداع: **((أَلَا أُخْبِرُكُمْ مَنِ الْمُسْلِمُ؟ مَنْ سَلِمَ الْمُسْلِمُونَ مِنْ لِسَانِهِ وَيَدِهِ، وَالْمُؤْمِنُ مَنْ أَمِنَهُ النَّاسُ عَلَى أَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ ، وَالْمُهَاجِرُ مَنْ هَجَرَ الْخَطَايَا وَالذُّنُوبَ، وَالْمُجَاهِدُ مَنْ جَاهَدَ نَفْسَهُ فِي طَاعَةِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ))** [٢] أي: المجاهد الكامل ليس من قاتل الكفار فقط، بل من قاتل نفسه بالمجاهدة في طاعة الله تعالى؛ لأنَّ نفس الرجل أشدّ عداوة معه من الكفّار؛ لأنّها تلازمه، وتمنعه عن الخيرات والطاعات[٣].

وروى رَبِيعَةُ بْنُ كَعْبٍ الْأَسْلَمِيُّ قائلًا: كُنْتُ أَبِيتُ مَعَ رَسُولِ اللهِ -صلّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وسلّم- فَأَتَيْتُهُ بِوَضُوئِهِ وَحَاجَتِهِ فَقَالَ لِي: **((سَلْ، فَقُلْتُ أَسْأَلُكَ مُرَافَقَتَكَ فِي الْجَنَّةِ، قَالَ: «أَوْ غَيْرَ ذَلِكَ؟»، قُلْتُ: هُوَ ذَاكَ، قَالَ: «فَأَعِنِّي عَلَى نَفْسِكَ بِكَثْرَةِ السُّجُودِ))**[٤]. وفي الحديث دلالة على فضيلة السجود، وأنه يستعان به على تنزيه النفس من الصفات الذميمة، وتحليتها بكريم الأخلاق، وفي

---

[١] ابن القيم، زاد المعاد في هدي خير العباد (٣/ ٩).

[٢] أخرجه أبو عبد الله، مسند الإمام أحمد بن حنبل، مسند فضالة بن عبيد الأنصاري رضى الله تعالى عنه، ح(٢٤٠١٣) (٢٢/٦) من طريق رِشْدِينُ بْنُ سَعْدٍ، عَنْ حُمَيْدٍ أَبِي هَانِئٍ الْخَوْلَانِيِّ، عَنْ عَمْرِو بْنِ مَالِكٍ، عَنْ فَضَالَةَ بْنِ عُبَيْدٍ رضي الله عنه، ورشدين ضعيف انظر تقريب التهذيب (ص: ٢٠٩)، وتابعه الليث بن سعد وهو ثقة، انظر تقريب التهذيب (ص:)، أخرج طريقه ابن حبان في صحيحه ح٤٨٦٢، (١١ / ٢٠٣) ، والحديث له شاهد في صحيح البخاري من حديث ابن عمر رضي الله عنه بلفظ: " الْمُسْلِمُ مَنْ سَلِمَ الْمُسْلِمُونَ مِنْ لِسَانِهِ وَيَدِهِ ، وَالْمُهَاجِرُ مَنْ هَجَرَ مَا نَهَى اللهُ عَنْهُ" ح١٠، (١٣/١). واخترت رواية أحمد لأن فيها " من جاهد نفسه".

[٣] ابن الملك، شرح المصابيح (١/ ٦٨).

[٤] أخرجه مسلم، المسند الصحيح، كتاب الصلاة - باب فضل السجود والحث عليه - ح(٤٨٩)، (١/ ٣٥٣). من حديث رَبِيعَةُ بْنُ كَعْبٍ الْأَسْلَمِيُّ رضي الله عنه.

هذا المعنى قوله ـ صلّى الله عليه وسلّم ـ: **((أَقْرَبُ مَا يَكُونُ الْعَبْدُ مِنْ رَبِّهِ وَهُوَ سَاجِدٌ فَأَكْثِرُوا الدُّعَاءَ))**[١][٢].

ولما كان دعاء النبي -صلّى الله عليه وآله وسلّم- لهذا الصحابي سببا في رفع درجاته وكانت نفسه إذا تركها لهواها، مانعة له من ذلك الرفع، فصار الدعاء النبوي والنفس الأمارة كالمتنازعين فيه، أمره بأن يعينه على نفسه بكثرة السجود، ولم يقل له أعني على مطلوبك أو تحصيل مرادك، بل قال له: أعني على نفسك، وفي هذا تنبيه له على أنّ النفس هي المعرقلة للعبد عن الصعود في سلم السعادة، وأنّه إذا قهرها وغلبها فقد تيسرت له أسباب الكمال[٣].

ولسان حال النبي -صلّى الله عليه وسلّم- يقول للصحابي كُنْ عونًا لي في إصلاح نفسك، واجعَلْها طاهرةً مستحقةً لِمَا تطلب؛ فإني أَطلبُ إصلاحَ نفسك من الله، وأطلبُ منه أيضًا إصلاحَها بكثرة السجود؛ فإن السجودَ كاسرٌ للنفس مُذِلٌّ لها، وأيُّ نفسٍ انكسرت، فذلَّتْ وانقادَتْ استحقَّتِ الرحمةَ[٤].

ويمكن تربية النفس واصلاحها من أجل حياة سعيدة، باتباع هذه الخطوات:

- تمحيص نفسه وتطهيرها، فقد أراد الله للنفس البشرية أن تصفو من خلال تحملها للشدائد والمحن، ورضاها بقضاء الله وصبرها على البلاء وشكرها على النعم.
- وضعها في موضعها الصحيح، دون مبالغة في مدحها أو إنقاص من قدرها.
- تعليمها الطاعة من خلال الترغيب، وردّها عن المعصية بالترهيب.
- تقوية علاقتها مع خالقها عن طريق تمجيده وتسبيحه وتقديسه وتحميده، وكثرة ذكره واستشعار مراقبة الله تعالى دائمًا.
- التطلع إلى المثل الأعلى من القيم والعادات: النفس الإنسانية لا بدّ وان ترتقي من خلال تدريبها على مكارم الأخلاق، وأن ترتبط بخالقها، وأن تخضع في كل أمورها لله[٥].

---

[١] أخرجه مسلم، المسند الصحيح، كتاب الصلاة ، باب ما يقال فِي الركوع والسجود – ٤٨٢، (٢ / ٤٩) . من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

[٢] المغربي، البدر التمام شرح بلوغ المرام (٣/ ٢٣٣).

[٣] الصنهاجي، عبد الحميد محمد بن باديس(ت ١٣٥٩هـ) ، **مجالس التذكير من حديث البشير النذير**، مطبوعات وزارة الشؤون الدينيّة، ط١ ـ ١٤٠٣هـ ـ ١٩٨٣م (ص: ٥١).

[٤] المظهري، المفاتيح في شرح المصابيح (٢/ ١٥٣).

[٥] ينظر بتصرف قليل: صبحي، الإنسان وصحته النفسية (ص٤٠-٤٣).

المطلب الرابع: النظر إلى الأقل في أمور الدنيا

إن القناعة كنز، والرضا غاية، وتدريب النفس على التفكير الإيجابي أهم وسيلة للوصول إلى القناعة والرضا، وفي ذلك يعلمنا النبي صلى الله عليه وسلم ما يدعم شخصية المؤمن السوية، ويقوي قدرتها على مواجهة الحياة، بقوله -صلّى الله عليه وسلّم-: ((**إِذَا نَظَرَ أَحَدُكُمْ إلى مَنْ فُضِّلَ عَلَيْهِ في المَالِ والخَلْقِ فَلْيَنْظر إلى مَنْ هو أسْفَلَ مِنْهُ**))(١)

أي إذا امتدت عين المسلم عفوًا وعن غير قصد إلى من يفوقه مالًا أو جسمًا أو صورة، وتأثر بذلك نفسيًا " فلينظر إلى من هو أسفل منه " يعني فليوجه بصره قصدًا إلى من هو أقل منه مالًا، وأدنى جسمًا، وصورة من فقراء الناس وضعفائهم، حتى يشعر بالنعمة التي هو فيها، ويشكر الله عليها(٢).

وفي هذا الحديث إرشاد للمسلم إلى أفضل الوسائل التي تؤدّي به إلى السعادة النفسيّة، وتشعره بالرضا بما قسم له، وهو أن ينظر في أمور الدنيا إلى من هو أقل منه مستوى، فإنه إذا فعل ذلك شعر بالارتياح النفسي حتمًا، وفاض قلبه بالشكر والامتنان لله تعالى، فكان من الصابرين الشاكرين، وفي العمل بهذا الحديث وقاية للإنسان من كثير من الأمراض النفسية كالحسد والحقد والشر، وغيرها(٣).

وهذا الحديث يكوّن لدى المسلم مناعة نفسية تقويه وتقوده إلى السعادة الحقيقية، وفي الحديث تدريب للمؤمن على ضبط نفسه وإدارتها نحو طريق الهداية والطمأنينة.

---

(١) أخرجه: البخاري، الجامع الصحيح، كتاب الرقاق - باب لينظر إلى من هو أسفل منه ولا ينظر إلى من هو فوقه – ح(٦١٢٥)، (٥/ ٢٣٨٠). ومسلم، المسند الصحيح، كتاب الزهد والرقائق – ح(٢٩٦٣)، (٥/ ٢٣٨٠). من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) قاسم، منار القاري شرح مختصر صحيح البخاري (٥/ ٢٩٨).

(٣) قاسم، منار القاري شرح مختصر صحيح البخاري (٥/ ٢٩٨).

المطلب الخامس: التوبة إلى الله تعالى

التوبة هي الرجوع عن الذنب والاقلاع عنه، والندم بالقلب، والاستغفار باللسان، والإقلاع بالبدن، والإضمار على ألا يعود(١)، ومتى صدق عزم العبد على التوبة رزق الانشراح ووفق للطاعة، وشعر بالسعادة الحقيقية التي تملأ قلبه حبًّا لله عز وجل.

وتعد التوبة من مؤشرات السعادة في السّنّة النبوية، لما فيها من تعاهد العبد نفسه على الخير والإيجابية، وعلى الإنتاجية والإنجاز، فهي تحافظ على التوازن في شخصية المؤمن، وتدعوه للخيريه والتخلص من عناء الشعور بالذنب والاكتئاب.

- قال النبي -صلّى الله عليه وسلّم- لكعب في حديث توبته: ((**أبشر بخير يوم مر عليك منذ ولدتك أمك، قال كعب رضي الله عنه: قلت أمن عندك يا رسول الله أم من عند الله قال -صلّى الله عليه وسلّم-: لا بل من عند الله**))(٢)، جعل النبي -صلّى الله عليه وسلّم- خير يوم مر على كعب هو يوم توبته، وبشره به لما فيه من تكفير للسيئات ورفع للدرجات.

قوله صل الله عليه وسلّم- (أبشر بخير يوم مرّ عليك منذ ولدتك أمك) أي سوى يوم إسلامه بيوم توبته وإن لم ينطق به، أو أن يوم توبته مكمل ليوم إسلامه(٣)، وهذه الخيرية سبب للسعادة الحقيقية والسكينة.

قال الحافظ ابن حجر في شرحه للحديث: "يوم توبته مكمّل ليوم إسلامه **فيوم إسلامه بداية سعادته** ويوم توبته مكمّل لها، فهو خير جميع أيامه وإن كان يوم إسلامه خيرها فيوم توبته المضاف إلى إسلامه خير من يوم إسلامه المجرد عنها والله أعلم"(٤).

---

(١) ينظر: الجرجاني، التعريفات (ص: ٧٠)

(٢) أخرجه: البخاري، الجامع الصحيح، كتاب المغازي - باب حديث كعب بن مالك - ح(٤١٥٦)، (١٦٠٣/٤)، وح(٢٦٠٦). ومسلم، المسند الصحيح، كتاب التوبة - باب حديث توبة كعب بن مالك وصاحبيه – ح(٢٧٦٩)، (٢١٢٠/٤). من حديث كعب بن مالك رضي الله عنه.

(٣) القسطلاني ، إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري (٦/ ٤٥٧).

(٤) ابن حجر، فتح الباري شرح صحيح البخاري (٨/ ١٢٢).

قَالَ رَسُولُ اللهِ -صلّى اللهُ عَلَيْهِ وسلّم-: ((**لَلَّهُ أَشَدُّ فَرَحًا بِتَوْبَةِ أَحَدِكُمْ مِنْ أَحَدِكُمْ بِضَالَّتِهِ إِذَا وَجَدَهَا**))(١). أي: تقع التوبة من الله تعالى في القبول والرضا به موقعا يقع في مثله ما يوجب فرط الفرح ممن يتصور في حقه ذلك(٢).

قال القسطلاني: "**والتوبة أهم** قواعد الإسلام وهي أول مقامات سالكي الآخرة وبها سعادة الأبد"(٣).

وقال ابن القيم: "فالتوحيد: يفتح للعبد باب الخير والسرور واللّذة والفرح والابتهاج، والتوبة استفراغ للأخلاط والمواد الفاسدة التي هي سبب أسقامه، وحمية له من التخليط، فهي تغلق عنه باب الشرور، **فيفتح له باب السعادة والخير بالتوحيد، ويغلق باب الشرور بالتوبة والاستغفار**"(٤)، فالتوبة عملية نفسية مهمة لتنقية النفس البشرية وتطهيرها من كل ما يخالطها من فساد وسلبية.

---

(١) أخرجه مسلم، المسند الصحيح، كتاب التوبة - باب في الحض على التوبة والفرح بها – ح(٢٦٧٥)، (٤/ ٢١٠٢). من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) البيضاوي، تحفة الأبرار شرح مصابيح السنّة (٢/ ٧٢).

(٣) القسطلاني، **إرشاد الساري** (٩/ ١٧٧).

(٤)ابن القيم، زاد المعاد في هدي خير العباد (٤/ ١٨٦).

المطلب السادس: أثر الاستخارة في طمأنينة القلب وعلاج القلق

الاستخارة نعمة من الله أنعم بها سبحانه على العباد، فكم من أمر احتار به العبد وحزن وضاق، ثم استخار الله تعالى وهو العالم بكل الأمور خيرها وشرها، ففتح الله له الخير أينما كان، وفي هذا قَالَ رَسُولُ اللهِ -صلّى اللهُ عَلَيْهِ وسلّم-: ((**مِنْ سَعَادَةِ ابْنِ آدَمَ رِضَاهُ بِمَا قَضَى اللهُ لَهُ، وَمِنْ شَقَاوَةِ ابْنِ آدَمَ تَرْكُهُ اسْتِخَارَةَ اللهِ، وَمِنْ شَقَاوَةِ ابْنِ آدَمَ سَخَطُهُ بِمَا قَضَى اللهُ لَه**))(١).

والاستخارة هي طلب الخيرة في الأمر الذي يريده العبد كما علمنا رسول الله -صلّى الله عليه وسلّم- بالصلاة والدعاء المعروفين، ومن استخار الله حصلت له السعادة والراحة والطمأنينة والرضا، فقد فوض أمره واختياره لله سبحانه الذي يعلم الأصلح له، فهدأت نفسه وسكنت واكتملت

---

(١)أخرجه: الترمذي، الجامع الكبير، أبواب القدر عن رسول الله صلى الله عليه وسل، باب ما جاء في الرضا بالقضاء، ح٢١٥١ ، (٢٤/٤) قال الألباني: ضعيف.

هذا الحديث حسنه ابن حجر انظر فتح الباري شرح صحيح البخاري: (١١ / ١٨٧)، وقال العيني: لا يصح إسناده، انظر عمدة القاري شرح صحيح البخاري: (٧ / ٢٢١)، والحديث صححه الحاكم أيضا، وسكت عنه الذهبي انظر الحاكم، المستدرك على الصحيحين، ح١٩٠٣، (١/ ٦٩٩)، وفي الميزان في ترجمة محمد بن أبي حميد قال الذهبي: هو حماد بن أبي حميد، ضعفوه انظر الذهبي، ميزان الاعتدال في نقد الرجال، تحقيق: علي محمد البجاوي، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت – لبنان، ط١، ١٣٨٢ هـ - ١٩٦٣ م، (٥٣١/٣)، وذكر الذهبي حديث الاستخارة في ترجمته، والترمذي: "بعد ذكر الحديث كما سبق قال هذا حديث غريب لا نعرفه إلا من حديث محمد بن أبي حميد، ..، وليس هو بالقوي عند أهل الحديث".

فمن العلماء من صحح الحديث كابن حجر والحاكم، ومنهم من ضعفه كالترمذي والعيني، ورجال هذا الحديث كلهم ثقات إلا محمد بن أبي حميد، قال عنه الإمام أحمد: أحاديثه أحاديث مناكير انظر:الجرح والتعديل (٧ / ٢٣٣)، وقال عنه البخاري: منكر الحديث، وقال النسائي: ليس بثقة. انظر: الكامل في ضعفاء الرجال (٢٤٠/٢)، وخلاصة القول فيه حسب دراستي للراوي ضعيف يكتب حديثه للمتابعة، فلم يوثقه إلا ابن شاهين وضعفه باقي علماء الجرح والتعديل على اختلاف عباراتهم. انظر: تهذيب الكمال في أسماء الرجال (١١٢/٢٥). تهذيب التهذيب(٩ / ١١٧). ولخص القول فيه ابن حجر بقوله: تقريب التهذيب(ص:٤٧٥). ومدار هذا الحديث على إسماعيل بن محمد وهو ثقة حجة، وهو راو مجمع على توثيقه، لخص القول فيه ابن حجر فقال: ثقة حجة، انظر تقريب التهذيب: (ص:١٠٩)، رواه عنه محمد بن أبي حميد وعبدالرحمن بن أبي بكر، لكن عبدالرحمن قال عنه ابن معين: ضعيف، انظر ابن أبي حاتم، الجرح والتعديل (٥ / ٢١٧).، و قال ابن عدي: هو في جملة من يكتب حديثه انظر ابن عدي، الكامل في الضعفاء (٤ / ٢٩٥). وخلاصة القول فيه ضعيف يكتب حديثه للمتابعة حسب دراستي للراوي ضعفه غالب علماء الجرح والتعديل على اختلاف عباراتهم، إلا الساجي قال: صدوق ، فيه ضعف يحتمل. انظرتهذيب التهذيب: (٢ / ٤٩١)، وقال أبو حاتم: ليس بقوي في الحديث. انظر الجرح والتعديل (٥ / ٢١٧) ولخص القول فيه ابن حجر فقال: ضعيف، تقريب التهذيب: (ص:٣٣٧). وروى عبد الرحمن هذا الحديث بإسنادين كلاهما لا يصلحان للاعتضاد: الأول فيه مع ضعف عبد الرحمن شدة تدليس عمر بن علي، قال أبو حاتم : "محله الصدق ولولا تدليسه لحكمنا له إذا جاء بزيادة ، غير أنا نخاف بأن يكون أخذه عن غير ثقة" انظر ابن أبي حاتم، الجرح والتعديل (٦/ ١٢٥)، وقال ابن حجر: "عمر بن علي المقدمي من أتباع التابعين ثقة مشهور كان شديد الغلو في التدليس وصفه بذلك أحمد وابن معين والدارقطني وغير واحد وقال بن سعد ثقة وكان يدلس تدليسا شديدا يقول ثنا ثم يسكت ثم يقول هشام بن عروة أو الاعمش أو غيرهما قلت وهذا ينبغي أن يسمى تدليس القطع". انظر:تعريف أهل التقديس بمراتب الموصوفين بالتدليس(ص: ٥٠). والإسناد الثاني فيه مع ضعف عبد الرحمن ضعف عمران بن أبان وهو راو مختلف فيه، حسب دراستي له هو ضعيف وأكثر الأئمة على تضعيفه وهو مقل، ولخص القول فيه ابن حجر فقال: ضعيف. انظر تقريب التهذيب: (ص: ٤٢٨)، تهذيب التهذيب: (٨/ ١٢١). ويظهر أنه وهم فيه إذ جعل مدار الحديث راوي آخر غير إسماعيل، فهذا حديث ضعيف فيه أكثر من علة ومحمد بن أبي حميد روى بنفس هذا الإسناد حديث "حديث أربع من السعادة" ولم يضبط ألفاظه فالظاهر والله أعلم أنه ضعيف وغير ضابط، لذلك رجحت تضعيف الحديث من أجل حماد بن أبي حميد وليس للحديث متابع صحيح، أو شاهد يرقيه.

سعادتها[١]، ومن سعادة ابن آدم أيضًا رضاه بما قضى الله له من خير أو غيره فإنه لا يقضي تعالى لعبده إلا بكل خير وإن كان شرًّا في صورته وما يراه، وجملة من شقاوة ابن آدم تركه استخارة الله تحمل معنين إما ترك الاستخارة ابتداء فلا يستخير الله في أموره، أو ألا يرضى بما استخار الله له ويتركه، ومِن شقاوة ابن آدم سخطُه"؛ أي: غضبه، "بما قضى الله تبارك وتعالى" من الآفات والفقر والمرض وغير ذلك[٢].

والرضا بقضاء الله وهو ترك السخط علامة سعادة العبد وإنما كان علامة سعادة العبد لأمرين: أحدهما: ليتفرغ للعبادة؛ لأنه إذا لم يرض بالقضاء، يكون أبدا مهموما مشغول القلب بحدوث الحوادث، ويقول: لم كان كذا ولم لا يكون كذا؟ والثاني: لئلا يتعرض لغضب الله تعالى بسخطه، وسخط العبد أن يذكر غير ما قضى الله له ويظن أنه أصلح وأولى[٣].

وقد كان النبي صلى الله عليه وسلم يدرب المسلمين على التخلص من العناء النفسي، وعلى التوكل والرضا في كل الأمور، فعَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قَالَ: **كَانَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُعَلِّمُنَا الِاسْتِخَارَةَ فِي الْأُمُورِ كَمَا يُعَلِّمُنَا السُّورَةَ مِنَ الْقُرْآنِ، يَقُولُ: إِذَا هَمَّ أَحَدُكُمْ بِالْأَمْرِ ، فَلْيَرْكَعْ رَكْعَتَيْنِ مِنْ غَيْرِ الْفَرِيضَةِ ، ثُمَّ لِيَقُلِ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْتَخِيرُكَ بِعِلْمِكَ ، وَأَسْتَقْدِرُكَ بِقُدْرَتِكَ ، وَأَسْأَلُكَ مِنْ فَضْلِكَ الْعَظِيمِ ، فَإِنَّكَ تَقْدِرُ وَلَا أَقْدِرُ ، وَتَعْلَمُ وَلَا أَعْلَمُ ، وَأَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ ، اللَّهُمَّ إِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنَّ هَذَا الْأَمْرَ خَيْرٌ لِي فِي دِينِي وَمَعَاشِي وَعَاقِبَةِ أَمْرِي ، أَوْ قَالَ: عَاجِلِ أَمْرِي وَآجِلِهِ ، فَاقْدُرْهُ لِي ، وَيَسِّرْهُ لِي ، ثُمَّ بَارِكْ لِي فِيهِ ، وَإِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنَّ هَذَا الْأَمْرَ شَرٌّ لِي ، فِي دِينِي وَمَعَاشِي وَعَاقِبَةِ أَمْرِي ، أَوْ قَالَ: فِي عَاجِلِ أَمْرِي وَآجِلِهِ ، فَاصْرِفْهُ عَنِّي ، وَاصْرِفْنِي عَنْهُ ، وَاقْدُرْ لِي الْخَيْرَ حَيْثُ كَانَ ، ثُمَّ أَرْضِنِي. قَالَ: وَيُسَمِّي حَاجَتَهُ**[٤].

---

(١) ينظر: الكحلاني، التنوير شرح الجامع الصغير (٩/ ٥٩٣)

(٢) ابن الملك، شرح المصابيح (٥/ ٤٤٠)

(٣) الطيبي، الكاشف عن حقائق السنن (١٠/ ٣٣٣٨).

(٤) أخرجه البخاري، الجامع الصحيح، أبواب التهجد - باب ما جاء في التطوع مثنى مثنى- ح ١١٠٩، (١/ ٣٩١) من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنه.

ففي حالة القلق يعلم النبي صلى الله عليه وسلم أمته دعاء الاستخارة بارجاع الامر لعلم الله وفضله، ولا سيما عند اتخاذ القرار حيث الحيرة والهم، وفي قوله صلى الله عليه وسلم" **فرضني به**" غاية السعادة والطمأنينة والسكينة[١].

قال ابن القيم: "فتأمل كيف وقع المقدور مكتنفًا بأمرين: **التوكل** الذي هو مضمون الاستخارة قبله، **والرضا** بما يقضي الله له بعده، **وهما عنوان السعادة**"[٢].

---

(١) ينظر: عجين، الذكاء العاطفي الذاتي وتطبيقاته في السّنّة النبوية (ص:٦١)

(٢) ابن القيم، زاد المعاد في هدي خير العباد (٢/ ٤٠٥).

المطلب السابع: الحاجة إلى الأمن

الذين يواجهون حياتهم بإحساس الأمان هم أسعد من أولئك الذين يواجهونها بإحساس عدم الأمان(١).

الأمن النفسي عنصر مهم من عناصر السعادة، وإذا كان الأمن مستمد من الإيمان الحق، فانه لاشك يساعد الفرد على سرعة استعادته لتوافقه(٢).

ومن الدوافع النفسية الحاجة الى الأمن، ويمكن تصورها في ثلاث ظواهر هي : الأمن إلى الحياة، الأمن النفسي، الأمن الحيوي، والأمن الحيوي يندرج ضمن الحاجات البيولوجية الطعام الشراب .. الخ ، حيث تشكل حاجات مستقبلة لا مناص من اشباعها بغية استمرار الكائن الآدمي، والأمن النفسي يشكل حاجة ملحة لا تصل الى ما هو حيوي لكنها قد تشكل فاعلية اشد منه، والحاجة الى الحياة تشكل قمة الحاجات الإنسانية(٣).

ويعد الخوف على رأس قائمة الانفعالات الاصلية التي يواجهها الانسان، واذا كان الانسان هو الموجود البشري الذي لا يكاد يكف عن البحث عن الامن فما ذلك الا لانه مهدد بعديد من الاخطار فهو يتأرجح بين مخاوف تاتيه من الخارج ومخاوف تاتيه من الداخل وهي مصوبة نحو ذاتها نفسها، ويحتاج الانسان الى الشعور بالامن لان هذا الشعور اذا تلاشى أصبحت حياته نهبا للمخاطر والمخاوف المستمر، والانسان الذي تستبد به المخاوف لا يستطيع ان يؤدي دوره كاملا ولا يستطيع ان يتحمل المسؤولية ، حيث يزعزع الخوف اركان شخصيته فيجعلها مهزوزة لايمكن الاعتماد عليها او الاسترشاد بها(٤).

---

(١) راسل، انتصار السعادة (ص:١٩٣).

(٢)رعود، أسماء، **الاضطرابات النفسية بين السيكولوجا والمنظور الإسلامي**، مؤسسة العلوم النفسية العربية- مجلة البحث والدراسة في التراث النفسي – عدد٨ -٢٠١٤، (ص٤٦).

(٣) البستاني، محمود، **الإسلام وعلم النفس**، مجمع البحوث الإسلامية – لبنان – ط١، ١٩٩٢، (ص٢٣٨).

(٤) صبحي، الإنسان وصحته النفسية(ص:٩٩).

ومن النعم الكبيرة التي دلنا عليها النبي -صلّى الله عليه وسلّم-، وفيها سعادة الفرد والمجتمع نعمة الأمن، والأمن هو عدم توقع مكروه في الزمن الآتي، وأصله طمأنينة النفس وزوال الخوف[١]، وهو بلا شك نعمة كبيرة وسبب من أسباب السعادة، وفي بيان نعمة الأمن قالَ رَسُولُ اللهِ -صلّى اللهُ عَلَيْهِ وسلّم-: ((**مَنْ أَصْبَحَ مِنْكُمْ آمِنًا فِي سِرْبِهِ مُعَافًى فِي جَسَدِهِ، عِنْدَهُ قُوتُ يَوْمِهِ فَكَأَنَّمَا حِيزَتْ لَهُ الدُّنْيَا**)). [٢]، ومعنى الحديث أي: أيّها المؤمنون من أصبح منكم آمنًا غير خائف من عدوّ أو من أسباب عذابه تعالى بالتوبة عن المعاصي والعصمة عن المناهي، ولذا قيل: ليس العيد لمن لبس الجديد إنما العيد لمن أمن الوعيد، وفي سربه أي: في نفسه، وقيل: السرب الجماعة، فالمعنى في أهله وعياله، وقيل: في مسلكه وطريقه، وقيل: في بيته، والسرب يقال للبيت الذي هو في الأرض، وعلى هذا يكون المراد من الحديث المبالغة في حصول الأمن ولو في بيت تحت الأرض ضيق كجحر الوحش، أو التشبيه به في خفائه وعدم ضيائه، و"معافىً" صحيحًا سالمًا من العيوب، و" في جسده " أي: في بدنه ظاهرًا وباطنًا، و"عنده قوت يومه" أي: كفاية قوته من وجه الحلال، ومن حصل له ذلك " فكأنّما حيزت": بصيغة المجهول من الحيازة، وهي الجمع والضم له، أي جمعت له الدنيا بحذافيرها أي بتمامها، والحذافير: الجوانب، وفي هذا الحديث تقرير أنّ من حصل له ذلك فكأنّما أعطي الدنيا بأسرها[٣].

الحاجة إلى الأمن والأمان من الحاجات الأساسية للإنسان، التي تأتي في الأهمية بعد الحاجة إلى الطعام والماء، فهي تؤثر على جميع حاجات الإنسان: الجسمية والنفسية والاجتماعية والروحية وتتأثر بها، وبدون الأمن والأمان تضعف النفس وتضطرب ويشقى الإنسان بحياته[٤].

والأمان في زمننا هذا زمن الحروب والآلام والله المستعان أكبر النعم، فعلى العبد استشعار هذه النعمة الكبيرة، فكم من مجتمعات تفكّكت، وأسر هدّمت، وأطفال قتلوا، وبيوت هدمت.

---

[١] المناوي، التوقيف على مهمات التعاريف (ص: ٦٣).

[٢] سبق تخريجه ص٣٩.

(٣) القاري، مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح (٨/ ٣٢٥٠).

(٤) موسى، السعادة وتنمية الصحة النفسية (ص:٨٥).

والأمن لا يأتي من فراغ، نعم هو رزق من الله تعالى، لكن يجب على العبد الحرص عليه ومعاونة بلده وطاعة ولي أمره، والسعي في رقي مجتمعه والحفاظ على أمنه وأمانه.

ومن فقه ابن رجب رحمه الله قوله: وقوله -صلّى الله عليه وسلّم- أوصيكم بتقوى الله والسمع والطاعة فهاتان الكلمتان يجمعان سعادة الدنيا والآخرة" إلى أن قال:"وأمّا السَّمع **والطاعة لوُلاة أُمور المسلمين**، **ففيها سعادةُ الدُّنيا**، وبها تنتظِمُ مصالحُ العباد في معايشهم، وبها يستعينون على إظهار دينهم وطاعةِ ربِّهم"(١)، فطاعة ولي الأمر من مؤشرات السعادة الهامة والتي تنتظم بها الحياة الآمنة.

ومن جوامع كلمه صلى الله عليه وسلم جمع هذه الأمور الثلاثة في هذا الحديث فقد جمع جوانب الأمن كلها – الأمن النفسي والحيوي والأمن إلى الحياة -، فمن أصبح في أي مكان كان سواء في قصر أو في كوخ صغير أصبح وعنده ما يكفي حاجته ليومه، وهو في صحة وأمان، فهذه والله النعمة الكبرى، والسعادة العظمى التي وصفها النبي -صلّى الله عليه وسلّم- بقوله حيزت له الدنيا، فكونك تأمن على نفسك وعيالك وأهلك، وأنت في صحة وعافية وعندك كفايتك فاحمد الله تعالى، وكن عبدا صالحا منتجا، وحقق العبودية بشتى أنواعها حتى تحصل لك السعادة الحقيقية في الدارين.

---

(١) ابن رجب، جامع العلوم والحكم (٢/ ٧٦٧).

المطلب الثامن: المحافظة على الصحة البدنية

تعتبر الصحة من المكونات الهامة للشعور بالهناء وهي بحق أحد عناصره الموضوعية وترتبط ارتباطا وثيقا بالسعادة، ورغم هذا فالسعادة تسبب الصحة أيضا، مثلما العكس صحيح، ويفيد التدين الصحة كما يزيد السعادة(١).

والصحة الجيدة الحقيقية ترتبط على نحو حقيقي بالسعادة، والصحة المعتلة على نحو متوسط لا تسبب عدم السعادة ولكن المرض الشديد يفعل ذلك بالتأكيد(٢).

وفي ارتباط الصحة في السعادة جاء قول الرسول -صلّى اللهُ عَلَيْهِ وسلّم-: **((نِعْمَتَانِ مَغْبُونٌ فِيهِمَا كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ الصِّحَّةُ وَالْفَرَاغُ))** (٣)

نعمتان تثنية نعمة وهي الحالة الحسنة، (مغبون فيهما) أي في النعمتين كثير من الناس، وهما الصحة في البدن والفراغ من الشواغل بالمعاش المانع له عن العبادة، والغَبن النقص في البيع، فقد غبن صاحبهما فيهما أي باعهما ببخس لا تحمد عاقبته أو ليس له رأي في ذلك البتة فقد يكون الإنسان صحيحًا ولا يكون متفرغًا للعبادة لاشتغاله بالمعاش وبالعكس، فإذا اجتمع الصحة والفراغ وقصر في نيل الفضائل، فذلك الغبن كلّ الغبن لأنّ الدنيا سوق الأرباح ومزرعة للآخرة وفيها التجارة التي يظهر ربحها في الآخرة، فمن استعمل فراغه وصحته في طاعة مولاه فهو المغبوط، ومن استعملهما في معصية الله فهو المغبون لأنّ الفراغ يعقبه الشغل والصحة يعقبها السقم ولو لم يكن إلّا الهرم(٤).

والصحة هي حالة أو ملكة بها تصدر الأفعال عن موضعها سليمة، والصحة في البدن حالة طبيعية تجري أفعاله على المجرى الطبيعي(٥)، والفراغ وقت خال من الشواغل والأعمال، ومن استغل هذين الأمرين فهو الرابح السعيد، فالصحة نعمة كبيرة إذا استغل العبد صحته في طاعة الله وعبادته حصل له الأجر الكبير، ويدرك هذا الفضل المريض الذي يتمنى الصحة حتى يعبد

---

(١) أرجايل، سيكولوجية السعادة (ص:٢١٩ ،٢٤٣).

(٢) سيلجمان، السعادة الحقيقية (ص: ٨١-٨٢).

(٣) سبق تخريجه ص٢٣١.

(٤) القسطلاني، إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري (٩/ ٢٣٦).

(٥) المناوي، التوقيف على مهمات التعاريف (ص: ٢١٢).

الله على أكمل وجه، والفراغ نعمة كبيرة وفضيلة لمن استغله في الطاعات، فمن كان عنده فراغ وشغله في الطاعات فهو السعيد الرابح، الذي يحظى برضى الله عنه وبالحسنات وبالراحة النفسية، بخلاف من شغل وقت فراغه بالمعاصي والآثام، فنفس الإنسان إن لم تشغلها بالطاعة شغلته بغيرها، والمؤمن الفطن يشغل وقته بالطاعات والعبادات ويشغل وقت فراغه بما يرضي الله تعالى، ويعلم حقيقة فضل شغل وقت الفراغ من امتلأ وقته بالأعمال والكسب والمعاش وقصر وقت فراغه، فعلى الإنسان أن يستغل وقت فراغه قبل شغله، ووقت صحته قبل مرضه.

و يلحظ القارئ أن من أسباب السعادة ومؤشراتها ما يكون بكسب العبد وجهده ومنها ما يكون رزق من الله كالصحة وطول العمر، لكن للعبد الدعاء والتضرّع إلى الله تعالى حتى يحظى بكل أسباب السعادة ويعيش حياة طيبة هانئة عامرة بذكر الله تعالى.

المطلب التاسع: التخلص من العناء النفسي

التخلص من العناء النفسي لا يتوقف بالتخلص من أنواع السلوك الرضي ولا من الأفكار والابنية المعرفية التي تستنتج عليها هذه الاعراض، بل أيضا بالتركيز على الجانب الإيجابية وجوانب الصحة والقوة لتغذيتها بالمزيد من التطور والدعم، ولهذا فمحك فاعلية التخلص من العناء النفسي والحكم بالصحة النفسية تتطلب التخلص من المرض والتخفيف من الاعراض التي تصيب الشخص، وتتطلب فضلا عن هذا ان يتسم سلوك الفرد بخصائص صحية جديدة يمكن من خلالها ان نحكم عليه بانه مثلا اصبح يتصف بالايجابية والفاعلية والرضا النفسي وفيه من الصفات الدالة على الصحة النفسية والاتزان الاجتماعي والوجداني(١).

وفي هذا قال الرسول صلى الله عليه وسلم: **((مَا يُصِيبُ الْمُسْلِمَ مِنْ نَصَبٍ وَلَا وَصَبٍ وَلَا هَمٍّ وَلَا حَزَنٍ وَلَا أَذًى وَلَا غَمٍّ ، حَتَّى الشَّوْكَةِ يُشَاكُهَا إِلَّا كَفَّرَ اللهُ بِهَا مِنْ خَطَايَاهُ))**(٢). فالمؤمن لا ينظر للابتلاء من حيث عنائه، بل بنتائجه من الثواب العظيم والغفران، فيصبر ويحتسب بروح إيجابية ونفس تواقة للقاء الله سبحانه وللأجر والثواب من رب العباد، لذلك كان في اتباع منهج النبي صلى الله عليه وسلم في الحياة السلامة من العناء النفسي وتحقق الرضا والطمأنينة.

ويمكن تمييز الشخص الذي يعاني من العناء النفسي على أساس ثلاث أمور: الادراك المختل لنفسه، والسلوك غير الملائم، والشعور بالتعاسة(٣).

ويكون العناء النفسي كالاكتئاب والخوف والقلق نتيجة الإحساس بانعدام أو نقصان الأمن الذي يحققه الإيمان بالله تعالى وما تزوده العبادات من طمأنينة وسكينة(٤).

---

(١) حلاوة، علم النفس الإيجابي (ص:٦).

(٢) أخرجه البخاري، الجامع الصحيح، كتاب المرضى - باب ما جاء في كفارة المرض-ح ٥٣١٨، (٥/ ٢١٣٧)واللفظ له. ومسلم، المسند الصحيح، كتاب البر والصلة والآداب ، باب ثواب المؤمن فيما يصيبه من مرض أو حزن – ح٢٥٧٣، (١٦/٨) بنحوه. كلاهما من حديث أبي سعيد الخدري وأبي هريرة رضي لله عنه.

(٣) نجاتي، الحديث النبوي وعلم النفس (ص:٣٠٥).

(٤) ينظر: رعود، الاضطرابات النفسية (ص:٤٦).

وقد كان النبي صلى الله عليه وسلم يتعوذ من كل أنواع العناء والشقاء وأمر أمته بذلك، فقال -صلّى الله عليه وسلّم-: **((تعوذوا بالله من جهد البلاء، ودرك الشقاء، وسوء القضاء، وشماتة الأعداء))**(١).

وكان يقول -صلّى الله عليه وسلّم-: ((**اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْعَجْزِ وَالْكَسَلِ ، وَالْجُبْنِ ، وَالْبُخْلِ ، وَالْهَرَمِ ، وَعَذَابِ الْقَبْرِ اللَّهُمَّ آتِ نَفْسِي تَقْوَاهَا ، وَزَكِّهَا أَنْتَ خَيْرُ مَنْ زَكَّاهَا ، أَنْتَ وَلِيُّهَا وَمَوْلَاهَا ، اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ عِلْمٍ لَا يَنْفَعُ ، وَمِنْ قَلْبٍ لَا يَخْشَعُ ، وَمِنْ نَفْسٍ لَا تَشْبَعُ ، وَمِنْ دَعْوَةٍ لَا يُسْتَجَابُ لَهَا**)).(٢)

ولا سواء للنفس، ولا صحّة لها إلّا بالقرب من خالقها، واتّباع منهج النبي -صلّى الله عليه وسلّم-، ولا يمكن التخلص من العناء إلا بالتركيز على الجوانب الإيجابية والتي تكون باتباع منهج النبي صلى الله عليه وسلم، وفيما يلي بيان لخطوات السواء النفسي:

- **تحقيق الإيمان بالله تعالى**

قال تعالى: {وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى} [طه: ١٢٤]

وقال الرسول صلى الله عليه وسلم: ((**أَسْعَدُ النَّاسِ بِشَفَاعَتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ، مَنْ قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ خَالِصًا مِنْ قَلْبِهِ أَوْ نَفْسِهِ**))(٣).

فالإيمان أساس كل سعادة، وهو المعنى الوجودي للخلق، وفي فقدانه أو نقصه كل عناء.

ويعد سعي الانسان الى البحث عن معنى بمثابة قوة تدفعه لكي يدافع عنه، ولديه الارادة التي تجعله على استعداد لمواجهة الموت في سبيلها، وإرادة المعنى قد تتعرض للإحباط وهو ما يسمى بالإحباط الوجودي وهو ما يحدث عندما تخبو عزيمة الانسان في السعي للتوصل الى معنى محسوس ملموس في وجوده الشخصي أي الى إرادة المعنى(٤).

- **التربية الدينية والأخلاقية، وبناء القيم**

---

(١) سبق تخريجه ص٢٥٦.

(٢) سبق تخريجه٢٥٦.

(٣) سبق تخريجه ص٦٦.

(٤) صبحي، الإنسان وصحته النفسية (ص:١١٥-١١٦).

بناء نظام القيم دعامة أساسية للسلوك السوي وشرط أساسي لتحقيق التوافق النفسي، وفي ذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((**إِنَّ مِنْ خِيَارِكُمْ أَحْسَنَكُمْ أَخْلاَقًا**)) [١]، فالدين هو الطريق لبقاء القيم التي تعتبر إطارا مرجعيا لسلوك الإنسان، وتجعل من شخصيته وفي شخصيته ضميرا حيا يهديه إلى الصراط المستقيم[٢].

- **بناء الشخصية السوية المؤمنة**

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في بيان شخصية المسلم : **((أَلَا أُخْبِرُكُمْ مَنِ الْمُسْلِمُ؟ مَنْ سَلِمَ الْمُسْلِمُونَ مِنْ لِسَانِهِ وَيَدِهِ، وَالْمُؤْمِنُ مَنْ أَمِنَهُ النَّاسُ عَلَى أَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ، وَالْمُهَاجِرُ مَنْ هَجَرَ الْخَطَايَا وَالذُّنُوبَ، وَالْمُجَاهِدُ مَنْ جَاهَدَ نَفْسَهُ فِي طَاعَةِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ))** [٣]

فالمسلم يتصف بالسلوك الإيجابي، وبالتوافق الاجتماعي، وبالاستقامة على طريق الحق، ويتميز بضبطه لانفعالاته وعواطفه وسلوكه.

لذلك كان من أسباب السعادة الحقيقية، والتخلص من العناء، الاهتمام بنمو شخصية المسلم وفق منهج النبي صلى الله عليه وسلم، وقد تقدم بيان سمات وأسس الشخصية السوية في السّنّة النبوية.

- **التوازن بين جانبي الحياة (المادي والروحي)**

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: **((أَنْتُمُ الَّذِينَ قُلْتُمْ كَذَا وَكَذَا ، أَمَا وَاللهِ إِنّي لَأَخْشَاكُمْ لِلهِ وَأَتْقَاكُمْ لَهُ ، لَكِنّي أَصُومُ وَأُفْطِرُ ، وَأُصَلِّي وَأَرْقُدُ ، وَأَتَزَوَّجُ النّسَاءَ ، فَمَنْ رَغِبَ عَنْ سُنَّتِي فَلَيْسَ مِنّي))**[٤] فمنهج النبي صلى الله عليه وسلم منهج متوازن بين حاجات الحياة، وهو منهج منضبط، من اتبعه فاز بسعادة الدارين.

ويقوم المحك الإسلامي في تحديد السواء واللا سواء في السلوك الإنساني على أساس مبدأ التوازن والوسطية، ويتم تحقيق الصحة النفسية في ثلاث جوانب، هي: تقوية الجانب الروحي في الإنسان،

---

[١] أخرجه البخاري، الجامع الصحيح، كتاب المناقب- باب صفة النبي صلى الله عليه وسلم- ح(٣٣٦٦)،(٣/ ١٣٠٥) ،وح (٣٥٤٩ ، ٥٦٨٢ ، ٥٦٨٨). ومسلم، المسند الصحيح، كتاب الفضائل – باب كثرة حيائه صلى الله عليه وسلم، (ح٢٣٢١)، (١٨١٠/٤) من حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنه.

[٢] ينظر: زهران، الصحة النفسية والعلاج النفسي (ص:٣٥٤-٣٥٥).

[٣] سبق تخريجه ص٢٥٩.

[٤] سبق تخريجه ص١٩٤.

والسيطرة على الجانب البدني للإنسان دون إفراط أو تفريط، واكساب الإنسان مجموعة من الخصال الضرورية لنضجه الانفعالي والجسمي(١).

- **تعزيز الشعور بالمسؤولية**

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((**كُلُّكُمْ رَاعٍ ، وَكُلُّكُمْ مَسْؤُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ**))(٢).

إذا تحقق للفرد تحمله للمسؤولية فإنه يحقق له جانب كبير من جوانب الصحة النفسية، ذلك أن كثيرا من العناء النفسي إنما يرجع إلى عدم تحمل المسؤولية والهروب منها(٣).

وبعد بيان السبيل الإيجابي، الذي يُكوّن مناعة نفسية علاجية لدى المؤمن ضد العناء النفسي، **أذكر خطوات التخلص من العناء النفسي(٤):**

- **الاعتراف** "وهو شكوى النفس من النفس، والاعتراف فيه افضاء الانسان بما في نفسه الى الله، وبالاعتراف فيه تفريغ ما بنفسه من انفعالات ومشاعر سلبية".
- **التوبة** " وهي طريق المغفرة، وهي أمل المخطيء، وهي تشعر الفرد بالتفاؤل والراحة النفسية"
- **الاستبصار** "وهو الوصول بالتعيس إلى فهم أسباب شقائه"
- **التعلم** واكتساب اتجاهات وقيم جديدة "ومن خلال ذلك يتم تقبل الذات وتقبل الآخرين والقدرة على ترويض النفس وعلى ضبط الذات وتحمل المسؤولية"
- **الدعاء** " وهو سؤال الله والالتجاء إليه"

والمؤمن مهما أوتي من أسباب السعادة فهو في أمس الحاجة إلى الله تعالى الخالق القدير العليم اللطيف الخبير، فيرفع يديه بالدعاء ويوجه قلبه بالاستغاثة، والله سبحانه هو الذي شرع عبادة الدعاء ووعد بالاستجابة، قال تعالى: {وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ} [غافر: ٦٠]، فالدعاء نعم

(١) رعود، الاضطرابات النفسية (ص: ٤٨-٤٩).

(٢) أخرجه: البخاري، الجامع الصحيح، كتاب الجمعة - باب الجمعة في القرى والمدن – ح ٨٥٣، (١/ ٣٠٤)وح [٢٢٧٨ ، ٢٤١٦ ، ٢٤١٩ ، ٢٦٠٠ ، ٤٨٩٢ ، ٤٩٠٤ ، ٦٧١٩]. ومسلم، المسند الصحيح، كتاب الإمارة - باب فضيلة الإمام العادل وعقوبة الجائر- ح١٨٢٩، (٦ / ٧). من حديث ابن عمر رضي الله عنها.

(٣) رعود، الاضطرابات النفسية (ص:٤٧).

(٤) الخطوات مستفادة وملخصه بتصرف بسيط من: زهران، الصحة النفسية والعلاج النفسي (ص:٣٥٩-٣٦٠).

الدواء للعناء النفسي، وهو الدافع نحو حياة هانئة مطمئنة، والمتأمل في السّنّة النبوية يلحظ شمول الأدعية الواردة فيها لكل أحوال الإنسان(١).

- ذكر الله "والذكر غذاء روحي مطمئن ومهدئ يبعد الوسواس والقهر"

وفعل الطاعات والعمل الصالح من الأمور التي تعيين على التخلص من العناء، لما في العمل الصالح من تحقيق تقدير الذات، واتباع السلوك الإيجابي.

قل رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((**الطُّهُورُ شَطْرُ الْإِيمَانِ، وَالْحَمْدُ لِلهِ تَمْلَأُ الْمِيزَانَ، وَسُبْحَانَ اللهِ وَالْحَمْدُ لِلهِ تَمْلَآنِ - أَوْ تَمْلَأُ - مَا بَيْنَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ، وَالصَّلَاةُ نُورٌ، وَالصَّدَقَةُ بُرْهَانٌ، وَالصَّبْرُ ضِيَاءٌ، وَالْقُرْآنُ حُجَّةٌ لَكَ أَوْ عَلَيْكَ ، كُلُّ النَّاسِ يَغْدُو فَبَايِعٌ نَفْسَهُ فَمُعْتِقُهَا أَوْ مُوبِقُهَا**))(٢)

وفي منهج النبي صلى الله عليه وسلم تحقيق للإيمان والأمان والسلام والأمن النفسي، والدين هبة من الله لخير الإنسان يعينه على الحياة السوية، والدين إيمان وأخلاق وعمل صالح، وهو الطريق إلى العقل، والدين محبة، وهو الطريق إلى الخلاص والسعادة والسلامة والسلام(٣).

---

(١) عجين، الذكاء العاطفي الذاتي وتطبيقاته في السّنّة النبوية (ص:٦٠).

(٢) أخرجه: مسلم، المسند الصحيح، كتاب الطهارة - باب فضل الوضوء- ح٢٢٣، (١٤٠/١). من حديث أبي موسى الأشعري رضي الله عنه.

(٣) ينظر: زهران، الصحة النفسية والعلاج النفسي (ص:٣٦١).

الفصل الثالث: أنواع السعادة وحقيقتها، ومظاهرها في السّنّة النّبويّة

المبحث الأول: أنواع السعادة من حيث الكمال والنقص

المبحث الثاني: حقيقة السعادة

المبحث الثالث: مظاهر السعادة في السّنّة النّبويّة

توطئة:

هل السعادة نوع واحد، هل هي في طريق واحد، هل يمكن أن يعيش الإنسان سعادة زائفة؟، في هذا الفصل بإذن الله إجابة عن هذه الأسئلة مع بيان مظاهرها على الإنسان.

إن النبي -صلّى الله عليه وسلّم- بين لنا طريق السعادة وكلّ ما يتعلّق بها، وكان منهجه عليه الصلاة والسلام منهجًا متكاملا للحياة، ولو أننا تمسكنا بسنّته لما حدنا عن الصواب، **"**فقد أعطانا عليه الصلاة والسلام الدنيا والآخرة، لأنّه جاء بنعمة الإسلام التي بها يتحقق للعبد السعادة في الدّارين**"**(١).

---

(١) ينظر: قاسم، منار القاري شرح مختصر صحيح البخاري (١/ ٥٤).

المبحث الأول: أنواع السعادة من حيث الكمال

إن السعادة في السنة النبوية من حيث الكمال نوعين: سعادة دنيوية ناقصة يشوبها الحزن والألم والهم والكدر، وهي سعادة ناقصة مؤقتة تزول لا تدوم، وسعادة أخرويّة وهي سعادة كاملة لا يشوبها حزن ولا نقص ولا كدر ولاهم بل هي فوق التصور والخيال وهي سعادة خالدة باقية لا تزول ونعيم دائم لا يتبدل، وقد بيّن لنا الحبيب المصطفى-صلّى الله عليه وسلّم- هاتين السعادتين، ودلّنا على السكينة والطمأنينة والحبور، وفيما يلي توضيح لهذه الأنواع.

والسعادة لا تختص بالفرد أو الأسرة، فهي عالمية تتناسب مع عالمية الإسلام وعالمية الدعوة النّبويّة، وتشمل الأبعاد كلّها، تشمل سعادة الفرد، وسعادة الأسرة، وسعادة المجتمع الإسلامي بأكمله، وتبدأ هذه السعادة من صلاح الفرد، والعبد إذا انتهج منهج النبي -صلّى الله عليه وسلّم- في السعادة استطاع تحقيق السعادة العالميّة.

المطلب الأول: السعادة الدنيوية

قال الله عزّ وجل: { قُلْ مَتَاعُ الدُّنْيَا قَلِيلٌ وَالْآَخِرَةُ خَيْرٌ لِمَنِ اتَّقَى } [سورة النساء: ٧٧]

وقال جل وعلا: {يَا قَوْمِ إِنَّمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا مَتَاعٌ وَإِنَّ الْآَخِرَةَ هِيَ دَارُ الْقَرَارِ (٣٩)} [سورة غافر: ٣٩]

والمتاع: هو ما يتمتع به صاحبه برهة ثم ينقطع ويفنى، فما عيبت الدنيا بأكثر من ذكر فنائها وتقلب أحوالها، وهو أدل دليل على انقضائها وزوالها فتتبدل صحتها بالسقم ووجودها بالعدم وشبيبتها بالهرم ونعيمها بالبؤس وحياتها بالموت، فتفارق الأجسام النفوس وعمارتها بالخراب واجتماعها بفرقة الأحباب وكل ما فوق التراب تراب (١).

مرّ عمر بن الخطاب رضي الله عنه والنبي -صلّى الله عليه وسلّم- عَلَى حَصِيرٍ مَا بَيْنَهُ وَبَيْنَهُ شَيْءٌ ، وَتَحْتَ رَأْسِهِ وِسَادَةٌ مِنْ أَدَمٍ حَشْوُهَا لِيفٌ ، وَإِنَّ عِنْدَ رِجْلَيْهِ قَرَظًا مَصْبُوبًا ، وَعِنْدَ رَأْسِهِ أَهَبٌ مُعَلَّقَةٌ ، فَرَأى عمر رضي الله عنه أَثَرَ الْحَصِيرِ فِي جَنْبِهِ صلى الله عليه وسلم فبكى ، فَقَالَ رسول الله صلى الله عليه وسلم : **((مَا يُبْكِيكَ ، فَقُال : يَا رَسُولَ اللهِ ، إِنَّ كِسْرَى وَقَيْصَرَ فِيمَا هُمَا فِيهِ ، وَأَنْتَ رَسُولُ اللهِ ، فَقَالَ صلى الله عليه وسلم : أَمَا تَرْضَى أَنْ تَكُونَ لَهُمُ الدُّنْيَا وَلَنَا الْآَخِرَةُ))** (٢) في هذا الحديث بيان لما كان يعيشه النبي -صلّى الله عليه وسلّم- وآل بيته من حياة التقشف والزهد ايثارًا للحياة الباقية على الدار الفانية، وفيه فضيلة الزهد والاكتفاء بالقليل من العيش، وكونه من أخلاق النبيين عليهم السلام، وسيرة سيد المرسلين ولا شك أنه - -صلّى الله عليه وسلّم- - إنما زهد في الدنيا اختيارًا فقد كان في إمكانه -صلّى الله عليه وسلّم- أن ينعم بالدنيا وزهرتها، وأن تصير له الجبال ذهبًا وهذا يدل على أن الزهد سلوك إسلامي فاضل مشروع، ولا سبيل لإنكاره، وقد أمر به -صلّى الله عليه وسلّم- في قوله: **((كُنْ فِي الدُّنْيَا كَأَنَّكَ**

---

(١) ابن رجب، زين الدين عبد الرحمن بن أحمد بن رجب بن الحسن، السَلامي، البغدادي، ثم الدمشقي، الحنبلي (ت: ٧٩٥هـ)، **لطائف المعارف فيما لمواسم العام من الوظائف** ، دار ابن حزم للطباعة والنشر- ط١، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٤م (ص:٢٨).

(٢) أخرجه: البخاري، الجامع الصحيح، كتاب التفسير باب {تبتغي مرضات أزواجك} {قد فرض الله لكم تحلة أيمانكم والله مولاكم وهو العليم الحكيم} ح(٤٦٢٩)، (١٨٦٦/٤). ومسلم، المسند الصحيح، الطلاق - باب في الإيلاء واعتزال النساء وتخييرهن -ح (١٤٧٩). من حديث ابن عباس عن عمر بن الخطاب رضي الله عنهما.

غَرِيبٌ أَوْ عَابِرُ سَبِيلٍ))[١] فدل ذلك على استحبابه، لأنّ أقل مقتضيات الأمر الاستحباب والندب[٢].

والمؤمن إذا علم حقيقة الدنيا ومآلها قاده ذلك إلى الرضا النفسي، والمرونة، وعدم التعلق بزينتها، وهذا الأمر يؤثر على سلوكياتها كلها فيجعله سمحا لينا سهلا.

قال تعالى: {الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ*الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ طُوبَى لَهُمْ وَحُسْنُ مَآبٍ } [سورة الرعد: ٢٨-٢٩].

في هذه الآية علامة للمؤمنين، فإن المؤمن الحق يزول قلقه واضطرابه بذكر الله، وحقيق للقلوب وحري بها ألا تطمئن لشيء سوى ذكره سبحانه، فإنه لا شيء ألذّ للقلوب ولا أشهى ولا أحلى من محبة خالقها، والأنس به ومعرفته، وعلى قدر معرفتها بالله ومحبتها له، يكون ذكرها له، ولو كان المراد بذكر الله كتابه الذي أنزله ذكرى للمؤمنين، فعلى هذا معنى طمأنينة القلوب بذكر الله أنها حين تعرف معاني القرآن وأحكامه تطمئن لها، فإنها تدل على الحق المبين المؤيد بالأدلة والبراهين، وبذلك تطمئن القلوب، فإنها لا تطمئن القلوب إلا باليقين والعلم، وذلك في كتاب الله، مضمون على أتم الوجوه وأكملها، وأمّا ما سواه من الكتب التي لا ترجع إليه فلا تطمئن بها، بل لا تزال قلقة من تعارض الأدلة وتضاد الأحكام[٣].

وقد شرع الإسلام من الأحكام والضوابط ما يكفل للإنسان سعادته في الحياة الدنيا، مع التأكيد على أن السعادة الكاملة في الآخرة، والحياة الدنيا ليست سوى سبيل إلى الآخرة، وأنّ الحياة الحقيقيّة التي يجب أن يسعى لها الإنسان هي حياة الآخرة قال الله تعالى: {مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (٩٧)} [سورة النحل: ٩٧]، وهنا تعليق الحياة الطيبة لمن عمل صالحًا، فمن عاش لله وتلذّذ بطاعة الملك الرحمن الجبار القادر فله الحياة الهنيّة والسعادة الدنيويّة، وقال تعالى: { وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآَخِرَةَ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا} [سورة القصص: ٧٧] فالدنيا وإن كانت زائلة إلّا أنّ الله أمرنا ألّا ننسى نصيبنا من الدنيا بالمشروعات والمباحات، وجاء في تفسير ابن كثير: أَيِ: اسْتَعْمِلْ مَا

---

[١] أخرجه البخاري، الجامع الصحيح، كتاب الرقاق – باب قوله صلى الله عليه وسلم كن في الدنيا غريب - ح ٦٠٥٣، (٢٣٥٨/٥). **من حديث ابن عمر رضي الله عنه.**

[٢] قاسم، منار القاري شرح مختصر صحيح البخاري (٥/ ٢٩٥).

[٣] السعدي، تيسير الكريم الرحمن (ص:٤١٧).

وَهَبَكَ اللَّهُ مِنْ هَذَا الْمَالِ الْجَزِيلِ وَالنِّعْمَةِ الطَّائِلَةِ، فِي طَاعَةِ رَبِّكَ وَالتَّقَرُّبِ إِلَيْهِ بِأَنْوَاعِ الْقُرُبَاتِ، الَّتِي يَحْصُلُ لَكَ بِهَا الثَّوَابُ فِي الدار الآخرة. {وَلا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا} أَيْ: مِمَّا أَبَاحَ اللَّهُ فِيهَا مِنَ الْمَآكِلِ وَالْمَشَارِبِ وَالْمَلَابِسِ وَالْمَسَاكِنِ وَالْمَنَاكِحِ، فَإِنَّ لِرَبِّكَ عَلَيْكَ حقًّا، ولنفسك عليك حقًّا، ولأهلك عليك حَقًّا، فَآتِ كُلَّ ذِي حَقٍّ حَقَّهُ(١)، وقال تعالى: {فَمَا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ (٣٨)} [سورة التوبة: ٣٨] ، وهنا يُبيّن جلّ وعلا أنّ السعادة الدنيوية بأوجهها كافة ما هي إلّا متاع قليل مقارنة بملذّات الآخرة، ومتى حقق المسلم الإيمان بالله تعالى صار صاحب مبدأ يسعى لتحقيقه، فتكون حياته تحمل معنىً ساميًا نبيلًا يدفعه إلى العمل الصالح ومجاهدة نفسه(٢).

والمؤمنون سعداء بربّهم، سعداء بفعلهم الطاعات، وذكرهم لله، علموا حقيقة الدنيا فاطمأنت أرواحهم، وارتقت عنها، وآمنوا بأركان الإيمان وحققوه قولًا وعملًا فرضوا بالله ربًّا وبالإسلام دينًا وبمحمد -صلّى الله عليه وسلّم- نبيًّا ورسولًا، ورضوا بما قدر لهم فسكنت أنفسهم للقضاء والقدر، وعلموا أنّ رزقهم لن يخطئهم، فارتقت أرواحهم واشتغلت بالعبادة غير متناسية نصيب الدنيا، لكن الهم هم الآخرة، فرزقهم الله الرضا والسعادة، وانشرحت قلوبهم بلا إله إلا الله، وعاشوا الحياة بحلوّها ومرها لله، لا تحمل همًّا آخر إلا رضى الله.

إنّ السعادة لا تعني الراحة التي بمعنى الكسل والخمول، وإنّما راحة القلب التي هي الانشراح والرضا والسكينة والطمأنينة، وغالبا لا تأتي السعادة إلا بالكد والجهد والعمل، فترى كثيرًا من الناس بأعلى درجات الراحة والفراغ إلّا أنّ الملل يلاحقهم والتعاسة تكاد تقتلهم.

فمتى حدد الإنسان هدفه من الحياة، واستقرّ الإيمان في قلبه، واستلذّ بعبادة ربه، يفوز بالسعادة الدنيويّة ويمتلأ قلبه سكينة ورضا.

---

(١) ابن كثير، تفسير ابن كثير (٦/ ٢٥٣).

(٢) ينظر: اللويحق، مفهوم السعادة في الإسلام (ص: ٣,7،) .

طاعة الله

طاعة الله تسرع بالعبد إلى مقام الزلفى وترقيه إلى طريق السعادة العظمى إذا وفّقه الله لها[١]، فمن أراد السعادة الحقيقة فليلزم الطاعة فهي لذة المسلم في الدنيا وسعادته.

ولمّا كانت الطاعة التي هي العبادة بها يحصل الكمال الإنساني للفرد في عقله وأخلاقه وأعماله، وللنوع في اجتماعه وعمرانه، وهذا الكمال هو سعادة الدنيا المفضية إلى السعادة الكبرى في الحياة الأخرى كانت العبودية أشرف حالًا وأعظم مقامًا وأفضل وصفًا للإنسان وكان أفضل إنسان أرسخ الناس قدمًا في هذا المقام[٢].

وها هو النبي -صلّى الله عليه وسلّم- إذا جاءه أمر يسره خرّ ساجدًا لله[٣]، والسجود عبادة وطاعه، عبر عن سعادته -صلّى الله عليه وسلّم- بالسجود وهو من أعظم الطاعات، إذ أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد.

وكان يقول صلى الله عليه وسلم: ((**قُمْ يَا بِلَالُ ، فَأَرِحْنَا بِالصَّلَاةِ**)) [٤]، فقد كانت راحته وطمأنينه وسعادته صلى الله عليه وسلم في طاعة الله تعالى، وهو تطبيق عملي يؤكد فيه للمسلم أن راحة العبد التي فيها سعادته وسكونه وانشراح قلبه إنّما تكون بالصلاة والقرب من الله، فإذا اتصل قلب العبد بالله، واستشعر العبد عظمة الخالق وقوّته وقدرته ولطفه ورحمته ورزقه وهداه، استجمع قلبه وأفرغ الدنيا منه، وأقبل على ربه يدعوه ويناجيه، واستلذ بطاعته وعبادته، فحينها يجعل الله غناه في قلبه وتأتيه الدنيا وهي راغمة، فقد قال النبي -صلّى الله عليه وسلّم-: **((من كَانَتْ الْآخِرَةُ هَمَّهُ جَعَلَ اللَّهُ غِنَاهُ فِي قَلْبِهِ وَجَمَعَ لَهُ شَمْلَهُ وَأَتَتْهُ الدُّنْيَا وَهِيَ رَاغِمَةٌ، وَمَنْ كَانَتْ الدُّنْيَا هَمَّهُ جَعَلَ اللَّهُ فَقْرَهُ بَيْنَ عَيْنَيْهِ وَفَرَّقَ عَلَيْهِ شَمْلَهُ وَلَمْ يَأْتِهِ مِنْ الدُّنْيَا إِلَّا مَا قُدِّرَ لَهُ))**[٥]

تمنية الاستراحة في الصلاة أمر شاق علي النفس وثقيل عليها إلا على الخاشعين لقوله تعالي: {وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ (٤٥)} [سورة البقرة: ٤٥]

---

[١] القسطلاني، إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري (٥/ ٢٩٢).

[٢] الصنهاجي، مجالس التذكير من حديث البشير النذير (ص: ٢٣٨).

[٣] سبق تخريجه ص١٦٨.

[٤] سبق تخريجه ص٩١.

[٥] سبق تخريجه ص١٠٧.

، وقوله -صلّى الله عليه وسلّم-: " أرحنا بها" أي أذن بالصلاة، نسترح بأذانها من شغل القلب بها، وكان اشتغاله بالصلاة راحة له، فإنه -صلّى الله عليه وسلّم- كان يعد غيرها من الأعمال الدنيوية تعبًا، وكان يستريح بالصلاة لما فيها من مناجاة الله تعالى؛ ولهذا قال: ((**وَجُعِلَ قُرَّةُ عَيْنِي فِي الصَّلَاةِ**))(١) وما أقرب الراحة من قرة العين، يقال: أراح الرجل واستراح إذا رجعت نفسه إليه بعد الإعياء(٢).

وجاء في حديث النبي -صلّى الله عليه وسلّم- عن المجتمعين على ذكر الله قوله -صلّى الله عليه وسلّم-؛ ((**هُمُ الجُلَسَاءُ لاَ يَشْقَى بِهِمْ جَلِيسُهُمْ**)) (٣)وفي هذه العبارة مبالغة في نفي الشقاء عن جليس الذاكرين، فلو قيل يسعد بهم جليسهم لكان ذلك في غاية الفضل، لكن التصريح بنفي الشقاء أبلغ في حصول المقصود(٤)، وفي هذا تأكيد أنّ السعادة في طاعة الله، والعبد يشعر بذلك، فمتى كان قريبًا من الله مؤدّيًا للعبادات، انفتحت له الابواب كلّها ، وقلبه يرفرف سعادة وانشراحًا ورضا.

---

(١) سبق تخريجه ص١٠٠.

(٢) الطيبي، الكاشف عن حقائق السنن (١٢١٨/٤).

(٣) سبق تخريجه ص٢٢٦.

(٤) القسطلاني، إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري (٩/ ٢٣٢).

الاستقامة

إذا استقام العبد على طاعة ربّه، فقد حظي بالسعادة، وابتعد عن الشقاء والمعاصي التي تجلب الغم والضيقة إلى القلب.

عن أبي عمرو رضي الله عنه قال: قلت يا رسول الله، قل لي في الإسلام قولًا لا أسأل عنه أحدًا غيرك. قال: ((**قُلْ: آمَنْتُ بِاللهِ، فَاسْتَقِمْ**))(١) .

هذا الحديث من جوامع كلمه -صلى الله عليه وسلم- ومعنى الاستقامة أي: وحدوا الله وآمنوا به، ثم استقاموا فلم يحيدوا عن توحيدهم ولا أشركوا به غيره والتزموا طاعته إلى أن توفوا على ذلك(٢)، والاستقامة على السلوك الإسلامي من أعظم السعادات في الدنيا، وهي الطريق للسعادة الأخروية.

في الحديث السابق طلب الصحابي رضي الله عنه من النبي -صلّى الله عليه وسلّم- كلامًا جامعًا للخير نافعًا، موصلا صاحبه إلى الفلاح، فأمره النبي -صلّى الله عليه وسلّم- بالإيمان بالله الذي يشمل ما يجب اعتقاده: من عقائد الإيمان، وأصوله، وما يتبع ذلك: من أعمال القلوب، والانقياد والاستسلام لله، باطنًا وظاهرًا، ثم الدوام على ذلك، والاستقامة عليه إلى الممات، وهو نظير قوله تعالى: {إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا تتنزل عليهم الملائكة ألا تخافوا ولا تحزنوا وأبشروا بالجنة التي كنتم توعدون} [سورة فصلت:٣] ، فرتب على الإيمان والاستقامة: السلامة من جميع الشرور، وحصول الجنة وجميع المحاب وهذه هي حقيقة السعادة، وقد دلت نصوص الكتاب والسنّة الكثيرة على أن الإيمان يشمل ما في القلوب من العقائد الصحيحة، وأعمال القلوب: من الرغبة في الخير، والرهبة من الشر، وإرادة الخير، وكراهة الشرّ، ومن أعمال الجوارح، ولا يتم ذلك إلا بالثبات عليه(٣).

قال السعدي في تفسير قوله تعالى: {إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ (٣٠)} [سورة فصلت: ٣٠]

---

(١) أخرجه مسلم، المسند الصحيح، كتاب الإيمان - باب جامع أوصاف الإسلام – ح(٣٨)، (٨٥/١). **من حديث** سُفْيَان بْنِ عَبْدِ اللهِ الثَّقَفِيِّ رضي الله عنه.

(٢) القاضي عياض، اكمال المعلم بفوائد مسلم (٢٧٥/٢).

(٣) السعدي، بهجة قلوب الأبرار (ص:٢٢).

أي: اعترفوا ونطقوا ورضوا بربوبية الله تعالى، واستسلموا لأمره، ثم استقاموا على الصراط المستقيم، علمًا وعملًا فلهم البشرى في الحياة الدنيا وفي الآخرة[١].

قال تعالى **{إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا (٣٦)} [سورة الإسراء: ٣٦]** خص الله سبحانه هذه الأعضاء الثلاثة لأنها أشرف الأعضاء والمتصرفة فيها والحاكمة عليها، وسعادة الإنسان بصحة هذه الأعضاء الثلاثة وشقاوته بفسادها، والله تعالى أعطى العبد السمع ليسمع به أوامر ربه ونواهيه وعهوده، والقلب ليعقلها ويفقهها، والبصر ليرى آياته فيستدل بها على وحدانيته وربوبيته، فالمقصود بإعطائه هذه الآلات العلم وثمرته ومقتضاه.[٢]

ومتى كان العبد مطيعًا لله تعالى، مستقيمًا على الدين القويم، راضيًا بقضاء الله وقدره، كان من الله أقرب، وإذا فاز العبد بالقرب من الله فقد حظي بالسعادة الدنيوية التي توصله إلى السعادة الكاملة الدائمة.

ففي الدنيا سعادة وطمأنينة لكنها ناقصة تشوبها الأحزان والابتلاءات، وهي سعادة زائلة لا تدوم، ومن أراد السعادة الكاملة فليلزم طريق العبودية في الدنيا.

---

[١] السعدي، تيسير الكريم الرحمن (ص:٧٤٨).

[٢] ابن القيم، مفتاح دار السعادة (١/١٠٧).

المطلب الثاني: السعادة الأخرويّة.

قال تعالى: {الَّذِينَ تَتَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ طَيِّبِينَ يَقُولُونَ سَلَامٌ عَلَيْكُمُ ادْخُلُوا الْجَنَّةَ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ (٣٢)} [سورة النحل: ٣٢]

الحياة الهانئة والنعيم المقيم، والراحة التامة، إنما تكون في الآخرة، ففي الآخرة سعادة دائمة خالدة، وهي مرتبة على صلاح المرء في حياته الدنيا. [١]

وقال جل وعلا: {لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَلَدَارُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ وَلَنِعْمَ دَارُ الْمُتَّقِينَ (٣٠)} [سورة النحل: ٣٠] وعد الله عباده المحسنين في عبادته وطاعته، والمحسنين إلى خلقه، بحياة حسنة طيبة وزرق واسع وعيشة هنية وطمأنينة قلب وأمن وسرور، والإحسان مرتبة عالية في أداء العبادات فمن أحسن في عبادة الله حظي بالسعادة الدنيويّة والرضا والانشراح القلبي، وزيادة على ذلك خير كثير في الآخرة، التي هي خير من الدنيا وما فيها من أنواع الملذات، فإنّ نعيم الدنيا قليل محشو بالآفات منقطع، بخلاف نعيم الآخرة، فمهما تمنت قلوب المتقين وتعلقت به إرادتهم حصل لهم على أكمل الوجوه وأتمها، فلا يمكن أن يطلبوا نوعًا من أنواع النعيم الذي فيه لذة القلوب وسرور الأرواح، إلا وهو حاضر لديهم، ولهذا يعطي الله أهل الجنة كل ما تمنوه عليه، حتى إنّه يذكرهم بأشياء من النعيم لم تخطر على قلوبهم، فسعادة الآخرة كاملة لا يشوبها نقصان ولا حزن، وهي دائمة لا يقطعها موت أو مرض، سعادة حقيقية في أعلى مراتب السعادة والحبور[٢]

خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ -صلّى اللَّهُ عَلَيْهِ وسلّم- إلى الْخَنْدَقِ، فَإِذَا الْمُهَاجِرُونَ وَالْأَنْصَارُ يَحْفِرُونَ فِي غَدَاةٍ بَارِدَةٍ، فَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ عَبِيدٌ يَعْمَلُونَ ذَلِكَ لَهُمْ، فَلَمَّا رَأَى مَا بِهِمْ مِنَ النَّصَبِ وَالْجُوعِ قَالَ: **((اللَّهُمَّ إِنَّ الْعَيْشَ عَيْشُ الْآخِرَة، فَاغْفِرْ لِلْأَنْصَارِ وَالْمُهَاجِرَهْ))** [٣] هذا الكلام قاله النبي -صلّى الله عليه وسلّم- في أشد أحواله، لما رأى تعب أصحابه في حفر الخندق، وقاله في أسر الأحوال

---

(١) ينظر: اللويحق، مفهوم السعادة في الإسلام (٤/١)

(٢) ينظر: السعدي، تيسير الكريم الرحمن (ص:٤٣٩).

(٣) أخرجه البخاري، الجامع الصحيح - كِتَابُ الْجِهَادِ وَالسِّيَرِ - بَابُ التَّحْرِيضِ عَلَى الْقِتَالِ، صحيح البخاري – ح(٢٦٧٩) ، (٣/ ١٠٤٣)، [٢٦٨٠ ، ٢٨٠١ ، ٣٥٨٤ ، ٣٥٨٥ ، ٣٨٧٣ ، ٣٨٧٤ ، ٦٠٥٠ ، ٦٧٧٥]. ومسلم، المسند الصحيح، كتاب الجهاد والسير - باب غزوة الأحزاب وهي الخندق - (١٨٠٥)، (١٤٣١/٣). من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه.

أيضًا لما رأى كثرة المؤمنين في يوم عرفة، لبيك إن العيش عيش الآخرة، أي الحياة الدائمة التي لا حزن فيها ولا تعب[١].

وهذا الدعاء النابع من عقيدة الإيمان باليوم الآخر له الأثر النفسي الكبير على نفسية المؤمن، ويُكوّن لديه مناعة نفسية قوية في الحياة، ويزوده بالتفاؤل والهمة للوصول إلى الهدف في جنة عرضها السماوات والأرض.

مرّ رسول الله -صلّى الله عليه وسلّم- بجنازة فقال: ((**مُسْتَرِيحٌ وَمُسْتَرَاحٌ مِنْهُ . قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ ، مَا الْمُسْتَرِيحُ وَالْمُسْتَرَاحُ مِنْهُ؟ قَالَ صلى الله عليه وسلم: الْعَبْدُ الْمُؤْمِنُ يَسْتَرِيحُ مِنْ نَصَبِ الدُّنْيَا وَأَذَاهَا إِلَى رَحْمَةِ اللهِ ، وَالْعَبْدُ الْفَاجِرُ يَسْتَرِيحُ مِنْهُ الْعِبَادُ وَالْبِلَادُ وَالشَّجَرُ وَالدَّوَابُّ**)) [٢] المستريح الذي وجد الراحة، والمستراح منه الذي خلص الناس من شرّه، واستراحوا من ظلمه؛ فإن كان هذا الميّت صالحًا، فقد خلص من نصب الدنيا، وإن كان فاجرًا، فقد خلص الناس من شره، وكذلك الدواب والأشجار والأرض خلصت منه[٣]، فالمؤمن نتيجه لسلوكه الإيجابي وفعله الخير يرزق الراحة والغفران والفوز بالجنان، أما الفاجر فقد استراح كل ما في الأرض من سلوكه السلبي وشروره وباء بالخذلان والخسران.

الجنة دار القرار

{وَاللَّهُ يَدْعُو إلى دَارِ السَّلَامِ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إلى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ (٢٥) لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَى وَزِيَادَةٌ وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلَا ذِلَّةٌ أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ (٢٦) } [سورة يونس: ٢٥ -٢٦].

قال -صـلّى الله عليه وسـلّم- بأبي وأمي هو: ((**مَنْ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ يَنْعَمُ لَا يَبْأَسُ ، لَا تَبْلَى ثِيَابُهُ وَلَا يَفْنَى شَبَابُهُ**))[٤]. في هذا الحديث من الفقه أنّ رسول الله -صلّى الله عليه وسلّم- لم

---

[١] الحريملي، تطريز رياض الصالحين (٣١٣/١).

[٢] أخرجه البخاري، الجامع الصحيح، كتاب الرقاق - باب سكرات الموت - ح(٦١٤٧) ، (٢٣٨٨/٥). ومسلم، المسند الصحيح، كتاب الجنائز - باب ما جاء في مستريح ومستراح منه ح(٩٥٠) ، (٦٥٦/٢). **من حديث أَبِي قَتَادَةَ بْنِ رِبْعِيٍّ الْأَنْصَارِيِّ** رضي الله عنه.

[٣] المظهري، المفاتيح شرح المصابيح (٤١٤/٢).

[٤] أخرجه مسلم، المسند الصحيح، - كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها - باب فِي دوام نعيم أهل الجنة – ٢٨٣٦، (٤/ ٢١٨١) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

يرض أن يصف أهل الجنة بالنعيم فحسب حتى نفى عنهم البؤس، لأنّ الإنسان قد ينعم ثم يبؤس فأخبر بنفي ما يؤدّي لو عرض مع حصول النعيم، والبؤس: هو الشقاء وسوء العيش، وقوله: لا تبلى ثيابه يعني أنّ ثيابهم ليست قابلة للبلاء، وإن شبابهم ليس له غائلة ينتهي إليها، لأنّه أحسن عمر الإنسان، فعمرهم كله من أوله إلى ما لا نهاية له: شباب كله(١).

وقال: ((**مَنْ لَقِيَ اللَّهَ لَا يُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا دَخَلَ الْجَنَّةَ**)). قَالَ معاذ رضي الله عنه: أَلَا أُبَشِّرُ النَّاسَ ؟ قَالَ: " لَا، إِنِّي أَخَافُ أَنْ يَتَّكِلُوا)).(٢)

أي من مات حال كونه لا يشرك به شيئًا حين الموت دخل الجنة، وإن لم يعمل صالحًا، إمّا قبل دخوله النار أو بعده بفضل الله ورحمته، واقتصر على نفي الإشراك لأنه يستدعي التوحيد بالاقتضاء، ولم يذكر إثبات الرسالة لأنّ نفي الإشراك يستدعي إثباتها للزوم أنّ من كذّب رسل الله فقد كذّب الله، ومن كذّب الله فهو كافر، فالمراد من لقي الله موحّدًا بسائر ما يجب الإيمان به، وقوله -صلّى الله عليه وسلّم- (لا إني أخاف أن يتكلوا) أي: أخاف اتكالهم على مجرد التوحيد(٣).

الجنة دار السعداء، وهي دار القرار، وهي دار السلام، التي سلمت من الأمراض والموت والأحزان والنقص والكدر، ومن كل بلية وآفة، وفيها أنواع الملذات كلّها مما لم يطرأ على قلب بشر، وهي المستراح والمستقر، يعمل العاملون ويشمر الطالبون ليحظوا بالسعادة الحقيقية الباقية الكاملة في دار الخلد عند مليك مقتدر سبحانه وتعالى.

وصف لدار السعداء

عن أبي هريرة رضى الله تعالى عنه قال: قال رسول الله -صلّى الله عليه وسلّم-: قال الله تعالى: **((أَعْدَدْتُ لِعِبَادِي الصَّالِحِينَ مَا لَا عَيْنٌ رَأَتْ وَلَا أُذُنٌ سَمِعَتْ وَلَا خَطَرَ عَلَى قَلْبِ بَشَرٍ فَاقْرَؤُوا إِنْ شِئْتُمْ{فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ} [سورة السجدة: ١٧]))** (٤)

---

(١) أبو المظفر، الإفصاح عن معاني الصحاح (٣٨٩/٥).

(٢) سبق تخريجه ص١٤٤.

(٣) القسطلاني، إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري (٢٢١/١).

(٤) أخرجه: البخاري، الجامع الصحيح، كتاب بدء الخلق - باب ما جاء في صفة الجنة وأنها مخلوقة - ح(٣٠٧٢)، (١١٨٥/٣)، وح [٤٥٠١ ، ٤٥٠٢ ، ٧٠٥٩] . ومسلم، المسند الصحيح، كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها – ح(٢٨٢٤)، (٤/ ٢١٧٤). من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

أي هيّأ الله سبحانه لعباده الصالحين شيئًا لم تر العيون مثله، ولا سمعت الآذان به، ولا خطر على قلب أحد من البشر، ولا شكّ في أنّ نعيم الجنة وتحفها شيء لا يمكن للإنسان أن يصفه؛ لأنه باقٍ لا يلحقه التغيير، والانحلال، ولا العطب، والاضمحلال، بخلاف ملذّات الدنيا، ونعيمها، فإنّها سريعة الفناء، قليل الانتفاع بها[١].

---

[١] المناوي، الإتحافات السنية بالأحاديث القدسيّة (٣٧/١).

نماذج من السعداء

لم تكن السعادة صعبة المنال، ولم تختص بأقوام دون غيرهم، بل كانت السعادة لمن حقق الإيمان واتّبع النبي -صلّى الله عليه وسلّم- حق الاتباع، وبهذا فاز بها خلق كثير، وحظوا بسعادة الدارين، وأذكر هنا نماذج ممن بشّرهم النبي -صلّى الله عليه وسلّم- بالفوز بدار السعداء ومن أثنى عليهم صلوات ربّي وسلامه عليه، ولا ريب أنّ السعداء كثر غير هؤلاء المذكورين، لأنّ الصحابة هم السابقون الذين قال الله تعالى فيهم: {وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ (١٠٠)} [سورة التوبة: ١٠٠] ، وإذا تأمّل العبد أحوال الصحابة وقرأ سيرهم أدرك حقيقة فوزهم بسعادة الدّارين، وشمّر للاقتداء بهم.

- **خديجة بنت خويلد رضي الله عنها:**

عَنْ عَائِشَةَ أَنَّهَا قَالَتْ: **((مَا غِرْتُ عَلَى امْرَأَةٍ لِرَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَمَا غِرْتُ عَلَى خَدِيجَةَ؛ لِكَثْرَةِ ذِكْرِ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِيَّاهَا وَثَنَائِهِ عَلَيْهَا ، وَقَدْ أُوحِيَ إِلَى رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ يُبَشِّرَهَا بِبَيْتٍ لَهَا فِي الْجَنَّةِ مِنْ قَصَبٍ))** [١] ، والسيدة خديجة رضي الله عنها أول من آمن من النساء، وهي التي آزرت النبي -صلّى الله عليه وسلّم- ، وكانت له نعم الزوجة الصالحة الناصحة رضي الله عنها.

- **أبو بكر وعمر بن الخطاب وعثمان بن عفان رضي الله عنهم**:

عَنْ أَبِي مُوسَى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: كُنْتُ مَعَ النَّبِيِّ -صلّى اللَّهُ عَلَيْهِ وسلّم- فِي حَائِطٍ مِنْ حِيطَانِ الْمَدِينَةِ، فَجَاءَ رَجُلٌ، فَاسْتَفْتَحَ، فَقَالَ النَّبِيُّ -صلّى اللَّهُ عَلَيْهِ وسلّم-: **((افْتَحْ لَهُ، وَبَشِّرْهُ بِالْجَنَّةِ ."فَفَتَحْتُ لَهُ فَإِذَا أَبُو بَكْرٍ، فَبَشَّرْتُهُ بِمَا قَالَ النَّبِيُّ -صلّى اللَّهُ عَلَيْهِ وسلّم-، فَحَمِدَ اللَّهَ، ثُمَّ جَاءَ رَجُلٌ، فَاسْتَفْتَحَ، فَقَالَ النَّبِيُّ -صلّى اللَّهُ عَلَيْهِ وسلّم- :" افْتَحْ لَهُ، وَبَشِّرْهُ بِالْجَنَّةِ ." فَفَتَحْتُ لَهُ فَإِذَا هُوَ عُمَرُ، فَأَخْبَرْتُهُ بِمَا قَالَ النَّبِيُّ -صلّى اللَّهُ عَلَيْهِ وسلّم-، فَحَمِدَ اللَّهَ، ثُمَّ اسْتَفْتَحَ رَجُلٌ، فَقَالَ لِي " :افْتَحْ لَهُ، وَبَشِّرْهُ بِالْجَنَّةِ عَلَى بَلْوَى تُصِيبُهُ "فَإِذَا عُثْمَانُ، فَأَخْبَرْتُهُ بِمَا قَالَ**

---

[١] أخرجه: البخاري، الجامع الصحيح، كتاب النكاح ، باب غيرة النساء ووجدهن – ح٤٩٣١، (٥/ ٢٠٠٤). ومسلم، المسند الصحيح،كتاب فضائل الصحابة ، باب فضائل خديجة أم المؤمنين رضي الله تَعَالى عنها – ح٢٤٣٤(١٣٣/٧). من حديث عائشة رضي الله عنها.

رَسُولُ اللَّهِ -صلّى اللَّهُ عَلَيْهِ وسلّم-، فَحَمِدَ اللَّهَ، ثُمَّ قَالَ: اللَّهُ الْمُسْتَعَانُ))[١]، سيرة الخلفاء الراشدين تتحدث عن إيجابيتهم ومرونتهم وقوة شخصيتهم الإسلامية، وهم الذين صحبوا الرسول صلى الله عليه وسلم، فلاعجب بفوزهم بالجنان.

- **السيدة فاطمة رضي الله عنها:**

عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا قَالَت: ((أَقْبَلَتْ فَاطِمَةُ تَمْشِي كَأَنَّ مِشْيَتَهَا مَشْيُ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَرْحَبًا بِابْنَتِي ثُمَّ أَجْلَسَهَا عَنْ يَمِينِهِ أَوْ عَنْ شِمَالِهِ ثُمَّ أَسَرَّ إِلَيْهَا حَدِيثًا فَبَكَتْ فَقُلْتُ لَهَا لِمَ تَبْكِينَ ثُمَّ أَسَرَّ إِلَيْهَا حَدِيثًا فَضَحِكَتْ فَقُلْتُ مَا رَأَيْتُ كَالْيَوْمِ فَرَحًا أَقْرَبَ مِنْ حُزْنٍ فَسَأَلْتُهَا عَمَّا قَالَ فَقَالَتْ مَا كُنْتُ لِأُفْشِيَ سِرَّ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَتَّى قُبِضَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَسَأَلْتُهَا فَقَالَتْ أَسَرَّ إِلَيَّ: **إِنَّ جِبْرِيلَ كَانَ يُعَارِضُنِي الْقُرْآنَ كُلَّ سَنَةٍ مَرَّةً وَإِنَّهُ عَارَضَنِي الْعَامَ مَرَّتَيْنِ وَلَا أُرَاهُ إِلَّا حَضَرَ أَجَلِي وَإِنَّكِ أَوَّلُ أَهْلِ بَيْتِي لَحَاقًا بِي فَبَكَيْتُ فَقَالَ أَمَا تَرْضَيْنَ أَنْ تَكُونِي سَيِّدَةَ نِسَاءِ أَهْلِ الْجَنَّةِ أَوْ نِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ فَضَحِكْتُ لِذَلِكَ)).**[٢] امرأة عظيمة، وابنة صالحة، وزوجة كريمة، لو اقتدى بها فتيات عصرنا لحققوا السعادة الحقيقية.

- **العشرة المبشرون بالجنة:**

عن سَعِيد بْنَ زَيْدٍ أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: **((عَشَرَةٌ فِي الْجَنَّةِ؛ أَبُو بَكْرٍ فِي الْجَنَّةِ ، وَعُمَرُ فِي الْجَنَّةِ ، وَعُثْمَانُ ، وَعَلِيٌّ ، وَالزُّبَيْرُ ، وَطَلْحَةُ ، وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ ، وَأَبُو عُبَيْدَةَ ، وَسَعْدُ بْنُ أَبِي وَقَّاصٍ))** قَالَ: فَعَدَّ هَؤُلَاءِ التِّسْعَةَ ، وَسَكَتَ عَنِ الْعَاشِرِ ، فَقَالَ الْقَوْمُ: نَنْشُدُكَ اللهَ يَا أَبَا الْأَعْوَرِ مَنِ الْعَاشِرُ؟ قَالَ: نَشَدْتُمُونِي بِاللهِ! أَبُو الْأَعْوَرِ فِي الْجَنَّةِ)) وأَبُو الْأَعْوَرِ هُوَ سَعِيدُ بْنُ زَيْدِ بْنِ عَمْرِو بْنِ نُفَيْلٍ راوي الحديث[٣].

---

[١] أخرجه: البخاري، الجامع الصحيح، كتاب فضائل الصحابة - باب مناقب عمر بن الخطاب أبي حفص القرشي العدوي رضى الله تعالى عنه - ح(٣٤٩٠) ، (١٣٥٠/٣) وح، (٣٤٧١). ومسلم، المسند الصحيح، - كتاب فضائل الصحابة - باب من فضائل عثمان بن عفان رضي الله عنه- ح ٢٤٠٣، (١٨٦٧/٤). من حديث أبي موسى الأشعري رضي الله عنه.

[٢] أخرجه: البخاري، الجامع الصحيح، كتاب المناقب – باب علامات النبوة في الإسلام – ح٣٤٢٦، (٣/ ١٣٢٦). ومسلم، المسند الصحيح، كتاب فضائل الصحابة – باب فضائل فاطمة بنت النبي صلى الله عليه وسلم – ح ٢٤٥٠ ،(١٤٢/٧). من حديث عائشة رضي الله عنها.

[٣] أخرجه الترمذي، الجامع الكبير، أَبْوَابُ الْمَنَاقِبِ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - بَابٌ : مَنَاقِبُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ الزُّهْرِيِ- ح٣٧٤٨، (٦٤٨/٥) من طريق عُمَرَ بْنِ سَعِيدٍ ، عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ حُمَيْدٍ ، عَنْ أَبِيهِ عن سَعِيد بْن زَيْدٍ رضي الله عنه، قال الترمذي: "وَسَمِعْتُ مُحَمَّدًا يَقُولُ: هُوَ أَصَحُّ مِنَ الْحَدِيثِ الْأَوَّلِ"، وقال الألباني:"صحيح".

تبشير العشرة لا ينافي مجيء تبشير غيرهم أيضًا في غير ما خبر، لأنّ العدد لا ينفي الزائد ، والظاهر أن هذا الترتيب هو المذكور على لسانه -صلّى الله عليه وسلّم- كما يشير إليه ذكر اسم الراوي بين الأسماء(١)، والصحابة رضي الله عنهم لهم فضل السبق إلى الإسلام، ومساندة الرسول صلى الله عليه وسلم، وقد تربوا في مدرسة السعادة على يد خير البشرية نبيّنا محمد صلى الله عليه وسلم.

- **رجل من أهل الجنة:**

عَنْ خَرَشَةَ بْنِ الْحُرِّ، قَالَ: كُنْتُ جَالِسًا فِي حَلَقَةٍ فِي مَسْجِدِ الْمَدِينَةِ، قَالَ: وَفِيهَا شَيْخٌ حَسَنُ الْهَيْئَةِ، وَهُوَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ سَلَامٍ ، قَالَ: فَجَعَلَ يُحَدِّثُهُمْ حَدِيثًا حَسَنًا، قَالَ: فَلَمَّا قَامَ قَالَ الْقَوْمُ: **مَنْ سَرَّهُ أَنْ يَنْظُرَ إلى رَجُلٍ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ** ؛ فَلْيَنْظُرْ إلى هَذَا. قَالَ: فَقُلْتُ: وَاللَّهِ لَأَتْبَعَنَّهُ، فَلَأَعْلَمَنَّ مَكَانَ بَيْتِهِ. قَالَ: فَتَبِعْتُهُ، فَانْطَلَقَ حَتَّى كَادَ أَنْ يَخْرُجَ مِنَ الْمَدِينَةِ، ثُمَّ دَخَلَ مَنْزِلَهُ، قَالَ: فَاسْتَأْذَنْتُ عَلَيْهِ، فَأَذِنَ لِي، فَقَالَ: مَا حَاجَتُكَ يَا ابْنَ أَخِي؟ قَالَ: فَقُلْتُ لَهُ: سَمِعْتُ الْقَوْمَ يَقُولُونَ لَكَ لَمَّا قُمْتَ: مَنْ سَرَّهُ أَنْ يَنْظُرَ إلى رَجُلٍ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ فَلْيَنْظُرْ إلى هَذَا. فَأَعْجَبَنِي أَنْ أَكُونَ مَعَكَ، قَالَ: اللَّهُ أَعْلَمُ بِأَهْلِ الْجَنَّةِ، وَسَأُحَدِّثُكَ مِمَّ قَالُوا ذَاكَ ؛ إِنِّي بَيْنَمَا أَنَا نَائِمٌ إِذْ أَتَانِي رَجُلٌ، فَقَالَ لِي: قُمْ. فَأَخَذَ بِيَدِي، فَانْطَلَقْتُ مَعَهُ، قَالَ: فَإِذَا أَنَا بِجَوَادَّ عَنْ شِمَالِي، قَالَ: فَأَخَذْتُ لِآخُذَ فِيهَا، فَقَالَ لِي: لَا تَأْخُذْ فِيهَا ؛ فَإِنَّهَا طُرُقُ أَصْحَابِ الشِّمَالِ. قَالَ: فَإِذَا جَوَادُّ مَنْهَجٌ عَلَى يَمِينِي، فَقَالَ لِي: خُذْ هَاهُنَا. فَأَتَى بِي جَبَلًا، فَقَالَ لِيَ: اصْعَدْ. قَالَ: فَجَعَلْتُ إِذَا أَرَدْتُ أَنْ أَصْعَدَ خَرَرْتُ عَلَى اسْتِي، قَالَ: حَتَّى فَعَلْتُ ذَلِكَ مِرَارًا، قَالَ: ثُمَّ انْطَلَقَ بِي حَتَّى أَتَى بِي عَمُودًا، رَأْسُهُ فِي السَّمَاءِ، وَأَسْفَلُهُ فِي الْأَرْضِ، فِي أَعْلَاهُ حَلْقَةٌ، فَقَالَ لِيَ: اصْعَدْ فَوْقَ هَذَا. قَالَ: قُلْتُ: كَيْفَ أَصْعَدُ هَذَا وَرَأْسُهُ فِي السَّمَاءِ؟ قَالَ: فَأَخَذَ بِيَدِي، فَزَجَلَ بِي ، قَالَ: فَإِذَا أَنَا مُتَعَلِّقٌ بِالْحَلْقَةِ، قَالَ: ثُمَّ ضَرَبَ الْعَمُودَ فَخَرَّ، قَالَ: وَبَقِيتُ مُتَعَلِّقًا بِالْحَلْقَةِ، حَتَّى أَصْبَحْتُ، قَالَ: فَأَتَيْتُ النَّبِيَّ -صلّى اللَّهُ عَلَيْهِ وسلّم-، فَقَصَصْتُهَا عَلَيْهِ، فَقَالَ: ((**أَمَّا الطُّرُقُ الَّتِي رَأَيْتَ عَنْ يَسَارِكَ فَهِيَ طُرُقُ أَصْحَابِ الشِّمَالِ "، قَالَ: " وَأَمَّا الطُّرُقُ الَّتِي رَأَيْتَ عَنْ يَمِينِكَ فَهِيَ طُرُقُ أَصْحَابِ الْيَمِينِ، وَأَمَّا الْجَبَلُ فَهُوَ مَنْزِلُ الشُّهَدَاءِ، وَلَنْ تَنَالَهُ، وَأَمَّا الْعَمُودُ فَهُوَ عَمُودُ الْإِسْلَامِ، وَأَمَّا الْعُرْوَةُ فَهِيَ عُرْوَةُ الْإِسْلَامِ، وَلَنْ تَزَالَ مُتَمَسِّكًا بِهَا حَتَّى تَمُوتَ**))(٢)، كان من

---

(١) المباركفوري، تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي (١٠/ ١٧١).

(٢) أخرجه مسلم، المسند الصحيح، - كِتَابٌ : فَضَائِلُ الصَّحَابَةِ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالى عَنْهُمْ - بَابٌ : مِنْ فَضَائِلِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ سَلَامٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ح٢٤٨٤ ، (٤/ ١٩٣٠). من حديث خَرَشَةَ بْنِ الْحُرِّ رضي الله عنه.

خير هذا الصحافي رضي الله عنهم استقامته وتمسكه على الدين حتى يموت، لذلك كانت الاستقامة من أسباب السعادة في الدنيا والى توصل إلى سعادة الآخرة.

- **امرأة من أهل الجنة:**

عن عَطَاءُ بْنُ أَبِي رَبَاحٍ، قَالَ: قَالَ لِي ابْنُ عَبَّاسٍ: أَلَا أُرِيكَ امْرَأَةً مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ ؟ قُلْتُ: بَلَى. قَالَ: هَذِهِ الْمَرْأَةُ السَّوْدَاءُ، أَتَتِ النَّبِيَّ -صلّى اللَّهُ عَلَيْهِ وسلّم-، فَقَالَتْ: إِنِّي أُصْرَعُ، وَإِنِّي أَتَكَشَّفُ، فَادْعُ اللَّهَ لِي. قَالَ: ((**إِنْ شِئْتِ صَبَرْتِ وَلَكِ الْجَنَّةُ، وَإِنْ شِئْتِ دَعَوْتُ اللَّهَ أَنْ يُعَافِيَكِ "** فَقَالَتْ: أَصْبِرُ. فَقَالَتْ: إِنِّي أَتَكَشَّفُ، فَادْعُ اللَّهَ أَنْ لَا أَتَكَشَّفَ. فَدَعَا لَهَا))(١). نالت الجنة بصبرها وبإيجابيتها مع نفسها، فقدمت السعادة الخالدة على الراحة والصحة في الدنيا الفنية، فاستحق أن تكون من نساء الجنة.

- **أبو هريرة وأم أبي هريرة:**

قال أَبُو هُرَيْرَة رضي االله عنه: كُنْتُ أَدْعُو أُمِّي إلى الْإِسْلَامِ وَهِيَ مُشْرِكَةٌ، فَدَعَوْتُهَا يَوْمًا فَأَسْمَعَتْنِي فِي رَسُولِ اللَّهِ -صلّى اللَّهُ عَلَيْهِ وسلّم- مَا أَكْرَهُ، فَأَتَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ -صلّى اللَّهُ عَلَيْهِ وسلّم- وَأَنَا أَبْكِي، قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنِّي كُنْتُ أَدْعُو أُمِّي إلى الْإِسْلَامِ فَتَأْبَى عَلَيَّ، فَدَعَوْتُهَا الْيَوْمَ، فَأَسْمَعَتْنِي فِيكَ مَا أَكْرَهُ، فَادْعُ اللَّهَ أَنْ يَهْدِيَ أُمَّ أَبِي هُرَيْرَةَ. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ -صلّى اللَّهُ عَلَيْهِ وسلّم- : ((**اللَّهُمَّ اهْدِ أُمَّ أَبِي هُرَيْرَةَ "** فَخَرَجْتُ مُسْتَبْشِرًا بِدَعْوَةِ نَبِيِّ اللَّهِ -صلّى اللَّهُ عَلَيْهِ وسلّم-، فَلَمَّا جِئْتُ، فَصِرْتُ إلى الْبَابِ، فَإِذَا هُوَ مُجَافٌ، فَسَمِعَتْ أُمِّي خَشْفَ قَدَمَيَّ، فَقَالَتْ: مَكَانَكَ يَا أَبَا هُرَيْرَةَ. وَسَمِعْتُ خَضْخَضَةَ الْمَاءِ، قَالَ: فَاغْتَسَلَتْ وَلَبِسَتْ دِرْعَهَا، وَعَجِلَتْ عَنْ خِمَارِهَا، فَفَتَحَتِ الْبَابَ، ثُمَّ قَالَتْ: يَا أَبَا هُرَيْرَةَ، أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ. قَالَ: فَرَجَعْتُ إلى رَسُولِ اللَّهِ -صلّى اللَّهُ عَلَيْهِ وسلّم-، فَأَتَيْتُهُ وَأَنَا أَبْكِي مِنَ الْفَرَحِ، قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَبْشِرْ، قَدِ اسْتَجَابَ اللَّهُ دَعْوَتَكَ، وَهَدَى أُمَّ أَبِي هُرَيْرَةَ. فَحَمِدَ اللَّهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ وَقَالَ خَيْرًا، قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، ادْعُ اللَّهَ أَنْ يُحَبِّبَنِي أَنَا وَأُمِّي إلى عِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ، وَيُحَبِّبَهُمْ إِلَيْنَا. قَالَ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ -صلّى اللَّهُ عَلَيْهِ وسلّم: **((اللَّهُمَّ حَبِّبْ عُبَيْدَكَ هَذَا - يَعْنِي أَبَا هُرَيْرَةَ - وَأُمَّهُ إلى عِبَادِكَ الْمُؤْمِنِينَ،**

---

(١) أخرجه: البخاري، الجامع الصحيح - كِتَابُ الْمَرْضَى - بَابُ فَضْلُ مَنْ يُصْرَعُ مِنَ الرِّيحِ، ح٥٦٥٢، (٢٢٣٥/٥). ومسلم، المسند الصحيح، كتاب البر والصلة والآداب - باب ثواب المؤمن فيما يصيبه من مرض أو حزن،ح٢٥٧٦، (١٩٩٤/٤). من حديث ابن عباس رضي الله عنه.

وَحَبِّبْ إِلَيْهِمُ الْمُؤْمِنِينَ)). فَمَا خُلِقَ مُؤْمِنٌ يَسْمَعُ بِي، وَلَا يَرَانِي إِلَّا أَحَبَّنِي. [١] بقوة إيمانه وخدمته للسنة النبوية رضي الله عنه استحق القبول في الأرض ومحبة الخلق.

---

[١] أخرجه: مسلم، المسند الصحيح، كتاب فضائل الصحابة رضى الله تعإلى عنهم، باب من فضائل أبي هريرة الدوسي رضى الله تعإلى عنه ح(٢٤٩١) ، (١٩٣٨/٤). من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

المبحث الثاني: السعادة من حيث حقيقتها

يتقلّب العبد في الدنيا بين نعم كثيرة، وملذّات وشهوات مؤقتة، وكثير من الناس يخلط بين السعادة الحقيقية وبين اللّذة المؤقتة أو الشهوة الزائلة، فقد يصحب السعادة تعب لكن القلب يبقى مطمأن في سكينة ورضا وحبور، ويصحب المعصية والهوى لذة مؤقتة لكنها سرعان ما تزول وتبقى الحسرة والضيقة والضنك، قال تعالى { وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى (١٢٤) } [سورة طه: ١٢٤، ١٢٥] ، وقال النبي -صلّى الله عليه وسلّم: ((**لَوْ كَانَتِ الدُّنْيَا تَعْدِلُ عِنْدَ اللهِ جَنَاحَ بَعُوضَةٍ مَا سَقَى كَافِرًا مِنْهَا شَرْبَةَ مَاءٍ**))[١]وهو مثل للقلة والحقارة والمعنى أنه لو كان للدنيا أدنى قدر ما سقى كافرًا من مياهها، وهو حرمان من أدنى تمتع، فلا تعدل الدنيا حتى جناح البعوض الذليل الصغير[٢]، وفي هذا المبحث بيان لحقيقة السعادة بإذن الله تعالى.

أنواع السعادة التي تؤثرها النفوس[٣]:

المطلب الأول: سعادة خارجيّة مستعارة

(السعادة الوهمية اللحظية المادية)

وهذه السعادة يعتريها النقص والزوال وفي التعلق بها هم وانشغال عن الآخرة وهي تتمثل بالماديات الدنيوية المستعارة التي يسعى إليها المرء في الدنيا ويطلبها، مثل المال والجاه والشهرة وغيرها من ملذّات الدنيا المؤقتة الزائلة فهي سعادة غير حقيقية إنما هي ملذّات مؤقتة يستمتع بها العبد ثم تزول.

بعث الرسول الله -صلّى الله عليه وسلّم- أبا عبيدة بن الجراح إلى البحرين يأتي بجزيتها، وكان رسول الله- صلّى الله عليه وسلّم- هو صالح أهل البحرين وأمر عليهم العلاء بن الحضرمي فقدم أبو عبيدة بمال من البحرين فسمعت الأنصار بقدوم أبي عبيدة فوافت صلاة الصبح مع النبي -صلّى الله عليه وسلّم- فلما -صلّى بهم الفجر انصرف فتعرّضوا له فتبسم رسول الله -صلّى الله

---

[١] سبق تخريجه ص١٦٥.

[٢] ينظر: القاري، مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح (٨/ ٣٢٤١)

[٣] مستفادة الأقسام من: ابن القيم، مفتاح دار السعادة (١/ ١٠٧) بتصرف يسير.

عليه وسلّم- حين رآهم وقال صلى الله عليه وسلم: **((أظنكم قد سمعتم أن أبا عبيدة قد جاء بشيء))**، قالوا: أجل يا رسول الله، **قال ((فَأَبْشِرُوا وَأَمِّلُوا مَا يَسُرُّكُمْ ، فَوَاللهِ لَا الْفَقْرَ أَخْشَى عَلَيْكُمْ ، وَلَكِنْ أَخْشَى عَلَيْكُمْ أَنْ تُبْسَطَ عَلَيْكُمُ الدُّنْيَا ، كَمَا بُسِطَتْ عَلَى مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ ، فَتَنَافَسُوهَا كَمَا تَنَافَسُوهَا ، وَتُهْلِكَكُمْ كَمَا أَهْلَكَتْهُمْ))** (١) وقوله -صلّى الله عليه وسلّم- (وتهلككم كما أهلكتهم) فيه أنّ المنافسة في الدنيا قد تجر إلى الهلاك في الدين(٢).

فالناس كلما انفتحت عليهم الدنيا، وصاروا ينظرون إليها، فإنهم يخسرون من الآخرة بقدر ما ربحوا من الدنيا، قال النبي -صلّى الله عليه وسلّم-: (والله ما الفقر أخشى عليكم) يعني ما أخاف عليكم الفقر، فالدنيا ستفتح. (ولكني أخشى أن تبسط عليكم الدنيا كما بسطت على من كان قبلكم، فتنافسوا كما تنافسوها، وتهلككم كما أهلكتكم) ، وصدق الرسول عليه الصلاة والسلام، هذا الذي أهلك الناس اليوم، الذي أهلك الناس اليوم التنافس في الدنيا، وكونهم كأنّما خلقوا لها لا أنها خلقت لهم، فاشتغلوا بما خلق لهم عمّا خلقوا له، وهذا من الانتكاس نسأل الله العافية(٣).

قال تعالى: { زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَآبِ (١٤) قُلْ أَؤُنَبِّئُكُمْ بِخَيْرٍ مِنْ ذَلِكُمْ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَأَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ وَرِضْوَانٌ مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ (١٥) } [سورة آل عمران: ١٤، ١٥]

يخبر تعالى أنّه زين للناس حب الشهوات الدنيوية، وخص هذه الأمور المذكورة لأنها أعظم شهوات الدنيا وغيرها تبع لها، قال تعالى {إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الْأَرْضِ زِينَةً لَهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا} [الكهف: ٧] فلما زينت لهم هذه المذكورات بما فيها من الدواعي المثيرات، تعلقت بها نفوسهم ومالت إليها قلوبهم، وانقسموا بحسب الواقع إلى قسمين: قسم: جعلوها هي المقصود، فصارت أفكارهم وخواطرهم وأعمالهم الظاهرة والباطنة لها، فشغلتهم عما خلقوا لأجله، وصحبوها صحبة البهائم السائمة، يتمتعون بلذاتها ويتناولون شهواتها، ولا يبالون على أي: وجه

---

(١) أخرجه: البخاري، الجامع الصحيح، أبواب الجزية والموادعة- باب الجزية والموادعة مع أهل الذمة والحرب ح(٢٩٨٨)، (١١٥٢/٣)، وح [٣٧٩١ ، ٦٠٦١]. مسلم، المسند الصحيح - كتاب الزهد والرقائق-ح ٢٩٦١، (٨ / ٢١٢). من حديث عَمْرَو بْنَ عَوْفٍ الْأَنْصَارِيَّ رضي الله عنه.

(٢) القسطلاني، إرشاد الساري (٢٣١/٥).

(٣) ابن عثيمين، شرح رياض الصالحين (٣٧/٢).

حصلوها، ولا فيما أنفقوها وصرفوها، فهؤلاء كانت زادًا لهم إلى دار الشقاء والعناء والعذاب، والقسم الثاني: عرفوا المقصود منها وأنّ الله جعلها ابتلاء وامتحانا لعباده، ليعلم من يقدم طاعته ومرضاته على لذاته وشهواته، فجعلوها وسيلة لهم وطريقا يتزودون منها لآخرتهم ويتمتعون بما يتمتعون به على وجه الاستعانة به على مرضاته، قد صحبوها بأبدانهم وفارقوها بقلوبهم، وعلموا أنها كما قال الله فيها {ذلك متاع الحياة الدنيا} فجعلوها معبرا إلى الدار الآخرة ومتجرا يرجون بها الفوائد الفاخرة، فهؤلاء صارت لهم زادا إلى ربهم. وفي هذه الآية تسلية للفقراء الذين لا قدرة لهم على هذه الشهوات التي يقدر عليها الأغنياء، وتحذير للمغترين بها وتزهيد لأهل العقول النيرة بها، وتمام ذلك أنّ الله تعالى أخبر بعدها عن دار القرار ومصير المتقين الأبرار، وأخبر أنّها خير من ذلكم المذكور، ألا وهي الجنات العاليات ذات المنازل الأنيقة والغرف العالية، والأشجار المتنوعة المثمرة بأنواع الثمار، والأنهار الجارية على حسب مرادهم والأزواج المطهرة من كل قذر ودنس وعيب ظاهر وباطن، مع الخلود الدائم الذي به تمام النعيم، مع الرضوان من الله الذي هو أكبر نعيم، فقس هذه الدار الجليلة بتلك الدار الحقيرة، ثم اختر لنفسك أحسنهما واعرض على قلبك المفاضلة بينهما {والله بصير بالعباد} أي: عالم بما فيهم من الأوصاف الحسنة والأوصاف القبيحة، وما هو اللائق بأحوالهم، يوفق من شاء منهم ويخذل من شاء[١].

و"عندما أخبر سبحانه عما زين للناس في هذه الحياة الدنيا من أنواع الملاذ من النساء والبنين، بدأ بالنساء لأن الفتنة بهن أشد، كما ثبت في الصحيح أنه عليه السلام قال: ((**مَا تَرَكْتُ بَعْدِي فِتْنَةً أَضَرَّ عَلَى الرِّجَالِ مِنَ النِّسَاءِ**))،[٢] فأما إذا كان القصد بهن الإعفاف وكثرة الأولاد، فهذا مطلوب مرغوب فيه مندوب إليه، كما وردت الأحاديث بالترغيب في التزويج والاستكثار منه، وروي عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ قَالَ: قَالَ لِيَ ابْنُ عَبَّاسٍ: هَلْ تَزَوَّجْتَ ؟ قُلْتُ: لَا. قَالَ: فَتَزَوَّجْ ؛ فَإِنَّ خَيْرَ هَذِهِ الْأُمَّةِ أَكْثَرُهَا نِسَاءً[٣]، وقال -صلّى الله عليه وسلّم- ((**الدُّنْيَا مَتَاعٌ، وَخَيْرُ مَتَاعِ**

---

[١] السعدي، تيسير الكريم الرحمن (ص: ١٢٤).

[٢] أخرجه: البخاري، الجامع الصحيح، كتاب النكاح - باب ما يتقى من شؤم المرأة – ح ٤٨٠٨، (٥/ ١٩٥٩). مسلم، المسند الصحيح، كتاب الرقاق - باب أكثر أهل الجنة الفقراء - ح٢٧٤١، (٨٩/٨). **من حديث** أسامة بن زيد رضي الله عنه.

[٣] أخرجه البخاري - كِتَابُ النِّكَاحِ - بَابُ كَثْرَةِ النِّسَاءِ.- ح٤٧٨٢ (٥/ ١٩٥١).

الدُّنْيَا الْمَرْأَةُ الصَّالِحَةُ))(١)، وقوله -صلّى الله عليه وسلّم-: **((حُبِّبَ إِلَيَّ مِنَ الدُّنْيَا النِّسَاءُ وَالطِّيبُ، وَجُعِلَ قُرَّةُ عَيْنِي فِي الصَّلَاةِ))** (٢) ، وحب البنين تارة يكون للتفاخر والزينة فهو داخل في هذا، وتارة يكون لتكثير النسل، وتكثير أمة محمد- صلّى الله عليه وسلّم- ممن يعبد الله وحده لا شريك له، فهذا محمود ممدوح، كما ثبت في الحديث: ((**تَزَوَّجُوا الْوَدُودَ الْوَلُودَ؛ إِنِّي مُكَاثِرٌ الْأَنْبِيَاءَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ))**(٣)، وحب المال-كذلك-تارة يكون للفخر والخيلاء والتكبّر على الضعفاء، والتجبّر على الفقراء، فهذا مذموم، وتارة يكون للنفقة في القربات وصلة الأرحام والقرابات ووجوه البرّ والطاعات، فهذا ممدوح محمود عليه شرعًا"(٤).

وروى حَكِيمَ بْنَ حِزَامٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: سَأَلْتُ رَسُولَ اللهِ -صلّى اللهُ عَلَيْهِ وسلّم- فَأَعْطَانِي ، ثُمَّ سَأَلْتُهُ فَأَعْطَانِي ، ثُمَّ سَأَلْتُهُ فَأَعْطَانِي ، ثُمَّ قَالَ: **((يَا حَكِيمُ ، إِنَّ هَذَا الْمَالَ خَضِرَةٌ حُلْوَةٌ ، فَمَنْ أَخَذَهُ بِسَخَاوَةِ نَفْسٍ بُورِكَ لَهُ فِيهِ، وَمَنْ أَخَذَهُ بِإِشْرَافِ نَفْسٍ لَمْ يُبَارَكْ لَهُ فِيهِ، كَالَّذِي يَأْكُلُ وَلَا يَشْبَعُ، الْيَدُ الْعُلْيَا خَيْرٌ مِنَ الْيَدِ السُّفْلَى))**(٥) وهذا الحديث يدل على أن فتنة المال والغنى مخوفة على من فتحه الله عليه لتزيين الله تعالى له ولشهوات الدنيا في نفوس عباده؛ فلا سبيل لهم إلى بغضته إلا بعون الله على ذلك، فمن أخذ المال من حقه ووضعه في حقه فقد سلم من فتنته، وحصل على ثوابه، وهذا معنى قوله -صلّى الله عليه وسلّم-: (فمن أخذه بطيب نفس بورك فيه) ، وفى قوله أيضًا: (ومن أخذه بطيب نفس) تنبيه لأمته على الرضا بما قسم لهم، وفى قوله: (ومن أخذه بإشراف نفس لم يبارك له فيه، وكان كالذي يأكل ولا يشبع) ذم الحرص والشره إلى الاستكثار، فقد شبه فاعل ذلك بالبهائم التي تأكل ولا تشبع وهذا غاية الذم له لأنّ الله تعالى

---

(١) أخرجه مسلم، المسند الصحيح، كتاب الرضاع - باب خير متاع الدنيا المرأة الصالحة - ح ١٤٦٧، (٤/١٧٨). **من** حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه.

(٢) سبق تخريجه ص١٠٠ .

(٣) أخرجه أبو عبد الله، مسند أحمد بن حنبل، مسند المكثرين من الصحابة، مسند أنس بن مالك رضي الله عنه، (٣/ ١٥٨) من طريق خَلَفُ بْنُ خَلِيفَةَ عن حَفْص بْنُ عُمَرَ ، عن أنس بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه. وخلف صدوق، وحفص صدوق انظر تقريب التهذيب(ص:١٧٤، ١٩٤). قال ابن حجر:"فصح من حديث أنس بلفظ تزوجوا الودود الولود فإني مكاثر بكم يوم القيامة أخرجه ابن حبان " انظر فتح الباري شرح صحيح البخاري: (٩ / ٨) (إسناد حسن).

(٤) ينظر: ابن كثير، تفسير ابن كثير (١٩/٢).

(٥) أخرجه: البخاري، كتاب الرقاق - باب قول النبي صلى الله عليه و سلم (هذا المال خضرة حلوة) – ح(٦٠٧٦) ، (٥/ ٢٣٦٥)، وح [١٣٦١] . ومسلم، المسند الصحيح، كتاب الزكاة - باب بيان أن اليد العليا خير من اليد السفلى -ح ١٠٣٥، (٩٤/٣). **من حديث** حكيم بن حزام رضي الله عنه.

وصف الكفار بأنهم يأكلون كما تأكل الأنعام، يعنى: أنهم لا يشبعون كما لا تشبع الأنعام؛ لأنّ الأنعام لا تأكل لإقامة أرماقها، وإنما تأكل للشره والنهم، فينبغي للمؤمن العاقل الفهم عن الله تعالى وعن رسوله أن يتشبه بالسلف الصالح في أخذ الدنيا ولا يتشبه بالبهائم التي لا تعقل(١).

وفى هذا الحديث ذمّ الحرص وكثرة السؤال، وكثرة عطاء النبي -صلّى الله عليه وسلّم-، وأنه كان لا يرد سائلًا، وفضل القناعة والإجمال في الطلب، وأنّ البركة مع القناعة، وأنّ طيب النفس وسخاوتها يرجع على المعطي(٢).

قال النبي -صلّى الله عليه وسلّم-: ((**تَعِسَ عَبْدُ الدِّينَارِ وَالدِّرْهَمِ وَالْقَطِيفَةِ وَالْخَمِيصَةِ، إِنْ أُعْطِيَ رَضِيَ، وَإِنْ لَمْ يُعْطَ لَمْ يَرْضَ**)) (٣)، ومعنى الحديث أي: تعس إن طلب ذلك، واستعبده وصار عمله كله فى طلب الدينار والدرهم كالعبادة لهما، فإن أعطي ما له، عمل ورضي عن معطيه وهو خالقه عزّ وجلّ، وإن لم يعط سخط، فوجب الدعاء عليه بالتعس؛ لأنه أوقف عمله على متاع الدنيا الفاني وترك العمل لنعيم الآخرة الباقي، والتعس: ألا ينتعش ولا يفيق من عثرته، وانتكس أي: عاوده المرض كما بدأه(٤).

وهذا الحديث أصل في السعاد الزائفة، وفي ذم التعلق في الدنيا وزينتها، فإن السعادة الحقيقية أعظم من الماديات.

ويلحق بهذه السعادة سعادة البدن، وهي سعادة في جسمه وبدنه كصحته واعتدال مزاجه وتناسب أعضائه وحسن تركيبه وصفاء لونه وقوة أعضائه فهذه ألصق به من السعادة الأولى ولكن هي في الحقيقة خارجة عن ذاته وحقيقته فإن الإنسان إنسان بروحه وقلبه لا بجسمه وبدنه(٥).

---

(١) ابن بطال، ابن بطال أبو الحسن علي بن خلف بن عبد الملك (ت٤٤٩هـ)، **شرح صحيح البخاري**، تحقيق: أبو تميم ياسر بن إبراهيم، مكتبة الرشد - السعودية، الرياض، ط٢، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٣م (١٦١/٠).

(٢) القاضي عياض، اكمال المعلم (٥٦٨/٣).

(٣) أخرجه البخاري، الجامع الصحيح، كتاب الجهاد والسير- باب الحراسة في الغزو في سبيل الله- ح(٢٧٣٠)، (١٠٥٧/٣) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٤) ابن بطال، شرح صحيح البخارى لابن بطال، (٥/ ٨٣).

(٥) ابن القيم، مفتاح دار السعادة (١٠٨/١).

والشعور اللحظي بالسعادة يمكن أن يتأثر بسهوله ببعض الأشياء البسيطة التي من شأنها أن ترفع المعنويات، مثل: تلقي تحية، باقة من الزهور من شخص يهمك، أو حتى تناول قطعة من الشوكولاتة، وليس هناك أحد من الخبراء يمكن أن يساعد الإنسان في هذا الشأن إلا هو نفسه، والاعتقاد بأن الإنسان يستطيع الاعتماد على هذه الطرق المختصرة الى السعادة بدلا من أن يكون مستحقا لهذه المشاعر من خلال ممارسة مصادر القوة والفضائل الشخصية، يؤدي إلى وجود زرافات من الناس الذين يعانون من مجاعة روحية رغم غناهم الشديد(١).

(١) ينظر، سيلجمان، السعادة الحقيقية (ص:٦٢، ٢٠ ،١٥١،١٤٥،١٤٣،١٤٢، ١٥٢).

المطلب الثاني: سعادة حقيقيّة نفسانيّة روحانيّة قلبيّة

(السعادة الحقيقية المستمرة الروحية)

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((**لَيْسَ الْغِنَى عَنْ كَثْرَةِ الْعَرَضِ، وَلَكِنَّ الْغِنَى غِنَى النَّفْسِ**))[١].

نجد النبي صلى الله عليه وسلم يغير المفهوم المادي للغنى وينقله إلى المعنى الأعمق – المعنى النفسي ـ [٢]

قال -صلّى الله عليه وسلّم-: ((**وَمَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَلْتَمِسُ فِيهِ عِلْمًا سَهَّلَ اللهُ لَهُ بِهِ طَرِيقًا إلى الْجَنَّةِ**))[٣]

وقال: ((**أَلَا إِنَّ الدُّنْيَا مَلْعُونَةٌ مَلْعُونٌ مَا فِيهَا إِلَّا ذِكْرُ اللهِ، وَمَا وَالَاهُ، وَعَالِمٌ أَوْ مُتَعَلِّمٌ**))[٤]

هذه هي السعادة الحقيقية، وهي سعادة نفسانيّة روحيّة قلبيّة وهي سعادة العلم النافع وثمرته، فإنها هي الباقية على تقلب الأحوال، وهي المصاحبة للعبد في جميع أسفاره وفي دوره الثلاثة: دار الدنيا ودار البرزخ ودار القرار، وبها يترقى معارج الفضل ودرجات الكمال[٥].

أمّا السعادة الأولى فإنّها تصحبه في البقعة التي فيها ماله وجاهه، وسعادة البدن تعرضه للزوال والتبدل بنكس الخلق والردّ إلى الضعف، فلا سعادة في الحقيقة إلا في هذه السعادة الروحية، وهذه السعادة لا يعرف قدرها ويبعث على طلبها إلا العلم بها، فعادت السعادة كلها إلى العلم وما تقضيه، والله يوفّق من يشاء لا مانع لما أعطى ولا معطي لما منع، وإنّما رغب أكثر الخلق عن اكتساب هذه السعادة وتحصيلها لوعورة طريقها ومرارة مباديها وتعب تحصيلها، وأنّها لا تنال إلّا على حدّ من التعب، فإنّها لا تحصل إلّا بالجد المحض بخلاف السعادة المادية

---

(١) أخرجه البخاري، الجامع الصحيح، كتاب الرقاق - باب الغنى غنى النفس . ومسلم ، المسند الصحيح، كتاب الزكاة - باب ليس الغنى عَنْ كثرة العرض – ح ١٠٥١، (٣/١٠٠). من حديث ابي هريرة رضي الله عنه.

(٢) عجين، الذكاء العاطفي الذاتي وتطبيقاته في السنّة النبوية (ص:٥٧)

(٣) سبق تخريجه ص٩٣.

(٤) سبق تخريجه ص٢١٨.

(٥) ابن القيم، مفتاح دار السعادة (١/ ١٠٧-١٠٨)

فإنها حظ قد يحوزه غير طالبه وبخت قد يحوزه غير جالبه من ميراث أو هبة أو غير ذلك، وأمّا سعادة العلم فلا يورثك إيّاها إلا بذل الوسع وصدق الطلب وصحة النية.(١)

والتحدي هو أن يرفع الإنسان من مستوى شعوره الدائم بالسعادة، ويكون ذلك هو الهدف الذي ينبغي العمل من أجله، علما بأن الأشياء التي من شأنها أن تسبب الارتفاع المفاجئ في الشعور بالسعادة لا تحقق هذا الهدف، وقد أطلق Seligman على الملذات التي تحقق هذا النوع من السعادة مسمى المسرات لما يحصل للإنسان من سرور ورضا عند ممارستها، والمسرات أنشطة يحب الإنسان أن يمارسها، ولكن ليس من الضروري أن تصحبها مشاعر وأحاسيس خام على الإطلاق، فالمسرات تشغل الإنسان الى درجة كبيرة ويصبح منغمس ومستغرق فيها ويفقد في ذلك الوعي بالذات لشدة سعادته، ومن أمثلتها: الاستمتاع بمحادثة أو تسلق صخور أو قراءة كتاب جيد، وهذه أمثلة للأنشطة التي يتوقف الزمن من أجلها وتتبارى مهارات الإنسان فيها مع التحدي، ويكون على مقربة واتصال من نقاط القوة لديه، لذلك فإن المسرات تستمر زمننا أطول من المتع الحسية وتتضمن الكثير من التفكير والتفسير، وهي تفعيل لقيم الإنسان وفضائله ومناطق القوة الشخصية فيه، بينما المتع الحسي تدور حول الحواس والمشاعر، والمتعة الحسية تؤدي بنا الى الإشباع البيولوجي بينما السرور والرضا في المسرات يؤدي بنا الى النمو النفسي(٢).

---

(١) ينظر: ابن القيم، مفتاح دار السعادة (١/ ١٠٧-١٠٨)

(٢) ينظر: سيلجمان، السعادة الحقيقية، (ص:١٥٤،١٥٢،١٤١)

المبحث الثالث: مظاهر وآثار السعادة في السّنّة النّبويّة

للسعادة مظاهر وآثار تكتب للعبد الصالح، ويحظى بها من انتهج منهج النبي -صلّى الله عليه وسلّم-، فما بعد التعب إلا الراحة ولا بعد السعي إلّا الفوز والرضوان، وهنا بهذا المطلب بإذن الله بيان لمظاهر السعادة التي يفوز بها من اتبع منهج النبي -صلّى الله عليه وسلّم- في السعادة.

ومظاهر الفرح أي: دلائله[١]، وعلاماته، ومظاهر السعادة تشمل المظاهر الدنيويّة والأخروية، وبيانها فيما يلي:

أوّلًا: الحياة الطيبة

- قال تعالى: {مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (٩٧) } [سورة النحل: ٩٧] .

{من عمل صالحا من ذكر أو أنثى وهو مؤمن} فإن الإيمان شرط في صحة الأعمال الصالحة وقبولها بل لا تسمى أعمالا صالحة إلا بالإيمان والإيمان مقتض لها فإنه التصديق الجازم المثمر لأعمال الجوارح من الواجبات والمستحبات فمن جمع بين الإيمان والعمل الصالح {فلنحيينه حياة طيبة} وذلك بطمأنينة قلبه وسكون نفسه وعدم التفاته لما يشوش عليه قلبه ويرزقه الله رزقا حلالا طيبا من حيث لا يحتسب {ولنجزينهم} في الآخرة {أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون} من أصناف اللّذات مما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر فيؤتيه الله في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة[٢].

ومن دعاء النبي -صلّى الله عليه وسلّم-: **((اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ الْهُدَى وَالتُّقَى، وَالْعَفَافَ وَالْغِنَى))**[٣] فجمع الخير كله في هذا الدعاء، فالهدى: هو العلم النافع. والتقى: العمل الصالح، وترك المحرمات كلها. وهذا صلاح الدين، وتمام ذلك بصلاح القلب، وطمأنينته بالعفاف عن الخلق، والغنى بالله. ومن كان غنيا بالله فهو الغني حقا، وإن قلت حواصله. فليس الغني عن

---

[١] مختار، معجم اللغة العربية المعاصرة (٢/ ١٤٤٥).

[٢] السعدي، تيسير الكريم الرحمن (ص:٤٤٨)

[٣] أخرجه مسلم، المسند الصحيح، كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار - باب التعوذ من شر ما عمل ومن شر ما لم يعمل ٢٧٢١،(٨١/٨). من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه.

كثرة العرض، إنما الغنى غنى القلب، وبالعفاف والغنى يتم للعبد الحياة الطيبة، والنعيم الدنيوي، والقناعة بما آتاه الله(١).

وفسرت الحياة الطيبة بحلاوة الطاعة وتوفيق العبادة، والرزق الحلال، وفسرت بالقناعة والرضا بالقسمة المقدرة، وهو نهاية النعمة الدنيوية، ومعنى إجزاء الأجر بأحسن العمل أن يجعل جميع أعماله المفضولة بمنزلة عمله الفاضل، وهو غاية النعمة الأخرويّة ومقدمتها الموت بخير يعني: على الإسلام وحالة البشارة بالروح والريحان والجنة(٢).

قَالَ رَسُولُ اللَّهِ -صلّى اللَّهُ عَلَيْهِ وسلّم-: ((**أَتَانِي اللَّيْلَةَ رَبِّي تَبَارَكَ وَتَعَالَى فِي أَحْسَنِ صُورَةٍ - قَالَ: أَحْسَبُهُ فِي الْمَنَامِ - فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ، هَلْ تَدْرِي فِيمَ يَخْتَصِمُ الْمَلَأُ الْأَعْلَى ؟** ". قَالَ: " قُلْتُ: لَا ". قَالَ: " فَوَضَعَ يَدَهُ بَيْنَ كَتِفَيَّ حَتَّى وَجَدْتُ بَرْدَهَا بَيْنَ ثَدْيَيَّ - أَوْ قَالَ: فِي نَحْرِي - فَعَلِمْتُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ، قَالَ: يَا مُحَمَّدُ، هَلْ تَدْرِي فِيمَ يَخْتَصِمُ الْمَلَأُ الْأَعْلَى ؟ قُلْتُ: نَعَمْ، فِي الْكَفَّارَاتِ ؛ وَالْكَفَّارَاتُ: الْمُكْثُ فِي الْمَسَاجِدِ بَعْدَ الصَّلَوَاتِ، وَالْمَشْيُ عَلَى الْأَقْدَامِ إِلى الْجَمَاعَاتِ، وَإِسْبَاغُ الْوُضُوءِ فِي الْمَكَارِهِ، **وَمَنْ فَعَلَ ذَلِكَ عَاشَ بِخَيْرٍ وَمَاتَ بِخَيْرٍ**، وَكَانَ مِنْ خَطِيئَتِهِ كَيَوْمَ وَلَدَتْهُ أُمُّهُ، وَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ، إِذَا صَلَّيْتَ فَقُلِ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ، وَتَرْكَ الْمُنْكَرَاتِ، وَحُبَّ الْمَسَاكِينِ، وَإِذَا أَرَدْتَ بِعِبَادِكَ فِتْنَةً فَاقْبِضْنِي إِلَيْكَ غَيْرَ مَفْتُونٍ". قَالَ: " وَالدَّرَجَاتُ إِفْشَاءُ السَّلَامِ، وَإِطْعَامُ الطَّعَامِ، وَالصَّلَاةُ بِاللَّيْلِ وَالنَّاسُ نِيَامٌ))(٣).

في هذا الحديث بيان أن العبد الصالح يعيش في خير ويموت على خير، وهذه هي الحياة الطيبة التي ذكرها الله سبحانه في كتابه لمن عمل صالحًا، وهي أهم مظهر من مظاهر السعادة الحقيقية.

قوله -صلّى الله عليه وسلّم-: "من فعل ذلك عاش بخير"، قال فيه البيضاوي: "هو من قوله تعالى: {من عمل صالحا من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة} أي لنرزقنه في الدنيا حياة طيبة، وذلك أن المؤمن مع العمل الصالح موسرًا كان أو معسرًا يعيش عيشًا طيبًا، إن

---

(١) السعدي، بهجة القلوب الابرار (٨٩/١)

(٢) ينظر: القاري، مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح (٦١٠/٢)

(٣) أخرجه الترمذي، الجامع الكبير - أَبْوَابُ تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - بَابٌ : وَمِنْ سُورَةِ ص – ح٣٢٣٣، (٥/ ٣٦٦) من طريق عَبْدُ الرَّزَّاقِ ، عَنْ مَعْمَرٍ ، عَنْ أَيُّوبَ ، عَنْ أَبِي قِلَابَةَ ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنه، ورجاله ثقات، قال الترمذي: "وَقَدْ ذَكَرُوا بَيْنَ أَبِي قِلَابَةَ وَبَيْنَ ابْنِ عَبَّاسٍ فِي هَذَا الْحَدِيثِ رَجُلًا ، وَقَدْ رَوَاهُ قَتَادَةُ ، عَنْ أَبِي قِلَابَةَ ، عَنْ خَالِدِ بْنِ اللَّجْلَاجِ ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ "، قال الألباني: "صحيح".

كان موسرًا فلا يقال فيه، وإن كان معسرًا فمعه ما يطيب عيشه، وهو القناعة والرضا بقسمة الله تعالى، وأما الفاجر فأمره على العكس، إن كان معسرًا فلا إشكال في أمره، وإن كان موسرًا فالحرص لا يدعه أن يتهنّى بعيشه، قال: ومعنى قوله: "ومات بخير" أنه يأمن في العاقبة ويكون له روح، وريحان إذا بلغت الحلقوم ويقال: { يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ (٢٧) ارْجِعِي إِلَى رَبِّكِ رَاضِيَةً مَرْضِيَّةً (٢٨) فَادْخُلِي فِي عِبَادِي (٢٩) وَادْخُلِي جَنَّتِي (٣٠) } [سورة الفجر: ٢٧- ٣٠] (١).

ثانيًا: البشارة بالخير

قال تعالى:{وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ بِأَنَّ لَهُمْ مِنَ اللَّهِ فَضْلًا كَبِيرًا (٤٧)} [سورة الأحزاب: ٤٧]

إن الله سبحانه وتعالى يبشر عباده المؤمنين المتقين الذين جمعوا بين الإيمان والعمل الصالح، وترك المعاصي والتقوى، يبشرهم ربهم سبحانه بالحياة الدنيا والآخرة، بكل ثواب دنيوي وديني، وفي الأخرى بالنعيم المقيم(٢)، وأنه سبحانه قد رضي عنهم بطاعتهم إياه، وأدائهم ما كلَّفهم(٣).

والبشريات في الحياة الدنيا ثلاثة: الثناء الحسن، والرؤيا الصالحة، والعناية الربانية من الله تعالى، التي يرون في خلالها أنه مريد لإكرامهم في الدنيا والآخرة، ولهم البشرى في الآخرة عند الموت، وفي القبر، وفي القيامة، وخاتمة البشرى ما يبشرهم به الرب الكريم، من دوام رضوانه وبرّه وإحسانه وحلول أمانه في الجنة(٤).

أنواع البشرى في الأحاديث النّبويّة:

- **الثناء الحسن:**

---

(١) السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (ت ٩١١هـ)، **قوت المغتذي على جامع الترمذي**، رسالة دكتوراه - جامعة أم القرى، مكة المكرمة – كلية الدعوة وأصول الدين، قسم الكتاب والسّنّة، ١٤٢٤ هـ(٧٩٨/٢)

(٢) السعدي، تيسير الكريم الرحمن (ص:٦٦٧).

(٣) الطبري، جامع البيان (١٤/ ١٧٤).

(٤) السعدي، تيسير الكريم الرحمن (٧٢١/١).

عَنْ أَبِي ذَرٍّ قَالَ: قِيلَ لِرَسُولِ اللهِ -صلّى اللهُ عَلَيْهِ وسلّم-: ((أَرَأَيْتَ الرَّجُلَ يَعْمَلُ الْعَمَلَ مِنَ الْخَيْرِ وَيَحْمَدُهُ النَّاسُ عَلَيْهِ؟ قَالَ: **تِلْكَ عَاجِلُ بُشْرَى الْمُؤْمِنِ))**(١).

في هذا الحديث دلالة على أنّ حمد الناس المؤمن على خير فعله بشرى من الله تعالى تعجلها، إذ هم شهود الله في أرضه، لأن المؤمنين لا يستجيزون أن يمدحوه ويثنوا عليه إلا فيما يكون لله عزّ وجلّ رضى، كما أنّهم لا يستجيزون أن يذمّوا إلّا على ما هو غير رضى(٢)، وعاجل بشرى المؤمن أي: عنوان الخير له، ودليل على رضا الله عنه وحبه له، وهذا كلّه إذا كان حمد الناس له عليه من غير طلبه ذلك ويعرضه له، فإنّ هذا أصل الرياء وأعظم الآفات لإفساد الأعمال وهلاك العاملين لها، وتزيين الشرك(٣).

- **الرؤيا الصالحة:**

عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: **((كَشَفَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ السِّتَارَةَ - وَالنَّاسُ صُفُوفٌ خَلْفَ أَبِي بَكْرٍ - فَقَالَ: أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّهُ لَمْ يَبْقَ مِنْ مُبَشِّرَاتِ النُّبُوَّةِ إِلَّا الرُّؤْيَا الصَّالِحَةُ يَرَاهَا الْمُسْلِمُ ، أَوْ تُرَى لَهُ))** (٤)

وقال النبي -صلّى الله عليه وسلّم-: **((لَمْ يَبْقَ مِنَ النُّبُوَّةِ إِلَّا الْمُبَشِّرَاتُ، قَالُوا: وَمَا الْمُبَشِّرَاتُ؟ قَالَ: الرُّؤْيَا الصَّالِحَةُ))**(٥)وقال عليه الصلاة والسلام: **((الرُّؤْيَا الصَّالِحَةُ مِنَ اللهِ وَالرُّؤْيَا السَّوْءُ مِنَ الشَّيْطَانِ ، فَمَنْ رَأَى رُؤْيَا فَكَرِهَ مِنْهَا شَيْئًا فَلْيَنْفُثْ عَنْ يَسَارِهِ ، وَلْيَتَعَوَّذْ بِاللهِ مِنَ الشَّيْطَانِ لَا تَضُرُّهُ وَلَا يُخْبِرْ بِهَا أَحَدًا ، فَإِنْ رَأَى رُؤْيَا حَسَنَةً فَلْيُبْشِرْ وَلَا يُخْبِرْ إِلَّا مَنْ يُحِبُّ))**(٦)

---

(١) أخرجه مسلم، المسند الصحيح، كتاب البر والصلة والآداب - باب إذا أثني على الصالح فهي بشرى ولا تضره -ح ٢٦٤٢، (٤٤/ ٨). من حديث أبي ذر الغفاري رضي الله عنه.

(٢) أبو المظفر، الإفصاح عن معاني الصحاح (٢/ ١٩٤).

(٣) القاضي عياض، إكمال المعلم بفوائد مسلم (٨/ ١٢٢).

(٤) جزء من حديث أخرجه مسلم، المسند الصحيح، كتاب الصلاة - باب النهي عَنْ قراءة القرآن فِي الركوع والسجود – ح ٤٧٩،(٢ / ٤٨) .

(٥) أخرجه البخاري، الجامع الصحيح، كتاب التعبير - باب المبشرات - ح(٦٥٨٩)، (٢٥٦٤/٦).

(٦) أخرجه البخاري، الجامع الصحيح، كتاب بدء الخلق - باب صفة إبليس وجنوده - ح ٣١١٨، (٣/ ١١٩٨). ومسلم، المسند الصحيح، كتاب الرؤيا - ح(٢٢٦١) ، (١٧٧١/٤).

المبشرات هي الرؤيا الصادقة من الله التي تسرّ رائيها وقد تكون صادقة منذرة من الله تعالى لا تسر رائيها يريها الله المؤمن رفقا به ورحمة له؛ ليستعد لنزول البلاء قبل وقوعه، فقوله: (لم يبق إلا المبشرات) خرج على الأغلب من حال الرؤيا، والرؤيا بشرى للمؤمن، ولا تغره، والرؤيا مختلفة الأسباب، فمنها من وسوسة وتخزين للمؤمن، ومنها من حديث النفس في اليقظة فيراه في نومه، ومنها ما هو وحي من الله، فما كان من حديث النفس ووسوسة الشيطان فإنه الذي يكذب، وما كان من قبل الله فإنه لا يكذب(١).

- **العناية الربانية:**

قال تعالى: {أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ (٦٢) الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ (٦٣) لَهُمُ الْبُشْرَى فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ (٦٤) } [سورة يونس: ٦٢ - ٦٥].

الولي القريب، والمراد بأولياء الله: خُلَّصُ المؤمنين، كأنهم قربوا من الله سبحانه بطاعته واجتناب معصيته، وقد فسّر سبحانه هؤلاء الأولياء بقوله: "الذين آمنوا وكانوا يتقون" فهم يؤمنون بما يجب الإيمان به، ويتقون ما يجب عليهم اتقاؤه من معاصي الله سبحانه، والمراد بنفي الخوف عنهم: أنهم لا يخافون أبدًا كما يخاف غيرهم، لأنهم قد قاموا بما أوجب الله عليهم، وانتهوا عن المعاصي التي نهاهم عنها، فهم على ثقة بربّهم وحسن ظنٍّ به سبحانه، وكذلك لا يحزنون على فوت مطلب من المطالب، لأنهم يعلمون أنّ ذلك بقضاء الله وقدره فيسلمون للقضاء والقدر، ويريحون قلوبهم عن الهم والكدر، فصدورهم منشرحة، وجوارحهم نشطة، وقلوبهم مسرورة، لهذا رزقهم الله البشرى في الدّارين، وشملتهم رعايته وعنايته في الدنيا وما يتفضل الله به عليهم من إجابة دعائهم، وما يشاهدونه من التبشير(٢).

قال النبي -صلّى الله عليه وسلّم-: ((**سَدِّدُوا، وَقَارِبُوا، وَأَبْشِرُوا؛ فَإِنَّهُ لَا يُدْخِلُ أَحَدًا الْجَنَّةَ عَمَلُهُ قَالُوا: وَلَا أَنْتَ يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: وَلَا أَنَا ، إِلَّا أَنْ يَتَغَمَّدَنِي اللهُ بِمَغْفِرَةٍ وَرَحْمَةٍ**)) (٣)،

---

(١) ابن بطال، شرح صحيح البخاري، (٥١٩/٩) .

(٢) ينظر بتصرف: الشوكاني، محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني (ت ١٢٥٠هـ)، **فتح القدير**، دار ابن كثير، دار الكلم الطيب - دمشق، بيروت، ط١ - ١٤١٤ هـ(٢/ ٥١٩).

(٣) أخرجه البخاري، الجامع الصحيح، كتاب الرقاق - باب القصد والمداومة على العمل - ح(٦١٠٢)، (٢٣٧٣/٥)، وح [٦٠٩٩] . مسلم، المسند الصحيح، كتاب صفة القيامة والجنة والنار - باب لن يدخل أحد الجنة بعمله - ح ٢٨١٨، (١٤١/٨).

(فسَدِّدُوا)؛ أي: اطلبُوا السَّدَاد، والسداد هو الصواب، وهو ما بين الإفراط والتفريط، فلا تَغلُوا ولا تُقصِّرُوا، و اجعلُوا أعمالَكم سديدةً، (وقارِبُوا)؛ أي: فإن عَجَزْتُم عن الاستقامة بكمالها فقَارِبُوا، أي: اقرُبُوا من ذلك، واطلبُوا قربةَ الله تعالى(١)، وتغمده الله برحمته أي: غمره بها وستره بها وألبسه رحمته(٢)، ولما كانت الإحالة في الحديث على الرحمة دلّ ذلك على أنهم مخلّدون بالرحمة، وتمتد لهم فلا تنزع منهم أبدًا(٣).

وعَنْ أُمِّ الْعَلَاءِ قَالَتْ: عَادَنِي رَسُولُ اللهِ -صلّى اللهُ عَلَيْهِ وسلّم- وَأَنَا مَرِيضَةٌ فَقَالَ: **((أَبْشِرِي يَا أُمَّ الْعَلَاءِ ، فَإِنَّ مَرَضَ الْمُسْلِمِ يُذْهِبُ اللهُ بِهِ خَطَايَاهُ كَمَا تُذْهِبُ النَّارُ خَبَثَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ))** (٤)، وتكفير الخطايا عند المرض من عناية الله لأوليائه، وفي تكفيرها تسلية لقلبه وتقوية لجنانه(٥).

- **البشرى في الآخرة:**

قال الله عز وجل:**{يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُمْ بِرَحْمَةٍ مِنْهُ وَرِضْوَانٍ وَجَنَّاتٍ لَهُمْ فِيهَا نَعِيمٌ مُقِيمٌ (٢١) خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ (٢٢)}** [سورة التوبة: ٢١، ٢٢]

وقال الرسول -صلّى الله عليه وسلّم-: ((**مَنْ أَحَبَّ لِقَاءَ اللهِ أَحَبَّ اللهُ لِقَاءَهُ، وَمَنْ كَرِهَ لِقَاءَ اللهِ كَرِهَ اللهُ لِقَاءَهُ.** قَالَتْ عَائِشَةُ أَوْ بَعْضُ أَزْوَاجِهِ: إِنَّا لَنَكْرَهُ الْمَوْتَ ، قَالَ: **لَيْسَ ذَاكِ ، وَلَكِنَّ الْمُؤْمِنَ إِذَا حَضَرَهُ الْمَوْتُ بُشِّرَ بِرِضْوَانِ اللهِ وَكَرَامَتِهِ ، فَلَيْسَ شَيْءٌ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِمَّا أَمَامَهُ**

---

(١) النعيمي، شمس الدين البِرْماوي، أبو عبد الله محمد بن عبد الدائم بن موسى النعيمي العسقلاني المصري الشافعي (ت: ٨٣١ هـ)، **اللامع الصبيح بشرح الجامع الصحيح**، تحقيق ودراسة: لجنة مختصة من المحققين بإشراف نور الدين طالب، دار النوادر، سوريا، ط١- ١٤٣٣ هـ - ٢٠١٢ م، (١٤/ ٢٧٥).

(٢) العيني، عمدة القاري شرح صحيح البخاري (٢١/ ٢٢٧).

(٣) أبو المظفر، الإفصاح عن معاني الصحاح (٦/ ٢٥٠).

(٤) أخرجه أبو داود، سنن أبي داود، أول كتاب الجنائز - باب عيادة النساء -ح(٣٠٩٢) ، (٣/ ١٨٤) من طريق سَهْلُ بْنُ بَكَّارٍ ، عَنْ أَبِي عَوَانَةَ ، عَنْ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ عُمَيْرٍ ، عَنْ أُمِّ الْعَلَاءِ رضي الله عنها، وهذا إسناد صحيح رجاله ثقات وجمع شروط الصحة انظر تهذيب الكمال: (١٢ / ١٧٤) ، (٣٠ / ٤٤١) ، (١٨ / ٣٧٠). وقال الألباني: صحيح.

(٥) ينظر بتصرف: العيني، أبو محمد محمود بن أحمد بن موسى بن أحمد بن حسين الغيتابي الحنفي بدر الدين العيني (ت ٨٥٥هـ)، **شرح سنن أبي داود**، المحقق: أبو المنذر خالد بن إبراهيم المصري، مكتبة الرشد – الرياض، ط١- ١٤٢٠ هـ - ١٩٩٩ م، (٦/١٠).

، **فَأَحَبَّ لِقَاءَ اللهِ وَأَحَبَّ اللهُ لِقَاءَهُ ، وَإِنَّ الْكَافِرَ إِذَا حُضِرَ بُشِّرَ بِعَذَابِ اللهِ وَعُقُوبَتِهِ ، فَلَيْسَ شَيْءٌ أَكْرَهَ إِلَيْهِ مِمَّا أَمَامَهُ ، كَرِهَ لِقَاءَ اللهِ وَكَرِهَ اللهُ لِقَاءَهُ))** (١)

تضمن الحديث من تفسير اللقاء ما فيه كفاية وغنيةٌ عن غيره وشرح هذا المعنى، إنما إيثار العبد الآخرة على الدنيا واختيار ما عند الله على ما بحضرته فلا يركن إلى الدنيا ولا يحب طول المقام فيها، لكن يستعد للارتحال عنها ويتأهب للقدوم على الله تعالى(٢)، وفي الحديث بيان أنّ الكراهة المعتبرة، هي التي تكون عند النزع في حالة لا تقبل توبته ولا غيرها، فحينئذٍ يبشر كل إنسان بما هو صائر إليه، وما أعدله ويكشف له عن ذلك، فأهل السعادة يحبون الموت ولقاء الله لينتقلوا إلى ما أعدلهم ويحب الله لقاءهم، أي: فيجزل لهم العطاء والكرامة، وأهل الشقاوة يكرهون لقاءه لما علموا من سوء ما ينتقلون إليه ويكره الله لقاءهم، أي: يبعدهم عن رحمته وكرامته، ولا يريد ذلك بهم، وهذا معنى كراهته سبحانه لقاءهم، وليس معنى الحديث أن سبب كراهة الله تعالى لقاءهم كراهتهم ذلك، ولا أن حبه لقاء الآخرين حبهم ذلك، بل هو صفة لهم(٣).

والمؤمنون لهم البشرى التي لا يقدّر قدرها، ولا يعلم وصفها، إلا من أكرمهم بها، وهذا شامل للبشرى في الحياة الدنيا وهي: الثناء الحسن، والمودة في قلوب المؤمنين، والرؤيا الصالحة، وما يراه العبد من لطف الله به وتيسيره لأحسن الأعمال والأخلاق، وصرفه عن مساوئ الأخلاق، و في الآخرة أولها البشارة عند قبض أرواحهم، كما قال تعالى: {إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ (٣٠)} [سورة فصلت: ٣٠]، وفي القبر ما يبشر به من رضا الله تعالى والنعيم المقيم، وفي الآخرة تمام البشرى بدخول جنات النعيم، والنجاة من العذاب الأليم ، قال تعالى: {وَالَّذِينَ اجْتَنَبُوا الطَّاغُوتَ أَنْ يَعْبُدُوهَا وَأَنَابُوا إِلَى اللَّهِ لَهُمُ الْبُشْرَى فَبَشِّرْ عِبَادِ (١٧) الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ وَأُولَئِكَ هُمْ أُولُو الْأَلْبَابِ (١٨)} [سورة الزمر: ١٧، ١٨] في هذه

---

(١) أخرجه البخاري، الجامع الصحيح، كتاب الرقاق - باب من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه - ح ٦١٤٢، (٥/ ٢٣٨٦). مسلم، المسند الصحيح، كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار - باب من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه ومن كره لقاء الله كره الله لقاءه -ح(٢٦٨٤)، (٤/٢٠٦٥).

(٢)الخطابي، أبو سليمان حمد بن محمد الخطابي (ت ٣٨٨ هـ)، **أعلام الحديث** (شرح صحيح البخاري)، المحقق: د. محمد بن سعد بن عبد الرحمن آل سعود، جامعة أم القرى (مركز البحوث العلمية وإحياء التراث الإسلامي)، ط١، ١٤٠٩ هـ - ١٩٨٨ م، (٣/ ٢٢٦٢).

(٣) النووي، المنهاج (١٧/ ٩)

الآية أخبر الله سبحانه أنّ لهم البشرى، ثم أمر سبحانه ببشارتهم، وذكر الوصف الذي استحقوا به البشارة فقال تعالى: {فبشر عباد الذين يستمعون القول} وهذا جنس يشمل كل قول فهم يستمعون جنس القول ليميزوا بين ما ينبغي إيثاره مما ينبغي اجتنابه، فلهذا من حزمهم وعقلهم أنهم يتبعون أحسنه، وأحسنه على الإطلاق كلام الله وكلام رسوله، كما قال في هذه السورة: {الله نزل أحسن الحديث كتابًا متشابهًا} ، وهذا هو الفوز العظيم لأنّه اشتمل على النجاة من كل محذور، والظفر بكل مطلوب محبوب، وحصر الفوز فيه، لأنه لا فوز لغير أهل الإيمان والتقوى، والحاصل أنّ البشرى شاملة لكل خير وثواب، رتّبه الله في الدنيا والآخرة، على الإيمان والتقوى، ولهذا أطلق ذلك، فلم يقيده(١) .

---

(١) ينظر: السعدي، تيسير الكريم الرحمن (١/٣٦٨) ، (١//٧٢١).

ثالثًا: الرضا والسكينة

قال تعالى: { إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ (٧) جَزَاؤُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُ (٨) َ} [سورة البينة: ٧-٨].

من أوضح مظاهر السعادة الرضا والسكينة، فسعادة العبد تكون عند الرضا، كما قال النبي -صلّى الله عليه وسلّم-: ((**فَمَنْ رَضِيَ فَلَهُ الرِّضَا**))(١)، وإذا امتلأ قلب العبد رضا انشرح للإيمان، وسكنت قلبه الطمأنينة، ورزقه الله الفرح والسرور والانشراح والسكينة، وحظي بنضارة الوجه وطيب النفس، وحسن المعشر، وسلامة الحياة.

وفي هذا يقول النبي -صلّى الله عليه وسلّم-: ((**وَارْضَ بِمَا قَسَمَ اللهُ لَكَ تَكُنْ أَغْنَى النَّاسِ**))(٢)، فمن رزق الرضا رزق غنى النفس، ومن رضي بالقسمة، وعلم أنها جارية على وفق الحكمة لم يأسف على ما فاته من حظوظ الدنيا، ولم يحزنه ما ناله أهلها منها فصار أغنى الناس بقلبه، فإنّ الغنى غنى القلب(٣)، وأيّ سعادة بعد غنى القلب؟.

قال النَّبِيّ -صلّى اللهُ عَلَيْهِ وسلّم-: ((**لَا يَقْعُدُ قَوْمٌ يَذْكُرُونَ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ إِلَّا حَفَّتْهُمُ الْمَلَائِكَةُ ، وَغَشِيَتْهُمُ الرَّحْمَةُ ، وَنَزَلَتْ عَلَيْهِمُ السَّكِينَةُ ، وَذَكَرَهُمُ اللهُ فِيمَنْ عِنْدَهُ**))(٤) ، وروي عَنْ عَلِيٍّ

---

(١) سبق تخريجه ص٣٦.

(٢) أخرجه الترمذي، الجامع الكبير، أبواب الزهد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم. ، باب من اتقى المحارم فهو أعبد الناس – ح٢٣٠٥،(٤ / ١٤٠) من طريق جَعْفَرُ بْنُ سُلَيْمَانَ ، عَنْ أَبِي طَارِقٍ ، عَنِ الْحَسَنِ ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، وقال الترمذي: "هَذَا حَدِيثٌ غَرِيبٌ ، لَا نَعْرِفُهُ إِلَّا مِنْ حَدِيثِ جَعْفَرِ بْنِ سُلَيْمَانَ ، وَالْحَسَنُ لَمْ يَسْمَعْ مِنْ أَبِي هُرَيْرَةَ شَيْئًا ، هَكَذَا رُوِيَ عَنْ أَيُّوبَ وَيُونُسَ بْنِ عُبَيْدٍ وَعَلِيِّ بْنِ زَيْدٍ وَرَوَى أَبُو عُبَيْدَةَ النَّاجِيُّ عَنِ الْحَسَنِ هَذَا الْحَدِيثَ قَوْلَهُ ، وَلَمْ يَذْكُرْ فِيهِ : عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ"، وقال المنذري:" إسناده فيه ضعف"، تحفة الأحوذي شرح سنن الترمذي: (٣ / ٢٥٧)، وقال الألباني: "حسن". وهو حديث ضعيف فيه علتان: الانقطاع بين الحسن وأبي هريرة كما ذكر ذلك الترمذي، وجهالة شيخ جعفر بن سليمان أبي طارق انظر تقريب التهذيب (ص:٦٥١)، ومعنى الحديث ثابت في السّنّة بأحاديث أخرى صحيحة ذُكر بعضها في هذه الدراسة.

(٣) الكحلاني، التنوير شرح الجامع الصغير (١/ ٣١٩).

(٤) أخرجه مسلم، المسند الصحيح، - كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار - باب فضل الاجتماع على تلاوة القرآن وعلى الذكر - ح ٢٧٠٠،(٨/٧٢) من طريق الأغر أبي مسلم، من حديث أبي سعيد الخدري وابي هريرة رضي الله عنهم.

رَضِيَ اللهُ عَنْهُ في تفسير قوله تعالى {هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ} [سورة الفتح: ٤] قَالَ رضي الله عنه:" السَّكِينَةُ لَهَا وَجْهٌ كَوَجْهِ الإنسان، ثُمَّ هِيَ بَعْدُ رِيحٌ هَفَّافَةٌ "(١) .

ومحبة الله تعالى ومعرفته ودوام ذكره والسكون إليه والطمأنينة إليه وإفراده بالحب والخوف والرجاء والتوكل والمعاملة بحيث يكون هو وحده المستولي على هموم العبد وعزماته وإرادته هو جنة الدنيا والنعيم الذي لا يشبهه نعيم وهو قرّة عين المحبين وحياة العارفين، وإنما تقرّ عيون الناس به على حسب قرة أعينهم بالله عزّ وجل فمن قرّت عينه بالله قرّت به كل عين ومن لم تقر عينه بالله تقطعت نفسه على الدنيا حسرات".(٢)

ويعد الشعور بالطمأنينة النفسية أحد مظاهر الصحة النفسية الإيجابية وأول مؤشراتها(٣).

رابعًا: الاستقرار النفسي والأسري

قال تعالى: {الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ (٨٢)} [سورة الأنعام: ٨٢]، ولم يلبسوا أي: يخلطوا إيمانهم بظلم فأولئك لهم الأمن من المخاوف والعذاب والشقاء، والهداية إلى الصراط المستقيم، فإن كانوا لم يلبسوا إيمانهم بظلم مطلقًا، لا بشرْك، ولا بمعاصٍ، حصل لهم الأمن التام، والهداية التامّة، وإن كانوا لم يلبسوا إيمانهم بالشرك وحده، ولكنهم يعملون السيئات، حصل لهم أصل الهداية، وأصل الأمن، وإن لم يحصل لهم كمالها(٤).

وقال تعالى:{الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ (٢٨) } [سورة الرعد: ٢٨]، فاستقرار النفس وسكونها وسعادتها إنما يكون بالقرب من الله تعالى وذكره، فمن حقق الإيمان واتبع منهج النبي -صلّى الله عليه وسلّم- سكنت نفسه ورضيت وانشرح قلبه، وعرف هدفه من هذه الحياة، وحينما تكون نفسه في صحة إيجابية كما يطلق عليها في علم النفس، وللأسف هذا العصر كدنا نرى كثيرًا ممن يشتكي من صحته النفسية، والتذبذب النفسي، والاكتئاب والحيرة وغيرها من الأمراض النفسية، مع أنّ في ديننا هناك علاج لكل حيرة وضياع، ولكل هم

---

(١) أخرج هذا الأثر الحاكم، المستدرك على الصحيحين، كتاب التفسير- تفسير سورة الفتح - ح٣٧١٤، (٢/ ٤٩٩)، قال الحاكم: هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحُ الإسناد ، وَلَمْ يُخَرِّجَاهُ، قال الذهبي: صحيح.

(٢) ابن القيم، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (ت ٧٥١هـ)، **الوابل الصيب من الكلم الطيب**، تحقيق: سيد إبراهيم، دار الحديث – القاهرة - ط٣، ١٩٩٩ م، (ص: ٤٩).

(٣) حلاوة، علم النفس الإيجابي (ص:٧٥).

(٤) السعدي، تيسير الكريم الرحمن (ص:٢٦٣).

وحزن واكتئاب، لهذا من كان قريبًا من الله تعالى متّبعًا لمنهج النبي -صلّى الله عليه وسلّم- حظي بصحة نفسية إيجابية وشعر بالسعادة والطمأنينة.

خرج رَسُولَ اللهِ -صلّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وسلّم- على أصحابه، وَعَلَيْهِ أَثَرُ غُسْلٍ وَهُوَ طَيِّبُ النَّفْسِ، فظنوا أَنَّهُ أَلَمَّ بِأَهْلِهِ، فَقالوا: يَا رَسُولَ اللهِ ، نَرَاكَ أَصْبَحْتَ طَيِّبَ النَّفْسِ. قَالَ: ((**أَجَلْ** ، **وَالْحَمْدُ لِلهِ**))، ثُمَّ ذَكَرَ الْغِنَى ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ -صلّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وسلّم-: **((لَا بَأْسَ بِالْغِنَى لِمَنِ اتَّقَى ، وَالصِّحَّةُ لِمَنِ اتَّقَى خَيْرٌ مِنَ الْغِنَى ، وَطِيبُ النَّفْسِ مِنَ النَّعِيمِ**)) (١).

وطيب النفس هو السرور بما أعطاه الله لعبده من التوفيق لطاعته، والبركة في نفسه وأموره، وأمنه من المخاوف، فترتاح النفس بقربها من ربّها وطاعته، وتطمئن وتسكن، وحينئذٍ تكون في نعيم وأيّ نعيم بعد هذا النعيم العظيم؟ رزقنا الله وإياكم طيب النفس(٢).

وحاجة الإنسان إلى الاستقرار النفسي (الطمأنينة الانفعالية) من أهم الحاجات في تكوين أساس الشخصية، وإمدادها بأنماط من القيم والمعايير والسلوك والتجاهات السليمة السوية، وهي من أهم شروط الصحة النفسية(٣).

وهذه الطمأنينة الانفعالية يحظى بها من اتبع منهج النبي صلى الله عليه وسلم في الحياة، حيث يجعل الله غناه في قلبه، ويجمع عليه شمله، كما قال صلى الله عليه وسلم:((**مَنْ كَانَتِ الْآخِرَةُ هَمَّهُ جَعَلَ اللهُ غِنَاهُ فِي قَلْبِهِ، وَجَمَعَ لَهُ شَمْلَهُ، وَأَتَتْهُ الدُّنْيَا وَهِيَ رَاغِمَةٌ**))(٤).

ومن مظاهر السعادة الاستقرار الأسري، قال تعالى{وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ (٢١)} [سورة الروم: ٢١]

---

(١) سبق تخريجه ص١٠٣.

(٢) ينظر بتصرف يسير: الساعاتي، أحمد بن عبد الرحمن بن محمد البنا الساعاتي (ت ١٣٧٨ هـ)، **الفتح الرباني لترتيب مسند الامام احمد**، دار إحياء التراث العربي -ط٢، (١٢٣/١٩) حاشية٨. الكرماني، الكواكب الدراري في شرح صحيح البخاري (٦/ ١٩٧). النعيمي، اللامع الصبيح بشرح الجامع الصحيح (٥/ ٣١).

(٣) ينظر: العدواني، خالد، **الاستقرار النفسي وأثره في التحصيل العلمي** لطلاب كلية التربية- بحث منشور على الشبكة (ص:٢).

(٤)سبق تخريجه ص١٠٧.

والاستقرار الأسري هو العلاقة الزوجية السليمة التي تحظى بقدر عال من التخطيط الواعي الذي تراعي فيه الفردية والتكامل في أداء الأدوار لتحديد كيفية تحمل المسئوليات والواجبات ومدى القدرة على مواجتها مع اعتبار ديمقراطية التعامل مع الأسرة كي تستطيع الصمود أمام الأزمات وتحقيق المرونة والتكييف مع المتغيرات(١).

وهذا أمر مشاهد، فمن اتبع منهج النبي -صلّى الله عليه وسلّم- في الحياة الزوجيّة وفي معاملة الزوجين حظي بالاستقرار الأسري، فالمرأة تحترم زوجها وتطيعه وتوقره لعظم فضله عليها، والرجل يحن على المرأة ويرحمها ويلاطفها لرقتها ورقة قلبها، فهي كالقارورة التي أمرنا الرسول -صلّى الله عليه وسلّم- بالرفق فيها وهي السكن والرفيق، وهي أمّ الأبناء والمربّية، وقَالَ رَسُولُ اللَّهِ -صلّى اللَّهُ عَلَيْهِ وسلّم-: ((**لَا يَفْرَكْ مُؤْمِنٌ مُؤْمِنَةً إِنْ كَرِهَ مِنْهَا خُلُقًا رَضِيَ مِنْهَا آخَرَ**))(٢) وفي هذا الحديث من الفقه أن المؤمن لا يخلو من خلق حسن، فإنّه إذا كانت المرأة مؤمنة لم يطرد فيها ما يكرهه المؤمن، والمؤمنة يحملها الإيمان على استعمال خصال محمودة يحبها المؤمن فيحمل ما لا يحب لما يحب، وإنما يكره المؤمن من المؤمنة الخلق الذي لا يرضاه، وفيها ولا بدّ من الخير والخلق الذي يرضاه ويستحسنه، ومع وجود إيمانها فإنّه يغفر ما يكون منها، والفرك أي البغض(٣).

وبهذا يتبيّن أنّ أصل السعادة الزوجيّة والاستقرار الأسري هو الإيمان الحق واتّباع منهج النبي -صلّى الله عليه وسلّم-، فقد قيّد النبي- صلّى الله عليه وسلّم- عدم البغض بالمؤمن والمؤمنة لأنّ نفوسهم راقية طيبة، نفوسهم تعامل الخلق لله وفي الله، بعيدة من حظوظ النفس والشيطان، فهنيئًا لمن اتقى الله، وكان طيّب النفس وحَسن الخلق، هنيئًا له بالسعادة والاستقرار الأسري.

(١) الجهني، سميرة سالم، **عدم الاستقرار الاسري في المجتمع السعودي** وعلاقته بإدراك الزوجين للمسؤوليات الأسرية – دراسة مقارنة-، كلية التربية- جامعة أم القرى-٢٠٠٨(ص:٦١)

(٢) سبق تخريجه ص١٩٨.

(٣) ينظر بتصرف يسير: أبو المظفر، الإفصاح عن معاني الصحاح (٨/ ١٩٠). البيضاوي، تحفة الأبرار شرح مصابيح السنّة (٢/ ٣٧٣).

خامسًا: القبول في الأرض، وحب الناس

من مظاهر السعادة التي يحظى بها العبد الصالح في الدنيا القبول في الأرض، وفي هذا المعنى قال الله عز وجل:{**إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا (٩٦)**} [سورة مريم: ٩٦]

وهذا القبول من أعظم نعمه سبحانه على عباده الذين جمعوا بين الإيمان والعمل الصالح، فقد وعدهم سبحانه أنه يجعل لهم ودًّا، أي: محبة ووِدادًا في قلوب أوليائه، وأهل السماء والأرض، وإذا كان لهم في القلوب ود تيسر لهم كثير من أمورهم وحصل لهم من الخيرات والدعوات والإرشاد والقبول والإمامة ما حصل، وفرحت قلوبهم وابتهجت أرواحهم، وإنما جعل الله لهم ودًّا، لأنّهم ودّوه، فودّدهم إلى أوليائه وأحبابه[١].

وقال الرسول -صلّى الله عليه وسلّم-: ((**إِذَا أَحَبَّ اللَّهُ الْعَبْدَ نَادَى جِبْرِيلَ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ فُلَانًا فَأَحْبِبْهُ فَيُحِبُّهُ جِبْرِيلُ فَيُنَادِي جِبْرِيلُ فِي أَهْلِ السَّمَاءِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ فُلَانًا فَأَحِبُّوهُ فَيُحِبُّهُ أَهْلُ السَّمَاءِ ثُمَّ يُوضَعُ لَهُ الْقَبُولُ فِي الْأَرْضِ**))[٢]

قوله -صلّى الله عليه وسلّم-: (ثم يوضع له القبول في الأرض) يريد المحبة في القلوب والرضا[٣]، وقال بعض أهل التفسير في قوله تعالى: (وألقيت عليك محبة مني) أي: حببتك إلى عبادي، وفى قوله تعالى: {**إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا (٩٦)**} [سورة مريم: ٩٦] قال: يحبّهم ويحبّبهم إلى الناس [٤].

وفي هذا الحديث من الفقه: أنّ الله سبحانه وتعالى إذا أحبّ عبدًا أعلم كل مرضي عنه عنده سبحانه بحبه إياه؛ لئلا يتعرض واحد منهم ببغض من يحبه الله، فيبدأ جل جلاله بإعلام

---

[١] السعدي، تيسير الكريم الرحمن (ص:٥٠١).

[٢] أخرجه البخاري، الجامع الصحيح، كتاب بدء الخلق – باب ذكر الملائكة – ح (٣٠٣٧)، (١١٧٥/٣)، وح [٥٦٩٣ ، ٧٠٤٧]. مسلم، المسند الصحيح، كتاب البر والصلة والآداب - باب إذا أحب الله عبدا حببه إلى عباده - ح (٢٦٣٧)، (٤٠/٨).

[٣] ابن قرقول، إبراهيم بن يوسف بن أدهم الوهراني الحمزي، أبو إسحاق ابن قرقول (ت ٥٦٩هـ)، **مطالع الأنوار على صحاح الآثار**، تحقيق: دار الفلاح للبحث العلمي وتحقيق التراث، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية - دولة قطر، ط١، ١٤٣٣ هـ - ٢٠١٢ م، (٢٩٥/٥) .

[٤] ابن بطال، شرح صحيح البخاري، (٢٣٦/٩).

جبريل ليكون جبريل موافقًا فيه محبة الله عز وجل، وليعلم أهل السماء ليكونوا عابدين لله بمحبة ذلك الإنسان متقربين إليه بحبه[١].

ومحبة الله تعالى لعبده هي إرادته الخير له وهدايته وإنعامه عليه ورحمته، وبغضه عقابه أو شقاوته ونحوه، وحبّ جبريل والملائكة يحتمل وجهين: أحدهما استغفارهم له وثناؤهم عليه ودعاؤهم، والثاني أنّ محبتهم على ظاهرها المعروفة من المخلوقين، وهي ميل القلب إليه واشتياقه إلى لقائه، وسبب حبّهم إياه كونه مطيعًا لله تعالى، محبوبًا له، ومعنى يوضع له القبول في الأرض أي: الحب في قلوب الناس ورضاهم عنه، فتميل إليه القلوب وترضى عنه، وقد جاء في رواية فتوضع له المحبة[٢].

وقال عليه الصلاة والسلام حينما سأله أحدهم قائلًا: (أرأيت الرجل يعمل العمل من الخير ويحمده الناس عليه، فقال -صلّى الله عليه وسلّم-: **((تِلْكَ عَاجِلُ بُشْرَى الْمُؤْمِنِ))** [٣]، ومعنى هذا أي: هذه البشرى المعجلة له بالخير، وهي دليل على رضاء الله تعالى عنه ومحبته له، فيحبّبه إلى الخلق ثم يوضع له القبول في الأرض[٤].

وهذا القبول في الأرض إنما ناله المؤمن لاتباعه منهج النبي صلى الله عليه وسلم في الوصول إلى السعادة الحقيقية، وقد تقدم بيان مؤشرات السعادة في سنته صلى الله عليه وسلم.

---

(١) أبو المظفر، يحيى بن هُبَيْرَة بن محمد بن هبيرة الذهلي الشيبانيّ، أبو المظفر، عون الدين (ت ٥٦٠هـ)، أبو المظفر، الإفصاح عن معاني الصحاح، المحقق: فؤاد عبد المنعم أحمد، دار الوطن ١٤١٧هـ (٢٦١/٧).

(٢) النووي، المنهاج (١٨٤/١٦).

(٣) سبق تخريجه ص٣٠٦.

(٤) النووي، المنهاج (١٨٩/١٦).

سادسًا: حسن الخاتمة

قال تعالى:{ يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ (٢٧)} [سورة إبراهيم: ٢٧]

يثبّت الله عباده المؤمنين الذين قاموا بما عليهم من إيمان القلب التام، المستلزم لأعمال الجوارح ويثمرها، فيثبتهم الله في الحياة الدنيا عند ورود الشبهات بالهداية إلى اليقين، وعند عروض الشهوات بالإرادة الجازمة على تقديم ما يحبه الله على هوى النفس ومراداتها، وفي الآخرة عند الموت بالثبات على الدين الإسلامي والخاتمة الحسنة، وفي القبر عند سؤال الملكين للجواب الصحيح، {وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ} عن الصواب في الدنيا والآخرة، وما ظلمهم الله ولكنهم ظلموا أنفسهم، وفي هذه الآية دلالة على فتنة القبر وعذابه، ونعيمه، كما تواترت بذلك النصوص عن النبي -صلّى الله عليه وسلّم- في الفتنة، وصفتها، ونعيم القبر وعذابه(١)، وأيّ سعادة بعد هذا الثبات الذي يرزقه الله المؤمنين؟

روي عَنْ أَنَسٍ: أَنَّ رَسُولَ اللهِ -صلّى اللهُ عَلَيْهِ وسلّم- قَالَ: ((لَا عَلَيْكُمْ أَنْ لَا تَعْجَبُوا بِأَحَدٍ حَتَّى تَنْظُرُوا بِمَ يُخْتَمُ لَهُ ، فَإِنَّ الْعَامِلَ يَعْمَلُ زَمَانًا مِنْ عُمُرِهِ ، أَوْ بُرْهَةً مِنْ دَهْرِهِ ، بِعَمَلٍ صَالِحٍ لَوْ مَاتَ عَلَيْهِ دَخَلَ الْجَنَّةَ ، ثُمَّ يَتَحَوَّلُ فَيَعْمَلُ عَمَلًا سَيِّئًا ، وَإِنَّ الْعَبْدَ لَيَعْمَلُ الْبُرْهَةَ مِنْ دَهْرِهِ بِعَمَلٍ سَيِّئٍ لَوْ مَاتَ عَلَيْهِ دَخَلَ النَّارَ ، ثُمَّ يَتَحَوَّلُ فَيَعْمَلُ عَمَلًا صَالِحًا ، **وَإِذَا أَرَادَ اللهُ بِعَبْدٍ خَيْرًا اسْتَعْمَلَهُ قَبْلَ مَوْتِهِ ، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ ، وَكَيْفَ يَسْتَعْمِلُهُ ؟ قَالَ: يُوَفِّقُهُ لِعَمَلٍ صَالِحٍ ، ثُمَّ يَقْبِضُهُ عَلَيْهِ))**(٢). إذا أراد الله تعالى بعبد خيرًا في عاقبته، "استعمله" أي جعله عاملًا في الطاعة، و"يوفقه لعمل صالح قبل الموت"، أي: يلهمه التوبة وملازمة العمل الصالح كما يحب وينبغي حتى يمل الخلق ويستقذر الدنيا ويحن إلى الموت ويشتاق إلى الملأ الأعلى، فتأتيه الملائكة بالروح والريحان والبشرى والرضوان من رب راضٍ غير غضبان، فينقلونه من هذه الدار الفانية إلى

---

(١) السعدي، تيسير الكريم الرحمن (ص: ٤٢٥).

(٢) أخرجه أبو عبد الله، مسند الإمام أحمد بن حنبل، مسند أنس بن مالك رضى الله تعالى عنه - ح(١٢٢٣٥)، (١٢٠/٣) من طريق يَزِيد بْنُ هَارُونَ، عم حُمَيْد، عَنْ أَنَسٍ رضي الله عنه، وإسناده صحيح ورجاله ثقات انظر تهذيب الكمال (٣٢ / ٢٦١)، (٧ / ٣٥٥).

الحضرة العالية الباقية فيرى لنفسه الضعيفة الفقيرة نعيمًا مقيمًا وملكًا عظيمًا، ويموت على التوبة والعبادة، فيكون له حسن الخاتمة والسعادة(١).

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ النَّبِيَّ -صلّى اللهُ عَلَيْهِ وسلّم- قَالَ: **((إِذَا حُضِرَ الْمُؤْمِنُ أَتَتْهُ مَلَائِكَةُ الرَّحْمَةِ بِحَرِيرَةٍ بَيْضَاءَ فَيَقُولُونَ: اخْرُجِي رَاضِيَةً مَرْضِيًّا عَنْكِ إلى رَوْحِ اللهِ وَرَيْحَانٍ وَرَبٍّ غَيْرِ غَضْبَانَ ، فَتَخْرُجُ كَأَطْيَبِ رِيحِ الْمِسْكِ حَتَّى أَنَّهُ لَيُنَاوِلُهُ بَعْضُهُمْ بَعْضًا حَتَّى يَأْتُونَ بِهِ بَابَ السَّمَاءِ فَيَقُولُونَ: مَا أَطْيَبَ هَذِهِ الرِّيحَ الَّتِي جَاءَتْكُمْ مِنَ الْأَرْضِ ! فَيَأْتُونَ بِهِ أَرْوَاحَ الْمُؤْمِنِينَ ، فَلَهُمْ أَشَدُّ فَرَحًا بِهِ مِنْ أَحَدِكُمْ بِغَائِبِهِ ، يَقْدَمُ عَلَيْهِ فَيَسْأَلُونَهُ مَاذَا فَعَلَ فُلَانٌ ؟ مَاذَا فَعَلَ فُلَانٌ ؟ فَيَقُولُونَ: دَعُوهُ فَإِنَّهُ كَانَ فِي غَمِّ الدُّنْيَا ، فَإِذَا قَالَ: أَمَا أَتَاكُمْ ؟ قَالُوا: ذُهِبَ بِهِ إلى أُمِّهِ الْهَاوِيَةِ ، وَإِنَّ الْكَافِرَ إِذَا احْتُضِرَ أَتَتْهُ مَلَائِكَةُ الْعَذَابِ بِمِسْحٍ فَيَقُولُونَ: اخْرُجِي سَاخِطَةً مَسْخُوطًا عَلَيْكِ إلى عَذَابِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ ، فَتَخْرُجُ كَأَنْتَنِ رِيحِ جِيفَةٍ حَتَّى يَأْتُونَ بِهِ بَابَ الْأَرْضِ فَيَقُولُونَ: مَا أَنْتَنَ هَذِهِ الرِّيحَ ! حَتَّى يَأْتُونَ بِهِ أَرْوَاحَ الْكُفَّارِ))** . (٢)

إذا قُبض المؤمن (أَتَتْهُ مَلَائِكَةُ الرَّحْمَةِ بِحَرِيرَة بَيْضَاءَ) أي لتَلُفّ فيها روحه، وترفَعَهَا إلى السماء، فيقول ملك الموت وأعوانه اخْرُجِي من جسدك الطيّب، والخطاب للنفس، فيستقيم هذا الخطاب مع عموم المؤمن للذكر والأنثى، وفيه دلالة على أنّ الروح جسم لطيف، يوصف بالدخول والخروج، والصعود، والنزول، (رَاضِيَةً) أي عن اللَّه سابقًا، وبثواب اللَّه لاحقًا (مَرْضِيًّا عَنْكِ) بكسر الكاف على خطاب النفس، أي حال كون اللَّه تعالى راضيًا عنكِ أوّلًا وآخرًا، (إلى رَوْح اللَّهِ) بفتح الواء، أي رحمته، أو راحة منه (وَرَيْحَانٍ) أي رزق، أو طيب، (وَرَبٍّ) أي وإلى لقاء ربّ (غَيْرِ غَضْبَانَ، فَتَخْرُج، كَأَطْيَبِ رِيحِ الْمِسْكِ) أي حال كونه مثل أطيب ريح المسك، و(لَيُنَاوِلُهُ بَعْضُهُمْ بَعْضًا) أي يتداولونه، ويصعدون به من يد إلى يد تكريما وتعظيمًا، لا ضجرًا وتعبًا(٣).

---

(١) ينظر بتصرف: المناوي، فيض القدير شرح الجامع الصغير(١/ ٢٥٧). القاري، مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح (٨/ ٣٣١٠).

(٢) أخرجه النسائي، المجتبى، كتاب الجنائز - باب ما يلقى به المؤمن من الكرامة عند خروج نفسه -ح(١٨٣٣)، (٤/ ٨). من طريق مُعَاذ بْنُ هِشَامٍ عن أبيه ، عَنْ قَتَادَة ، عَنْ قَسَامَةَ بْنِ زُهَيْرٍ ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، ورجال الإسناد ثقات عدا معاذ بن هشام صدوق وقال ابن معين عنه: صدوق وليس بحجه انظر تقريب التهذيب(ص: ٥٣٦، ٤٥٥،٤٥٣،٥٧٣) تهذيب الكمال (٢٨ / ١٣٩)، لكن تابعه عبد الرزاق روى هذا الحديث عن معمر به، وعبد الرزاق ومعمر ثقات انظر تقريب التهذيب(ص:٣٥٤،٥٤١) والحديث جمع باقي شروط الصحة، وقال الألباني: صحيح.

(٣) الأثيوبي، ذخيرة العقبى في شرح المجتبى (١٨/ ٢٤٥)

ومن الفوائد التي ذكرها ابن حجر في شرح حديث إسلام نفر من الجن استمعوا للقرآن، ان فيه الاعتبار بما قضى الله للعبد من حسن الخاتمة لا بما يظهر منه من الشر ولو بلغ ما بلغ لأن هؤلاء الذين بادروا إلى الإيمان بمجرد استماع القرآن لو لم يكونوا عند إبليس في أعلى مقامات الشر ما اختارهم للتوجّه إلى الجهة التي ظهر له أنّ الحدث الحادث من جهتها، ومع ذلك فغلب عليهم ما قضي لهم من السعادة بحسن الخاتمة، ونحو ذلك قصة سحرة فرعون (١).

فحسن الخاتمة من مظاهر السعادة في السّنّة النّبويّة التي يمنّ الله بها على عباده المؤمنين الذين التزموا منهج الحبيب -صلّى الله عليه وسلّم- في حياتهم الدنيا.

سابعًا: نيل الشفاعة

قال رسول الله -صلّى الله عليه وسلّم-: **((أَسْعَدُ النَّاسِ بِشَفَاعَتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ، مَنْ قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ خَالِصًا مِنْ قَلْبِهِ أَوْ نَفْسِهِ))**(٢).

(الشفاعة) مشتقة من الشفع وهو ضم الشيء إلى مثله، كأن المشفوع له كان فردًا فجعله الشفيع شفعًا بضم نفسه إليه، والشفاعة الضم إلى آخر معاونًا له، وأكثر ما تستعمل في انضمام من هو أعلى مرتبة إلى من هو أدني(٣).

قوله -صلّى الله عليه وسلّم- "أسعد" تحمل معنى أنَّ كلًّا من الكافر الذي لم ينطق بالشهادة، والمنافق الذي يظنّ بلسانه دون قلبه، يكون سعيدًا، والجواب بان أفعل هنا ليست على بابها، بل بمعنى سعيد الناس كقوله تعالى وأحسن مقيلا ، ويحتمل أن يكون أفعل التفضيل على بابها، وأن كل أحد تحصل له سعادةٌ بشفاعته، لكن المؤمن المخلص أكثر سعادة بها، فإنه -صلّى الله تعالى عليه وسلّم- يشفع للخلق في إراحتهم من هول الموقف، وهذه سعادة عامة للخلق، ويشفع في بعض الكفار بتخفيف العذاب، كما صحّ في حق أبي طالب، ويشفع في بعض المؤمنين بالخروج من النار بعد أن دخلوها، وفي بعضهم بعدم دخلوها، بعد أن استوجبوا دخولها، وفي بعضهم

---

(١) ابن حجر، فتح الباري (٨/ ٦٧٥)

(٢) سبق تخريجه ص٦٦.

(٣) الكرماني، الكواكب الدراري في شرح صحيح البخاري (٢/ ٩٤).

بدخول الجنّة بغير حساب، وفي بعضهم برفع الدرجات فيها، فظهر الاشتراك في السعادة بالشفاعة، وأنّ أسعدهم بها المؤمن المخلص[١].

وهذا الحديث يدلّ على أنّ شفاعة النبي - صلّى الله عليه وسلّم - يوم القيامة، يوم يقوم الأشهاد، التي يكون عنها فصل القضاء في ذلك اليوم، فأسعد الناس بها أهل لا إله إلا الله، وفصل القضاء يومئذٍ يسعد به أهل لا إله إلا الله، ويشقى به الآخرون[٢].

ثامنًا: دخول الجنة ورضى الرب تبارك وتعالى

قال تعالى{ قَالَ اللَّهُ هَذَا يَوْمُ يَنْفَعُ الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ (١١٩)} [سورة المائدة: ١١٩] من مظاهر سعادة المؤمنين الصالحين في الآخرة دخولهم الجنة ورضى الرب تبارك وتعالى عنهم ، قال تعالى{ يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ (٢٧) ارْجِعِي إِلى رَبِّكِ رَاضِيَةً مَرْضِيَّةً (٢٨) فَادْخُلِي فِي عِبَادِي (٢٩) وَادْخُلِي جَنَّتِي (٣٠)} [سورة الفجر: ٢٧ -٣٠]

عن أبي سعيد الخدري أنّ رسول الله -صلّى الله عليه وسلّم- قال: ((**يَا أَبَا سَعِيدٍ ، مَنْ رَضِيَ بِاللهِ رَبًّا ، وَبِالْإِسْلَامِ دِينًا ، وَبِمُحَمَّدٍ نَبِيًّا ، وَجَبَتْ لَهُ الْجَنَّةُ** . فَعَجِبَ لَهَا أَبُو سَعِيدٍ فَقَالَ: أَعِدْهَا عَلَيَّ يَا رَسُولَ اللهِ ، فَفَعَلَ ، ثُمَّ قَالَ: **وَأُخْرَى يُرْفَعُ بِهَا الْعَبْدُ مِائَةَ دَرَجَةٍ فِي الْجَنَّةِ ، مَا بَيْنَ كُلِّ دَرَجَتَيْنِ كَمَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ . قَالَ: وَمَا هِيَ يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: الْجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللهِ ، الْجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللهِ**))[٣].

" من رضي بالله ربًّا" أي: من حيث كونه ربًّا له، ورضي بربوبيته على وفق قضائه وقدره، من خيره وشرّه، وحُلْوه، ومره (وَبِالإِسْلامِ دِينًا) أي: من حيث الدين، و رضي بشرائعه، وأحكامه، من المأمورات والمنهيات (وَبِمُحَمَّدٍ نَبيًّا) أي من حيث كونه رسولًا، ورضي برسالته الموجبة لمتابعته في أقواله، وأفعاله، وأحواله، ومعنى رضيتُ بالشيء، قنِعتُ به، واكتفيت به،

---

(١) ينظر: ابن حجر، فتح الباري (١/ ١٩٤). الشنقيطي، كوثر المعاني الدراري في كشف خبايا صحيح البخاري (٣/ ٣٨١).

(٢) أبو المظفر، الإفصاح عن معاني الصحاح (٧/ ٣٢٨).

(٣) أخرجه مسلم، المسند الصحيح، كتاب الإمارة - باب بيان ما أعده الله تعالى للمجاهد في الجنة من الدرجات - ح(١٨٨٤)، (١٥٠١/٣).

ولم أطلب معه غيره، فمعنى الحديث: لم يطلب غير اللَّه تعالى، ولم يسع في غير طريق الإسلام، ولم يسلك إلا ما يوافق شريعة محمد- صلّى اللَّه عليه وسلّم- (وَجَبَت لَهُ الْجَنَّةُ) أي: ثبتت، وتحقّقت، وعبّر بالماضي مبالغةً في تحقق وقوعها[١].

وفي الحديث فضل عظيم لمن اتّصف بالرضا المذكور، حيث وجبت له الجنّة، وذلك لأنّ رضا العبد بهذه المذكورات دليل على ثبوت معرفته، ونفاذ بصيرته، ومخالطة الإيمان قلبه، فتسهل عليه الطاعات، وتلذّ له (٢).

وعَنْ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ قَالَ: سَمِعَ النَّبِيُّ - صلّى اللهُ عَلَيْهِ وسلّم- رَجُلًا يَدْعُو يَقُولُ: ((اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ تَمَامَ النِّعْمَةِ ، فَقَالَ: أَيُّ شَيْءٍ تَمَامُ النِّعْمَةِ ؟ قَالَ: دَعْوَةٌ دَعَوْتُ بِهَا أَرْجُو بِهَا الْخَيْرَ ، قَالَ: **فَإِنَّ مِنْ تَمَامِ النِّعْمَةِ دُخُولَ الْجَنَّةِ، وَالْفَوْزَ مِنَ النَّارِ**)).[٢] .

سأل النبيّ- صلّى الله عليه وسلّم- الرجل سؤال امتحان، فقال الرجل دعوة أريد بها خيرًا، وجوابه من باب الكناية أي: أسأله دعوة مستجابة فيحصل مطلوبي منها، ولما صرح بقوله خيرًا، فكان غرضه المال الكثير كما في قوله تعالى: {إن ترك خيرًا} [سورة البقرة: ١٨٠] فردّه - صلّى الله عليه وسلّم- بقوله إنّ من تمام النعمة.. إلخ، وأشار إلى قوله تعالى: {فمن زحزح عن النار وأدخل الجنة فقد فاز} [سورة آل عمران: ١٨٥] والأظهر أنّ الرجل حمل النعمة على النعم الدنيوية الزائلة الفانية، وتمامها على ما دعاه في دعائه فردّه - صلّى الله عليه وسلّم- عن ذلك، ودلّه على أن لا نعمة إلّا النعمة الباقية الأخرويّة، فقال- صلّى الله عليه وسلّم-:(إنّ من تمام النعمة دخول الجنة) أي: ابتداء (والفوز) أي: الخلاص والنجاة من النار [٣].

وقَالَ رَسُولُ اللهِ -صلّى اللهُ عَلَيْهِ وسلّم-: ((**إِنَّ اللهَ يَقُولُ: لِأَهْلِ الْجَنَّةِ: يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ، يَقُولُونَ: لَبَّيْكَ رَبَّنَا وَسَعْدَيْكَ ، فَيَقُولُ: هَلْ رَضِيتُمْ؟ فَيَقُولُونَ: وَمَا لَنَا لَا نَرْضَى وَقَدْ أَعْطَيْتَنَا مَا**

---

(١) الأثيوبي، ذخيرة العقبى في شرح المجتبى (٢٦/ ١٧٩).

(٢) أخرجه الترمذي، الجامع الكبير، كتاب الدعوات - ح ٣٥٢٧ ،(٥/ ٥٤١) من طريق الْجُرَيْرِيِّ ، عَنْ أَبِي الْوَرْدِ ، عَنِ اللَّجْلَاجِ ، عَنْ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ رضي الله عنه، وقال الترمذي: هذا حديث حسن. وقال البزار: "وهذا الحديث لا نعلم له طريقا عن معاذ إلا هذا الطريق ، ولا نعلم رواه عن اللجلاج إلا أبو الورد. انظر مسند البزار(٨٣/٧). وقال الألباني: "ضعيف". أبو الورد هذا اسمه، ولم يحدث عنه إلا الجريري، وكان قليل الحديث ولم أقف على توثيق صريح له، و روى له البخاري في "الأدب"، وأبو داود، والتِّرْمِذِيّ، والنَّسَائي، ولخص حاله ابن حجر بقوله مقبول. انظر تقريب التهذيب، تهذيب الكمال (٣٤/ ٣٨٩).

(٣) القاري، مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح (٤/ ١٦٨٨) .

لَمْ تُعْطِ أَحَدًا مِنْ خَلْقِكَ ، فَيَقُولُ: أَنَا أُعْطِيكُمْ أَفْضَلَ مِنْ ذَلِكَ ، قَالُوا: يَا رَبِّ ، وَأَيُّ شَيْءٍ أَفْضَلُ مِنْ ذَلِكَ؟ فَيَقُولُ: أُحِلُّ عَلَيْكُمْ رِضْوَانِي فَلَا أَسْخَطُ عَلَيْكُمْ بَعْدَهُ أَبَدًا)) (١).

ينادي الله تعالى أهل الجنة بنسبتهم إليها تذكيرًا لهم بهذه النعمة العظيمة التي أنعم بها عليهم " فيقولون: لبيك ربنا وسعديك " أي: إجابة بعد إجابة، وإسعادًا بعد إسعاد " فيقول: هل رضيتم؟ " أي: هل رضيتم بما أعطاكم ربكم من الجنة ونعميها؟ أو هل رضيتم عن ربكم؟ " فيقولون: وما لنا لا نرضى " أي: ما المانع لنا من الرضا؟ وقد غمرتنا بفضلك وإحسانك وأعطيتنا ما لم يكن يخطر لنا على بال، " وقد أعطيتنا ما لم تعط أحدًا من خلقك " إنّ من يدخل الجنة ينعم ولا ييأس، ويصحّ ولا يسقم، ويشبّ ولا يهرم، ويحيا ولا يموت. " فيقول: أنا أعطيكم أفضل من ذلك، قالوا: يا رب وأيّ شيء أفضل من ذلك؟ " أي: وهل هناك نعيم أعظم من النعيم الذي نحن فيه؟ " فيقول: أُحِل عليكم رضواني فلا أسخط عليكم بعده أبدًا " أي: فيقول الله تعالى لهم: نعم هناك ما هو أعظم نعمة، وأكثر سعادة من الجنة وما فيها، وهو الرضوان الإلهي الذي لا يساويه شيء من نعم الله، فإذا أردت أن أمنحكم السعادة العظمى، وقد أردت لكم ذلك منحتكم الرضوان الدائم الذي لا سخط بعده(٢).

ودلّ هذا الحديث على أنّ نعيم أهل الجنة لا يعدله نعيم، ولا تساويه سعادة أخرى، وأن الله يعطي أهل الجنة ما يرضيهم، ويقرّ أعينهم، ومن السعادة التي يمنحها الله أهل الجنة رضوانه عليهم الذي وصفه الله تعالى بأنه أكبر من كلّ نعيم، وأعظم من كلّ سعادة، حيث قال تعالى: {وَعَدَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ وَرِضْوَانٌ مِنَ اللَّهِ أَكْبَرُ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ (٧٢) } [سورة التوبة: ٧٢] وإنما كان هذا الرضوان أكبر لأنّه سبب كل فوز وكرامة، وطريقٌ إلى رؤية الله تعالى(٣).

---

(١) أخرجه البخاري، الجامع الصحيح، كتاب الرقاق - باب صفة الجنة والنار ـــ ح٦١٨٣، (٥/ ٢٣٩٨)، وح [٧٠٨٠]. ومسلم، المسند الصحيح، كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها - باب إحلال الرضوان على أهل الجنة - ح٢٨٢٩، (٨ / ١٤٤).

(٢) قاسم، منار القاري شرح مختصر صحيح البخاري (٥/ ٣٠٢).

(٣)قاسم، منار القاري شرح مختصر صحيح البخاري.

تاسعًا: رؤية الربّ عزّ وجلّ يوم القيامة

وأي لذة وأي سعاد تضاهي رؤية الربّ تبارك وتعالى. قال تعالى:{**وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ (٢٢) إِلى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ (٢٣)** } [سورة القيامة: ٢٢ - ٢٤]، وقال عزّ وجلّ سبحانه:{لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَى وَزِيَادَةٌ وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلَا ذِلَّةٌ أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ (٢٦)} [سورة يونس: ٢٦]، وهذه النعمة الكبيرة أعظم مظهر وأثر على الإطلاق لمن سلك طريق السعادة، فاللهمّ إنّي أسألك رؤية وجهك الكريم والقارئين أجمعين.

قال النبي -صلّى اللهُ عَلَيْهِ وسلّم-: **((إِذَا دَخَلَ أَهْلُ الْجَنَّةِ الْجَنَّةَ ، قَالَ: يَقُولُ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: تُرِيدُونَ شَيْئًا أَزِيدُكُمْ ؟ فَيَقُولُونَ: أَلَمْ تُبَيِّضْ وُجُوهَنَا ؟ أَلَمْ تُدْخِلْنَا الْجَنَّةَ وَتُنَجِّنَا مِنَ النَّارِ ؟ قَالَ: فَيُكْشَفُ الْحِجَابُ ، فَمَا أُعْطُوا شَيْئًا أَحَبَّ إِلَيْهِمْ مِنَ النَّظَرِ إِلى رَبِّهِمْ عَزَّ وَجَلَّ))**(١).

ما أعظم الرضا، وما أروع الشكر من جانب أهل الجنة، وما أوسع فضل الله عليهم، وإحسانه إليهم، وتكريمه إياهم، إنّ المؤمنين إذا زحزحوا عن النار وأدخلوا الجنة آمنوا بأنّهم فازوا وحمدوا وشكروا، وكبروا، وأثنوا، فإذا ما تمتعوا بنعيم الجنة بلغ بهم السرور غايته، ووصل بهم الفرح والابتهاج منتهاه، ولم تطمح نفوسهم إلى شيء بعد ما هم فيه من نعيم، وعندئذٍ يتجلّى لهم الرب الكريم، بسؤال الفيض والتكريم، هل تريدون شيئًا فوق ما أنتم فيه أعطيكموه؟ فيقولون: ماذا بعد هذا الفضل الكبير؟ ألم تكرمنا بتبييض وجوهنا؟ وبالنور الذي يسعى بين أيدينا وبأيماننا؟ ألم تنجنا من النار وعذابها؟ ألم تدخلنا الجنة وتوسع علينا من نعيمها؟ لقد وجدنا فيها ما تشتهي الأنفس وتلذّ الأعين، ورأينا فيها ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر، فماذا ننتظر بعد هذا؟ لك الحمد ربنا ولك الشكر، فيكشف الله الحجاب بينه وبينهم، ويمنحهم قوة في أبصارهم يرون بها نوره وجلاله، فيحسّون السعادة التي ينسون معها كل نعيم، ويستصغرون بجوارها كل ما أعطوا من متع وسرور، فاللهمّ اجعلنا من المتقين الفائزين برؤية وجهك الكريم(٢).

---

(١) أخرجه مسلم، المسند الصحيح، كتاب الإيمان - باب إثبات رؤية المؤمنين فِي الآخرة ربهم سبحانه وتعالى - ح (١٨١)، (١ / ١١٢).

(٢) لاشين، موسى شاهين لاشين، **فتح المنعم شرح صحيح مسلم**، دار الشروق، ط١ - ١٤٢٣ هـ - ٢٠٠٢ م، (٥٨٧/١).

عَنْ جَرِيرٍ بن عبد الله رضي الله عنه، قَالَ: كُنَّا عِنْدَ النَّبِيِّ -صلّى اللهُ عَلَيْهِ وسلّم- ، فَنَظَرَ إلى الْقَمَرِ لَيْلَةً يَعْنِي الْبَدْرَ فَقَالَ: **((إِنَّكُمْ سَتَرَوْنَ رَبَّكُمْ ، كَمَا تَرَوْنَ هَذَا الْقَمَرَ ، لَا تُضَامُونَ فِي رُؤْيَتِهِ ، فَإِنِ اسْتَطَعْتُمْ أَنْ لَا تُغْلَبُوا عَلَى صَلَاةٍ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا فَافْعَلُوا. ثُمَّ قَرَأَ: { وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ الْغُرُوبِ }))**[١].

فأهل السعادة يحبون الموت ولقاء الله لينتقلوا إلى ما أعدلهم ويحب الله سبحانه لقاءهم فيجزل لهم العطاء والكرامة، وأهل الشقاوة يكرهون لقاءه لما علموا من سوء ما ينتقلون إليه ويكره الله لقاءهم أي يبعدهم عن رحمته وكرامته ولا يريد ذلك بهم، وهذا معنى كراهته سبحانه لقاءهم، وليس معنى الحديث أنّ سبب كراهة الله تعالى لقاءهم كراهتهم ذلك، ولا أنّ حبه لقاء الآخرين حبهم ذلك بل هو صفة لهم.[٢]

---

[١] أخرجه البخاري، الجامع الصحيح، كتاب مواقيت الصلاة - باب فضل صلاة العصر - ح٥٢٩، (١/ ٢٠٣)، وح[٥٤٧ ، ٤٥٧٠ ، ٦٩٩٧]. مسلم، المسند الصحيح، كتاب المساجد ومواضع الصلاة - باب فضل صلاتي الصبح والعصر والمحافظة عليهما - ح (٦٣٣)، (٢ / ١١٣) .

[٢] النووي، المنهاج (١٧/ ١٠).

الخاتمة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، والصلاة والسلام على نبينا المبعوث بخاتمة الرسالات، هادي البشرية إلى طريق السعادة والطاعات.

بعد الانتهاء من هذه الدراسة الموسومة بـ " السعادة في السّنّة النّبويّة – دراسة موضوعية"، توصلت إلى أهم النتائج والملاحظات:

- التأصيل الشرعي لموضوع السعادة في السنة النبوية، حيث تناولت السنة النبوية: المفهوم، والمعايير والمؤشرات والتفاصيل.
- أضافت السنة النبوية أبعادًا كثيرة في موضوع "السعادة الحقيقية" سواء من حيث الغاية، أو الدوافع، أو الاجراءات والسلوكيات.
- تميزت السعادة في السنة النبوية بأنها ربانية المصدر والغاية، والله سبحانه خالق النفس وهو أعلم بمكوناتها وحاجاتها وما يؤدي إلى سعادتها.
- تظهر أهمية السعادة النبوية في حياة المسلم كونها منهج حياة، تتناول كل جوانب الحياة، وتشمل الملذات الروحية والمعنوية، وتؤدي إلى حصول الرضا والطمأنينة في الدنيا، والفوز بالجنة في الآخرة.
- شملت السنة النبوية الحياة ذات المعنى للمسلم بتحقيق إيمانه بالله تعالى، ودعت إلى التفاعل الاجتماعي، والعمل والإنتاجية، ومراعاة الاهتمامات القيّمة، وضبط النفس وتطويرها، لتحقيق السعادة بأكمل صورها.
- للتخفيف من العناء النفسي يلتزم المسلم بمنهج النبي صلى الله عليه وسلم الإيجابي والمتصف بالوسطية والاعتدال، والمسؤولية والمرونة، والتفاؤل والفاعلية.
- السعادة في السنة النبوية تختلف عن باقي العلوم، بشمولها واعتدالها، وبامتدادها وديمومتها، فالسعادة في السنة النبوية: سعادة دنيوية وآخروية، وسعادة الدنيا على نقصانها إلا أنها روحانية تحمل مشاعر الرضا والطمأنينة نتيجة لقوة الإيمان بالله تعالى، وهي سبيل للسعادة العظمى في الآخرة.
- امتازت السعادة النبوية في عدة مظاهر وهبات من الله تعالى، فمن استقام على طريق السعادة حظي بالخير الكثير، والبركة والتوفيق.

التوصيات:

- ضرورة الاتجاه إلى الدراسات التي تعنى بشرح الأحاديث بطريقة عصريّة، وربطها مع الواقع، مع تلمس حاجات ومتطورات العصر، وتأكيد تعظيم النصوص الشرعيّة وشرحها ضمن ضوابط الفهم الصحيح، والله ولي التوفيق.

وفي الختام أحمد الله تعالى أن منّ عليّ بالانتهاء من هذا العمل المتواضع، وأسأله سبحانه أن يتقبّله من الأمة الفقيرة، وأن ينفع به المسلمين، والحمد لله حمدًا كثيرًا مباركًا يليق به سبحانه.

المراجع

- القرآن الكريم.
- إبراهيم، رهيفة موسى قدورة (٢٠٠٩)، **سعادة الإنسان في القرآن الكريم – دراسة موضوعية -** ، رسالة ماجستير، غير منشور، الجامعة الإسلامية، غزة، فلسطين.
- الاثيوبي، محمد بن علي بن آدم بن موسى الإثيوبي الوَلَّوِي، **ذخيرة العقبى في شرح المجتبى**، ط١، دار المعراج الدولية للنشر، دار آل بروم للنشر والتوزيع.

________________ **مشارق الأنوار الوهاجة ومطالع الأسرار البهاجة في شرح سنن الإمام ابن ماجه**، ط١، دار المغني، الرياض ، المملكة العربية السعودية، ١٤٢٧ هـ ،٢٠٠٦ م.

- أرجايل، مايكل(١٩٧٨)، **سيكلوجية السعادة**، الكويت: سلسلة عالم المعرفة.
- الأزهري، أبو منصور محمد بن أحمد (ت٣٧٠هـ)، **تهذيب اللغة**، ط١، (تحقيق محمد عوض)، دار إحياء التراث العربي، بيروت ٢٠٠١ م.
- أبو أسعد، أحمد عبد اللطيف (٢٠١٥)، **الصحة النفسية منظور جديد**، ط١، الأردن: دار المسيرة.
- الأصفهاني، أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني (ت: ٥٠٢هـ)، **المفردات في غريب القرآن**، ط١، (تحقيق صفوان عدنان الداودي)، دار القلم، الدار الشامية ، دمشق بيروت، ١٤١٢ هـ.
- الألوسي، شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الألوسي (ت: ١٢٧٠هـ)، **روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني**، ط١، (تحقيق علي عبد الباري عطية)، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٥ هـ.
- الأنصاري، إسماعيل بن محمد بن ماحي السعدي الأنصاري (ت ١٤١٧هـ)، **التحفة الربانية في شرح الأربعين حديثا النووية**، ط١، مطبعة دار نشر الثقافة، الإسكندرية ، ١٣٨٠ هـ.
- ابن باز، عبد العزيز بن عبد الله بن باز (ت ١٤٢٠هـ)، **فتاوى نور على الدرب**، ط١، (جمعها: محمد بن سعد الشويعر)، الرئاسة العامة للبحوث العلمية والإفتاء ، المملكة العربية السعودية، ١٤٢٨ – ٢٠٠٧م.

- البخاري، محمد بن إسماعيل أبو عبد الله (ت٢٥٦هـ)، **التاريخ الكبير**، دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد ، الدكن .

______________ **الأدب المفرد**، ط٣، (المحقق: محمد فؤاد عبد الباقي)، دار البشائر الإسلامية ، بيروت، ١٤٠٩ ، ١٩٨٩.

______________ **الجامع الصحيح المختصر من أمور رسول الله -صلّى الله عليه وسلّم- وسننه وأيامه** ، ط٣، (تحقيق: مصطفى ديب)، دار ابن كثير، اليمامة ، بيروت.

- البدر، عبد المحسن بن حمد بن عبد المحسن بن عبد الله بن حمد العباد البدر(٢٠٠٣)، **فتح القوي المتين في شرح الأربعين وتتمة الخمسين للنووي وابن رجب رحمهما الله**، ط١، المملكة العربية السعودية: دار ابن القيم.

- البزار، أبو بكر أحمد بن عمرو بن عبد الخالق بن خلاد (ت٢٩٢هـ)، **مسند البزار المنشور باسم البحر الزخار**، ط١، (تحقيق محفوظ الرحمن زين الله، وعادل بن سعد وصبري عبد الخالق الشافعي)، مكتبة العلوم والحكم ، المدينة المنورة، ٢٠٠٩م.

- ابن بطال، ابن بطال أبو الحسن علي بن خلف بن عبد الملك (ت٤٤٩هـ)، **شرح صحيح البخاري**، ط٢، (تحقيق: أبو تميم ياسر بن إبراهيم)، مكتبة الرشد، السعودية، الرياض ، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٣م.

- البيضاوي، القاضي ناصر الدين عبد الله بن عمر البيضاوي (ت ٦٨٥هـ)، **تحفة الأبرار شرح مصابيح السنّة**، (المحقق: لجنة مختصة بإشراف نور الدين طالب)، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بالكويت،١٤٣٣ هـ ، ٢٠١٢م.

- البيهقي، أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخراساني (ت٤٥٨هـ)، **شعب الإيمان**، ط١، (تحقيق: محمد السعيد بسيوني زغلول)، دار الكتب العلمية ، بيروت.

______________ **الزهد الكبير**، ط٣، (المحقق: عامر أحمد حيدر)، مؤسسة الكتب الثقافية ، بيروت.

- الترمذي، محمد بن عيسى أبو عيسى (ت٢٧٩هـ)، **الجامع الكبير- سنن الترمذي**، ط٣، (تحقيق: أحمد شاكر وآخرون)، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي ، مصر.

- التُّورِبِشْتِي، فضل الله بن حسن بن حسين بن يوسف أبو عبد الله، شهاب الدين التُّورِبِشْتِي (ت ٦٦١ هـ)، **الميسر في شرح مصابيح السنّة**، ط٢، (المحقق: عبد الحميد هنداوي)، مكتبة نزار مصطفى الباز، ١٤٢٩ هـ ، ٢٠٠٨ هـ
- التويجري، محمد بن إبراهيم بن عبد الله(٢٠٠٦)، **موسوعة فقه القلوب**، الأردن: بيت الأفكار الدولية .
- ابن تيمية، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني (ت ٧٢٨هـ)، **مجموع الفتاوى**، (المحقق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم)، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة النّبويّة، المملكة العربية السعودية، ١٤١٦هـ/١٩٩٥م.
- الجرجاني، علي بن محمد بن علي الزين الشريف الجرجاني (ت ٨١٦هـ)، **التعريفات**، ط١ ، دار الكتب العلمية بيروت ،لبنان، ١٤٠٣هـ ،١٩٨٣م.
- ابن أبي حاتم، أبو محمد عبد الرحمن بن محمد بن إدريس بن المنذر التميمي، الحنظلي، الرازي ابن أبي حاتم (ت ٣٢٧هـ)، **تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم**، ط٣، (المحقق: أسعد محمد الطيب)، مكتبة نزار مصطفى الباز ، المملكة العربية السعودية، ١٤١٩ هـ .
- الحاكم، محمد بن عبد الله النيسابوري(٤٠٥هـ)، **المستدرك على الصحيحين** ، ط١ ، (تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا)، دار الكتب العلمية ، بيروت.
- ابن حبان، محمد بن حبان بن أحمد بن حبان بن معاذ بن مَعْبدَ، التميمي، أبو حاتم الدارمي، البُستي (ت٣٥٤هـ)، **صحيح ابن حبان** ، ط٢، (تحقيق: شعيب الأرنؤوط)، مؤسسة الرسالة ، بيروت، ١٤١٤هـ.

____________________ **الثقات**، ط١، وزارة المعارف للحكومة العالية الهندية، دائرة المعارف العثمانية بحيدر آباد الدكن الهند، ١٣٩٣هـ.

- ابن حجر، أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني (ت٨٥٢هـ)، **فتح الباري شرح صحيح البخاري**، دار المعرفة ، بيروت، ١٣٧٩هـ.

____________________ **المطالب العالية بزوائد المسانيد الثمانية**، ط١، دار العاصمة، دار الغيث – السعودية،١٤١٩هـ.

____________________ **تعريف أهل التقديس بمراتب الموصوفين بالتدليس- طبقات المدلسين**، ط١، (تحقيق: عاصم القريوتي) ، مكتبة المنار، عمان.

ابن حجر، أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني (ت٨٥٢هـ)، **تقريب التهذيب**، ط١، (تحقيق: محمد عوامة)، دار الرشيد ، سوريا ، ١٤٠٦ ، ١٩٨٦.

ـــــــــــــــــــــــــــ **تهذيب التهذيب**،ط١، دار الفكر ، بيروت ، ١٤٠٤ ، ١٩٨٤.

- الحريملي، فيصل بن عبد العزيز بن فيصل (ت١٣٧٦هـ)، **تطريز رياض الصالحين**، ط١، دار العاصمة للنشر والتوزيع ، الرياض ١٤٢٣هـ.
- الحسيني، محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق، أبو الفيض، الزَّبيدي (ت: ١٢٠٥هـ)، **تاج العروس من جواهر القاموس**، (تحقيق: مجموعة من المحققين)، دار الهداية.
- الحلبي، أبو العباس، شهاب الدين، أحمد بن يوسف بن عبد الدائم المعروف بالسمين الحلبي (ت ٧٥٦ هـ)، **عمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ**، ط١، (المحقق: محمد باسل عيون السود)، دار الكتب العلمية ، ١٤١٧ هـ ، ١٩٩٦م.
- ابن حميد، أبو محمد عبد الحميد بن حميد بن نصر(ت ٢٤٩هـ)، **المنتخب من مسند عبد بن حميد**، ط١، (تحقيق: صبحي البدري السامرائي ، محمود محمد خليل الصعيدي)، مكتبة السّنّة ، القاهرة، ١٤٠٨ هـ .
- حميد، مجموعة مؤلفين، بإشراف الشيخ/ صالح بن عبد الله بن حميد إمام وخطيب الحرم المكي، **نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم -صلّى الله عليه وسلّم-**، ط٤، دار الوسيلة للنشر والتوزيع، جدة.
- ابن خزيمة، أبو بكر محمد بن إسحاق بن خزيمة بن المغيرة بن صالح بن بكر السلمي النيسابوري (ت٣١١هـ)، **صحيح ابن خزيمة**، (المحقق: محمد مصطفى الأعظمي)، المكتب الإسلامي ، بيروت.
- الخطابي، أبو سليمان حمد بن محمد الخطابي (ت٣٨٨هـ)، **أعلام الحديث** (شرح صحيح البخاري)، ط١، (المحقق: محمد بن سعد بن عبد الرحمن آل سعود)، جامعة أم القرى (مركز البحوث العلمية وإحياء التراث الإسلامي)، ١٤٠٩ هـ ، ١٩٨٨ م.

ـــــــــــــــــــــــــــ **معالم السنن**، المطبعة العلمية ، حلب.

- الخطيب، أحمد بن علي أبو بكر(ت٤٦٣هـ)، **تاريخ بغداد** ، دار الكتب العلمية ، بيروت.

- الدارقطني، علي بن عمر بن أحمد بن مهدي أبو الحسن(٣٨٥هـ)، **العلل الواردة في الأحاديث النّبويّة،** ط١، (تحقيق: محفوظ الرحمن زين الله السلفي)، دار طيبة ، الرياض.
- الدارمي، أبو محمد عبد الله بن عبد الرحمن بن الفضل بن بَهرام بن عبد الصمد الدارمي، التميمي السمرقندي (ت ٢٥٥هـ)، **سنن الدارمي،** ط١، (تحقيق: حسين سليم أسد الداراني)، دار المغني للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية، ١٤١٢ هـ ، ٢٠٠٠ م .
- أبو داود، سليمان بن الأشعث السجستاني الأزدي(ت٢٧٥هـ)، **سنن أبي داود،** (تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد)، المكتبة العصرية، صيدا ، بيروت.
- ابن دقيق، تقي الدين أبو الفتح محمد بن علي بن وهب بن مطيع القشيري، المعروف بابن دقيق العيد (ت ٧٠٢هـ)، **شرح الأربعين النووية في الأحاديث الصحيحة النّبويّة،** ط٦، مؤسسة الريان، ١٤٢٤ هـ ، ٢٠٠٣ م.
- الذهبي، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز (ت ٧٤٨هـ)، **الكاشف في معرفة من له رواية في الكتب الستة،** ط١، (المحقق: محمد عوامة أحمد محمد نمر الخطيب)، دار القبلة للثقافة الإسلامية ، مؤسسة علوم القرآن، جدة، ١٤١٣هـ.

________________ **تاريخ الإسلام**

ووفيات المشاهير والأعلام، ط١، (تحقيق: عمر عبد السلام)، دار الكتاب العربي ، بيروت ،١٤٠٧هـ ،١٩٨٧م.

________________ **، ميزان الاعتدال**

في نقد الرجال، ط١، (تحقيق: علي محمد البجاوي)، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت ، لبنان، ١٣٨٢ هـ ، ١٩٦٣ م.

- الرازي، زين الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الحنفي الرازي (ت: ٦٦٦هـ)، **مختار الصحاح،** ط٥، (المحقق: يوسف الشيخ محمد)، المكتبة العصرية ، الدارالنموذجية، بيروت ، صيدا، ١٤٢٠هـ/ ١٩٩٩م .
- الراغب، أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهانى (ت ٥٠٢هـ)، **المفردات في غريب القرآن،** ط١، (المحقق: صفوان عدنان الداودي)، دار القلم، الدار الشامية ، دمشق بيروت، ١٤١٢ هـ.

- ابن رجب، زين الدين عبد الرحمن بن أحمد بن رجب(ت: ٧٩٥هـ)، **جامع العلوم والحكم في شرح خمسين حديثًا من جوامع الكلم**، ط٢، (تحقيق: محمد الأحمدي أبو النور)، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع ، ١٤٢٤ هـ ، ٢٠٠٤ م.

____________________ **فتح الباري في شرح صحيح البخاري**، ط١، مكتبة الغرباء الأثرية ،المدينة النّبويّة، ١٤١٧ هـ ، ١٩٩٦ م.

____________________**لطائف المعارف فيما لمواسم العام من الوظائف** ، ط١، دار ابن حزم للطباعة والنشر، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٤م

- الزمخشري، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله (ت: ٥٣٨هـ)، **الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل**، ط٣، دار الكتاب العربي ، بيروت، ١٤٠٧ هـ.
- الساعاتي، أحمد بن عبد الرحمن بن محمد البنا الساعاتي (ت ١٣٧٨ هـ)، **الفتح الرباني لترتيب مسند الامام احمد**، ط٢، دار إحياء التراث العربي.
- السعدي، عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي (ت: ١٣٧٦هـ)، **تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان**، ط١، (المحقق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق)، مؤسسة الرسالة، ١٤٢٠هـ -٢٠٠٠ م.
- السعدي، عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله بن ناصر بن حمد آل سعدي (ت: ١٣٧٦هـ)، **بهجة قلوب الأبرار وقرة عيون الأخيار في شرح جوامع الأخبار**، ط١، (المحقق: عبد الكريم بن رسمي ال الدريني)، مكتبة الرشد للنشر والتوزيع، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠٢م .
- سليغمان، مارتن(٢٠٠٥م)، **السعادة الحقيقية**، ط١، القاهرة: دار العين للنشر.
- السندي، محمد بن عبد الهادي التتوي، أبو الحسن، نور الدين السندي (ت١١٣٨هـ)، **حاشية السندي على سنن ابن ماجه** - كفاية الحاجة في شرح سنن ابن ماجه، دار الجيل ، بيروت.
- السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (ت ٩١١ هـ)، **التوشيح شرح الجامع الصحيح**، ط١، (المحقق: رضوان جامع رضوان)، مكتبة الرشد – الرياض، ١٤١٩ هـ ، ١٩٩٨م.

____________________**قوت المغتذي على جامع الترمذي**، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، ١٤٢٤ هـ.

____________________ **عقود الزبرجد على مسند الإمام أحمد**، (حَقّقه وَقَدم لَه: سَلمان القضَاة)، دَار الجيل، بَيروت – لبنان، ١٤١٤ هـ ،١٩٩٤ م.

- الشجري، يحيى بن الحسين بن إسماعيل بن زيد الحسني الشجري الجرجاني (ت٤٩٩ هـ)، **ترتيب الأمالي الخميسية للشجري**، رتبها: القاضي محيي الدين محمد بن أحمد القرشي العبشمي (ت٦١٠هـ)، ط١، (تحقيق: محمد حسن محمد حسن إسماعيل)، دار الكتب العلمية، بيروت ، لبنان، ١٤٢٢هـ.
- الشنقيطي، محمَّد الخَضِر بن سيد عبد الله بن أحمد الجكني الشنقيطي (ت ١٣٥٤هـ)، **كوثر المعاني الدراري في كشف خبايا صحيح البخاري**، ط١، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤١٥ هـ ، ١٩٩٥ م.
- الشوكاني، محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني (ت ١٢٥٠هـ)، **فتح القدير**، ط١، دار ابن كثير، دار الكلم الطيب، دمشق، بيروت، ١٤١٤ هـ.
- ابن أبي شيبة، أبو بكر عبد الله بن محمد بن إبراهيم بن عثمان بن خواستي العبسي (ت ٢٣٥هـ)، **الكتاب المصنف في الأحاديث والآثار**، ط١، (تحقيق: كمال يوسف الحوت)، مكتبة الرشد ، الرياض، ١٤٠٩هـ.
- صبحي، سيد(١٩٨٨)، **الإنسان وصحته النفسية**، القاهرة: الدار المصرية اللبنانية.
- الصرصري، سليمان بن عبد القوي بن عبد الكريم الطوفي الصرصري، أبو الربيع، نجم الدين (ت ٧١٦ هـ)، **التعيين في شرح الأربعين**، ط١، (المحقق: أحمد حَاج محمّد عثمان)، مؤسسة الريان (بيروت - لبنان)، المكتَبة المكيّة (مكّة - المملكة العربية السعودية)، ١٤١٩ هـ ، ١٩٩٨ م.
- صليبا، جميل (ت١٩٧٦م)، **المعجم الفلسفي بالألفاظ العربية والفرنسية والإنكليزية واللاتينية**، دار الكتاب اللبناني ، بيروت، ١٩٨٢م.
- الصنهاجي، عبد الحميد محمد بن باديس(ت ١٣٥٩هـ) ، **مجالس التذكير من حديث البشير النذير**، ط١، مطبوعات وزارة الشؤون الدينية، ١٤٠٣هـ ، ١٩٨٣م .
- الطبراني، سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي(ت٣٦٠هـ)، **المعجم الأوسط**، (تحقيق: طارق بن عوض الله بن محمد، عبد المحسن بن إبراهيم الحسيني)، دار الحرمين ، القاهرة ، ١٤١٥هـ.

ـــــــــــــــــــ **المعجم الكبير**، ط٢، (تحقيق: حمدي بن عبد المجيد) ، مكتبة ابن تيمية ، القاهرة.

ـــــــــــــــــــ **المعجم الصغير**، ط١، المحقق: محمد شكور محمود الحاج أمرير، المكتب الإسلامي ، دار عمار ، بيروت، ١٤٠٥، ١٩٨٥.

- الطبري، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري (ت: ٣١٠هـ)، **تفسير الطبري- جامع البيان**، ط١، (تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركي)، دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، ١٤٢٢ هـ ، ٢٠٠١ م،.
- الطيبي، شرف الدين الحسين بن عبد الله (٧٤٣هـ)، **شرح الطيبي على مشكاة المصابيح المسمى بـ (الكاشف عن حقائق السنن)، ط١**، (المحقق: عبد الحميد هنداوي)، مكتبة نزار مصطفى الباز (مكة المكرمة - الرياض)، ١٤١٧ هـ ، ١٩٩٧ م.
- العباد، عبد المحسن بن حمد بن عبد المحسن بن عبد الله بن حمد العباد البدر(٢٠٠٣)، **شرح حديث جبريل في تعليم الدين**، ط١، الرياض: مطبعة سفير .
- عبد الرزاق، أبو بكر عبد الرزاق بن همام بن نافع الحميري اليماني الصنعاني (ت: ٢١١هـ)، **المصنف**، ط٢، (المحقق: حبيب الرحمن الأعظمي)، المجلس العلمي، الهند، المكتب الإسلامي ،بيروت ، ١٤٠٣هـ.
- أبو عبد الله، أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني (ت ٢٤١هـ)، **مسند الإمام أحمد بن حنبل**، مؤسسة قرطبة ، القاهرة ، الأحاديث مذيلة بأحكام شعيب الأرنؤوط عليها.
- ابن عثيمين، محمد بن صالح بن محمد العثيمين (ت ١٤٢١هـ)، **شرح الأربعين النووية** ، دار الثريا للنشر .

____________________**شرح رياض الصالحين**، دار الوطن للنشر، الرياض، ١٤٢٦ هـ.

- العجلي، أبو الحسن أحمد بن عبد الله بن صالح(ت٢٦١هـ)، **معرفة الثقات من رجال أهل العلم والحديث ومن الضعفاء وذكر مذاهبهم وأخبارهم**، ط١، (تحقيق: عبد العليم عبد العظيم البستوي)، مكتبة الدار ، المدينة المنورة ، السعودية ،١٤٠٥هـ ،١٩٨٥م .
- ابن عساكر، أبو القاسم علي بن الحسن ابن هبة الله(ت٥٧١هـ)، **تاريخ مدينة دمشق**، (تحقيق: محب الدين أبي سعيد عمر بن غرامة العمري)، دار الفكر ، بيروت ، ١٩٩٥م.
- العظيم الأبادي، محمد أشرف بن أمير بن علي بن حيدر(ت١٣٢٩هـ)، **عون المعبود شرح سنن أبي داود**، ومعه حاشية ابن القيم: تهذيب سنن أبي داود وإيضاح علله ومشكلاته، دار الكتب العلمية ، بيروت، ١٤١٥ هـ.

- العيني، أبو محمد محمود بن أحمد بن موسى بن أحمد العينى (ت ٨٥٥هـ)،**شرح سنن أبي داود**، ط١، (المحقق: أبو المنذر خالد بن إبراهيم المصري)، مكتبة الرشد ، الرياض، ١٤٢٠ هـ ،١٩٩٩ م.

________________________ **عمدة القاري شرح صحيح البخاري**، دار إحياء التراث العربي – بيروت.

- الغزالي، أبو حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي (ت٥٠٥هـ)، **كيمياء السعادة**، دار المقطم للنشر والتوزيع.
- الفارابي، أبو نصر (ت٣٣٩هـ)، **كتاب تحصيل السعادة**، ط١، (تقديم وشرح علي بو ملحم)، دار ومكتبة الهلال ، بيروت ،١٩٩٥هـ.
- ابن فارس، أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا(ت٣٩٥هـ)، **معجم مقاييس اللغة**، ط٢، (تحقيق: عبد السلام محمد هارون) ، دار الجيل ، بيروت .
- القاري، علي بن سلطان محمد، أبو الحسن نور الدين الملا الهروي القاري (ت١٠١٤هـ)، **مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح**، ط١، دار الفكر، بيروت ، لبنان ، ١٤٢٢هـ ، ٢٠٠٢م.
- قاسم، حمزة محمد قاسم (ت١٤٣١هـ)، **منار القاري شرح مختصر صحيح البخاري**، (راجعه: عبد القادر الأرناؤوط، عني بتصحيحه ونشره: بشير محمد عيون)، مكتبة دار البيان، دمشق ، الجمهورية العربية السورية، مكتبة المؤيد، الطائف ، المملكة العربية السعودية ١٤١٠ هـ - ١٩٩٠ م.
- القاضي عياض، عياض بن موسى بن عياض بن عمرون اليحصبي السبتي، أبو الفضل (ت٥٤٤هـ)، **شَرْحُ صَحِيح مُسْلِمِ لِلقَاضِى عِيَاض المُسَمَّى إِكمَالُ المُعْلِمِ بفَوَائِدِ مُسْلِم**، ط١،(المحقق: يحْيَى إِسْمَاعِيل)، دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع، مصر، ١٤١٩ هـ ، ١٩٩٨م.
- القحطاني، سعيد بن علي بن وهف القحطاني (ت١٤١٦هـ)، **نور الإخلاص وظلمات إرادة الدنيا بعمل الآخرة في ضوء الكتاب والسّنّة**، مطبعة سفير، الرياض، مؤسسة الجريسي للتوزيع والإعلان، الرياض.

________________________ **الخلق الحسن في ضوء الكتاب والسّنّة**، مطبعة سفير، الرياض، توزيع: مؤسسة الجريسي للتوزيع والإعلان، الرياض.

القحطاني، سعيد بن علي بن وهف القحطاني (ت١٤١٦هـ)،**الاعتصام بالكتاب والسّنّة أصل السعادة في الدنيا والآخرة ونجاة من مضلات الفتن**، مطبعة سفير، الرياض ، مؤسسة الجريسي للتوزيع والإعلان، الرياض.

______________ **شرح العقيدة الواسطية لشيخ الإسلام ابن تيمية في ضوء الكتاب والسّنّة**، مطبعة سفير، الرياض - مؤسسة الجريسي للتوزيع والإعلان، الرياض.

- ابن قدامة، عبد الله بن أحمد بن قدامة المقدسي أبو محمد (٦٢٠هـ)، **المغني في فقه الإمام أحمد بن حنبل الشيباني**، ط١، دار الفكر ، بيروت، ١٤٠٥هـ.
- القرطبي، أبو العباس أحمد بن عمر بن إبراهيم(ت٦٥٦هـ)، **المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم**، دار ابن كثير، دمشق ، بيروت.
- القسطلاني، أحمد بن محمد بن أبى بكر بن عبد الملك القسطلاني القتيبي المصري، أبو العباس، شهاب الدين (ت٩٢٣هـ)، **شرح القسطلاني - إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري**، ط٧، المطبعة الكبرى الأميرية، مصر، ١٣٢٣ هـ.
- ابن القيم، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين(ت٧٥١هـ)،**إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان**، (تحقيق: محمد حامد الفقي)، الرياض: مكتبة المعارف، الرياض، المملكة العربية السعودية .

______________ **عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين**، ط٣، دمشق: دار ابن كثير ١٤٠٩هـ ، ١٩٨٩م.

______________ **شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل**، دار المعرفة، بيروت، لبنان ، ١٣٩٨هـ/١٩٧٨م .

______________ **الوابل الصيب من الكلم الطيب**، ط٣، (تحقيق: سيد إبراهيم)، دار الحديث ، القاهرة - ١٩٩٩ م.

______________ **زاد المعاد في هدي خير العباد**، مؤسسة الرسالة، بيروت ، مكتبة المنار الإسلامية، الكويت-١٤١٥هـ/١٩٩٤م.

- ابن القيم، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين(ت٧٥١هـ)، **مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين**، ط٣، (المحقق: محمد المعتصم بالله البغدادي)، بيروت: دار الكتاب العربي ، ١٤١٦ هـ ، ١٩٩٦م.

______________ **مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة**، بيروت: دار الكتب العلمية.

- ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي (ت٧٧٤ هـ)، **تفسير القرآن العظيم**، ط٢، (المحقق: سامي بن محمد سلامة)، دار طيبة للنشر والتوزيع، ١٤٢٠هـ ، ١٩٩٩ م .
- الكحلاني، محمد بن إسماعيل بن صلاح بن محمد الحسني، الكحلاني ثم الصنعاني، أبو إبراهيم، عز الدين، المعروف كأسلافه بالأمير (ت ١١٨٢هـ)، **التحبير لإيضاح معاني التيسير**، ط١، (حققه وعلق عليه وخرج أحاديثه وضبط نصه: مَحَمَّد صُبْحي بن حَسَن حَلّاق أبو مصعب)، مَكتَبَةُ الرُّشد، الرياض ، المملكة الْعَرَبيَّة السعودية، ١٤٣٣ هـ ، ٢٠١٢ م.

______________**التنوير شرح الجامع الصغير**، ط١، (المحقق: محمَّد إسحاق محمَّد إبراهيم)، مكتبة دار السلام، الرياض ١٤٣٢ هـ ،٢٠١١ م.

- الكرماني، محمد بن يوسف بن علي بن سعيد، شمس الدين الكرماني (ت ٧٨٦هـ)، **الكواكب الدراري في شرح صحيح البخاري**، ط١، دار إحياء التراث العربي، بيروت-لبنان، ١٣٥٦هـ ، ١٩٣٧م.
- الكلاباذي، أبو بكر محمد بن ابي إسحاق بن إبراهيم بن يعقوب (ت٣٨٠)، **بحر الفوائد المسمى بمعاني الأخيار**، ط١، (تحقيق: محمد حسن محمد)، دار الكتب العلمية ، بيروت ،١٤٢٠هـ.
- الكوراني، أحمد بن إسماعيل بن عثمان بن محمد الكوراني الشافعي ثم الحنفي (ت٨٩٣ هـ)، **الكوثر الجاري إلى رياض أحاديث البخاري** ، ط١، (المحقق: أحمد عزو عناية) ، دار إحياء التراث العربي، بيروت ، لبنان، ١٤٢٩ هـ ، ٢٠٠٨ م .
- اللاحم، سليمان بن إبراهيم بن عبد الله اللاحم(١٩٩٩م)، **اللباب في تفسير الاستعاذة والبسملة وفاتحة الكتاب**، ط١، الرياض: دار المسلم للنشر والتوزيع.
- لاشين، موسى شاهين لاشين(ت٢٠٠٩م)، **فتح المنعم شرح صحيح مسلم**، ط١، دار الشروق، ١٤٢٣ هـ ، ٢٠٠٢ م.

- اللويحق، عبد الرحمن بن معلا، **مفهوم السعادة في الإسلام**، مقال على الشبكة العنكبوتية – شبكة الألوكة، رابط: عبدالرحمن بن معلا اللويحق .
- ابن ماجه، ابن ماجه أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني (ت ٢٧٣هـ)، **سنن ابن ماجه**، (تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي)، دار إحياء الكتب العربية ، فيصل عيسى البابي الحلبي.
- المباركفوري، أبو الحسن عبيد الله بن محمد عبد السلام بن خان محمد بن أمان الله بن حسام الدين الرحماني المباركفوري (ت ١٤١٤هـ)، **مرعاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح**، ط٣، إدارة البحوث العلمية والدعوة والإفتاء - الجامعة السلفية ، بنارس الهند، ١٤٠٤ هـ ، ١٩٨٤ م.
- المباركفوري، أبو العلا محمد عبد الرحمن بن عبد الرحيم (ت١٣٥٣هـ)، **تحفة الأحوذي شرح سنن الترمذي**، دار الكتب العلمية ، بيروت .
- مختار، أحمد مختار عبد الحميد عمر (ت١٤٢٤هـ)، **معجم اللغة العربية المعاصرة**، ط١، عالم الكتب، القاهرة.
- مراد، سعيد(٢٠٠١)، **نظرية السعادة عند فلاسفة الإسلام**، ط١، مصر: عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية.
- المزي، يوسف بن الزكي عبد الرحمن أبو الحجاج(٧٤٢هـ)، **تهذيب الكمال في أسماء الرجال** ، ط١ ، تحقيق: بشار عواد معروف ، الرسالة ، بيروت،.
- ابن مسكويه، أبوعلي أحمد بن محمد بن يعقوب (ت٤٢١هـ)، **تهذيب الأخلاق وتطهير الأعراق**، ط١، مكتبة الثقافة الدينية.
- مسلم، مسلم بن الحجاج أبو الحسين القشيري النيسابوري (٢٦١هـ)، **المسند الصحيح المختصر من السنن بنقل العدل عن العدل عن رسول الله ﷺ**، (تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي) ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت.
- مصطفى، إبراهيم / والزيات، أحمد / وعبد القادر، حامد / والنجار، محمد ، **المعجم الوسيط**، (تحقيق: مجمع اللغة العربية) ، دار الدعوة، مصر.
- أبو المظفر، منصور بن محمد بن عبد الجبار ابن أحمد المروزى السمعاني التميمي الحنفي ثم الشافعي (ت: ٤٨٩هـ)، **تفسير السمعاني**، ط١، دار الوطن، الرياض، السعودية، ١٤١٨هـ-١٩٩٧م.

- أبو المظفر، يحيى بن هُبَيْرَة بن محمد بن هبيرة الذهلي الشيبانيّ، أبو المظفر، عون الدين (ت ٥٦٠هـ)، **الإفصاح عن معاني الصحاح**، (المحقق: فؤاد عبد المنعم أحمد)، دار الوطن ،١٤١٧هـ.
- المظهري، الحسين بن محمود بن الحسن، مظهر الدين الزَّيْدَانيُّ الكوفي الضَّريرُ الشِّيرازيُّ الحَنَفيُّ المشهورُ بالمُظْهِري (ت ٧٢٧ هـ)، **المفاتيح في شرح المصابيح**، ط١، (تحقيق ودراسة: لجنة مختصة من المحققين بإشراف: نور الدين طالب)، دار النوادر، وهو من إصدارات إدارة الثقافة الإسلامية ، وزارة الأوقاف الكويتية، ١٤٣٣ هـ ، ٢٠١٢ م.
- المغربي، الحسين بن محمد بن سعيد اللاعيّ، المعروف بالمَغرِبي (ت ١١١٩ هـ)، **البدرُ التمام شرح بلوغ المرام**، (المحقق: علي بن عبد الله الزبن)، دار هجر.
- ابن الملقن، أبي حفص عمر بن علي بن أحمد الأنصاري الشافعي (٨٠٤ هـ)، **المعين على تفهم الأربعين**، (دراسة وتحقيق دغش بن شبيب العجمي)، مكتبة أهل الأثر .
- ابن الملك، محمَّدُ بنُ عزِّ الدِّينِ عبدِ اللطيف بنِ عبد العزيز بن أمين الدِّين بنِ فِرِشْتَا، الرُّوميُّ الكَرمانيّ، الحنفيُّ، المشهور بـ ابن المَلَك (ت ٨٥٤ هـ)، **شرح المصابيح شرح مصابيح السنّة للإمام البغوي**، ط١، (تحقيق ودراسة: لجنة مختصة من المحققين بإشراف: نور الدين طالب)، إدارة الثقافة الإسلامية، ١٤٣٣ هـ ، ٢٠١٢ م.
- المناوي، زين الدين محمد المدعو بعبد الرؤوف بن تاج العارفين(ت ١٠٣١هـ)، **التيسير بشرح الجامع الصغير** ، ط٣، مكتبة الإمام الشافعي ، الرياض، ١٤٠٨هـ ، ١٩٨٨م.

______________________________ **الإتحافات السنية بالأحاديث القدسية ومعه النفحات السلفية بشرح الأحاديث القدسية**، الشارح: محمد منير بن عبده أغا النقلي الدمشقي الأزهرى (ت ١٣٦٧هـ) ، شرحه باسم «النفحات السلفية بشرح الأحاديث القدسية»، المحقق: عبد القادر الأرناؤوط - طالب عواد، دار ابن كثير دمشق، بيروت .

______________________________ **فيض القدير شرح الجامع الصغير**، ط١، المكتبة التجارية الكبرى ، مصر ، ١٣٥٦هـ.

______________________________ **التوقيف على مهمات التعاريف**، ط١، تحقيق: محمد رضوان الداية، دار الفكر المعاصر، بيروت ، دمشق، ١٤١٠هـ.

- ابن منظور، محمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري(ت٧١١هـ)، **لسان العرب**، ط١، دار صادر ، بيروت.

- موسى، كمال(٢٠٠٠)، **السعادة وتنمية الصحة النفسية،** ط١، مصر: دار النشر للجامعات.
- نخبة من العلماء، **أصول الإيمان في ضوء الكتاب والسّنّة،** ط١، وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد ، المملكة العربية السعودية- مجمع الملك فهد لطباعة المصاحف - ١٤٢١هـ .
- النسائي، أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن علي(ت: ٣٠٣هـ)، **السنن الكبرى،** ط١،(تحقيق:حسن عبد المنعم شلبي)، مؤسسة الرسالة ، بيروت.

________________ **المجتبى من السنن - سنن النسائي،** ط٢ ، تحقيق: عبدالفتاح أبو غدة ، مكتب المطبوعات الإسلامية ، حلب ، ١٤٠٦هـ ، ١٩٨٦م.
- النعيمي، شمس الدين البِرْماوي، أبو عبد الله محمد بن عبد الدائم بن موسى النعيمي العسقلاني المصري الشافعي (ت ٨٣١ هـ)، **اللامع الصبيح بشرح الجامع الصحيح،** ط١، (تحقيق ودراسة: لجنة مختصة من المحققين بإشراف نور الدين طالب)، دار النوادر، سوريا، ١٤٣٣ هـ ، ٢٠١٢ م.
- النووي، أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي (ت ٦٧٦هـ)، **المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج،** ط٢، دار إحياء التراث العربي ، بيروت، ١٣٩٢هـ.
- الهرري، محمد الأمين بن عبد الله الأُرَمي العَلَوي الهَرَري الشافعي (ت١٣٩٣هـ)، **الكوكب الوهاج شرح صحيح مسلم،** ط١، دار المنهاج ، دار طوق النجاة، ١٤٣٠ هـ ، ٢٠٠٩ م.
- الهيثمي، أبو الحسن نور الدين علي بن أبي بكر بن سليمان الهيثمي (ت ٨٠٧هـ)، **مجمع الزوائد ومنبع الفوائد،** (تحقيق: حسام الدين القدسي)، مكتبة القدسي، القاهرة.

________________ **كشف الأستار عن زوائد البزار،** ط١، (تحقيق: حبيب الرحمن الأعظمي)، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٣٩٩هـ .
- وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية ، الكويت، **الموسوعة الفقهية الكويتية،** ط٢، دارالسلاسل ، الكويت.
- ابن قرقول، إبراهيم بن يوسف بن أدهم الوهراني الحمزي، أبو إسحاق ابن قرقول (ت ٥٦٩هـ)، **مطالع الانوار على صحاح الاثار،** ط١، (تحقيق: دار الفلاح للبحث العلمي وتحقيق التراث)، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية - دولة قطر، ١٤٣٣ هـ ، ٢٠١٢ م.

ملحق (١) مقياس السعادة في السّنّة النبوية

	معايير قياس السعادة في السّنّة النبوية	موافق بشدة	موافق إلى حد ما	موافق	معارض	معارض إلى حد ما	معارض بشدة
١	أعتقد اعتقادا جازما بأن الله سبحانه هو رب كل شيء، وهو الخالق المستحق للعبادة دون ما سواه						
٢	أعتقد بأن النبي محمد هو رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي جاء بدين الهداية والسعادة الحقيقية						
٣	أؤمن بكل ما جاء به النبي صلى الله عليه وسلم						
٤	أشعر أن الإيمان يملأ قلبي رضا وراحة وطمأنينة						
٥	أحرص على تطبيق شرائع الإسلام وأركانه						
٦	لدي مشاعر ودية اتجاه معظم الناس						

٧	الحياة بالنسبة لي طيبة جميلة، وهي سبيلي إلى الجنة						
٨	ألتزم بالقيم الأخلاقية الإسلامية						
٩	أحب الخير للناس مثلما أحبه لنفسي						
١٠	عندما أقارن نفسي مع الأقل مني أشعر بالرضا عن حياتي						
١١	يصفني الناس بأنني شخص معطاء						
١٢	لدي مصدر دخل يكفيني بفضل الله						
١٣	أنا فرد منتج، أحب العمل والإنتاجية						
١٤	أحافظ على صلاتي التي بها راحتي وصلاحي ومناجاة خالقي						
١٥	أستطيع إيجاد الوقت المناسب لما أريده						
١٦	أحافظ على وردي من القرآن الكريم						

١٧	عند سماع القرآن أو قراءته تطمئن نفسي وتسكن						
١٨	أحقق أهدافي، وأمارس هواياتي وأنشطتي في الحياة ضمن حدود الشرع						
١٩	أشعر أنني متحكم بأمور حياتي وأديرها بشكل جيد						
٢٠	أستطيع ضبط نفسي، ولدي إرادة قوية						
٢١	دائما ما أرى الأمور بنظرة إيجابية، لإيماني القوي بالله تعالى						
٢٢	أراقب الله في حياتي كلها						
٢٣	أنا راض عن حياتي، راض بقضاء الله، أشعر براحة في كل أموري						
٢٤	لدي القدرة على تلقي الصدمات والابتلاءات بنفس قوية وايمان صادق قوي						

٢٥	أحافظ على الأذكار الإسلامية في حياتي						
٢٦	أشعر بالرضا عن حياتي، ولدي الهمة لأكون أفضل						
٢٧	غالبا ما أجدد نفسي، وأحاسبها، وأقودها للأفضل						
٢٨	أعمل جاهدا، لأفوز بالجنة دار السعداء ونعيمها						
٢٩	أتوكل على الله في كل أموري، وأستشعر معية الله للمحسنين						
٣٠	أحاول تحقيق الإحسان بكل أنواعه						
٣١	أنا متفاءل جدا، وأعلم أن الله مع المؤمنين						
٣٢	أشعر بسعادة ورضى لإيماني القوي بالله						
٣٣	أحرص على فعل الخيرات، والأعمال الصالحة						

٣٤	أعيش في أمن وأمان بفضل الله						
٣٥	أستمتع بتبادل الحديث مع أسرتي وأصدقائي والآخرين						
٣٦	أنا سهل في معاملاتي كلها، لين، سمح						
٣٧	أعامل الناس كما أحب أن أعامل						
٣٨	أشعر أنني بصحة جيدة						
٣٩	لدي مبادئ وقيم وأهداف فضيلة أسعى لتحقيقها						
٤٠	أشعر أن لحياتي معنى لإيماني بالله واتباعي لمنهج النبي صلى الله عليه وسلم						
٤١	أعتقد بوجود دار آخرة أحاسب بها						
٤٢	دائما ما أكون منشغلا بشيء له قيمة						
٤٣	أتبع منهج النبي صلى الله عليه وسلم في إشباع						

	الملذات المادية بالقدر والوقت المناسب						
٤٤	**أساعد الناس، وأنفق من مالي، وأحب خدمة الآخرين**						
٤٥	**أنا سعيد جدا**						

ملحق (٢) مقياس السعادة النفسية – تعريب محمد أبو هاشم -

البيانات الشخصية

الاســــم (إذا رغبت) : ....

الكلية : .... **التخصص :** ....

السنة الدراسية : ....**تاريخ التطبيق :** ..../...../......

الجنس : ○ذكر ○أنثى العمر : ( ) سنة

التعليمات : يتكون المقياس الذى بين يديك من (٥٤) بند كل منها يصـف الرضـا عـن حياتـك واستمتاعك بالأنشطة والعلاقات الاجتماعية المختلفة ، نرجو قراءة كل منها ووضع علامة (×) أسفل الإجابة التى تعبر عن رأيك بصراحة من خلال الاستجابات التالية :

أرفض بشدة	أرفض بدرجة متوسطة	أرفض بدرجة قليلة	أوافق بدرجة قليلة	أوافق بدرجة متوسطة	أوافق بشدة
١	٢	٣	٤	٥	٦

علماً بأنه لا توجد إجابة صحيحة وأخرى خاطئة ، فالإجابة الصحيحة هى التى تعبر عـن وجهـة نظرك بصدق ، لا تستغرق وقتاً طويلاً فى الإجابة ، وستحاط إجابتك بالسرية التامة ولا يطلع عليهـا سوى الباحث لاستخدامها فى أغراض البحث العلمى ٠

م	العبارات	١	٢	٣	٤	٥	٦
١	اتخذ قراراتى دون الالتفات للضغوط الاجتماعية						
٢	أغير من سلوكى وطريقة تفكيرى حتى يمكننى إنجاز الأشياء						
٣	لست مهتماً بالأنشطة التى تحسن من خبراتى						
٤	لا يوجد فى حياتى الكثير من الناس الذين يحبون الاستماع لى عندما أريد التحدث إليهم						
٥	أستمتع بوضع خطط للمستقبل والعمل على تحقيقها فى الواقع						
٦	أشعر أن الكثير من الناس الذين أعرفهم قد استفادوا من الحياة أكثر مما استفدت						
٧	أثق فى آرائى ، حتى وإن كانت مخالفة لرأى الأغلبية						
٨	أشعر بالارتباك والحيرة بشان ما أتحمله من مسئوليات						
٩	أشعر بأنى تطورت وتحسنت كثيراً بمرور الوقت						
١٠	أستمتع بتبادل الحديث مع أفراد أسرتى وأصدقائى						
١١	تبدو أنشطتى اليومية تافهة وغير مهمة لى						
١٢	عموماً أشعر بالثقة فى نفسى وبالايجابية عن نفسى						
١٣	أشعر بالقلق بخصوص ما يعتقده الآخرون تجاهى						

١٤	أدير معظم مسئوليات حياتى اليومية بشكل جيد						
١٥	عندما أفكر فى الأمر أجد إننى لم أتحسن كثيراً كشخص بمرور السنين						
١٦	أشعر بالوحدة لوجود القليل من الأصدقاء المقربين الذين يمكن أن اعبر لهم عن همومى واهتمامتى						
١٧	أعمل جاهداً لتنفيذ الخطط التى أضعها لنفسى						
١٨	عندما أقارن نفسى باصدقائى ومعارفى أشعر بالرضا عن حياتى						
١٩	أغير قرارتى إذا اعترض عليها أصدقائى أو أفراد أسرتى						
٢٠	لا أشعر براحة مع الناس والمجتمع من حولى						
٢١	أعتقد أنه من المهم المرور بخبرات جديدة تغير من الطريقة التى أفكر بها فى ذاتى						
٢٢	يبدو لى أن معظم الناس لديهم أصدقاء أكثر منى						
٢٣	أركز على الحاضر لأن المستقبل يحمل لى مشكلات						
٢٤	تقديرى لذاتى ليست إيجابياً كشعور معظم الناس نحو أنفسهم						
٢٥	أعبر عن آرائى بصراحة ، وإن كانت مخالفة لآراء معظم الأشخاص						
٢٦	أواجه صعوبة فى ترتيبى أمور حياتى بطريقة ترضينى						
٢٧	لا أريد أن أجرب طرقاً جديدة فى عمل الأشياء فحياتى جميلة بحالتها الراهنة						
٢٨	يصفنى الناس بأننى شخص معطاء وعلى استعداد أن أشارك بوقتى مع الآخرين						
٢٩	ليس لدى إحساس جيد عما أحاول إنجازه فى الحياة						
٣٠	ارتكبت بعض الأخطاء فى الماضى ، ولكننى أشعر بأن كل الأمور سارت على أفضل صورة						
٣١	الشعور بالسعادة مع نفسى أكثر أهمية بالنسبة لى عن قبول الآخرين						
٣٢	أستطيع خلق أسلوب حياة لنفسى يتفق كثيراً مع ما أحبه						
٣٣	لا أستمتع بوجودى فى مواقف جديدة تتطلب منى تغيير طرقى القديمة والمألوفة فى أداء الأشياء						
٣٤	يرى معظم الناس أننى محب وعطوف						
٣٥	أشعر بالرضا عند التفكير فيما حققته فى حياتى						
٣٦	للماضى تقلباته من خير وشر ولكنى لا أريد تغييره عموماً						
٣٧	من الصعب إبداء آرائى حول الموضوعات الجدلية						
٣٨	أؤدى بشكل جيد فى بالأمور المالية والشئون الشخصية						
٣٩	يوجد صدق فى المثل القائل " ؛ يمكن تعليم الشخص الكبيرً حيلاً جديدة "						
٤٠	أثق فى أصدقائى ، وأعلم أنهم أيضاً يثقون بى						
٤١	أرى ان وضع اهداف لحياتى مضيعة للوقت						
٤٢	أشعر بخيبة الأمل عن إنجازاتى فى الحياة						
٤٣	أتأثر بالأشخاص ذوى الآراء القوية						
٤٤	بشكل عام ، أشعر بالضغط والإجهاد لعدم قدرتى على مواصلة أعمالى اليومية						
٤٥	الحياة بالنسبة لى عملية تعلم وتغير ونمو مستمر						
٤٦	المحافظة على العلاقات الطيبة مع الآخرين صعب ومحبط لى						

٤٧	بعض الناس لا أهداف لهم فى الحياة ولكننى ليس واحداً منهم						
٤٨	عندما أنظر إلى حياتى ، أشعر بالسعادة لسير الأمر على النحو الذى سارت عليه						
٤٩	أحكم على نفسى وفق ما اعتقد أنه مهم ، وليس وفق ما يتفق مع قيم الآخرين						
٥٠	متطلبات الحياة اليومية تصيبنى بكثير من الضغوط والإحباط						
٥١	لقد توقفت عن عمل تغيير فى حياتى منذ وقت طويل						
٥٢	لم أعيش علاقات كثيرة تتسم بالدفء العاطفى والثقة مع الآخرين						
٥٣	أفكر فى اليوم الذى أعيش فيه ، و لا أشغل نفسى بالتفكير فى المستقبل						
٥٤	أشعر بالرضا عن مظهرى الشخصى						

ملحق (٣) مقياس أكسفورد للسعادة - تعريب الربـاعي -

الاسم(اختياري): **الجنس:**

العمر: **التخصص:**

السنة الدراسية :

التعليمات :

عزيـزي الطالـب أمامـك مجموعـة مـن العبـارات التـي تقيس بعض جوانـب الشخصـية، و المطلوب منك مايلي :

*قراءة كل عبارة شكل جيد وفهم معناها.

*ضع إشارة (X) في الخانة التي تعبر عن درجة انطباق العبارة عليك .

*تذكر أنه لاتوجد إجابة صحيحة و أخرى خاطئة ،فالإجابة صحيحة طالما أنها تنطبق عليك .

*مع العلم بأن الغرض من هذا المقياس هو البحث العلمي ،ولن يطلع على الاجابات أحد غير الباحثة.

		موافق بشدة	موافق إلى حد ما	موافق	معارض	معارض إلى حد ما	معارض بشدة
١	أشعر بالرضا عن أسلوب حياتي						
٢	أهتم بالناس الآخرين بشكل كبير						
٣	أشعر أن الحياة سخية في عطائها						
٤	لدي مشاعر ودية تجاه معظم الناس						
٥	نادراً مااستيقظ شاعراً بالراحة						
٦	أنا متفائل خاصة فيما يتعلق بالمستقبل						
٧	أجد معظم الأشياء ممتعة						
٨	دائماً ما أكون ملتزماً أو(منهمكاً)بشيء ما						
٩	الحياة ممتعة						
١٠	أعتقد أن العالم مكان رائع						
١١	أضحك كثيراً						
١٢	أنا راض تماماً عن كل شيء في حياتي						
١٣	أعتقد أنني شخص جذاب						
١٤	هناك هوة بين مأرغب بإنجازه وبين مأنجزه فعلاً						
١٥	أنا سعيد جداً						
١٦	أضفي البهجة على الآخرين						
١٧	أستطيع إيجاد الوقت المناسب لكل ما أريده						
١٨	أشعر أنني متحكم بأمور حياتي و أديرها بشكل جيد						
١٩	أشعر أنني قادر على تحمل أي شيء						
٢٠	أشعر بأنه لدي قدرة عالية على الانتباه والتركيز						
٢١	غالباً ما أشعر بالسرور والبهجة						

٢٢	يصعب علي اتخاذ القرارات						
٢٣	لـدي إحسـاس بوجـود معنـى أو (هـدف)في حياتي						
٢٤	أشعر أنني أمتلك قدر كبير من الطاقة						
٢٥	أستطيع التأثير بشكل إيجابي على الأحداث من حولي						
٢٦	أشعر بالمتعة مع الأشخاص الآخرين						
٢٧	أشعر أنني بصحة جيدة						
٢٨	لدي ذكريات سعيدة عن الماضي						

HAPPINESS IN THE PROPHET MOHAMMED SUNNAH

OBJECTIVE STUDY

By

Sondos Adel Jassim Al-Obaid

Supervisor

Dr. Amin Al-Qudaa ,Prof.

ABSTRACT

This study is interested in following up the approach of the Prophet (PBUH) in happiness through collecting the Hadiths (Prophet's sayings) that contained the word of "happiness", a word that is similar to the concept of "happiness", or the context that comes with happiness, while devising the concept of happiness in the Sunnah, its causes, and its manifestations and features .

One of the most important findings is that the true happiness is achieving the satisfaction associated with faith and trust in Allah, and adopting the approach of the Prophet (PBUH) in life in order to win the rewards of heaven in the Hereafter. Causes leading to happiness are many in the Prophet's Sunnah, first and foremost is achieving faith, application of Sharia principles and its pillars, commitment to the Islamic values, achieving success in the social life, work and productivity, take the concerns into consideration, and self-restraint and development. Happiness is earthly and eschatological, and the eschatological happiness is more complete and eternal. The earthly happiness is two kinds: instantaneous material happiness and endless spiritual happiness which is the true happiness. The most important manifestations of happiness include good life, glad tidings, satisfaction and tranquility, psychological and family stability, acceptance of land, good end, intercession, entering Paradise, and Allah's satisfaction, and seeing Allah Almighty on the Day of Resurrection.